كتاب

الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

تحقيق

عبود الشالجي

الجزء الأول

دار صادر

بيروت

١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م

الفرج بعد الشدة

١



مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسّر

القاضي أبو علي ، المحسّن بن علي التنوخي[1] ، ووالده القاضي أبو القاسم علي بن محمد[2] ، وولده القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن[3] ، أسماء لامعة ، في عالم الأدب ، والشعر ، والقضاء .

وقد أتحف القاضي أبو عليّ ، المكتبة العربية ، بتآليف نادرة المثال ، أشهرها كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وكتاب الفرج بعد الشدّة .

قضى التنوخي في تأليف كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، عشرين عاماً[4] ، وأخرجه في أحد عشر مجلّداً[5] ، واشترط على نفسه فيه ، أن لا يضمّنه

---

١ انظر ترجمته بعد هذه المقدمة ، وقد استخلصتها من مصنّفاته ، وله ترجمة في معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ ، وفي كتاب اليتيمة للثعالبي ٢ / ٣٤٦ .

٢ ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ واليتيمة ٢ / ٣٣٦ .

٣ ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٠١ .

٤ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٥ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ وفرج المهموم لابن طاووس ١٥٤ .

شيئاً نقله من كتاب[1] .

أمّا كتاب الفرج بعد الشدّة ، فقد بدأ به في أواخر أيّامه[2] ، على أثر محن تعرّض لها ، وشدائد ابتلي بها[3] ، ثم نجا منها ، وأخرجه في ثلاثة مجلدات[4] ، أودعها أخباراً استلّها من الكتب[5] ، وأضاف إليها قسماً من مسموعاته ، ومن مشاهداته .

بدأ تعلّقي بمؤلّفات المحسّن التنوخي ، عند مطالعتي ما أصدرته المطابع منها ، فقرأت له الأجزاء الثلاثة الّتي نشرها له الناشرون من كتاب نشوار المحاضرة[6] ، وقرأت له كتاب الفرج بعد الشدّة ، وكانت دار الهلال قد طبعته في جزءين اثنين[7] .

وكنت كلّما أعدت مطالعة جزء من مؤلّفات القاضي التنوخي ، زاد تعلّقي بها ، وقد حاولت ، مرّات ومرّات ، أن أبحث عن الأجزاء الضائعة

---

١ مقدّمة المؤلّف في الجزء الأول من نشوار المحاضرة .

٢ راجع القصّتين ٢١٦ و ٤١١ من هذا الكتاب ، وتعليق المحقّق عليهما .

٣ راجع القصص ٨ و١٨ و٥٩ من هذا الكتاب .

٤ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٥ عدد القصص المنقولة عن الكتب ١٥٣ قصة من المجموع البالغ ٤٩١ .

٦ تمّ نشر ثلاثة أجزاء من كتاب نشوار المحاضرة ، بسعي المستشرق المعروف د. س. مرجليوث ، وقد نشر الجزء الأوّل بمصر في السنة ١٩٢١ ، ونشر الجزء الثامن بدمشق في السنة ١٩٣٠ ، ونشر جزء ثالث بدمشق في السنة ١٩٣٢ عن أصله الموجود في مكتبة المرحوم العلاّمة أحمد تيمور ، باعتبار أنه الجزء الثاني ، وليس به ، وإنما هو أحد أجزاء النشوار ، وقد ترجم المستشرق مرجليوث الجزء الأول من النشوار إلى اللّغة الإنكليزية ، وطبعه في لندن ، في السنة ١٩٢٢ بعنوان : أحاديث قاض عراقي ، كما انه ترجم الجزء الثامن إلى الإنكليزية ، ونشر الترجمة في مجلة THE ISLAMIC REVIEW التي تصدر في حيدر آباد الدكن في الهند .

٧ طبع الجزء الأول في السنة ١٩٠٣ والثاني في السنة ١٩٠٤ .

من النشوار ، فأضمّها إلى المطبوعة ، في طبعة جديدة ، أبذل الجهد في تحقيقها ، والعناية في إخراجها ، ولكنّ انصرافي إلى عملي في المحاماة ، كان يحول بيني وبين ذلك ، ثم انفسح لي من بعد ذلك ، وقت قصرته على تحقيق رغبتي السالفة ، في البحث عن الأجزاء الضائعة من مؤلّفات التنوخي ، وضمّها إلى ما هو موجود منها ، ونشرها .

وبدأت ، فجمعت أفلاماً للنسخ المخطوطة من كتاب نشوار المحاضرة[1] ، فعثرت بين الأفلام على جزء من أجزائه الضائعة ، فأصبحت الأجزاء المتيسّرة أربعة ، ثم تتبّعت الفقرات الضائعة من الكتاب ، في ثنايا الكتب ، فجمعت ما أمكنني جمعه منها ، وكان ذلك بدء عمل مضن ، بذلت فيه وقتاً ، وجهداً ، وصبراً[2] ، حتى أخرجت – والحمد لله – ثمانية أجزاء من كتاب نشوار المحاضرة ، كانت في تحقيقها ، وتنسيقها ، وطبعها ، مثالاً يحتذى[3] .

ثم عكفت من بعد ذلك ، على كتاب الفرج بعد الشدّة ، فجمعت أفلاماً لنسخه المخطوطة ، فاجتمع عندي ، فلم مخطوطة الجزء الأول منه ، من

---

١ كان فلم مخطوطة الجزء الأول ، من المكتبة الوطنية بباريس ، برقم ٣٤٨٢ عربي ، وفلم مخطوطة الجزءين الأول والثاني ، من مكتبة مراد ملا باصطنبول ، وفلم مخطوطة أحد الأجزاء ، من مكتبة المرحوم العلّامة أحمد تيمور بالقاهرة ، وفلم مخطوطة الجزء الثامن من مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، برقم ٩٥٨٦ شرقي .

٢ إنّ انعدام الفهارس في أكثر الكتب العربية ، كان يضطرني إلى قراءة الكتاب كلّه ، فربما عثرت في طياته على فقرة واحدة من فقرات النشوار الضائعة ، وربّما لم أعثر على شيء ، والاطلاع على ثبت المراجع الّتي رجعت إليها ، المدرج في آخر كل جزء من أجزاء النشوار ، لا يكفي للإحاطة بما بذلت من جهد ، وما كابدت من عناء ، فإن عشرات من الكتب ، قرأتها سطراً سطراً ، ولم أعثر فيها على فقرة واحدة من الفقرات المطلوبة ، فلم أذكرها في الثبت .

٣ صدرت الأجزاء الأول والثاني والثالث في السنة ١٩٧١ ، وصدر الرابع والخامس والسادس في السنة ١٩٧٢ ، وصدر الجزآن السابع والثامن في السنة ١٩٧٣ .

المكتبة الظاهرية بالشام[1] ، وفلم مخطوطة الجزء الثاني ، من الخزانة الملكية بالرباط [2] ، وأفلام ثلاثة أخرى ، اشتمل كلّ واحد منها على الكتاب بتمامه ، أولها من دار الكتب المصرية[3] ، وثانيها من مكتبة جون رايلند[4] ، وثالثها من مكتبة الاسكوريال[5] ، كما استعنت في تحقيقي بالنسخة التي طبعتها دار الهلال[6] ، وبمخطوطات مصنّفات أخرى ، كان القاضي التنوخي قد نقل عنها ، أو كان أصحابها قد نقلوا عنه .

وتبيّن لي عند البدء بالتّحقيق ، أنّ النسخة المطبوعة من هذا الكتاب ، وهي التي طبعتها دار الهلال (هـ) ، قد اختصرت فقرات من هذا الكتاب ، اختصاراً مخلّاً ، إذ حذفت مَن أخباره الأسانيد ، كما حذفت كثيراً من التفاصيل التي كان المؤلّف يوردها لبيان ظرف من ظروفه ، أو لإيضاح هوية أحد من يروي عنهم ، كما حذفَتْ كثيراً من القصص بتمامها[7] ، هذا فضلاً عمّا ورد فيها من التصحيف ، وبالرغم من ذلك ، فقد أفدتُ منها ، إذ وجدتها قد أثبتت بعض القصص التي سقطت من بقيّة المخطوطات الأخرى[8] ، أمّا النسخ المخطوطة ، فهي بالإضافة إلى ما ورد فيها من تصحيف يختلف زيادة

---

١ رمز إليها في هذا الكتاب ، بحرف (ظ) .

٢ رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (ن) .

٣ رمز إليها في الكتاب بحرف (م) .

٤ رمز إليها في الكتاب بحرف (ر) .

٥ رمز إليها في الكتاب بحرف (غ) .

٦ رمز إليها في الكتاب بحرف (هـ) .

٧ في نسخة هـ ، القصص من ٢٥١ إلى ٢٩٨ ساقطة .

٨ هي القصص من ٤٥٨ إلى ٤٦٥ ومن ٤٨٩ إلى ٤٩٢ .

ونقصاً[1] ، فإنّ النسّاخ فيها ، كانوا يتعمّدون أن يغفلوا نسخ كثير من القصص تخفيفاً عن أنفسهم ، وقد تعمّدوا أن تكون القصص المغفلة في ثنايا الكتاب كي لا يفطن إليها أحد[2] .

ذكر التنوخيّ ، في مقدّمة كتابه ، أنّه اطّلع على ثلاثة كتب في موضوع الفرج بعد الشدّة ، أوّلها : كتاب صنّفه أبو الحسن علي بن محمّد المدائني ، اسمه « كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة »[3] ، وثانيها : كتاب ألّفه أبو بكر عبد الله بن محمّد المعروف بابن أبي الدّنيا ، سمّاه « كتاب الفرج بعد الشدّة »[4] ، وثالثها : كتاب ألّفه القاضي أبو الحسين عمر بن محمّد ابن يوسف الأزدي ،

---

١ أصحّ النسخ نسخة (ظ) ، الّتي اشتملت على الجزء الأول وحده ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل سنة ٧٧٧ هـ .

٢ القصص الساقطة من نسخة (غ) ١٣٠ قصّة ، ومن نسخة (م) ٨٥ قصّة ، ومن نسخة (ر) ٦٣ قصّة ، أما من نسخة (ظ) فالساقط قصّتان اثنتان .

٣ ذكر التنوخي ، أنّه وقف ، في بعض محنه ، على الكتاب ، وأنّه لم يزد على خمس أو ست أوراق تشتمل على أخبار تدخل جميعها في معنى الفرج بعد الشدّة ، وانه وجدها حسنة ، « ولكنّها لقلّتها أنموذج صبرة » ، وقد ترجم صاحب الفهرست ١١٣ للمدائني ، وذكر له أسماء ٢٤٤ كتاباً ، كما ذكره صاحب هدية العارفين ١ / ٦٧٠ و٦٧١ ، وذكر له أسماء ٢٢٧ كتاباً ، ولم يذكر من بينها كتاب الفرج بعد الشدّة .

٤ ذكر القاضي التنوخي ، أنّه وقع إليه هذا الكتاب ، وقال إنّه في عشرين ورقة ، وإنّ الغالب عليه أحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأخبار عن الصحابة والتّابعين رحمهم الله ، وقد ترجم صاحب الفهرست ، لمصنفه ابن أبي الدّنيا ، ص ٢٣٦ و٢٣٧ وذكر أسماء ٣٣ كتاباً من مصنفاته ، ولم يذكر من بينها كتاب الفرج بعد الشدّة ، وجاء في الأعلام ٤ / ٢٦٠ أنّ الذهبي أورد أسماء مصنفات ابن أبي الدّنيا ، فبلغ عددها ١٦٤ مصنفاً ، من ضمنها كتاب الفرج بعد الشدّة (مطبوع) ، أقول : اطلعت على نسخة هذا الكتاب في خزانة المكتبة الظاهرية بالشام ، وهي في جزءين ، الأول في ثلاث عشرة ورقة ، والثاني في خمس عشرة ورقة ، بخط عبد الرحيم بن عبد الخالق بن محمّد بن هشام القرشي الشافعي ، والنسخة خالية من التاريخ ، وعلى الجزءين قراءات ، أولها مؤرخة بتاريخ يوم

سمّاه كذلك « كتاب الفرج بعد الشدّة »[1] وذكر التنوخيّ أنّ اطلاعه على هذه الكتب ، كان من أسباب نشاطه لتأليف كتابه هذا ، وقال : إنّه وضع ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من أبواب كتابه « إلاَّ ما اعتقد أنّه لا يجب أن يدخل فيه ، وأنّ تركه وتعدّيه أصوب وأولى » .

وعلى ذلك ، فقد نقل التنوخيّ ، في كتابه هذا ، أكثر ما اشتملت عليه الكتب الثلاثة[2] ، كما نقل في كتابه أخباراً وقصصاً من كتب أخرى ، منها : كتاب الآداب الحميدة ، والأخلاق النفيسة[3] ، للإمام أبي جعفر الطبري ، وكتاب الأغاني[4] ، لأبي الفرج الأصبهاني ، وكتاب الوزراء والكتّاب[5] ، لأبي

الأثنين رابع عشر ذي الحجّة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، قراءة الشيخ أبي الفرج ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري ، السعدي ، العبادي ، الحنبلي (٥٥٤ – ٦٣٤ مولده ووفاته بدمشق ، الأعلام ٤ / ١١٦) على الشيخة شهدة بنت أحمد بن عمر الابري (٤٨٢ – ٥٧٤ ، مولدها ووفاتها ببغداد ، الأعلام ٣ / ٢٥٩) ، وقد رمزت إليها في هذا الكتاب بحرف (د) .

١ ذكر القاضي التنوخي ، أنّه قرأ هذا الكتاب ، وانّه في مقدار خمسين ورقة ، وقد أودعه مصنفه أكثر ما رواه المدائني وجمعه ، وأضاف إليه أخباراً أخر ، أكثرها حسن ، ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ، وقد ذكر الكتاب صاحب الفهرست ١٢٧ .

٢ نقل التنوخي ، من كتاب المدائني أربعة عشر خبراً ، ومن كتاب ابن أبي الدنيا خمسة وأربعين خبراً ، ومن كتاب القاضي أبي الحسين الأزدي أربعة وأربعين خبراً .

٣ ذكر هذا الكتاب صاحب معجم الأدباء ٦ / ٤٤٩ وسمّاه : كتاب أدب النفوس الحميدة ، والأخلاق النفيسة ، وقال : ربّما سمّي بأدب النفس الشريفة ، والأخلاق الحميدة ، وذكره صاحب هدية العارفين ٢ / ٢٦ و٢٧ ، وقد نقل عنه التنوخي خبرين اثنين .

٤ كان أبو الفرج الأصبهاني ، أحد أساتذة المحسن التنوخي ، وقد أجاز له رواية كتابه الأغاني ، في جملة ما أجازه له (القصّة ٤٨٢ من هذا الكتاب) وقد نقل التنوخي في كتابه هذا ، عن كتاب الأغاني ستة أخبار ، وعن صاحب الأغاني ثلاثة وأربعين خبراً ، أكثرها مثبت في كتاب الأغاني .

٥ ذكره صاحب الفهرست ١٤١ ، وقد نقل عنه التنوخي ثلاثة وثلاثين خبراً .

عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشياري ، وكتاب الأوراق ، للصولي[1] ، وكتاب الوزراء[2] ، له ، وكتاب نسب قريش[3] ، للزبير بن بكّار ، وكتاب الحماسة[4] ، لأبي تمّام ، وكتاب العَمْرِين من الشعراء[5] ، لمحمّد بن داود الجرّاح ، وكتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم[6] ، لأبي الحسن عليّ بن الفتح المعروف بالمطوّق ، وكتاب المبيّضة[7] ، لأبي العبّاس أحمد بن عبد الله بن عمّار ، وكتاب السمّار والندامى[8] ، لأبي علي محمد بن الحسن بن جمهور العمّي[9] ، وكتاب فضائل

---

١ كان أبو بكر الصولي ، أستاذ المحسّن التنوخي ، وقد أجاز له رواية ما كتبه ، بعد ما سمعه منه (القصّة ٢٠٦ من الكتاب) ، وقد نقل التنوخي من كتاب الأوراق للصولي خبراً واحداً ، وقد ذكر صاحب الفهرست ١٦٧ كتاب الأوراق للصولي .

٢ نقل التنوخي عن كتاب الوزراء للصولي ، خمسة أخبار ، وروى عن الصولي في هذا الكتاب سبعة عشر خبراً ، ذكر صاحب الفهرست ١٦٧ وصاحب هدية العارفين ٢ / ٣٨ كتاب الوزراء للصولي .

٣ ذكره صاحب الفهرست ١٢٣ وقد نقل عنه التنوخي ، خبرين اثنين .

٤ ذكره صاحب الفهرست ١٩٠ ، وقد نقل عنه التنوخي شعراً ، في الباب الرابع عشر من الكتاب .

٥ ذكره صاحب الفهرست ١٤٢ وصاحب هدية العارفين ٢ / ٢٢ وسمّاه : كتاب من سمّي عمراً من الشعراء ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً .

٦ ذكره صاحب الفهرست ١٤٣ ، وقال عنه : إنّ مؤلّفه وصل به كتاب محمّد بن داود الجرّاح ، وذكره صاحب هدية العارفين ٢ / ٦٨٤ وسمّاه : كتاب الوزراء ، وقال عنه : إنّه عمله إلى أيّام أبي القاسم الكلوذاني ، وقد نقل عنه التنوخي ثلاثة أخبار .

٧ ذكره صاحب الفهرست ١٦٦ وقد نقل عنه التنوخي خبرين اثنين .

٨ ذكره صاحب هدية العارفين ٢ / ١٠ باسم كتاب النّدماء والسمّار ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً .

٩ سمّاه القاضي التنوخي : محمّد بن الحسن ، كما ورد في النشوار في القصّة ٣ / ١٦٥ و ٤ / ٥٢ وفي هذا الكتاب في القصّة ٤٧١ ، وكذلك سمّاه صاحب معجم الأدباء ٤ / ٤٩٨ ، أمّا صاحب الفهرست ٢٧٨ وصاحب هدية العارفين ، فسمّياه : محمّد بن الحسين ، وانا إلى ترجيح ما ذكره القاضي التنوخي أميل ، لأنّه كان تلميذه ، راجع القصّة ٤ / ٥٢ من النشوار .

الورد على النرجس[1] ، لأحمد بن أبي طاهر طيفور ، ورسالة في فضل الورد على النرجس[2] ، لأبي الحسين محمّد بن محمّد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك ، وكتاب سمّاه التنوخي « شجا »[3] ذكر أنّه من تأليف إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، وكتاب « المتيّمين »[4] للمدائني ، وكتاب « من رثى ما لا يرثى مثله »[5] في رثاء البهائم والنبات والأعضاء ، لأبي عبد الله محمّد بن العبّاس اليزيدي ، وكتب لم يذكر التنوخي أسماءها ، واكتفى بإيراد اسم المصنِّف وحده ، والظاهر أنّها كانت من الشهرة ، بحيث استغنى التنوخي عن ذكر الاسم ، ولكنّها خفيت علينا الآن ، منها كتاب سمّاه : كتاب أبي الفرج الببغاء عبد الواحد بن نصر بن محمّد المخزومي[6] ، وكتاب سمّاه : كتاب أبي القاسم

---

١ ذكره صاحب الفهرست ١٦٣ ، وسمّاه : مفاخرة الورد والنرجس ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً .

٢ لم أعثر على رسالة بهذا الإسم لابن لنكك .

٣ لم أجد – فيما لديّ من المراجع – ذكراً لكتاب من مؤلّفات إسحاق بن إبراهيم الموصلي اسمه « شجا » وقد ذكر مترجموه في الأغاني ٥ / ٢٦٨ – ٤٣٥ ، وفي الفهرست ١٥٧ – ١٥٩ ومعجم الأدباء ٢ / ١٩٧ – ٢٢٥ وهدية العارفين ١ / ١٩٧ أنّ له مؤلّفات في الأغاني فلعله أحدها ، وقد نقل عنه التنوخي ، خبرين اثنين .

٤ كتاب « المتيّمين » ، أحد مصنّفات المدائني ، راجع هدية العارفين ١ / ٦٧٠ ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً ، وقد ورد في المخطوط باسم « السمير » وهو تصحيف .

٥ لم أجد اسم هذا الكتاب بين مصنفات أبي عبد الله اليزيدي ، راجع الفهرست ٥٦ و٥٧ وهدية العارفين ٢ / ٢٩ و ٣٠ .

٦ راجعت ترجمة أبي الفرج الببغاء في وفيات الأعيان ٣ / ١٩٩ وفي يتيمة الدّهر ١ / ٢٥٢ – ٢٨٦ وفي المنتظم لابن الجوزي ٧ / ٢٤١ – ٢٤٣ وفي تاريخ بغداد للخطيب ١١ / ١١ و١٢ ، وراجعت هدية العارفين ٢ / ٦٣٣ فلم أحظ بطائل ، وقد اكتفى صاحب هدية العارفين بذكر ديوانه فقط ، ولكن صاحب اليتيمة ، أورد في ترجمته قصّة مطوّلة ، مروية عنه ١ / ٢٥٣ – ٢٦١ أحسب انها من ضمن ما اشتمل عليه كتابه ، ولكنّه لم يشر إلى الكتاب بشيء .

الحسين بن محمّد بن الحسن بن إسماعيل الكوفي[1] ، كما نقل عن كتاب ذكر أنّه ليعقوب بن بيان[2] ، يضاف إلى ذلك ، ما نقله من الأخبار ، عن كتب لم يذكر أسماءها ولا أسماء مصنّفيها[3] .

ونقل التنوخي ، في كتابه هذا ، كثيراً من الأخبار عن بعض أساتذته الذين أجازوا له الرواية عنهم ، مثل أبي بكر محمّد بن يحيي الصولي[4] ، وأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني[5] ، وأبي عمر الزاهد ، محمّد بن عبد الواحد ، المعروف بغلام ثعلب[6] ، وأبي طالب محمّد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق ابن البهلول التنوخي[7] ، كما نقل عن أبيه ، أبي القاسم علي بن محمّد التنوخي[8] ، وعن القاضي أبي الحسن بن أبي الطيّب الجرّاحي[9] ، وعن أبي القاسم عبيد الله ابن محمّد بن الحسن العبقسي الصرويّ[10] ، وعن أبي علي محمّد بن الحسن بن

---

١ أبو القاسم الحسين بن محمّد بن الحسن بن إسماعيل الكوفي : ترجم له الخطيب البغدادي ٨ / ١٠٣ وذكر أنّه ولّي القضاء بالكوفة ، نيابة عن القاضي المحسّن التنوخي وانه توفّي سنة ٣٩٥ ، وقد نقل التنوخي عنه شعراً في الباب الرابع عشر من الكتاب .

٢ هو أبو يوسف يعقوب بن بيان ، روى عنه القاضي أبو عمر (القصّة ٣٣٨) ولم أعثر على ترجمة له ، فظلّ خافياً علينا إسم الكتاب ، وقد نقل عنه التنوخي خبرين إثنين .

٣ عدد هذه الأخبار تسعة وعشرون خبراً .

٤ راجع القصّة ٢٠٦ ، وقد نقل عنه ١٧ خبراً .

٥ راجع القصّة ٤٨٢ ، وقد نقل عنه ٤٣ خبراً .

٦ راجع القصّة ١٣ .

٧ راجع القصّة ٢٠٣ .

٨ نقل عنه ١٣ خبراً .

٩ نقل عنه ٢٥ خبراً .

١٠ نقل عنه ١٤ خبراً .

المظفر الحاتمي[1] ، وعن أبي الحسين علي بن هشام الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط[2] ، وعن أحمد بن عبد الله الورّاق الدوري[3] ، وعن أبي الحسن أحمد ابن يوسف الأزرق التنوخي[4] ، وعن أبي محمّد يحيى بن محمّد ابن سليمان بن فهد الموصلي الأزدي[5] .

وتبيّن لي من دراسة ما أورده التنوخي ، في نشواره ، وفي كتاب الفرج بعد الشدّة ، أنّ المؤلف بدأ بجمع كتابه النشوار ، في السنة ٣٦٠[6] ، ثم ابتلي بشدائد ومحن ، فرغب في تأليف كتاب ، فيمن اُمتُحِنَ وابتلي ، ثم سري عنه ، فعمد إلى كتاب النشوار فاقتطع منه مجموعة من القصص المتعلّقة بهذا الموضوع ، وضمّها إلى قصص أخرى نقلها من الكتب ، وأضاف إليها قصصاً رواها له الراوون ، فجمعها ، وأخرجها كتاباً سمّاه « كتاب الفرج بعد الشدّة »[7] وهو هذا الكتاب .

وقد صنّف في الفرج بعد الشدّة ، عدا من تقدّم ذكرهم ، أبو عبد الله محمّد بن عمران بن موسى المرزباني ، فقد صنّف « كتاباً في الفرج »[8] ،

---

١ نقل عنه ١٤ خبراً .

٢ نقل عنه ١٦ خبراً .

٣ نقل عنه ١٠ أخبار .

٤ نقل عنه ٧ أخبار .

٥ نقل عنه ٥ أخبار .

٦ معجم الأدباء ١ / ٢٥٦ ومقدمة الجزء الأول من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي .

٧ راجع تعليقنا على القصّة ٢١٦ من هذا الكتاب ، قال المستشرق مرجليوث في مقدمة الترجمة الانكليزية للجزء الأول من كتاب النشوار : إنّ المؤلّف ، ادّعى أنّه لم ينقل من كتاب ، مع أنّ كثيراً من القصص الواردة فيه ، وردت في كتاب الفرج بعد الشدّة ، ولو انتبه إلى ما انتبهنا إليه ، لما وجّه هذا الاعتراض .

٨ ذكره صاحب الفهرست ١٤٨ .

وصنّف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي[1] ، كتاباً سمّاه : « الفرج القريب »[2] كما أنّه لخّص كتاب الفرج بعد الشدّة ، لابن أبي الدّنيا ، مع زيادات ، وسمّاه : « الأرج في الفرج »[3] ، وذكر صاحب كشف الظنون ، كتاباً في الفرج ، لم يذكر اسم مؤلّفه ، سمّاه « الفرج بعد الحرج »[4] وذكر كذلك ، كتاباً في الفرج بعد الشدّة ، قال إنّه باللغة التركية ، وإنّ مصنّفه محمّد ابن عمر الحلبي ، صنّفه في ١٣باباً[5] ، كما ذكر أنّ لطف الله بن حسن التوقاتي[6] ، ترجم كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي[7] .

وقد وجدتُ في مكتبة « جستر بيتي » بدبلن ، كتاباً مخطوطاً ، مرقّماً لديها ؛ برقم ٣٥٤٦ الفهرس ج ٣ ، اسمه « كتاب الفرج بعد الشدّة » لم أستطع أن أتبيّن اسم مصنّفه ، مخروم الآخر ، يشتمل على ١٣٣ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، كلّ صفحة تشتمل على ٢٣ سطراً ، خطّه حسن ، والتصحيف فيه كثير ، أوّله : الحمد للهِ الذي [جعل] كلّ همّ بعده فرجاً ، ومن [كلّ] ضيق إلى السعة مخرجاً ، وبعد ، فانّي جمعت هذا المختصر من كتب عدّة ،

---

١ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ – ٩١١) : ترجم له صاحب الأعلام ٤ / ٧١ .

٢ ذكره صاحب كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٣ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٤ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ ، وهذا الكتاب مطبوع .

٥ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٦ لطف الله بن حسن التوقاتي الحنفي : فاضل تركي ، تفقّه بالعربيّة ، وصنّف عدّة كتب ، اتّهم بالإلحاد ، وقتل سنة ٩٠٠ على ما في كشف الظنون ٢ / ١٢٥٣ ، وسنة ٩٠٤ على ما في الأعلام ٦ / ١٠٧ .

٧ كانت الترجمة إلى اللّغة التركيّة .

ولقّبته « الفرج بعد الشدّة » ، ليكون تسلية لأوّلي الألباب ، في كل نازلة ومصاب ... الخ ، ووجدته ينقل أخباراً كثيرة عن كتاب المعافى[1] ، وعن كتاب التنوخيّ[2] ، وعن كتاب صفوة الصفوة[3] ، كما أنّه أورد في كتابه خبراً يستدلّ منه على أنّه كان مقيماً بالقاهرة ما بين السنتين ٦٧٦ - ٦٧٨[4] ، ولم أجد لهذا الكتاب ذكراً فيما لديّ من مراجع ، ووجدت أيضاً ، في مكتبة جستر بيتي بدبلن ، كتاباً آخر ، مرقّماً لديها برقم ٥٢١٢ في الفهرس جـ ٧ . اسمه « ريحانة المهج من مختار كتاب الفرج » لم أتمكّن من معرفة اسم مصنّفه ، وهو مخروم الآخر ، في ٧٤ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، كلّ صفحة تشتمل على ١٧ سطراً ، الخطّ حسن ، والتصحيف قليل ، أوّله : « الحمد لله مفرّج الكروب ، وستّار العيوب ، المجازي بكرمه عن الحسنة عشراً ، والجاعل بعد عسر يسراً ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّه وآله الطاهرين ، وسلّم تسليماً إلى يوم الدين » ، وبعد أن تعرّض للمحسّن التنوخي ، ولكتابه الفرج بعد الشدّة[5] ، قال : إنّه نقل

---

١ ان كان المقصود أبا الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري ، النهرواني ، المعروف بابن طرار (٣٠٣ - ٣٩٠) : ترجمته في الأعلام ٨ / ١٦٩ فيكون المنقول عنه ، كتابه : الجليس والأنيس (مخطوط) .

٢ أبو علي المحسّن التنوخي ، والكتاب : الفرج بعد الشدّة .

٣ كتاب صفوة الصفوة ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ، المعروف بابن الجوزي ، (٥٠٨ - ٥٩٧) : ترجمته في الأعلام ٤ / ٨٩ و ٩٠ .

٤ في الصفحة ٤٣ من المخطوطة ، قال المصنّف : « ومن الفرج بعد الشدّة ، يقول مصنّف هذا الكتاب ، إنّي حضرت مع شيخي محمد اليمني ، وكان سكنه عند باب سعادة بالقاهرة ، بولاية الملك السعيد بن الملك الظاهر (راجع ترجمته في الأعلام ٦ / ٢٧٦) حضرنا في مجلس أمير يقال له : بندق دار ... الخ .

٥ قال عن المحسّن التنوخي : إنّه رحمه الله ، قد أورد في كتاب الفرج بعد الشدّة من الحكايات النّادرة ، ما قبلته الأسماع ، ومن الأحاديث الباردة ، ما نفرت منه الطباع .

كتابه هذا ، عن كتاب التنوخي ، إلاّ أنّه « انتقى زُبَدَه ، ونفى زَبَدَه » وإنّه خدم به خزانة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل محمّد الأيوبي[1] ، ويظهر لي انّه قدمه لخزانة الملك ، ما بين السنتين ٦١٦ – ٦٣٥[2] .

واطّلعت على كتاب سمّاه ناشره ، « تفريج المهج ، بتلويح الفرج »[3] وتبيّن لي عند مطالعته ، أنّ هذه التّسمية من صنع الناشر ، وأنّه يشتمل على ثلاثة كتب ، أحدها : « كتاب الأرج في أدعية الفرج » ، للسيوطي ، وقد سبق ذكره ، وثانيها ، وقد طبع في الحاشية : « معيد النعم ، ومبيد النقم »[4] ،

---

١ الملك الأشرف ، مظفر الدين ، أبو الفتح ، موسى بن الملك العادل محمّد الأيوبي (٥٧٨ – ٦٣٥) : ترجمته في الأعلام ٨ / ٢٨٠ و٢٨١ ، وفي وفيات الأعيان ٥ / ٣٣٠ – ٣٣٦ ، وللطرافة ، أورد نص التقديم الذي قدّم به المصنّف كتابه ، لخزانة الملك الأشرف ، قال : سمّيت الكتاب « ريحانة المهج ، من مختار كتاب الفرج » ، وخدمت به خزانة مولانا السلطان الأعظم ، شاهنشاه المعظّم ، اسكندر الزمن ، مالك رقاب الأمم ، ملك ملوك العرب والعجم ، الملك الأشرف ، السيد ، الأجلّ ، الكبير ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المؤيّد ، المظفّر ، المنصور ، مظفر الدّنيا والدّين ، معزّ الإسلام ، ملك المسلمين ، معين الإمام ، مغيث الأنام ، ركن الدّولة ، مجد الأمّة ، فخر الملوك والسلاطين ، كهف الجيوش في العالمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمرّدين ، مجير العباد ، ماحي البغي والعناد ، قامع المتجبّرين في البلاد ، بهلوان جهان ، سلطان العراقين والعجم والشام ، حافظ ثغور الله ، الذابّ عن ملّة رسول الله ، أبي الفتح ، موسى ، شاه أرمن ، ناصر أمين المؤمنين ، ابن السلطان الملك العادل ، أبي بكر بن أيّوب بن شاذي ، خليل أمير المؤمنين ، أعزّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره .

٢ قوله في مدح الملك الأشرف : إنّه قاتل الكفرة والمشركين ، وحافظ ثغور الله ، والذابّ عن ملّة رسول الله ، يدلّ على أنّ تقديم هذا الكتاب حصل بعد السنة ٦١٦ الّتي اشترك فيها الملك الأشرف في محاربة الافرنج وطردهم من دمياط ، ومن الديار المصريّة ، راجع وفيات الأعيان ٥ / ٣٣١ .

٣ طبع هذا الكتاب بمصر في السنة ١٣١٨ هـ .

٤ ذكره صاحب هدية العارفين ١ / ٦٣٩ والأعلام ٤ / ٣٣٥ .

لتاج الدين عبد الوهاب السبكي[1] ، وثالثها : « كتاب حلّ العقال ، الذي يتخلّص من يلتجئ إليه من أهوال الأحوال »[2] ، صنّفه السيد عبد الله الحجازي ، المعروف بابن قضيب البان[3] ، وقد اختصر كتاب القاضي التنوخي ، اختصاراً واضحاً ، وسطا عليه سطواً فاضحاً[4] ، ولم يكتف بما صنع ، بل انّه تعرّض في مقدمة كتابه للتنوخي ، فقال عنه « إنّه أطال في كتابه الفرج بعد الشدّة ، إلى حدّ يورث الملل ، وأورد ما لا حاجة إليه ، ولا مناسبة له بهذا العمل » .

يتّضح ممّا تقدّم ، أنّ المحسّن التنوخي ، لم ينفرد بتصنيف كتابه في موضوع الفرج بعد الشدّة ، فقد سبقه إلى ذلك مصنّفون ، ذكرهم في مقدمّة كتابه ، واعترف بأنّه نقل ما كتبوه إلى كتابه ، وأعقبه مصنّفون آخرون ، جاءوا بعده ، وحاولوا السير على غراره ، والنسج على منواله ، فلم يصلوا ، ولم يقاربوا ، وبقي كتاب التنوخي ، مجلّياً في الميدان ، يشار إليه بالبنان ، ويرد ذكره على كلّ لسان ، ولا عجب ، فإنّه قد جاء فريداً في بابه ، جمع فيه مصنّفه من طريف الأخبار والأشعار ، وغريب القصص والحكايات ، ما يستهوي القارئ ، ويلذّ السامع ، وقد ذكره القاضي ابن خلّكان في وفيات الأعيان[5] ،

---

١ أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين عليّ بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ – ٧٧١) : ترجم له صاحب الأعلام ٤ / ٣٣٥ .

٢ ذكره صاحب الأعلام ٤ / ٢٧٤ .

٣ عبد الله بن محمّد حجازي بن عبد القادر بن محمّد بن أبي الفيض ، المعروف بابن قضيب البان الحلبي : ترجم له صاحب أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٦ / ٣٨٧ – ٤٠٢ والأعلام ٤ / ٢٧٤ واتفقا على أنّه لم يكن ممدوح السيرة ، قتلته العامّة بحلب في السنة ١٠٩٦ هـ .

٤ أودع ابن قضيب البان ، في كتابه ، تسعاً وثلاثين قصّة ، نقلها من كتاب التنوخي ، وهي أكثر ما اشتمل عليه الكتاب .

٥ وفيات الأعيان ٣ / ٣٠١ .

وياقوت في معجم الأدباء[1] ، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[2] ، وحاجي خليفة في كشف الظنون[3] ، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين[4] ، وقال فيه الثعالبي في اليتيمة[5] : « كتاب الفرج بعد الشدّة ، ناهيك بحسنه ، وامتاع فنّه ، وما جرى الفال بيمنه ، لا جرم إنّه أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال » .

أمّا فيما يتعلّق بأجزاء الكتاب ، فإنّ الاختلاف الحاصل فيما تيسّر لديّ من معلومات ، أوقفني موقفاً محيّراً ، فإنّ ياقوت الحموي ، أثبت في معجم الأدباء « ج ٦ ص ٢٥١ » أنّ كتاب الفرج بعد الشدّة ، للقاضي أبي علي التنوخي ، يقع في ثلاثة مجلدات ، ولكنّ الجزء الأوّل من المخطوطة الظاهرية (ظ) انتهى بنهاية القصّة ٣٠٦ التي هي نهاية الباب السابع ، والكتاب يشتمل على أربعة عشر باباً ، ممّا يدلّ على تجزئة الكتاب إلى جزئين اثنين ، وكذلك مخطوطة (ن) فإنّ الجزء الثاني يبدأ بالقصّة ٣٠٥ وينتهي بنهاية الكتاب ، أمّا مخطوطة الأسكوريال (غ) فإنّ الجزء الأوّل فيها قد انتهى بنهاية القصّة ١٥٠ الّتي هي نهاية الباب الرابع ، ممّا يدلّ على تجزئة الكتاب إلى أجزاء ثلاثة ، أمّا سبب إغفال الإشارة إلى انتهاء الجزء الثاني ، وإبتداء الثالث ، فذاك لأنّ الناسخ تعمّد إغفال نَسْخ خمس وتسعين قصّة في نسق واحد ، من منتصف القصّة ٢١١ الّتي هي في وسط الباب السادس إلى نهاية القصّة ٣٠٦ الّتي هي نهاية الباب السابع ، وأحسب أنّ نهاية الجزء الثاني ، وبداية الجزء الثالث ، كانت في ثنايا هذه القصص المغفلة ، أمّا نسخة دار المكتب المصرية (م) ، ونسخة مكتبة جون

---

١ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٢ شذرات الذهب ٣ / ١١٢ .

٣ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٤ هدية العارفين ٥ / ٦ .

٥ يتيمة الدهر ٢ / ٣٤٦ .

رايلند (ر) فلا تجزئة فيهما ، ولدى رجوعي إلى نسخة دار الهلال المطبوعة (هـ) وجدت أنّها جزّأت الكتاب إلى جزئين ، ولكنّ الجزء الأوّل فيها انتهى بالقصّة ٢٣٣ الّتي هي نهاية الباب السادس ، فهي قد وافقت النسخة الظاهرية (ظ) في التجزئة إلى جزئين ، وخالفتها في جعل الجزء الأوّل يشتمل على أبواب ستة ، بينما اعتبرتها النسخة الظاهرية (ظ) سبعة أبواب ، غير أنّي بعد أن أتممت تحقيق الكتاب ، وجدت أنّ المتن الذي يشتمل على ما احتوت عليه جميع نسخ الأصل ، إذا أضيف اليه التعليقات ، والشروح ، والفهارس ، اتّسع الكتاب إلى مجلّدات خمسة ، فأخرجته في خمسة مجلّدات .

ويسرّني ، في مقامي هذا ، أن أعلن شكري للأستاذين الجليلين الشيخ زهير شاويش ، إذ دلّني على تراجم قسم من رجال السند ، والدكتور إحسان عبّاس ، الذي أعانني في قراءة مخطوطة (ن) من هذا الكتاب ، ونسخ لي بخطّه بعض قصصها .

وبعد فهذا كتاب الفرج بعد الشدّة ، أقدّمه لقراء العربيّة ، وقد بذلت جهدي في تحقيقه وإخراجه ، وغاية مرادي أن ينتفع به طلاّب العلم والمعرفة .

وإلى الله نفزع في كلّ ريث وعجل ، وعليه نتوكّل في كلّ سؤل وأمل ، وإيّاه نستعين في كلّ قول وعمل ، ونسأله تعالى أن يرزقنا قلباً عاقلاً ، ولساناً صادقاً ، وأن يوفّقنا للسداد في القول والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بحمدون في ٢ / ٣ / ١٩٧٥

عبود الشالجي

المحامي

المخطوطة الظاهـرية

تشتمل هذه المخطوطة على الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة . رمز إليها في هذا الكتاب ، بالحرف (ظ) .

تشتمل على ١٩٦ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ١٧ سطراً .

الخطّ جيّد قديم . والتصحيف قليل .

في صدر الكتاب : كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف العالم العلاّمة ، الفقيه القاضي أبي علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخي رحمة الله عليه .

وتحت ذلك : وقف الملاّ عثمان الكردي على أرحامه ، وطلبة العلم من المسلمين .

وتحت ذلك ختمان : الأوّل : ختم مكتبة أميّة بدمشق الشام .

والثاني : ختم دار الكتب الظاهرية الأهليّة بدمشق .

وفي الزاوية اليسرى من الأسفل : بتاريخ عشر جمادى الأوّل ، بعنوان العارية من جناب فاضل النحرير ، مولانا الشيخ عبد الرحمن المشهور بكزبري[1] ، وصل إليّ .

محمّد رفيع الشافعي

المحبوس في القلعة

---

١ عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الرحمن الكزبري (١١٨٤ - ١٢٦٢) : فاضل ، عالم بالحديث ، من أهل دمشق ، توفّي بمكّة حاجاً (الأعلام ٤ / ١١٠) .

وفي آخر الكتاب ، ورد ما يلي : تمّ الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة ، للتنوخي ، والحمد لله وحده ، وصلواته وسلامه على محمّد خاتم النبيّين ، وعلى الأنبياء أجمعين ، وعباد الله الصالحين ، أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله ربّ العالمين .

ولم يثبت ناسخه تاريخ نسخه . إلاّ أنّ في ذيل الصفحة ، شرحٌ جاء فيه : ملَكَ هذا الكتاب المبارك ، وطالعه ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، ماجد بن عبد الوهاب ، عفا الله عنه ، وغفر لمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة ، وقال : غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وللقائل مثله ، في جمادى الآخر سنة سبع وسبعون وسبعمائة ، أحسن الله انقضاءها .

مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط (ن)

تشتمل هذه المخطوطة على الجزء الثاني من كتاب الفرج بعد الشدّة ، ولأنّ الإسم الذي سجل عليها : نشوار المحاضرة ، فقد رمز إليها في هذا الكتاب بالحرف (ن) .

تشتمل على ١٢٦ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ٢٥ سطراً .

الخطّ مغربي قديم ، والتصحيف قليل .

في صدر الكتاب : كتاب أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة ، تأليف فريد عصره ووحيد دهره القاضي التنوخيّ رحمه الله ، وهو الجزء الثاني .

وفي الزاوية اليسرى من الأعلى : الحمد لله وحده ، ملك لعبد ربه الراجي عفوه ومغفرته محمّد بن إبراهيم بن محمّد ناصر أخذ الله بيده ، شراء بحضرة فاس .

وفي آخر الكتاب ورد ما يلي : نجز والحمد لله أهل الحمد ومستحقّه ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد خيرته من خلقه ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً ، وذلك بتاريخ اليوم الأغرّ ، المبارك المعتبر ، يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب الفرد عام تسعة وأربعين وثمانمائة .

مخطوطة الأسكوريال بمدريد (غ)

تشتمل هذه المخطوطة على كتاب الفرج بعد الشدّة بتمامه ، ورقمها : الأسكوريال ٧١٤ .

رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (غ) .

تشتمل على ١٧٤ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ٢٩ سطراً ، وقد رقّمت صفحاتها ، فبلغت ٣٤٨ صفحة .

الخطّ جيّد ، والتّصحيف قليل .

في صدر الكتاب : الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف القاضي أبي علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي ابن محمّد بن أبي الفهم التنوخيّ رحمه الله آمين ، آمين ، آمين .

وعلى الزاوية اليسرى من أعلى الصفحة : من كتب عبد الله ووليّه أبي فارس ابن أمير المؤمنين ، بن أمير المؤمنين ، الحسني[1] ، عامله الله بلطفه الخفي والجلي .

وأسفل منه : ثم صار من يد المذكور لمالكه زيدان أمير المؤمنين ، ابن أحمد أمير المؤمنين بن محمّد أمير المؤمنين بن محمّد أمير المؤمنين[1] ، عامله الله بجميل لطفه في العاجل والآجل ، بمحمّد وآله .

---

١ قوله الحسني ، يعني أنّه من أشراف مراكش ، ولعلّه أبو فارس عبد الله الواثق بن المنصور ، حكم مراكش مع أخيه زيدان من السنة ١٠١٢ إلى السنة ١٠١٦ هـ .

١ هو الناصر زيدان أخو أبي فارس عبد الله الواثق . وشريكه في حكم مراكش من السنة ١٠١٢ إلى السنة ١٠١٦ ثمّ انفرد بعده بالحكم إلى السنة ١٠١٩ ، وهو الناصر زيدان ابن أبي العبّاس أحمد المنصور ، بن أبي عبد الله محمّد المهدي ، بن أبي عبد الله محمّد القائم بأمر الله الحسني ، (راجع معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ١٢٥) .

وفي آخر المخطوطة : تمّ كتاب الفرج بعد الشدّة ، والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وعترته وجنده ، وسلم تسليماً كثيراً ، دائماً أبداً ، إلى يوم الدين ، سنة ٩٧٥ ، على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد ابن بركات الحريري غفر الله له ولوالديه ، ولمن قرأه ودعا لهم بالمغفرة ، ولجميع المسلمين ، آمين .

مخطوطة جون رايلند (ر)

تشتمل هذه المخطوطة على كتاب الفرج بعد الشدّة بتمامه ، رقمها في المكتبة ٦٦٧ .

رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (ر) .
تشتمل على ٢٩٨ صفحة ، في كلّ صفحة ٢٥ سطراً .
الخطّ وسط ، والتصحيف كثير .

في صدر الكتاب : كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخيّ رحمه الله تعالى . وأثبت النّاسخ تحت العنوان ترجمة مختصرة للمصنّف ، وأخطأ في تاريخ مولده ، وفي تاريخ وفاته ، ونسب ما أثبته إلى ما ذكره القطب الجعفري في الاكتساب في تمحيص كتب الأنساب .

وفي ذيل الصفحة من الجهة اليسرى : دخل في ملك العبد الذليل ، المشتاق إلى رحمة ربّه الجليل المدعو (ختم مطموس) ابن سيد (كلمة مطموسة) الحسني ، اللهم أغفر له ولوالديه .

وتحتــه : من كتب الفقير المكرم الله تعالى الحبيب الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله ، رضوان الله عليهم ورحمته ، سابع عشر جمادى الآخرة سنة ١١١٢ .

وفي آخر الكتاب : آخر الكتاب المسمّى بالفرج بعد الشدّة ، والحمد لله على كلّ حال من الأحوال ، وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم ، فرغ من رقم هذا الكتاب المبارك تاسع عشر شهر ربيع الأوّل في سنة خمسين وألف ، وذلك بعناية مولانا السيد المقام ، العلم العلامة الهمام ، واسطة العقد

الثمين ، نجل آل طه وياسين ، ضياء الدين إسماعيل بن أمير المؤمنين حفظه الله تعالى ومتع به المسلمين ، وبلغه في الخيرات ما أراده ، ووفّقه لبلوغ السؤل فيما أراد إلى أقصى مراده ، إنّه وليّ ذلك ، والقادر على ما هنالك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم .

مخطوطة دار الكتب المصرية (م)

تشتمل هذه المخطوطة ، على كتاب الفرج بعد الشدّة بتمامه .

رقمها في دار الكتب : ب – ٢٢٩٥٩ ، وعليها رقمان آخران ، الأوّل : ٢١٧٠ / ١٩٤٥ والثاني ١٣٢٢٣٥ زيادات ، وعليها ختم دار الكتب المصرية . وقد رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (م) .

تشتمل هذه المخطوطة على ٢٩١ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ٢٣ سطراً .

وقد تعاقب على النسخة عدّة نساخين ، خطّهم بين وسط إلى رديء .

في صدر الكتاب : هذا كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف القاضي أبي علي المحسّن بن علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخيّ رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين ، آمين .

وفي آخر الكتاب : هذا آخر كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف القاضي أبي علي المحسّن بن علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخيّ رحمه الله تعالى ، وكان الفراغ من كتابته يوم الأربع سادس والعشرون خلت من رمضان سنة ١٢١٢ من الهجرة النبويّة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، آمين ، آمين .

ترجمة المؤلّف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي ، وقد ساق الخطيب البغدادي[1] ، وياقوت الحموي[2] ، نسبه إلى قضاعة ، هو ابن القاضي أبي القاسم علي بن محمّد التّنوخي[3] ، ولد الأب سنة ٢٧٨ في أنطاكية ، ونشأ بها[4] ، ولما زار الخليفة المعتضد ، أنطاكية ، في السنة ٢٨٧[5] ، كان التّنوخي الأب ، صبيًّا في المكتب[6] ، وكان لأبيه – جدّ المحسّن – موقف محمود ، مع المعتضد ، إذ أقنعه بالرجوع عمّا صمّم عليه ، من هدم سور المدينة[7] .

قدم التّنوخي الأب بغداد في حداثته[8] ، فأتمّ دروسه فيها ، وتفقّه ، وكان من الذكاء ، والفطنة ، وقوّة الحافظة ، على جانب عظيم[9] .

---

١ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ .

٢ معجم الأدباء ٥ / ٣٠١ .

٣ ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ واليتيمة للثعالبي ٢ / ٣٣٦ .

٤ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ .

٥ الكامل لابن الأثير ٧ / ٤٩٨ .

٦ القصّة ٢ / ١٢٩ من النشوار .

٧ القصّة ٢ / ١٢٩ من النشوار .

٨ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ ومعجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ .

٩ القصّة ٢ / ٧٤ و٧ / ١٢١ من النشوار .

وكان قاضي القضاة ، إذ ذاك ، أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول ، وهو تنوخيّ ، وأبو القاسم تنوخيّ ، فصادفت لياقة أبي القاسم ، وذكاؤه ، وفهمه ، هذه الصلة بينه وبين قاضي القضاة[1] ، فقلّده القضاء بعسكر مكرم ، وتستر ، وجنديسابور ، والسوس ، وأعمال ذلك ، وكان ذلك في السنة ٣١١ ، وكانت سنّ أبي القاسم – إذ ذاك – ٣٣ سنة[2] .

ولما سلّم قاضي القضاة ، إلى أبي القاسم التنوخيّ ، عهده بالقضاء ، أوصاه بتقوى الله ، وبأشياء من أمور العمل وسياسته في الدّين والدنيا ، وبأمر جاريه ، أي راتبه ، فقد كان مسبّباً ، أي مقرّراً ، على خزينة الأهواز[3] .

ولم ينس قاضي القضاة ، أن يشدّد على أبي القاسم التنوخيّ ، في النّصيحة بأن يكتم عن النّاس حقيقة سنّه ، كي لا ينسب إلى الحداثة ، وقلّة الحنكة .

ويقول أبو القاسم التنوخيّ ، إنّ الصدفة الحسنة ، أطلعت له ، خلال سفره إلى محلّ عمله ، شعرة بيضاء في لحيته ، فأخذ يتعمّل لإخراجها ، ليراها النّاس ، متجمّلاً بها[4] .

وكان تقليد أبي القاسم التنوخيّ ، القضاء في جنوبي العراق ، مبدأ صلة ربطت هذه العائلة بتلك المنطقة .

تقلّد أبو القاسم التنوخيّ ، القضاء بهذه المنطقة سنين ، ثم اُصُرِف ، فقصد الأمير سيف الدولة ، زائراً ، ومادحاً ، فأكرم سيف الدولة مثواه ، وأحسن

---

١ القصّة ٤ / ١١ من النشوار .

٢ القصّة ٣ / ٩٣ من النشوار .

٣ القصّة ٣ / ٩٣ من النشوار .

٤ القصّة ٣ / ٩٣ من النشوار .

قراه[1] ، وكتب في معناه إلى الحضرة[2] ، ببغداد ، فأعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ، وولي القضاء رئاسة ، بعهد كتبه له الوزير أبو علي بن مقلة ، وشهد الشهود عنده فيما حكم بين أهل عمله بالحضرة ، والظاهر أنّه تقلّد القضاء بالكرخ[3] .

إنّ ذكاء أبي القاسم التنوخيّ ، وألمعيّته ، أيّام تقلّده القضاء في جنوبي العراق ، نبّهت إليه أبا عبد الله البريدي ، شيخ البريديّين ، وكان – إذ ذاك – عاملاً من عمّال السلطان في تلك المنطقة ، فلمّا علت منزلته ، وقويت سطوته ، اجتذب إليه أبا القاسم التنوخيّ ، فألحقه بخدمته ، ونصبه مستشاراً له ، وأناط به الترسّل في أموره البالغة الأهمية الّتي لا يمكن أن يعوّل فيها إلّا على شخص مثل أبي القاسم التنوخيّ ، وافر الذكاء ، عظيم الحرمة .

فقد كان في السنة ٣٢٤ رسول البريديّ إلى القائد ياقوت ، حيث عقد معه صلحاً ، وزوّج ابنة البريديّ ، من ابن ياقوت[4] .

وفي السنة ٣٢٥ كان رسول البريديّ إلى الأمير أبي بكر بن رائق[5] .

وفي السنة ٣٢٦ كان رسول البريديّ ، إلى أمير الأمراء بَجْكَمْ ، حيث عقد بينهما مصالحة ، توجّت بزواج بجكم ، من سارة ابنة أبي عبد الله البريدي[6] .
وفي هذا الوقت ، ولد للقاضي أبي القاسم التنوخيّ ، في السنة ٣٢٧ ، بالبصرة ،

---

١ معجم الأدباء ٥ / ٣٣٣ .
٢ الحضرة : عاصمة المملكة ، ويريد بالحضرة هنا : بلاط الخليفة ببغداد .
٣ القصّة ٤٤٩ من هذا الكتاب .
٤ تجارب الأمم ١ / ٣٤٥ .
٥ القصّة ٤ / ٣٩ من كتاب نشوار المحاضرة .
٦ تجارب الأمم ١ / ٣٨٥ .

غلام سمّاه المحسّن ، وهو صاحب الكتاب[1] .

ولد المحسّن ، في بيت فقه وعلم ، فنشأ منذ طفولته محباً للدرس ، وهو يحدّثنا عن ذكرياته في الكتّاب[2] ، كما أنّه سمع من أبي بكر الصولي[3] ، وأبي العباس الأثرم[4] ، والحسن بن محمّد الفسوي[5] ، وأبي بكر بن داسه ، وأحمد ابن عبيد الصفار ، ووهب بن يحيى المازني ، وطبقتهم[6] .

وقد ذكر لنا التنوخيّ المؤلّف ، في إحدى قصصه ، انّه كان في السنة ٣٣٥ بالمكتب ، بالبصرة ، « وهو مترعرع ، يفهم ، ويحفظ ما يسمع ، ويضبط ما يجري »[7] .

وتوفّي أبو عبد الله البريدي في السنة ٣٣٢ ، فأقام أبو القاسم التنوخي بالبصرة ، وانضاف إلى المهلبيّ ، صديقه القديم[8] ، الذي بدأ نجمه يلمع في سماء العراق ، منذ أن ترك خدمة أبي زكريا ، يحيى بن سعيد السوسي[9] ، واتّصل بالأمير أبي الحسن أحمد بن بويه ، الّذي أصبح بعد أن استولى على العراق ، الأمير معزّ الدولة[10] .

---

١ القصّة ٥ / ٧ من كتاب نشوار المحاضرة .

٢ القصص ٣ / ٩٩ و١٠٠ و١٠١ من كتاب نشوار المحاضرة .

٣ القصّة ٣٢٥ و٣٢٨ من هذا الكتاب .

٤ القصّة ٧٠ من هذا الكتاب .

٥ القصّة ٧ من هذا الكتاب .

٦ تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ١٥٥ و١٥٦ .

٧ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .

٨ القصّة ٢ / ١٠٤ من نشوار المحاضرة .

٩ تجارب الأمم ١ / ٣٧٨ .

١٠ تجارب الأمم ٢ / ٨٥ .

لقي أبو القاسم التنوخي ، من الوزير المهلبيّ ، كلّ رعاية وعناية ، وكان يميل إليه جدّاً ، ويتعصّب له ، ويعدّه ريحانة الندماء[1] ، وكان من جملة القضاة الذين يجتمعون مع الوزير المهلّبي ، مرّتين في كلّ أسبوع ، على اطّراح الحشمة ، والتبسّط في القصف واللّهو[2] .

وبلغ من وفاء المهلّبي ، لأبي القاسم التنوخيّ ، انّه لما توفّي التنوخيّ في السنة ٣٤٢ ، صلّى عليه المهلّبي ، وقضى ما عليه من الديون ، وكان مقدارها خمسون ألف درهم[3] .

نشأ المحسّن التنوخيّ بالبصرة ، وهو يعتبر البصرة بلده ، ويتحدّث عن نفسه ، باعتباره بصريّاً ، فيقول في إحدى قصصه : ولي الجهني « عندنا في البصرة » الحسبة[4] .

ويقول في قصّة أخرى : وكان « عندنا في البصرة » دلّال من أهلها[5] .

ويقول في قصّة ثالثة : وكان « عندنا بالبصرة » رجل من التجار[6] .

ويقول في قصّة رابعة : حدّثني محمّد بن عديّ بن زحر البصري « جارنا بها »[7] .

ويقول في قصّة خامسة : وحدّثني أبو عبد الله بن هارون التستري المؤذّن ،

---

١ اليتيمة ٢ / ٣٣٦ ومعجم الأدباء ٥ / ٣٣٤ .
٢ اليتيمة ٢ / ٣٣٦ ومعجم الأدباء ٥ / ٣٣٤ .
٣ معجم الأدباء ٥ / ٣٣٣ .
٤ القصّة ٢ / ٥٢ من النشوار .
٥ القصّة ١ / ١٠٧ من النشوار .
٦ القصّة ٣ / ٩١ من النشوار .
٧ القصّة ٣ / ٩٢ من النشوار .

وكان أقام « بمسجدنا بالبصرة »[1] .

وهو يروي في نشواره ، وفي هذا الكتاب ، كثيراً من القصص ، عن حوادث وقعت بالبصرة ، وعن أشخاص بصريّين ، لا يتسنّى لغير البصريّ ، أن يتحدّث عنهم .

شبّ المحسّن التنوخيّ بالبصرة ، وتفقّه ، وشهد عند القاضي أحمد بن سيّار ، قاضي الأهواز[2] ، ولما نزل الوزير المهلّبي بالسوس ، قصده المحسّن للسلام عليه ، وتجديد العهد بخدمته ، فرحّب به الوزير ، وطلب إليه أن يلحق به في بغداد ، ليقلّده القضاء[3] ، فأطاع ، ولحق بالمهلّبي الّذي كلّم في أمره قاضي القضاة ، فقلّده في السنة ٣٤٩ ، قضاء القصر[4] ، وبابل ، وسورا[5] .

وتقلّد التنوخيّ القضاء ، في أماكن متعدّدة ، ونحن نستطيع من متابعة ما قصّه علينا ، ان نعرف بعض الأماكن الّتي تقلّد فيها ، فقد قلّده المطيع القضاء في منطقة الأهواز ، في عسكر مكرم ، وإيذج ، ورامهرمز[6] ، كما تقلّد القضاء بتكريت ، ودقوقا ، وخانيجار ، وقصر ابن هبيرة ، والجامعين ، وسورا ، وبابل ، والإيغارين ، وخطرنية[7] ، وتقلّده بحرّان ، ونواح من ديار مضر ، وقطعة من سقي الفرات[8] ، وتقلّده بحلوان وقطعة من طريق خراسان[9] ، وتقلّده بواسط ،

---

١ القصّة ٢ / ٧٥ من النشوار .

٢ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .

٣ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .

٤ قصر ابن هبيرة ، وأحسب أنّ موضعها الآن بلدة المسيب بالعراق .

٥ القصّة ٥ / ٧ من النشوار .

٦ القصّة ٥ / ٧ من النشوار .

٧ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٨ القصّة ٣٤٣ من هذا الكتاب .

٩ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

مضافاً إلى قضاء الاهواز[1] ، وتقلّده بجزيرة ابن عمر[2] ، وتقلّده بالكوفة[3] ، كما تقلّد لعضد الدولة القضاء بالموصل ، وبجميع ما فتحه من البلاد الّتي كانت في يد أبي تغلب الحمداني[4] .

استقرّ المحسّن التنوخيّ ببغداد ، وشملته عناية الوزير المهلّبي[5] ، فأصبح من ملازمي مجلسه[6] ، وقد أثبت في كتابيه : نشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدّة ، قصصاً عن مكارم أخلاق الوزير المهلّبي ، وشريف طباعه[7] .

وكان وجود التنوخيّ ببغداد ، قد سهّل له الاتّصال بجماعة من العلماء والأدباء والشعراء ، فقد اتّصل بأبي الفرج الأصبهاني ، وقرأ عليه ، وأجاز له الرّواية عنه[8] ، وقد نقل عنه كثيراً من القصص والأحاديث[9] ، كما اتّصل بأبي عمر الزّاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، وحمل عنه ، وأجاز له الرواية عنه[10] ، وهو يروي لنا ما حدّثه به الوزير المهلّبي[11] ، وما قصّه عليه أبو علي الأنباري ، صهر الوزير المهلّبي ، وخليفته على الوزارة[12] ، وما رواه له أبو العلاء صاعد بن ثابت

---

١ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .
٢ القصّة ٣١ و٣٩ من هذا الكتاب .
٣ تاريخ بغداد للخطيب ٨ / ١٠٣ .
٤ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .
٥ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .
٦ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .
٧ القصص ٣ / ٩٨ و١٣٦ و١٥٦ و١٥٧ و١٧٧ من النشوار .
٨ القصّة ٤٨٢ من هذا الكتاب .
٩ مجموع ما نقله التنوخي عن الأصبهاني ٤٣ خبراً ، وعن كتاب الأغاني ٦ أخبار .
١٠ القصّة ١٣ من هذا الكتاب .
١١ القصّة ٦١ من هذا الكتاب .
١٢ القصص ١٦٦ ، ١٨٠ ، ٢١٨ من هذا الكتاب .

النصراني ، « الّذي كان خليفة الوزراء »[1] كما يروي لنا ، ما أملاه عليه أبو اسحاق الصابي[2] ، وما سمعه من ابن سكّرة الهاشمي[3] ، ومن ابن الحجّاج[4] ، وإليه بعث أبو العلاء المعرّي ، قصيدته الشهيرة : « هات الحديث عن الزوراء أوهيتا »[5] .

إنّ استعراض القصص التي أدرجها القاضي التنوخيّ ، في النشوار ، وفي الفرج بعد الشدّة ، ينير لنا السبل ، من أجل معرفة أحواله في حياته ، وما صادفه فيها من أحداث .

فهو يروي لنا في إحدى قصصه ، حديثاً ، سمعه في السنة ٣٤٩ ، من الأمير جعفر بن ورقاء الشيباني[6] .

ويروي لنا في قصة أخرى ، حديثاً سمعه في السنة نفسها ، من أبي أحمد بن أبي الورد ، شيخ من أبناء القضاة[7] .

وهو في قصص أخرى ، يروي لنا انّه اجتمع في السنة ٣٥٠ بأبي عليّ ابن أبي عبد الله ، ابن الجصّاص الجوهري ، وسأله عن أخبار والده ، وأثبت أجوبته الّتي أجاب بها[8] .

كما روى لنا ، في قصّة أخرى ، حديثاً بلغه في عين السنّة ، وهو ببغداد ، عن صوفيّ ، سمع ، فطرب ، فتواجد ، فمات[9] .

---

١ القصّة ٤٦٨ من هذا الكتاب .

٢ القصّة ٣ / ١٣٧ و١٣٨ من النشوار .

٣ القصص ٣ / ١٠٨ و ٥ / ١٠ و ٦ / ٥ و ٦ من النشوار .

٤ القصّة ٦ / ٤٣ من النشوار .

٥ وفيات الأعيان ٤ / ١٦٢ .

٦ القصّة ١ / ٨ من النشوار .

٧ القصّة ١ / ٢٢ من النشوار .

٨ القصّة ١ / ٩ من النشوار ، والقصص ١٧١ ، ٢٧٣ من هذا الكتاب .

٩ القصّة ٢ / ١٨٨ من النشوار .

ويروي لنا في هذا الكتاب ، حديثاً سمعه في السنة ٣٥٠ بالأهواز من أيّوب ابن العبّاس بن الحسن ، وزير المكتفي والمقتدر [1] .

وقد اشتملت بعض قصصه عن مجالس الوزير المهلّبي ، على حوادث نصّ التنوخي على وقوعها في السنة ٣٥٠ [2] ، والسنة ٣٥١ [3] .

وأورد التنوخي ، في موضع آخر من نشواره ، انّه حضر مجلس أبي العبّاس بن أبي الشوارب ، قاضي القضاة — إذ ذاك — وانّه — أي التنوخي — كان يكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السّلام ، مضافاً إلى ما كان يخلفه عليه بتكريت ، ودقوقا ، وخانيجار ، وقصر ابن هبيرة ، والجامعين ، وسورا ، وبابل ، والإيغارين ، وخطرنية [4] .

وقد تقلّد أبو العبّاس هذا ، قضاء القضاة ، في النصف الثاني من السنة ٣٥٠ [5] ، وعزل في النصف الأول من السنة ٣٥٢ [6] .

وهو في إحدى قصصه ، يخبرنا أنّه كان في السنة ٣٥٢ ببغداد ، وأنّه زار أبا الغنائم ، ابن الوزير المهلّبي ، وهنّأه بحلول شهر رمضان [7] .

ولّما مرّ المتنبّي ، في السنة ٣٥٤ ، بالأهواز ، قاصداً عضدَ الدولة بفارس ، كان التنوخي بالأهواز ، ولقي المتنبّي ، وسأله عن نسبه ، فما اعترف له به ، وقال له : أنا رجل أخبط القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، فما دمت غير منتسب إلى أحد ،

---

١ القصّة ٣٤ من هذا الكتاب .

٢ القصّة ١ / ٣٧ من النشوار .

٣ القصّة ١ / ٢٨ من النشوار .

٤ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٥ المنتظم ٧ / ٢ وتجارب الأمم ٢ / ١٨٨ .

٦ المنتظم ٧ / ١٦ وتجارب الأمم ٢ / ١٩٦ .

٧ القصّة ٤ / ٢٣ من النشوار .

فأنا أسلم على جميعهم[1] ، وسأله أيضاً عن معنى كلمة « المتنبّي » فأجابه بأنّ ذلك شيء كان في الحداثة ، أوجبته الصبوة[2] ، وهذا اعتراف من المتنبّي ، بأنّه ادّعى النبوّة في حداثته .

وهو يروي لنا حديثاً سمعه بعسكر مكرم (الأهواز) ، في السنة ٣٥٥ ، من أبي أحمد بن أبي سلمة الشّاهد ، الفقيه ، المتكلّم ، العسكري[3] .

كما يذكر لنا في قصّة أخرى ، أنّ جندياً شاباً من عمان ، بارحها حين ملكها الديلم ، واجتاز بواسط ، فمدح القاضي التنوخي ، واقتضاه ثواب المديح[4] ، وقد ملك الديلم عمان في السنة ٣٥٥[5] .

وكان القاضي التنوخي ، في السنوات ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، يتقلّد القضاء والوقوف بسوق الأهواز ، ونهر تيرى ، والأنهار ، والأسافل ، وسوق رامهرمز ، سهلها وجبلها ، وأعمال ذلك ، وكانت داره في الأهواز[6] .

وصرف عن عمله هذا في السنة ٣٥٩[7] ، صرفه عنه أبو الفرج محمّد بن العبّاس بن فسانجس ، لما ولي الوزارة[8] ، وأخذ ضيعته بالأهواز ، وأخرجها من يده[9] ، فأصعد إلى بغداد متظلّماً ، فلم يجد منه إنصافاً .

---

١ القصّة ٤ / ١٢٠ من النشوار .

٢ القصّة ٨ / ٨٦ من النشوار .

٣ القصّة ٤١٩ من هذا الكتاب .

٤ القصّة ٨ / ٣٠ من النشوار .

٥ تجارب الأمم ٢ / ٢١٧ .

٦ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .

٧ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .

٨ تجارب الأمم ٢ / ٢٦٠ .

٩ القصّة ٨٠ من هذا الكتاب .

ولمّا حلّ ببغداد في السنة ٣٦٠ ، بعد غيبته عنها سنين ، وجدها « محيلةً ممن كانت به عامرة ، وبمذاكراته آهلة ناضرة »[١] ، فكان ذلك داعياً دفعه إلى تأليف كتابه نشوار المحاضرة ، حيث بدأ به في السنة ٣٦٠ ، وأنهاه في السنة ٣٨٠ ، على ما رواه غرس النعمة ، واثبته ياقوت في ترجمته[٢] .

وأقام القاضي التنوخي ببغداد ، في محاولة استعادة ضيعته الّتي أخرجت من يده ، وعمله الّذي عزل عنه ، وتهيّأ له ذلك ، بأن عزل أبو الفرج عن الوزارة ، ووليها أبو الفضل العبّاس بن الحسين ، صهر الوزير المهلبي[٣] ، فكان التنوخي يحضر مجالسه في السنة ٣٦٠[٤] ، وقضى السنة ٣٦١ ببغداد كذلك[٥] .

وفي السنة ٣٦٢ أعيد القاضي التنوخي إلى القضاء بالأهواز ، والأعمال الّتي كان عليها معها ، وأضيف إليها قضاء واسط وأعمالها ، فاستخلف على واسط ، وعاد فأقام بالأهواز[٦] .

وهو في إحدى قصصه ، يروي لنا حديثاً قصّه عليه في السنة ٣٦٢ بواسط ، الكاتب ابن أبي قيراط[٧] .

كما تحدّث إلينا في أحدى قصصه ، عن شيخ لقيه بواسط ، في ربيع الأوّل من السنة ٣٦٣[٨] .

ويروي لنا التنوخي ، في إحدى قصصه ، حديثاً حدّثه به أبو بكر ابن أبي

---

١ مقدمّة المؤلّف للجزء الأوّل من النشوار .

٢ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٣ تجارب الأمم ٢ / ٢٨٣ .

٤ القصّة ٢ / ١١٣ من النشوار .

٥ القصّة ٢ / ١٨٠ من النشوار .

٦ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .

٧ القصّة ٤٦٥ من هذا الكتاب .

٨ القصّة ٨ / ٧٣ من النشوار .

شجاع ، المقرئ البغدادي ، الّذي كان يخلفه على العيار في دار الضرب ، بالأهواز ، في سنة أربع وستين وثلثمائة [1] .

واضطربت أحوال العراق في السنة ٣٦٤ باختلاف عضد الدولة ، وابن عمّه عزّ الدولة ، ثم استقرّ الأمر للأخير ، وانصرف عضد الدولة عن العراق وهو مكره ، وعاث ابن بقيّة ، وزير بختيار ، في حكم العراق ، فقتل ، وصادر ، ونفى ، وشرّد ، وكان من جملة من شرّده ابن بقيّة ، القاضي التنوخي ، الّذي لجأ إلى البطيحة ، حيث لقي الأمان والاطمئنان ، في ظلّ أميرها معين الدّولة ، أبي الحسين عمران بن شاهين السلمي ، فألفى هناك جماعة من معارفه ، كانوا يجتمعون في الجامع هناك ، ويتشاكون أحوالهم [2] .

ولم تكن المحنة الّتي نالت القاضي التنوخي من الوزير ابن بقيّة ، أوّل محنة نالته ، ولا آخرها ، فقد حدّثنا في إحدى قصصه ، عن « نكبة عظيمة لحقته ، يطول شرحها وذكرها ، وحبس ، وتهدّد بالقتل ، ففرّج الله عنه ، وأطلق في اليوم التاسع ، من يوم قُبِضَ عليه فيه » [3] .

كما حدّثنا في إحدى قصصه ، أنّه « دفع إلى شدّة لحقته شديدة ، من عدوّ ، فاستتر منه ، فكفاه الله أمر ذلك العدوّ ، بعد شهور ، وأهلكه الله تعالى ، من غير سعي للتنوخي في ذلك » [4] .

وتحدّث في إحدى قصصه كذلك ، « عن محنة عظيمة لحقته من السلطان ،

---

١ القصّة ١٩ من هذا الكتاب ، وقد ورد رقم السنة فيها ٣٤٦ خطأ ، اذ أنّ التنوخي في تلك السنة لم يكن قد تقلّد أيّ عمل بعد .

٢ القصّة ٥٩ من هذا الكتاب .

٣ القصّة ٨ من هذا الكتاب .

٤ القصّة ١٨ من هذا الكتاب .

فكتب إليه أبو الفرج الببغاء ، رقعة يتوجّع له فيها »[1] .

وروى لنا التنوخي ، أنّه لما كان لاجئاً في البطيحة ، روى له أبو الحسن الصلحي ، في جمادى الأولى من السنة ٣٦٥ ، حديثاً في الفرج ، فنظم فيه شعراً[2] ، فلم تمض إلّا أشهر ، حتى اعتقل الوزير ابن بقيّة ، في السنة ٣٦٦[3] ، ففرّج باعتقاله عن التنوخي ، وعن كثير ممن كان معه في البطيحة[4] .

ولعلّ فساد الصلة بين التنوخي ، وبين الوزير ابن بقيّة ، كان من الأسباب الّتي قوّت علاقته بعضد الدولة الّذي استولى على العراق في السنة ٣٦٦[5] ، وقتل بختيار[6] ، وطرح ابن بقيّة ، تحت أرجل الفيلة[7] ، فإنّ التنوخي تقدّم في عهد عضد الدولة ، تقدّماً عظيماً ، وتقلّد القضاء في أماكن عدّة[8] ، وأثبته عضد الدولة نديماً له ، وخصّص له كرسيّاً يجلس عليه في مجلس شرابه ، وكثير من الندماء قيام[9] .

ويقصّ علينا التنوخي في إحدى قصصه[10] ، أنّه كان ذات يوم يماشي عضد الدولة ، في دار المملكة بالمخرّم ، وأنّ الملك حدّثه عن مقدار ما صرف على البستان والمسنّاة .

---

١ القصّة ٤٢ من هذا الكتاب .

٢ القصّة ٥٩ من هذا الكتاب .

٣ تجارب الأمم ٢ / ٣٧٣ .

٤ القصّة ٥٩ من هذا الكتاب .

٥ تجارب الأمم ٢ / ٣٦٥ .

٦ تجارب الأمم ٢ / ٣٨١ .

٧ تجارب الأمم ٢ / ٣٨٠ .

٨ القصص ٣١ و١٩٦ و٣٤٣ من هذا الكتاب .

٩ القصص ٤ / ٤٢ و٤٣ و٤٤ من نشوار المحاضرة .

١٠ القصّة ٤ / ١٢٩ من النشوار .

وفي السنة ٣٦٧ كان التنوخي في صحبة عضد الدولة ، في حملته الّتي قام بها لاستئصال أبي تغلب بن حمدان ، وقد قلّد التنوخي ، جميع ما فتحه ممّا كان في يد أبي تغلب ، مضافاً إلى ما كان قد تقلّده من قبل ، وهو حلوان ، وقطعة من طريق خراسان[١] .

وهو ، في إحدى قصصه ، يروي لنا ، كيف ورد محمّد بن ناصر الدولة ، يحجل في قيوده ، حتّى أدخل على عضد الدولة ، بالموصل ، فأمر بقيوده ففكّت ، وبالخلع فأفيضت عليه ، وبالجنائب فقيدت معه[٢] .

وقيام التنوخي في السنة ٣٦٩ بالخطبة ، في الاحتفال الّذي جرى من أجل عقد زواج الخليفة الطائع ، على ابنة عضد الدولة[٣] ، يدلّنا على قوّة صلته ، في ذلك الحين ، ببلاطي الخليفة والملك[٤] .

وهو في إحدى قصصه ، يروي لنا حديثاً حدّثه به عضد الدولة ، في السنة ٣٧٠ ، عن شقيق له اعتبط ، وعن حلم حلمت به أمّه ، ممّا لا يتحدّث به أحد ، إلّا لأخصّ الأصدقاء[٥] .

وبلغت الصلة بين القاضي التنوخي ، وعضد الدولة ، من القوّة ، بحيث أصبح يرافقه في أسفاره ، وكانت هذه المرافقة من أهمّ الأسباب الّتي جرّت عليه المصائب ، فقد كان في السنة ٣٧١ ، في همذان[٦] ، في معسكر عضد الدولة ، وزار صديقه أبا بكر بن شاهويه ، فحدّثه أبو بكر حديثاً ، أخطأ

---

١ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٢ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٣ اسمها : شاه زنان (شذرات الذهب ٣ / ٤٧) ، ومعنى الكلمة بالعربيّة : سيّدة النساء .

٤ القصّة ٤ / ١٣٠ من النشوار ، وتجارب الأمم ٢ / ٤١٤ .

٥ القصّة ٤ / ٥٧ من النشوار .

٦ القصّة ٥ / ١٨ من النشوار .

التنوخي في الإفضاء به إلى أبي الفضل بن أبي أحمد الشيرازي الّذي نقله بنصّه وفصّه إلى عضد الدولة ، فغضب عضد الدولة على التنوخي ، غير أنّ غضبه ما لبث أن انفثأ وعاد معه إلى بغداد[1] .

وكان عضد الدولة ، قد زوّج ابنته من الخليفة الطائع لله ، مؤمّلاً أن تلد له حفيداً ، يكون ولي عهد الخلافة ، وتصبح الخلافة والملك في بيت بني بويه[2] .

ولكنّ الخليفة الطائع ، الّذي أحسّ بما أضمره عضد الدولة ، أبعد هذه الابنة عن فراشه ، فاهتمّ والدها بالأمر ، ولم يجد خيراً من القاضي التنوخي ، يتوسّط في القضية ، نظراً لعلاقته الطيّبة بالبلاطين ، ولأنّه هو الّذي خطب خطبة عقد النكاح[3] ، فطلب من التنوخي ، أن يمضي إلى الخليفة ، وأن يقول له ، عن والدة الصبيّة ، « إنّها مستزيدة لإقبال مولانا عليها »[4] .

وكأنّ التنوخي ، خشي مغبّة الدخول في هذا الحديث ، أو كأنّه استشعر أن لا فائدة من التحدّث فيه ، فأحسّ بأنّه قد أصبح بين نارين ، إن كلّم الخليفة أغضبه ، وإن اعتذر أغضب عضد الدولة ، فاختار لنفسه أن يتمارض ، وحبس نفسه في داره ، متعلّلاً بالتواء ساقه ، وأنّه لا يطيق مبارحة فراشه[5] .

ولكنّ عضد الدولة ، أحسّ بأنّ التنوخي متمارض ، فبعث إليه من كشف أمره ، وعندئذ صبّ عليه جام غضبه ، فعزله عن جميع أعماله ، ونصب بدلاً منه قضاة ستّة ، يقومون بالعمل الّذي كان منوطاً به وحده ، كما أنّه أصدر إليه أمره بأن يظلّ في داره حبيساً ، لا يبارحها[6] .

---

١ القصّة ٤ / ٤٥ من النشوار ، وتجارب الأمم ٣ / ١٨ – ٢٠ .
٢ تجارب الأمم ٢ / ٤١٤ .
٣ القصّة ٤ / ١٣٠ من النشوار .
٤ تجارب الأمم ٣ / ٢٠ .
٥ القصّة ٤ / ٤٥ من النشوار ، وتجارب الأمم ٣ / ٢٠ و ٢١ .
٦ تجارب الأمم ٣ / ٢١ وابن الأثير ٩ / ١٥ .

وظلّ التنوخي على حاله هذه ، حتّى توفّي عضد الدولة في السنة ٣٧٢ .

وليس فيما بين أيدينا من قصص النشوار ، والفرج بعد الشدّة ، ما نستطيع أن نتبيّن منه ، كيفيّة حياة القاضي المحسّن التنوخي ، بعد وفاة عضد الدولة ، إلّا أنّ فقرة وردت في كتاب الوافي بالوفيات ح ٤ ص ٦ في ترجمة القاضي أبي الحسين محمد بن عبيد الله بن معروف ، جاء فيها « أن القاضي ابن معروف ردّت إليه أعمال القاضي أبي عليّ المحسّن التنوخي ، لمّا توفي في السنة ٣٨٤ ، فتولّى القضاء بها كلّها » . ويتّضح مما تقدّم ، أنّ القاضي أبا علي عاد من بعد وفاة عضد الدولة الى تقلّد القضاء ، وقام خلال هذه المدة بإتمام كتابه النشوار ، الّذي بدأ به في السنة ٣٦٠ وعلى تأليف كتابه الفرج بعد الشدّة ، الّذي بدأ به ، على ما يظهر ، في السنة ٣٧٣[1] ، وقد استخلص كثيراً من أخباره من النشوار ، وعلى تربية ولده أبي القاسم عليّ ، الّذي ولد له بالبصرة في السنة ٣٦٥[2] .

وكما أنّ المحسّن التنوخي ، كان وحيد والديه ، على ما يظهر ، وقد ولد وأبوه كهل في الخمسين ، فكذلك كان أبو القاسم عليّ بن المحسّن ، وحيد والديه ، وقد ولد وأبوه كهل قد قارب الأربعين ، والعجيب أنّ أبا القاسم علي بن المحسّن ، ولد له ولد سمّاه محمّداً ، وهو وحيده أيضاً ، وقد ولد له والأب شيخ قد تجاوز السبعين[3] .

وهؤلاء الثلاثة ، الجدّ ، والأب ، والابن ، يشبه أحدهم الآخر ، في الفضل ، وفي الذكاء ، وفي كرم النفس ، وفي انخراطهم في سلك القضاة ، وفي تمذهبهم بمذهب أبي حنيفة ، وفي تمسّكهم بالاعتزال ، والدفاع عنه .

---

١ القصّة ٢١٦ و٤١١ من هذا الكتاب .

٢ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ١١٥ .

٣ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ و٣ / ٣٠١ و٥ / ٣٠٢ .

ويتّضح تعصّب التنوخي للمعتزلة ، من القصص الّتي أوردها في النشوار ، فهو يثني عليهم ، كلّما ورد ذكرهم[1] .

وقد أضاف المحسّن ، إلى تعلّقه بالاعتزال ، وتعصّبه للمعتزلة ، تعرّضه للتصوّف والصوفيّة[2] .

اتّهم ابن الأثير ، في كتابه : الكامل في التاريخ[3] ، المحسّن التنوخي ، بأنّه كان شديد التعصّب على الإمام الشافعي ، يطلق لسانه فيه ، وهذه تهمة لم يقم عليها دليل ، وهذه مؤلّفات التنوخي ، ما تيسّر لنا منها ، تنفي عنه هذه التهمة ، والمحسّن التنوخي ، أتقى لله ، من أن يعرض للإمام الشافعي بسوء .

ويلاحظ أنّ التنوخيّ قد أدرج في كتبه ، قصصاً عدّة ، دلّت على اعتقاده بالتنجيم[4] ، ولعلّ عدم الاستقرار الّذي رافق القرن الرابع الهجري ، كان من الأسباب الّتي دفعت التنوخي ، وأباه ، إلى الاعتقاد بالتنجيم ، والعيافة ، والزجر ، وغيرها ، ممّا يتمسّك به الإنسان ، رغبة منه في الفرار من الحقيقة المرّة ، إلى خيال يبشّر بمستقبل أطيب من حاضر لا خير فيه .

وفي النشوار قصصٌ لا تحصى عن القضاة وأخبارهم ، وعمّا قام به بعضهم من أفعال كريمة ، في رفع المظالم ، وردع المعتدي الظالم ، بل إنّ هذا الموضوع ، هو الموضوع الرئيسي الّذي اشتمل عليه ذلك الكتاب ، بالنظر لاختصاص المؤلّف ،

---

١ القصص ٢ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ من النشوار .

٢ القصص ١ / ٤٨ ، ٤٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠١ ، و٢ / ٦٤ ، ٦٥ ، ١٥٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، و٣ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، و٤ / ١٣٣ من النشوار .

٣ الكامل لابن الأثير ٩ / ١٥ .

٤ القصص ٢ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، و٧ / ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ من النشوار .

واطّلاعه على خباياه ، اطّلاعاً تاماً .

ولّما كانت المنافسة بين أبناء الصناعة الواحدة ، أمر مترقّب منتظر ، فالّذي لا شكّ فيه أنّ التنوخيّ المؤلّف ، ووالده ، وبعض أقاربه من التنوخيّين ، من قضاة وشهود ، قد حصلت بين بعضهم ، وبين بعض القضاة منافرة ، ولذلك فإنّ التنوخيّ لم يتأخّر عن إثبات القدح في أولئك القضاة ، ولكنّه – لكمال عقله – لم يشتم أحداً منهم بلسانه ، وانّما شتمهم بلسان غيره ، فهو يورد شعراً للشاعر الفلاني ، هجا به القاضي الفلاني ، ويثبت قولاً قاله الفقيه الفلاني ، في القاضي الفلاني[1] .

إنّ كثيراً من القصص الواردة في النشوار ، وفي كتاب الفرج بعد الشدّة ، تؤيّد علاقة التنوخيّين ، أبي القاسم علي ، وولده أبي علي المحسّن ، بالأهواز ، هذه المنطقة الّتي سمّاها هارون الرّشيد « سرّة الدنيا »[2] وسمّاها عبد الله المأمون « سلّة الخبز »[3] ، فقد كان لهما أقارب في الأهواز[4] ، وكان لكلّ واحد منهما فيها ضيعة[5] ، وقد تقلّد أبو القاسم الأب ، القضاء في الاهواز ، كما تقلّده أبو علي المحسّن أيضاً[6] .

بقيت ملاحظة يجدر بي أن أثبتها ، وهي أنّ التنوخيّ ، اختار في نشواره شعراً لشعراء مفلقين ، كأبي فراس الحمداني مثلاً[7] ، ثم قرن بشعرهم ، شعراً لا

---

١ القصص ١ / ٤٢ ، ١٣١ ، ٢ / ٥٣ ، ٨٠ ، ١٦٢ ، ٣ / ١٠٨ من النشوار .

٢ الامامة والسياسة ٢ / ١٥٨ .

٣ القصّة ٣٤١ من هذا الكتاب

٤ القصة ٧٤ من هذا الكتاب ، والقصّة ١ / ١١٩ و٢ / ٣١ من نشوار المحاضرة .

٥ القصّة ٨٠٠ من هذا الكتاب ، والقصّة ١ / ١٧٦ من النشوار .

٦ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب ، والقصّة ٢ / ٨٧ من النشوار .

٧ القصّة ١ / ١٢٢ و٢ / ١٣١ من النشوار .

يتعدّى درجة النظم[1] ، وليس التنوخيّ بالّذي يصعب عليه التمييز بين الشعر الجيّد ، والشعر الرديء ، ولكنّه أثبت بعض الرديء ، لأنّه قيل في مدحه ، أو في مدح أبيه ، ولعمري ، إنّ حبّ الإنسان نفسه ، يدفعه إلى إثبات ما قيل في مدحه ، حتّى ولو لم يكن من جيّد الشعر .

وللمحسّن التنوخي ، شعر مجموع في ديوان ، قال عنه أبو نصر ، سهل ابن المرزبان ، إنّه رآه في بغداد ، وإنّ حجمه كان أكبر من حجم ديوان أبي القاسم والده ، وانّ بعض العوائق حالت بينه وبين تحصيله ، فاشتدّ أسفه عليه[2] ، ونحن نشارك أبا نصر في أسفه ، فإنّ ديوان المحسّن التنوخي ، يعتبر الآن ، من جملة الدواوين الضائعة .

وقد أورد الثعالبي في اليتيمة ، شعراً في مدح المحسّن التنوخي ، من نظم أبي عبد الله بن الحجّاج[3] ، كما روى ، في ترجمة المحسّن ، أبياتاً من الشعر ، قال إنّه مرتاب في نسبتها إليه ، لفرط جودتها[4] ، والثعالبي على حقّ في ارتيابه ، فإنّ الباقي ، المتوفّر لدينا من شعر التنوخي ، لا يرتفع إلى مستوى تلك الأبيات .

أمّا مؤلّفات التنوخي ، فإنّ أشهرها كتاب نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة ، الّذي أسلفنا أنّه ألّفه في عشرين عاماً[5] ، في أحد عشر مجلّداً[6] .

وله هذا الكتاب ، كتاب الفرج بعد الشدّة ، في ثلاثة مجلّدات[7] ، ألّفه

---

١ القصّة ٢ / ١٥٧ و٣ / ٨ من النشوار .
٢ يتيمة الدهر للثعالبي ٢ / ٣٤٦ .
٣ يتيمة الدهر ٢ / ٣٤٦ .
٤ يتيمة الدهر ٢ / ٣٤٧ .
٥ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .
٦ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .
٧ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

بعد كتاب النشوار[1] .

وله أيضاً ، كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، وقد طبع بدمشق ، حقّقه الأستاذ محمّد كرد علي ، وفي المطبوع مآخذ كنت أتمنّى لو أشار إليها المحقّق رحمه الله ، منهـا : أنّ بعض القصص الواردة في الكتاب[2] ، جاءت على لسان « القاضي أبي القاسم عليّ بن المحسّن ، مؤلّف كتاب الفرج بعد الشدّة » ، مع أنّ مؤلّف الكتاب ، هو والده المحسّن ، ومنها : أنّ بعض القصص[3] ، جاء فيها : قال القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن التنوخيّ ، حدّثني أبو الفرج الأصبهانيّ ، من حفظه ... الخ » ، مع أنّ أبا الفرج الأصبهانيّ ، توفّي في السنة ٣٥٦ ، والقاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن التنوخي ، ولد في السنة ٣٦٥ .

وللمحسّن التنوخيّ ، أيضاً ، مجموعة أقوال في الحكمة ، سمّاها : « عنوان الحكمة والبيان » ، ذكر ذلك المستشرق مرجليوث ، في مقدّمة الترجمـة الإنكليزية ، للجزء الأوّل من النشوار[4] .

توفّي أبو علي المحسّن التنوخي ، في السنة ٣٨٤ عن سبعة وخمسين عاماً ، وخلّف ولده أبا القاسم عليّ بن المحسن ، ولم يبلغ العشرين ، وقد صاحب التوفيق الولد ، كما صاحب أباه وجدّه ، فجرى على سَنَنِهما ، ودرس ، وتفقّه ، وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته ، وتقلّد القضاء ، والإشراف على دار الضرب[5] ، ولأبي القاسم هذا ، ترجمة في معجم الأدباء ، جديرة بالمطالعة[6] .

---

١ القصّة ٢١٦ من هذا الكتاب والقصّة ٢ / ١٣٤ من نشوار المحاضرة .

٢ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٤١ رقم القصّة ٦٧ .

٣ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ٤٦ رقم القصّة ٢٧ .

٤ قال مرجليوث : إنّ نسخة من هذه المجموعة موجودة في مكتبة بودليان .

٥ معجم الأدباء ٥ / ٣٠٢ .

٦ معجم الأدباء ٥ / ٣٠١ – ٣٠٩ .

هذا ما أمكنني استخلاصه ، عن حياة القاضي المحسّن التنوخي ، ممّا تيسّر لديّ ، من القصص الّتي قصّها علينا ، ولو تيسّر لديّ عدد من القصص أكثر ، لكان ما استخلصته أوفر .

ولعلّ الحظّ الحسن ، يقود أحداً في مستقبل الأيّام ، إلى العثور على بعض الأجزاء الضائعة من النشوار ، فيضيف بنشرها إلى الكتاب العربي ، ثروة عظيمة .

بحمدون ٢ / ٣ / ١٩٧٥

عبود الشالجي
المحامي



مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر[1]

قال الفقيه القاضي أبو علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي رحمه الله تعالى :

الحمد للّه الذي جعل بعد الشدّة فرجاً ، ومن الضرّ والضيق سعة ومخرجاً ، ولم يُخْلِ محنةً من منْحةٍ ، ولا نقمة من نعمةٍ ، ولا نكبة ورزيّة ، من موهبة وعطيّة ، وصلّى الله على سيّد المرسلين ، وخاتم النبيّين ، محمد وآله الطيّبين ، [وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدّين][2] .

أمّا بعد ، فإنّي لما رأيت أبناء الدنيا متقلّبين فيها ، بين خير وشرّ ، ونفع وضرّ ، ولم أَرَ لهم في أيّام الرخاء ، أنفعَ من الشكر والثناء ، ولا في أيّام البلاءَ ، أنجعَ من الصبر والدعاء ، لأنّ من جعل الله عمره أطول من عمر محنته ، فإنّه سيكشفها عنه بتطوّله ورأفته ، فيصير ما هو فيه من الأذى ، كما قال من مضى ، ويروى للأغلب العجلي ، أو غيره :

الغمرات ثمّ ينجلينا ثمّت يذهبن ولا يجينا

ويروى :

الغمرات ثمّ ينجلينه ثمّت يذهبن ولا يجينه

فطوبى لمن وفّق في الحالين ، للقيام بالواجبين .

---

١ في غ : ربّ يسّر يا كريم ، وفي م : وبه ثقتي ورجائي .

٢ الزيادة من ر .

ووجدتُ أقوى ما يفزع إليه من أناخ الدّهر بمكروه عليه ، قراءة الأخبار الّتي تنبي عن تفضّل الله عزّ وجل ، على من حصل قبله في محصله ، ونزل به مثل بلائه ومعضله ، بما أتاحه له من صنع أمسك به الأرماق ، ومعونة حلّ بها من الخناق ، ولطف غريب نجّاه ، وفرج عجيب أنقذه وتلافاه ، وإن خفيت تلك الأسباب ، ولم تبلغ ما حدث من ذلك الفكر والحساب ، فإنّ في معرفة الممتحن بذلك ، شحذ بصيرته في الصّبر ، وتقوية عزيمته على التسليم إلى مالك كلّ أمر ، وتصويب رأيه في الاخلاص ، والتفويض إلى من بيده ملك النواص ؛ وكثيراً ما إذا علم الله تعالى من وليّه وعبده ، انقطاع آماله إلّا من عنده ، لم يكله إلى سعيه وجهده ، ولم يرض له باحتماله وطوقه ، ولم يخله من عنايته ورفقه .

وأنا بمشيئة الله تعالى ، جامع في هذا الكتاب ، أخباراً من هذا الجنس والباب ، أرجو بها انشراح صدور ذوي الألباب ، عندما يدهمهم من شدّة ومصاب ، إذ كنت قد قاسيت من ذلك ، في محن دفعت إليها ، ما يحنو بي على الممتحنين ، ويحدوني على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين .

وكنت وقفت في بعض محني ، على خمس أو ست أوراق ، جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائنيّ ، وسمّاها « كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة » ، وذكر فيها أخباراً يدخل جميعها في هذا المعنى ، فوجدتها حسنة ، لكنّها لقلّتها أنموذج صبرة[٣] ، فلم يأت بها ، ولا سلك فيها سبل الكتب [١ غ] المصنّفة ، ولا الأبواب الواسعة المؤلّفة ، مع اقتداره على ذلك ، ولا أعلم غرضه في التقصير ، ولعلّه أراد أن ينهج طريق هذا الفنّ من الأخبار ، ويسبق إلى فتح الباب فيه بذلك المقدار ، واستثقل تخريج جميع ما عنده فيه من الآثار .

ووقع إليّ كتاب لأبي بكر عبد الله بن محمّد بن أبي الدّنيا ، قد سمّاه « كتاب الفرج بعد الشدّة » [في نحو عشرين ورقة][٤] ، والغالب عليه أحاديث

---

٣ الصبرة : ما جمع من الأشياء بلا كيل أو وزن ، يقال أخذه صبرة ، أي جملة .

٤ الزيادة من م وغ .

عن النبي [٢ م] صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله ، وأخبار عن الصّحابة والتابعين ، رحمهم الله ، يدخل بعضها في معنى طلبته ، ولا يخرج عن قصده وبغيته ، وباقيها أحاديث وأخبار في الدّعاء ، وفي الصبر ، وفي الأرزاق والتّوكّل ، والتعوّض عن الشّدائد بذكر الموت[٥] ، وما يجري مجرى التعازي ، ويتسلّى به عن طوارق الهموم ، ونوازل الأحداث والغموم ، بما يستحقّ فيها من الثّواب في الأخرى ، مع التّمسّك بالحزم في الأولى ، وهو عندي خالٍ من ذكر فرجٍ بعد شدّة ، غير مستحقّ أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفنّ ، وضمّن الكتاب نبذاً قليلةً من الشعر [٢ ظ] ، وروى فيه شيئاً يسيراً جدًّا ممّا ذكره المدائني ، إلّا أنّه جاء بإسناد له ، لا عن المدائني .

وقرأت أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد ابن يوسف القاضي رحمهم الله ، في مقدار خمسين ورقة ، قد سمّاه : كتاب الفرج بعد الشدّة ، أودعه أكثر ما رواه المدائني ، وجمعه ، وأضاف إليه أخباراً أخر ، أكثرها حسن[٦] ، وفيها غير ما هو مماثل عندي لما عزاه ، ولا مشاكل لما نحاه ، وأتى في اثنائها بأبيات شعر يسيرة ، من معادن لأمثالها جمّةٍ كثيرة ، ولم يلمّ بما أورده ابن أبي الدنيا ، ولا أعلم أتعمّد ذلك ، أم لم يقف على الكتاب .

ووجدتُ أبا بكر بن أبي الدنيا ، والقاضي أبا الحسين ، لم يذكرا أنّ للمدائني كتاباً في هذا المعنى ، فإن لم يكونا عرفا هذا ، فهو طريف ، وإن كانا تعمّدا ترك ذكره تنفيقاً لكتابيهما وتغطية على كتاب الرجل ، فهو أطرف ، ووجدتهما قد استحسنا استعارة لقب كتاب المدائني ، على اختلافهما في الاستعارة ، وحيدهما عن أن يأتيا بجميع العبارة ، فتوهّمتُ أنّ كلّ واحد منهما لما زاد على قدر ما أخرجه المدائني ، اعتقد أنّه أولى منه بلقب كتابه ، فإن كان هذا الحكم

---

٥ في نسخة م : الموقف .

٦ في غ : أكثرها حشو .

ماضياً ، والصّواب به قاضياً ، فيجب أن يكون من زاد عليهما فيما جمعاه ، أولى منهما بما تعبا في تصنيفه ووضعاه .

فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر ممّا جمعه القوم وأشرح ، وأبين للمغزى وأكشف وأوضح ، وأن أخالف مذهبهم في التصنيف ، وأعدل عن طريقتهم في الجمع والتّأليف ، فإنّهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة ، وربما صادفت مللاً من سامعيها ، أو وافقت سآمة من النّاظرين فيها ، فرأيت أن أنوّع الأخبار ، وأجعلها أبواباً ، ليزداد من يقف على الكتب الأربعة ، بكتابي من بينها إعجاباً ، وأن أضع ما في الكتب الثلاثة ، في مواضعه من أبواب هذا الكتاب ، إلّا ما أعتقد أنّه لا يجب أن يدخل فيه ، وأنّ تركه وتعدّيه ، أصوب وأولى ، والتشاغل بذكر غيره ، مما هو داخل في المعنى [٢ غ] ولم يذكره القوم ، أليق وأحرى ، وأن أعزو ما أخرجه ممّا في الكتب الثّلاثة ، إلى مؤلّفيها ، تأدية للأمانة ، واستيثاقاً في الرواية ، وتبييناً لما آتي به من الزيادة ، وتنبيهاً على موضع الإفادة .

فاستخرت الله عزّ ذكره ، وبدأت بذلك في هذا الكتاب ، ولقّبته بكتاب الفرج بعد الشدّة ، تيمّناً لقارئه بهذا الفال ، وليستسعد في ابتدائه بهذا المقال .

ولم أستبشع إعادة هذا اللقب ، ولم أحتشم تكريره على ظهور الكتب ، لأنّه قد صار جارياً مجرى تسمية رجلٍ اسمه محمّداً أو محموداً ، أو سعداً ، أو مسعوداً ، فليس لقائل – مع التّداول لهذين الاسمين – أن يقول لمن سمّى بهما الآن : إنّك انتحلتَ هذا الاسم أو سرقته .

ووجدتني [٣ م] متى أعطيت كتابي هذا حقّه من الاستقصاء ، وبلغت به حدّه من الاستيفاء ، جاء في ألوف أوراق ، لطولما مضى من الزمان ، وإنّ الله بحكمته ، أجرى أمور عباده ، وأغذياء نعمته ، منذ خلقهم ، وإلى أن يقبضهم ، على التقلّب بين شدّة ورخاء ، ورغد وبلاء ، وأخذ وعطاء ،

ومنع وصنع ، وضيقٍ ورحب ، وفرج وكرب[7] ، علماً منه تعالى بعواقب الأمور ، ومصلحة الكافّة والجمهور ، وأخبار ذلك كثيرة المقدار ، عظيمة الترديد[8] والتكرار ، وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة ، ولا مستطابة الذّكر والإعادة . فاقتصرت على كتب أحسنِ ما رويتُ من هذه الأخبار ، وأصحّ ما بلغني في معانيها من الآثار ، وأملح ما وجدتُ في فنونها من الأشعار .

وجعلتُ قصدي الإيجاز والاختصار ، وإسقاط الحشو وترك الإكثار ، وإن كان المجتمعُ من ذلك جملة يستطيلها الملول ، ولا يتفرّغ لقراءتها المشغول .

وأنا أرغب إلى من يصل كتابي هذا إليه ، وينشط [٣ ظ] للوقوف عليه ، أن يصفح عمّا يعثر به من زلل ، ويصلح ما يجد فيه من خطأ وخلل ، والله أسأل السلامة من المعاب ، والتوفيق لبلوغ المحاب ، والإرشاد إلى الصواب ، ويفعل الله ذلك بكرمه ، إنّه جوادٌ وهاب[9] .

تسمية أبواب الكتاب وهي أربعة عشر باباً

الباب الأوّل : ما أنبأ الله تعالى به في القرآن ، من ذكر الفرج ، بعد البؤس والامتحان .

الباب الثاني : ما جاء في الآثار ، من ذكر الفرج بعد اللأواء ، وما يتوصّل به إلى كشف نازل الشدّة والبلاء .

الباب الثالث : من بُشّرَ بفرجٍ من نطق فال ، ونجا من محنة بقولٍ أو دعاء أو ابتهال .

---

٧ في م : ومنع حرمان ، ووسع وضيق ، وفرح ورحب ، وترح وكرب .

٨ في غ : التَرداد .

٩ في ر : اقتصر الناسخ على الأسطر الخمسة الأولى من المقدّمة ، وحذف باقيها .

الباب الرابع : من استعطف غضب السلطانِ بصادق لفظ ، أو استوقف مكروهه بموقظ بيان أو وعظ .

الباب الخامس : من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال ، إلى سراح وسلامة وصلاح حال . [٣ غ] .

الباب السادس : من فارق شدّة إلى رخاء ، بعد بشرى منام ، لم يشب صدق تأويله كذب الأحلام .

الباب السابع : من استنقذ من كربٍ وضيق خناق ، بإحدى حالتي عمد أو اتّفاق .

الباب الثامن : من أشفى على أن يقتل ، فكان الخلاص إليه من القتل أعجل .

الباب التاسع : من شارف الموت بحيوان مهلك رآه ، فكفاه الله سبحانه[١٠] ذلك بلطفه ونجّاه .

الباب العاشر : من اشتدّ بلاؤه بمرض ناله ، فعافاه الله تعالى بأيسر سبب وأقاله .

الباب الحادي عشر : من امتحن من لصوص بسرق أو قطع ، فعوّض من الارتجاع والخلف بأجمل صنع . [٢ ر]

الباب الثاني عشر : من ألجأه خوفٌ إلى هرب واستتار ، فأبدل[١١] بأمن ، ومستجدّ نعمة[١٢] ، ومسارّ .

---

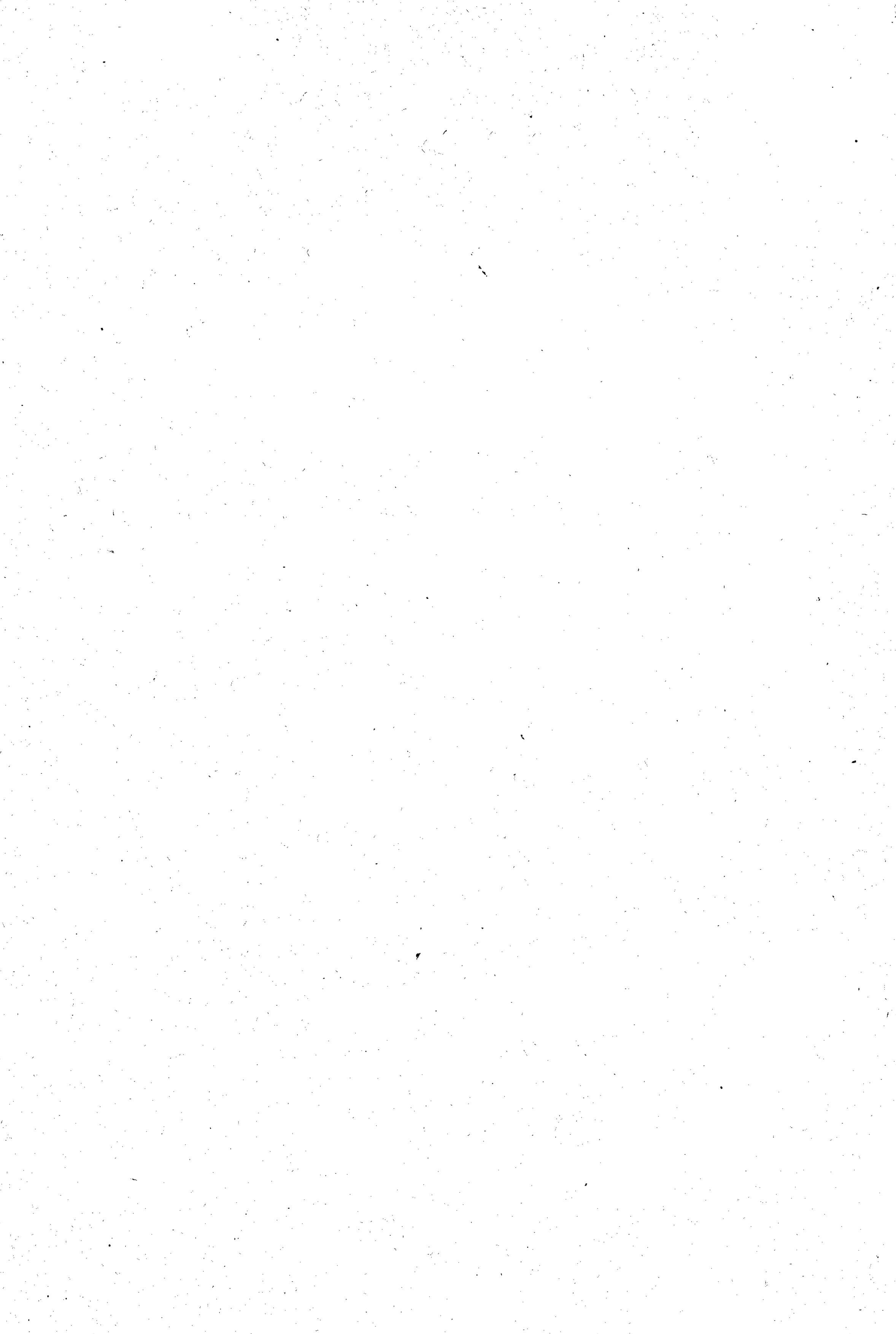
١٠ في غ : تعالى .

١١ في غ : فأديل ، وفي م : فأزيل .

١٢ في غ وفي م : نعم .

الباب الثالث عشر : من نالته شدّة في هواه ، فكشفها الله تعالى عنه ، وملّكه من يهواه .

الباب الرابع عشر : ما اختير من مُلَحِ الأشعار في أكثر [٤ م] معاني ما ما تقدّم من الأمثال والأخبار .



البَابُ الأوّل

ما أنبأنا به الله تعالى في القرآن ، من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

١
إنّ مع العسر يسراً

قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين ، وهو الحقّ اليقين ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، ووضعنا عنك وِزْرَكَ ، الذي أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك ، فإنّ مع العسر يسراً ، إنّ مع العسر يسراً ، فإذا فرغتَ فانصب ، وإلى ربّك فارغب ﴾[1] .

فهذه السورة كلّها ، مفصحة بإذكار الله عزّ وجلّ ، رسوله عليه السلام ، منّته عليه ، في شرح صدره بعد الغمّ والضيق ، ووضع وزره عنه ، وهو الإثم ، بعد إنقاض الظهر ، وهو الإثقال ، أي أثقله فنقض العظام ، كما ينتقض البيت إذا صوّت للوقوع ، ورفع – جلّ جلاله – ذكره ، بعد أن لم يكن ، بحيث جعله الله مذكوراً معه[2] ، والبشارة له ، في نفسه عليه السلام ، وفي أمّته ، بأنّ مع العسر الواحد يسرين ، إذا رغبوا إلى الله تعالى ربّهم ، وأخلصوا له طاعاتهم ونيّاتهم .

وروي عن عبد الله بن عباس[3] ، أو عن عليّ [٤ غ] بن أبي طالب عليه

---

١ ١ – ٨ سورة الانشراح ك ٩٤ .

٢ في ظ وم ور : بحيث جعله الله من ذلك ، والتصحيح من هـ .

٣ أبو العبّاس عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب (٣ ق هـ – ٦٨) : حبر الأمّة ، الصّحابي الجليل ، نشأ

السلام[4] ، أنّه قال : لا يغلب العسرُ الواحد يسرين ، يريد أنّ العسر الأوّل هو الثاني ، وأنّ اليسر الثاني هو غير الأوّل ، وذلك أنّ العسر معرفة ، فإذا أعيد ، فالثاني هو الأوّل ، لأنّ الألف واللام لتعريفه ، ويسر ، بلا ألف ولام ، نكرة ، فإذا أعيد ، فالثاني غير الأوّل ، وهذا كلام العرب ، فإذا بَدَأَتْ بالاسم النكرة ، ثم أعادته ، أعادته معرفةً بالألف واللام ، ألا ترى أنّهم يقولون : قد جاءني الرجل الذي تعرفه ، فأخبرني الرجل بكذا وكذا ، فالثاني هو الأوّل ، فإذا قالوا : جاءني رجل ، وأخبرني رجل بكذا ، وجاءني رجل ، فأخبرني رجل بكذا وكذا ، فالثاني غير الأوّل ، ولو كان الثاني – في هذا الموضع – هو الأوّل ، لقالوا : فأخبرني الرجل بكذا وكذا ، كما قالوا في ذلك الموضع .

وقال الله تعالى : ﴿ سيجعلُ اللهُ بعد عسرٍ يسراً ﴾[5] .

وقال : ﴿ ومن يتّقِ اللهَ ، يجعل له مخرجاً ، ويرزُقْهُ من حيث لا يحتسب ، ومن [٤ظ] يتوكّل على الله فهو حسبُهُ ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ أو كالّذي مرّ على قرية ، وهي خاوية على عروشها ، قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مِائةَ عامٍ ، ثم بعثه ، قال : كم لبثتَ ، قال : لبثتُ يوماً أو بعض يومٍ ، قال : بل لبثتَ مِائةَ عامٍ ، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ ، وانظر إلى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ، ثم نكسوها لحماً . فلما تبيّن له ذلك ، قال : أَعْلَمُ أَنّ اللهَ على كلّ شيء قدير ﴾[7] .

في بدء عصر النبوّة ، فلازم رسول الله ، وروى عنه ، وشهد مع الإمـام عليّ بن أبي طالب وقعتي الجمل وصفّين ، وكفّ بصره ، فأقام في الطائف ، وتوفيّ بها (الاعلام ٤ / ٢٢٨) .

٤ في ظ وم : رضي الله عنهم .

٥ ٧ م الطلاق ٦٥ .

٦ ٢ – ٣ م الطلاق ٦٥ .

٧ ٢٥٩ م البقرة ٢ .

فأخبر اللهُ تعالى : أنّ الّذي مرّ على قرية ، استبعد أن يكشف الله تعالى عنها ، وعن أهلها ، البلاءَ ، لقوله : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته اللهُ مائةَ عامٍ ثم بعثه ... إلى آخر القصة ، فلا شدّة[8] أشدّ من الموت والخراب ، ولا فرج أفرج من الحياة والعمارة ، فأعلمه الله عزّ وجلّ ، بما فعله به ، أنّه لا يجب أن يستبعد فرجاً من الله وصنعاً ، كما عمل به ، وأنّه يحيي القرية وأهلها ، كما أحياه ، فأراه بذلك ، آياته ، ومواقع صنعه .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَهُ ، ويخوّفونك بالذين من دُوْنِهِ ﴾[9] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا مسّ الإنسانَ الضرُّ ، دعانا لجنبه ، أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفنا عنهُ ضرّه ، مرّ كأنْ لم يدعنا إلى ضرّ مسّه ، كذلك زُيِّنَ للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾[10] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ هو الذي يسيّركم في البرّ والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيّبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كلّ [٥م] مكان ، وظنّوا أنّهم أحيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكونَنَّ من الشاكرين ، فلمّا أنجاهم ، إذا هم يبغونَ في الأرض بغير الحقِّ ﴾[11] .

وقال تعالى ، في موضع آخر : ﴿ قل من ينجّيكم من ظلمات البرّ والبحر ، تدعونه تضرّعاً وخفية ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكوننّ من الشاكرين ، قل الله ينجّيكم منها ، ومن كلّ كرب ، ثم أنتم تشركون ﴾[12] .

---

٨ في ظ وغ : بلاء .

٩ ٣٦ ك الزمر ٣٩ .

١٠ ١٢ ك يونس ١٠ .

١١ ٢٢ و٢٣ ك يونس ١٠ .

١٢ ٦٣ و٦٤ ك الانعام ٦ .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا ، لرسلهم ، لنخرجنّكم من أرضنا ، أو لتعودُنَّ في ملّتنا ، فأوحى إليهم ربّهم لنهلكنّ الظالمين ، ولنسكنّنّكمُ الأرضَ من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي ، وخاف وعيد ﴾ [13] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استُضْعِفُوا في الأرضِ ، ونجعلهم أئمّة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكّن لهم في [٥ غ] الأرض ، ونُرِي فرعونَ ، وهامانَ ، وجنودهما منهم ، ما كانوا يحذرون ﴾ [14] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ أَمَّنْ يجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإلهٌ مع الله ، قليلاً ما تذكّرون ﴾ [15] .

وقال جلّ من قائل[16] : ﴿ وقال ربكم ادعوني ، أستجب لكم ﴾ [17] ، [وقال عزّ من قائل] [18] ﴿ وإذا سألك عبَادي عنّي ، فانّي قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعاني ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي ، لعلّهم يرشدون ﴾ [19] .

وقال تعالى : ﴿ ولنبلوَّنكم بشيءٍ من الخوف ، والجوع ، ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرينَ الّذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون [٣ ر] ، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾ [20] .

وقال جلّ جلاله[21] : ﴿ الذّين قال لهم الناسُ ، إنّ الناس قد جمعوا لكم ،

---

١٣ ١٣ و١٤ ك ابراهيم ١٤ .

١٤ ٥ و٦ ك القصص ٢٨ .

١٥ ٦٢ ك النمل ٢٧ .

١٦ في غ : جلّ وعزّ .

١٧ ٦٠ ك غافر ٤٠ .

١٨ الزيادة من غ .

١٩ ١٨٦ م البقرة ٢ .

٢٠ ١٥٥ – ١٥٧ م البقرة ٢ .

٢١ في غ : عزّ وجلّ .

فاخشوهم ، فزادهم إيمانًا ، وقالوا حسبنا الله ونعمَ الوكيل ، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ ، لم يمسسهم سوء ، واتّبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ﴾[22] .

وروي عن الحسن البصريّ[23] ، أنّه قال : عجباً لمكروب غفل عن خمسٍ ، وقد عرف ما جعل الله لمن قالهنّ ، قوله تعالى : ﴿ ولنبلونَّكُم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾[24] .

وقوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ﴾[25] .

وقوله : ﴿ وأفوّض أمري إلى الله ، إنّ الله بصير بالعباد ، فوقاهم الله سيّئات ما مكروا ﴾[26] .

وقوله : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾[27] .

وقوله [٥ ظ] : ﴿ وما كان قولهم إلاّ أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا

---

٢٢ ١٧٣ و١٧٤ م آل عمران ٣ .

٢٣ أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار ، المعروف بالحسن البصري (٢١ – ١١٠) : من سادات التابعين ، وكبرائهم ، عالم ، زاهد ، ورع ، عابد ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه (الأعلام ٢ / ٢٤٢ ووفيات الأعيان ١ / ٣٥٤) .

٢٤ ١٥٥ – ١٥٧ م البقرة ٢ .

٢٥ ١٧٣ م آل عمران ٣ .

٢٦ ٤٤ – ٤٥ ك غافر (المؤمن) ٤٠ .

٢٧ ٨٦ – ٨٨ ك الأنبياء ٢١ .

في أمرنا ، وثبّت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، فأثابهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين ﴾[٢٨] .

وروي عن الحسن أيضا ، أنّه قال : من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد ، كشفها الله عنه ، لأنّه قد وعد ، وحكم فيهنّ ، بما جعله لمن قالهنّ ، وحكمه لا يبطل ، ووعده لا يخلف .

---

٢٨ ١٤٧ - ١٤٨ م آل عمران ٣ ، نقل هذه الفقرة صاحب كتاب حلّ العقال ص ٤ .

٢

قصّة آدم عليه السلام

وقد ذكر الله تعالى ، فيما اقتصّه من أخبار الأنبياء ، شدائد ومحناً ، استمرّت على جماعة من الأنبياء عليهم السلام ، وضروباً جرت عليهم من البلاء ، وأعقبها بفرج وتخفيف ، وتداركهم فيها بصنع جليل لطيف .

فأوّل ممتحن رضي ، فأُعقب بصنع خفيّ ، وأغيث بفرج قويّ ، أوّل العالم وجوداً ، آدم أبو البشر ، صلّى الله عليه ، كما ذكر ، فإنّ الله خلقه في الجنة ، وعلّمه الأسماء كلّها ، وأسجد له ملائكته ، ونهاه عن أكل الشجرة ، فوسوس له الشيطانُ ، وكان منه ما قاله الرحمن في محكم كتابه : ﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ، ثم اجتباه ربّه ، فتاب عليه وهدى ﴾ [1] .

هذا بعد أن أهبطه [٦م] الله إلى الأرض ، وأفقده لذيذ ذلك الخفض ، فانتقضت عادته ، وغلظت محنته ، وقتل أحدُ ابنيه الآخرَ ، وكانا أوّل أولاده .

فلما طال حزنه وبكاؤه ، واتّصل استغفاره ودعاؤه ، رحم الله عزّ وجلّ تذلّله وخضوعه ، واستكانته ودموعه ، فتاب [٦غ] عليه وهداه ، وكشف ما به ونجّاه .

فكان آدم عليه السلام ، أوّل من دعا فأجيب ، وامتحن فأثيب ، وخرج من ضيق وكرب ، إلى سعة ورحب ، وسلّى همومه ، ونسي غمومه ، وأيقن بتجديد الله عليه[2] النعم ، وإزالته عنه النقم ، وأنّه تعالى إذا استُرحِمَ رحم .

فأبدله تعالى بتلك الشدائد ، وعوّضه من الابن المفقود ، والابن العاقّ الموجود ، نبيّ الله شيث صلّى الله عليه ، وهو أوّل الأولاد البررة بالوالدين ، ووالد النبيّين

---

١ ١٢١ و١٢٢ ك طه ٢٠ .

٢ في غ وم : لـه .

والصالحين ، وأبو الملوك الجبّارين ، الذي جعل الله ذرّيته هم الباقين ، وخصّهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين .

وقد جاء في القرآن من الشرح لهذه الجملة والتبيان ، بما لا يحتمله هذا[٣] المكان ، وروي فيه من الأخبار ، ما لا وجه للإطالة به والإكثار .

٣

قصّة نوح عليه السلام

ثم نوح عليه السلام ، فإنّه امتُحِنَ بخلاف قومه عليه ، وعصيان ابنه له ، والطوفان العام ، [واعتصام ابنه بالجبل ، وتأخّره عن الركوب معه][١] ، وبركوب السفينة وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال ، وأعقبه الله الخلاص من تلك الأهوال ، والتمكّن في الأرض ، وتغييض الطوفان ، وجعله شبيهاً لآدم ، لأنّه أنشأ ثانياً جميع البشر منه ، كما أنشأهم أوّلاً من آدم عليه السلام ، فلا ولد لآدم إلاّ من نـــوح .

قال الله تعالى : ﴿ ولقد نادانا نوحٌ ، فلنعم المجيبون ، ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم ، وجعلنا ذرّيته هم الباقين ، وتركنا عليه في الآخرين ﴾[٢] ﴿ ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له ، فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾[٣] .

---

٣ في غ : بما لا يحمل ذكره .

١ الزيادة من م .

٢ ٧٥ – ٧٨ ك الصافات ٣٧ .

٣ ٧٦ ك الأنبياء ٢١ .

٤

قصّة إبراهيم عليه السلام

ثم إبراهيم صلّى الله عليه [وسلم][1] ، وما دفع إليه من كسر الأصنام ، وما لحقه من قومه ، من محاولة إحراقه ، فجعل الله تعالى عليه النار برداً وسلاماً ، وقال : ﴿ ولقد آتينا إبراهيمَ رشدَهُ من قبلُ ، وكنّا به عالمين ﴾[2] ، ثم اقتصّ قصّته ، إلى قوله تعالى : ﴿ قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يا نارُ كوني بردًا وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً ، فجعلناهم الأخسرين ، ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ، ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ نافلةً ، وكلاً جعلنا صالحين ، وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا ﴾[3] .

ثم ما كلّفه الله تعالى [٤ ر] إيّاه ، من مفارقة وطنه بالشام ، لما غارت عليه سارة ، من أمّ ولده هاجر ، فهاجر بها وبابنه منها إسماعيل الذبيح عليهما السلام ، فأسكنهما بواد غير ذي زرع ، نازحين عنه ، بعيدين منه ، حتى أنبع الله تعالى لهما الماء ، وتابع عليهما الآلاء ، وأحسن [٦ ظ] لإبراهيم فيهما الصنع ، والفائدة والنفع ، وجعل لإسماعيل النسل والعدد ، والنبوة والملك ، هذا بعد أن كلّف سبحانه إبراهيم أن يجعل[4] ابنه إسماعيل بسبيل الذبح ، قال الله تعالى فيما اقتصّه من ذكره في سورة الصافّات : ﴿ فبشّرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي ، قال يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال يا أبة افعل ما تؤمرْ ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتلّه للجبين ، وناديناه

---

١ الزيادة من غ .

٢ ٥١ ك الأنبياء ٢١ .

٣ ٦٨ – ٧٣ ك الأنبياء ٢١ .

٤ في م : أن يسلم .

أن [٧ م] يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا ، إنّا كذلك نجزي المحسنين ، إنّ هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا [٧ غ] عليه في الآخرين ، سلام على إبراهيم ﴾[٥] .

فلا بلاء أعظم من بلاء يشهد الله تعالى أنّه بلاءٌ مبين ، وهو تكليف الإنسان ، أن يجعل بسبيل الذبح ابنه ، وتكليفه ، وتكليف المذبوح ، أن يؤمنا ويصبرا ، ويسلّما ويحتسبا ، فلما أدّيا ما كلّفا من ذلك ، وعلم الله عزّ وجلّ منهما صدق الإيمان ، والصبر والتسليم والإذعان ، فدى الابنَ بذبح عظيم وجازى الأب بابن آخر على صبره ، ورضاه بذبح ابنه الذي لم يكن له غيره ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وبشّرناه بإسحاق نبيّاً من الصالحين ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لنفسه مبين ﴾[٦] ، وخلّصهما بصبرهما وتسليمهما من تلك الشدائد الهائلة .

وقد ذهب قوم إلى أنّ إبراهيم إنّما كلّف ذبح ابنه في الحقيقة ، لا على ما ذُهِب إليه من ذلك أنّ الذي كُلِّفه أن يجعلَ ابنه بسبيل الذبح ، لا أن يذبحه في الحقيقة ، واستدلّ الحسن البصريّ على أنّ إسماعيل هو الذبيح ، لا إسحاق ، وأنّ المأمور به كان الذبح في الحقيقة ، بقوله تعالى : ﴿ فبشّرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾[٧] ، فحصلت لإبراهيم البشرى ، بأنّه سيرزق إسحاق ، وأنّ إسحاق سيرزق يعقوب ، ولا يجوز للنبيّ أن يشكّ في بشارة الله تعالى ، فلو كان إسحاق هو الذبيح ، ما صحّ أن يأمره بذبحه قبل خروج يعقوب من ظهره ، لأنّه كان إذا أمر بذلك ، علم أنّ البشرى الأوّلة[٨] ، تمنع من ذبح إسحاق

---

٥ ١٠١ – ١٠٨ ك الصافات ٣٧ .

٦ تمام الآية : ﴿ وبشّرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريّتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ ١١٢ و١١٣ ك الصافات ٣٧ .

٧ ٧١ ك هود ١١ .

٨ الأوّلة : تعبير بغدادي ، بمعنى الأولى ، أما التعبير البغدادي الآن ، فهو : الأوليّة ، أو : الأولانيّة .

قبل ولادة يعقوب ، وكان لا يصحّ تكليفه ذبح من يعلم أنّه لا يموت أو يخرج من ظهره من لم يخرج بعد ، ومتى وقع التكليف على هذا ، لم يكن فيه ثواب ، وفي قوله تعالى : ﴿ إنّ هذا لهو البلاء المبين ﴾[9] . دليل على عظم ثواب إبراهيم ، وصحّة الأمر بالذبح ، يبيّن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلمّا أسلما وتلّه للجبين ﴾[10] ، أي استسلما لأمر الله ، وهما لا يشكّان في وقوع الذبح على الحقيقة حتى فداه الله تبارك وتعالى ، فهذا دليل على أنّ الذبيح غير إسحاق ، ولم يكن لإبراهيم ولد غير إسحاق ، إلاّ إسماعيل صلّى الله عليهم أجمعين .

٥

قصّة لوط عليه السلام

ومن هذا الباب قصّة لوط عليه السلام ، لما نهى قومه عن الفاحشة ، فعصوه ، وكذّبوه ، وتضييفه الملائكة ، فطالبوه فيهم بما طالبوه ، فخسف الله بهم أجمعين ، ونجّى لوطاً ، وأثابه ثواب الشاكرين ، وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم[1] ..

---

٩ ١٠٦ ك الصافات ٣٧ .

١٠ ١٠٣ ك الصافات ٣٧ .

١ في م : بمواعظ من الذكر الحكيم .

٦

قصّة يعقوب ويوسف عليهما السلام

ويعقوب ويوسف عليهما السلام ، فقد أفرد الله تعالى بذكر شانهما ، وعظيم بلواهما وامتحانهما ، سورةً محكمةً ، بيّن فيها كيف حسد إخوةُ يوسف ، يوسفَ ، على المنام الذي بشّره الله تعالى فيه بغاية الإكرام ، حتى طرحوه في الجبّ ، فخلّصه الله تعالى منه ، بمن أدلى الدلو[1] ، ثم استُعْبِدَ ، فألقى الله تعالى في قلب من صار إليه إكرامه ، واتّخاذه ولداً ، ثم مراودة امرأة العزيز إيّاه عن نفسه ، وعصمة الله له منها ، وكيف جعل عاقبته بعد الحبس ، إلى ملك مصر ، وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء ، وما لحق إخوة يوسف من التسرّق[2] ، وحبس أحدهم نفسه ، حتى يأذن له أبوه ، أو يحكم الله له ، وكيف [٧ ظ] أنفذ يوسف إلى أبيه قميصه ، فردّه الله به بصيراً ، وجمع بينهم ، وجعل كلّ واحد منهم بالباقين وبالنعمة مسروراً[3] .

---

١ في م : بمن أدلى دلوه .

٢ التسرّق : السرقة شيئاً فشيئاً .

٣ في م : وجعل كلّ واحد منهم مسروراً بصاحبه .

٧

قصّة أيّوب عليه السلام

وأيّوب عليه السلام ، وما امتُحِنَ به من الأسقام وعظم [٨ غ] اللأواء[١] ، والدود والأدواء ، وجاء القرآن بذكره ، ونطقت الأخبار بشرح أمره ، قال الله تعالى : ﴿ وأيّوب إذ نادى ربّه ، أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضرّ ، وآتيناه أهله ، ومثلهم معهم ، رحمة من [٨ م] عندنا ، وذكرى للعابدين ﴾[٢] .

وأخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان الفسوي[٣] ، قراءة عليه بالبصرة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، قال : حدّثنا يعقوب بن سفيان الفسوي[٤] ، قال : حدّثنا عمرو بن مرزوق[٥] ، قال : حدّثنا شعبة[٦] ، عن قتادة[٧] ، عن النضر بن

---

١ اللأواء : الشدّة والمحنة ، وفي م : وعظيم البلاء .   ٢ ٨٣ ك الأنبياء ٢١ .

٣ أبو علي الحسن بن محمّد بن عثمان الفسوي : نزيل البصرة ، أحد أساتذة القاضي التنوخي ، مؤلّف هذا الكتاب ، عنده أكثر مصنفات أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ، ثقة نبيل (الأنساب للسمعاني ٤٢٩ ، وفيات الأعيان ٤ / ١٥٩ – ١٦٢) .

٤ أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي : من الأئمة الكبار ، رحل إلى المشرق والمغرب ، وصنّف فأكثر ، مع الورع ، والنسك ، توفّي بالبصرة سنة ٢٧٧ (الأنساب ٤٢٩ ، المشتبه في الرجال ٦٤٠ ، اللباب ٢ / ٢١٥) والفسوي : نسبة إلى فسا مدينة بفارس ، وأهلها يسمّونها بسا ، والنسبة إليها عندهم بساسيري (معجم البلدان ٣ / ٨٩٢) ، أقول : ومنها أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري الذي أخرج الخليفة القائم العبّاسي من بغداد ، وخطب للفاطميين في السنة ٤٥٠ (الأعلام ١ / ٢٧٦) .

٥ عمرو بن مرزوق الباهلي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٢٨٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٤ .

٦ أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي (٨٢ – ١٦٠) : محدّث ، حافظ ، ولد بواسط ، ونشأ بالبصرة (الأعلام ٣ / ٢٤١) .

٧ أبو الخطّاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري (٦١ – ١١٨) : حافظ ، مفسّر ، محدّث ، رأس في العربية وأيّام العرب (الأعلام ٦ / ٢٧) .

أنس[8] عن بشير بن نهيك[9] عن أبي هريرة[10] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما عافى الله عزّ وجلّ أيوب عليه السلام ، أمطر عليه جراداً من ذهب ، قال : فجعل يأخذه ، ويجعله في ثوبه ، فقيل له : يا أيّوب أما تشبع ؟ قال : ومن يشبع من رحمة الله ؟ .

---

٨ النضر بن أنس بن مالك بن النضر الأنصاري : أبوه أنس خادم رسول الله وصاحبه ، وآخر من مات بالبصرة من الصحابة ، وقد جاوز المائة (الأعلام ١ / ٣٦٥) وكان النضر من خصوم بني أميّة ، وكذلك أخوه عبد الله الذي قتل وهو يحارب الحجّاج بالبصرة مع عبد الله بن الجارود سنة ٧٥ (ابن الأثير ٤ / ٣٨٥) وكان النضر يحضّ الناس بالبصرة على طاعة يزيد بن المهلّب ، لمّا ثار على الأمويين في السنة ١٠١ (الطبري ٦ / ٥٨٧ وابن الأثير ٥ / ٧٥ ، راجع الخلاصة ٣٤٤) .

٩ أبو الشعثاء بشير بن نهيك : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٣٣١ والخلاصة ٤٣ .

١٠ أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي : ترجمته في حاشية القصّة ٥٨ .

٨

قصّة يونس عليه السلام

ويونس عليه السلام ، وما اقتص[١] الله تعالى من قصّته في غير موضع من كتابه ، ذكر فيها التقام الحوت له ، وتسبيحه في بطنه ، وكيف نجّاه الله عزّ وجلّ ، فأعقبه بالرسالة والصنع .

قال الله تعالى : ﴿ وإنّ يونس لمن المرسلين ، إذ أبق إلى الفلك المشحون[٥ ر] ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوتُ وهو مليم ، فلولا أنّه كان من المسبّحين ، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ، وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾[٢] .

[قال صاحب الكتاب : « أو » ها هنا ظاهرها الشكّ ، وقد ذهب إلى ذلك قوم ، وهو خطأ ، لأنّ الشكَّ ، لا يجوز على الله تعالى ، العالم لنفسه ، العارف بكل شيء قبل كونه ، وقد روي عن ابن عباس ، وهو الوجه ، أنّه قال : أو يزيدون ، بل يزيدون ، وقال : كانت الزيادة ثلاثين ألفاً ، وروي عن ابن جبير[٣] ونوف الشامي[٤] أنّهما قالا : كانت الزيادة سبعين ألفاً ، فقد ثبت أنّ « أو » هنا ، بمعنى « بل » وقد ذهب إلى هذا ، الفرّاء[٥] ، وأبو عبيدة[٦] ، وقال آخرون :

---

١ في غ وم : وما قصّ .   ٢ ١٣٩ - ١٤٧ ك الصافات ٣٧ .

٣ أبو عبدالله سعيد بن جبير بن هشام : من عبّاد المكّيين ، وفقهاء التابعين ، قتله الحجّاج بن يوسف الثقفي في سنة ٩٥ صبراً (مشاهير علماء الأمصار ٨٢) .

٤ نوف بن فضالة الحميري البكالي : إمام أهل دمشق في عصره ، من رجال الحديث ، ومن رواة القصص ، وهو ابن زوجة كعب الأحبار ، توفّي نحو سنة ٩٥ (الأعلام ٩ / ٣١) .

٥ أبو زكريا ، يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور ، المعروف بالفرّاء (١٤٤ - ٢٠٧) : إمام الكوفيّين ، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ، ولد بالكوفة ، وانتقل إلى بغداد ، وأدّب أولاد المأمون (الأعلام ٩ / ١٧٨) .

إنّ « أو » ها هنا ، بمعنى « ويزيدون »][7] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً ، فظنّ أن لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنتَ سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ، ونجّيناه من الغمّ ، وكذلك ننجي المؤمنين ﴾[8] ، قال بعض المفسرين : معنى « لن نقدر عليه » « لن نضيّق عليه » .

وهذا مثل قوله : ﴿ ومن قدر عليه رزقه ، فلينفق مما آتاه الله ﴾[9] ، أي ضيّق عليه ، ومثل قوله : ﴿ قل إنّ ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾[10] .

وقد جاء « قدر » بمعنى « ضيّق » في القرآن ، في مواضع كثيرة ، ومن هذا قيل للفرس الضيّق الخطو : فرسٌ أقدر ، لأنّه لا يجوز أن يهرب من الله تعالى نبيّ من أنبيائه ، والأنبياء لا يكفرون ، ومن ظنّ أنّ الله تعالى لا يقدر عليه ، أي لا يدركه ، أو أنّه يعجز الله هرباً ، فقد كفر ، والأنبياء عليهم السلام ، أعلم بالله سبحانه ، من أن يظنّوا فيه هذا الظنّ الذي هو كفر .

وقد روي : أنّ من أدام قراءة قوله [٩ غ] عزّ وجلّ : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً .. الآية ﴾ ... إلى قوله : المؤمنين ، في الصلاة ، وغيرها ، في أوقات شدائده ، عجّل الله [له منها فرجاً ومخرجاً .

وأنا أحد من واصلها في نكبة عظيمة لحقتني ، يطول شرحها و][11] ذكرها عن هذا الموضع ، وكنت قد حبست ، وهدّدت بالقتل ، ففرّج الله عنّي ، وأطلقت في اليوم التاسع [٨ ظ] من يوم قبض عليّ فيه .

---

٦ أبو عبيدة معمر بن المثنّى البصريّ (١١٠ – ٢٠٩) : نحوي من أئمّة العلم بالأدب واللّغة ، ولد وتوفّي بالبصرة ، وكان حافظاً للحديث ، أباظياً شعوبياً (الأعلام ٨ / ١٩١) .

٧ تعليق المؤلّف على كلمة (أو) انفردت به ظ وغ ، ولا يوجد في م ولا في ر .

٨ ٧٨ ك الأنبياء ٢١ . * ٩ ٧ م الطلاق ٦٥ . * ١٠ ٣٩ ك سبأ ٣٤ . ١١ الزيادة من م وغ .

٩

قصّة موسى بن عمران عليه السلام

وموسى بن عمران عليه السلام ، فقد نطق القرآن بقصّته في غير موضع ، منها قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ، ولا تخافي ، ولا تحزني ، إنّا رادّوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً ، إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ، وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك ، لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً ، وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً إن كادت لتبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصّيه ، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وحرّمنا عليه المراضع من قبلُ ، فقالت هل أدلّكم على أهل بيتٍ يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون فرددناه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن ، ولتعلم أنّ وعد الله حقّ ، ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾[1] .

فلا شدّة أعظم من أن يبتلي الناسُ بملكٍ يذبح أبناءهم ، حتى ألقت أمّ موسى ابنها في البحر [مع طفوليّته][2] ، ولا شدّة أعظم من حصول طفل في البحر ، فكشف الله [تبارك اسمه][3] ذلك عنه ، بالتقاط آل فرعون له ، وما ألقاه في قلوبهم من الرقة[4] عليه ، حتى استحيوه ، وتحريم المراضع عليه حتى ردّوه إلى أمّه ، وكشف عنها الشدّة من [فراقه ، وعنه الشدّة في][2] حصوله في البحر .

ومعنى قوله تعالى : ليكون لهم عدوّاً وحزناً ، أي يصير عاقبة أمره معهم إلى

---

١ ٧ - ١٣ ك القصص ٢٨ .

٢ الزيادة من م .

٣ كذا في غ ، وفي م : تعالى .

٤ في غ : الرأفة وفي م : من الرحمة والمحبّة والرأفة .

عداوة لهم ، وهذه لام العاقبة ، كما قال الشاعر :

لدوا للموت وابنوا للخراب   وكلّكم يصير إلى ذهاب[٥]

وقد علم أنّ الولادة لا يقصد بها الموت ، والبناء لا يقصد به الخراب ، وإنّما عاقبة الأمر فيهما تصير إلى ذلك .

وعلى الوجه [٩ م] الأوّل ، قوله تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس ﴾[٦] أي إنّ عاقبة أمرهم ، وفعلهم ، واختيارهم لنفوسهم ، يصيّرهم إلى جهنم ، فيصيرون لها ، لأنّ الله عز وجل ، لم يخلقهم ليقصد تعذيبهم بالنار في جهنم ، عزّ الله عن هذا الظلم[٧] .

وجعل الله عاقبة أمر موسى عليه السلام ، من تلك الشدائد ، [وشدائد بعدها ، إذ أرسله إلى فرعون ، لتخليص بني إسرائيل ، وقصصه التي قبلها ، وحديثه إذ خرج خائفاً يترقّب ، فهذه شدّة أخرى كشفها الله تعالى عنه من تلك الشدائد][٨] ، وشدائد بعدها ، نالته ، يأتي ذكرها ، أن بعثه نبياً ، وأنقذ به بني إسرائيل من الشدائد التي كانوا فيها مع فرعون ، فقال عزّ وجلّ ، في تمام هذه القصّة : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، قال : يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فاخرج إنّي لك من الناصحين ، فخرج منها خائفاً يترقّب ، قال : ربّ نجّني من القوم الظالمين ﴾[٩] ، فهذه شدّة أخرى [١٠ غ] كشفها الله عزّ وجلّ .

قال تعالى : ﴿ ولما توجّه تلقاء مدين ، قال : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ، ولما ورد ماء مدين ، وجد عليه أمّة من النّاس يسقون ، ووجد من دونهم

---

٥ في ديوان أبي العتاهية ص ٢٣ ورد الشطر الثاني من البيت : فكلكم يصير إلى تباب .

٦ ١٧٩ ك ، الأعراف ٧ .

٧ في م : لا أنّ الله عزّ وجلّ ، خلقهم ليقصد تعذيبهم بالنار في جهنم ، جلّ الله تعالى عن الظلم .

٨ الزيادة من م .

٩ ٢٠ ك القصص ٢٨ .

امرأتين تذودان ، قال : ما خطبكما ، قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولّى إلى الظلّ ، فقال ربِّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾[10] ، فهذه [٦ ر] شدّة أخرى ، لحقته بالاغتراب ، والحاجة إلى الاضطراب في المعيشة والاكتساب ، فوفّق الله تعالى له شعيباً ، قال الله عز وجلّ ، في تمام هذه القصّة : ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ، قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه ، وقصّ عليه القصص ، قال لا تخف ، نجوتَ من القوم الظالمين ﴾[11] .

ثم أخبر الله تعالى في هذه القصّة ، كيف زوّجه شعيب ابنته ، بعد أن استأجره ثماني حجج ، وأنّه خرج بأهله [٩ ظ] من عند شعيب ، فرأى النار ، فمضى يقتبس منها ، فكلّمه الله تعالى ، وجعله نبيّاً ، وأرسله إلى فرعون ، فسأله أن يرسل معه أخاه هارون ، فشدّ الله تعالى عضده به ، وجعله نبيّاً معه ، فأي فرج أحسن من فرج أتى رجلاً خائفاً ، هارباً ، فقيراً ، قد آجر نفسه ثماني حجج[12] ، بالنبوّة والملك ؟

قال الله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون ، أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، ويذرك وآلهتك ، قال : سنقتّل أبناءهم ، ونستحيي نساءهم ، وإنّا فوقهم قاهرون ﴾[13] ، فهذه شدّة لحقت بني إسرائيل ، فكشفها الله عنهم ، قال سبحانه : ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ، إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتّقين ، قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعدما جئتنا ، قال عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في

---

١٠ ٢٢ ك القصص ٢٨ .

١١ ٢٥ ك القصص ٢٨ .

١٢ في م : عشر حجج .

١٣ ١٢٦ ك الأعراف ٧ .

الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ [١٤] .

وقال تعالى ، في تمام هذه القصّة ، في هذه السورة ، بعد آيات ، ﴿ وتمّت كلمةُ ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ، ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون ﴾ [١٥] ، فأخبر تعالى عن صنعه لهم ، وفلقه البحر حتى عبروه يبساً ، وإغراقه فرعون لمّا اتّبعهم .

وكلّ هذه أخبار عن محنٍ عظيمةٍ انجلت بمنحٍ جليلةٍ ، لا يؤدّى شكر الله عليها ، ويجب على العاقل تأمّلها ، ليعرف كنه تفضّل الله عزّ وجلّ بكشف شدائده وإغاثته ، بإصلاح كلّ فاسد لمن تمسّك بطاعته ، وأخلص في خشيته ، وأصلح من نيّته ، فسلك هذه السبيل ، فإنّها إلى النجاة من المكاره ، أوضح طريق ، [١٠ م] وأهدى دليل [١٦] .

١٠

قصّة أصحاب الأخدود

وذكر الله سبحانه [وتعالى] ، في « والسماء ذات البروج » ، أصحابَ الأخدود ، وروى قوم من أهل الملل المخالفة للإسلام عن كتبهم أشياء من ذلك ، فذكرت اليهود والنصارى : أنّ أصحاب الأخدود كانوا دعاة إلى الله ، وأنّ ملك بلدهم ، أضرم لهم ناراً ، وطرحهم فيها ، فاطّلع الله تعالى على صبرهم ، وخلوص نيّاتهم في دينه وطاعته ، فأمر النارَ أن لا تحرقهم ، فشوهدوا فيها قعوداً ، وهي تضطرم عليهم ، ولا تحرقهم ، ونجوا منها [١١ غ] ، وجعل الله دائرة السوء على الملك ، وأهلكه .

---

١٤ ١٢٧ ك الأعراف ٧ . * ١٥ ١٣٧ ك الأعراف ٧ . * ١٦ في م : وأهدى سبيل .

١١

قصّة دانيال عليه السلام

وذكر هؤلاء القوم : أنّ نبيًّا ، كان في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام بزمانٍ طويلٍ ، يقال له دانيال[١] ، وأنّ قومه كذّبوه ، فأخذه ملكهم ، فقذفه إلى أُسْدٍ مجوّعة في جبٍّ ، فلمّا اطّلع الله تعالى على حسن اتّكاله عليه ، وصبره طلباً لما لديه ، أمسك أفواه الأُسد عنه ، حتى قام على رؤوسها برجليه ، وهي مذلّلة ، غير ضارّة له ، فبعث الله تعالى إرميا[٢] من الشام ، حتى تخلّص دانيال من هذه الشدّة ، وأهلك من أراد إهلاك دانيال .

وعضدت روايتهم ، أشياء رواها أصحاب الحديث ، منها ما حدّثناه علي ابن أبي الطيّب الحسن بن علي بن مطرف الرامهرمزي[٣] ، قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن الجرّاح ، قال : حدّثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي[٤] ، قال : حدّثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني[٥] ، قال : إن لم أكن سمعته

---

١ النبي دانيال : صاحب سفر دانيال من أسفار العهد القديم ، وهو بطل نبوءة دانيال ، وضعه التقليد المسيحي في عداد الأنبياء الكبار الأربعة (المنجـد) .

٢ إرميـا : أحد كبار أنبياء بني إسرائيل الأربعة ، دعي إلى النبوّة قبل انقراض مملكة يهوذا ، وقاسى من ملوكها الاضطهادات إذ تنبأ لهم بسقوط أورشليم ، نسب إليه كتاب مراثي إرميا (المنجـد) .

٣ القاضي أبو الحسن عليّ بن أبي الطيّب الحسن بن عليّ بن مطرف بن بحر بن تميم بن يحيى الجراحي (٢٩٨ – ٣٧٦) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٣٨٧ .

٤ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، المعروف بابن أبي الدّنيا (٢٠٨ – ٢٨١) : حافظ ، مؤلّف ، أدّب المعتضد ، ثم أدّب ابنه المكتفي ، مولده ووفاته ببغداد (الأعلام ٤ / ٢٦٠ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٨٩) .

٥ أحمد بن الحسن بن عبد الأعلى الشيباني البغدادي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ٢٧١ .

من شعيب بن صفوان[٦] ، فحدّثنا بعض أصحابنا عنه ، عن الأجلح الكنديّ[٧] ، عن عبد الله بن أبي الهذيل[٨] قال : ضرّى بخت نصّر[٩] أسدين ، فألقاهما في جبٍّ ، وجا[١٠] بدانيال فألقاه عليهما ، فلم يهيجاه ، فمكث ما شاء الله ، ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون ، من الطعام والشراب ، فأوحى الله إلى إرميا ، وهو بالشام ، أن أعدّ طعاماً وشراباً لدانيال ، فقال : يا ربّ ، أنا بالأرض المقدّسة ، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق ، فأوحى الله تعالى إليه أن أعدّ ما أمرناك به ، فإنّا سنرسل إليك من يحملك ، ويحمل ما أعددت [١٠ ظ] ففعل ، فأرسل الله إليه من حمله ، وحمل ما أعدّ ، حتى وقف على رأس الجبّ .

فقال دانيال : مَن هذا ؟

قال : أنا إرميا .

قال : ما جاء بك ؟[١١]

قال : أرسلني إليك ربُّك .

قال : وذكرني ؟

---

٦ أبو يحيى شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفي : ترجم له صاحب كتاب مشاهير علماء الأمصار ١٧٥ وميزان الاعتدال ٢ / ٢٧٦ والخلاصة ١٤١ .

٧ أبو حجية يحيى بن عبدالله الكوفي الشيعي ، المعروف بالأجلح الكندي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٨٨ .

٨ أبو المغيرة عبد الله بن أبي هذيل العبدي الكوفيّ : ذكره صاحب الخلاصة ١٨٤ .

٩ بخت نصر ، أو نبوخذ نصّر (٦٠٤ ق.م. – ٥٦١ ق.م.) : ملك بابل ، أغار على مصر ، وفتح أورشليم ، وأحرقها ، وأجلى أهل يهوذا إلى بابل (المنجد) .

١٠ قوله : جا ، أصلها جاء ، حذفت الهمزة على طريقة البغداديين في حذف الهمزة إذا وردت في آخر الكلمة ، قال الشاعر [العقد الفريد ٤ / ٣٤٤]

عشية جا أهل العراق كأنّهم ... سحاب خريف صفّقته الجنائب

راجع التفصيل في حاشية القصّة ١٦٧ من هذا الكتاب .

١١ في م : قال : ما حاجتك ؟

قال : نعم .

قال : الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكَره ، والحمد لله الّذي لا [٧ ر] يخيّب من رجاه [والحمد لله الذي من توكّل عليه كفاه][١٢] ، والحمد لله الّذي من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الّذي يجزي بالإحسان إحساناً ، [وبالسيّئات غفراناً][١٢] ، والحمد لله الّذي يجزي بالصبر نجاة ، والحمد لله الّذي يكشف ضرّنا ، بعد كربنا ، والحمد لله الّذي هو ثقتنا ، حين تسوء ظنوننا بأعمالنا ، والحمد لله الّذي هو رجاؤنا ، حين تنقطع الحيل منّا[١٣] .

---

١٢ الزيادة من م .

١٣ في غ وم : حين ينقطع الحبل منّـا ، وقد ورد الخبر بكامله في مخطوطة (د) ص ١٥٨ .

١٢

الشّدائد التي جرت على نبيّنا محمد صلوات الله عليـه

وقد ذكر الله تعالى في محكم كتابه ، الشدّة التي جرت على محمّد صلّى الله عليه ، وعلى آله الأخيار ، فيما اقتصّه من قصّة الغار ، فقال سبحانه : ﴿ إلاّ تنصروه ، فقد نصره الله ، إذ أخرجه الّذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيّده بجنود لم ترَوها ، وجعل كلمة الّذين كفروا السفلى ، وكلمةُ الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ﴾[١] .

وروى أصحاب الحديث ، ما يطول إعادته بألفاظه وأسانيده ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، لمّا خاف أن يلحقه المشركون ، حين سار عن مكّة مهاجراً ، دخل الغار هو وأبو بكر الصدّيق ، فاستخفى فيه ، فأرسل الله عنكبوتاً فنسج في الحال على باب الغار ، وحمامة عشّشت ، وباضت ، وفرّخت للوقت ، فلما انتهى المشركون إلى الغار ، رأوا ذلك ، فلم يشكّوا أنّه غار لم يدخله حيوان [١١ م] منذ حين ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبا بكر ، ليريان أقدامهم ، ويسمعان كلامهم ، فلمّا انصرفوا ، وأبعدوا ، وجاء الليل ، خرجا [١٢ غ] ، فسارا نحو المدينة ، فورداها سالمين .

وروى أصحاب الحديث أيضاً ، من شرح حال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ،

---

١ ٤٠ م التوبة ٩ .

في المحن التي لحقته من شقّ الفرث عليه[2] ، ومحاولة أبي جهل[3] ، وشيبة[4] وعتبة[5] ابني ربيعة ، وأبي سفيان صخر بن حرب[6] والعاص بن وائل[7] ، وعقبة بن أبي

---

٢ الفرث : السرجين ما دام في داخل الكرش ، يشير المؤلف إلى ما رواه الطبري ٢ / ٣٤٣ : أنّ مشركي قريش كانوا يؤذون النبيّ صلوات الله عليه فيطرحون عليه رحم الشاة وهو يصلّي ، وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٠ إنّ أبا لهب كان جار النبيّ صلوات الله عليه ، فكان يطرح النتن والعذرة على باب النبيّ ، فكان عليه السلام يقول : أيّ جوار هذا يا بني عبد المطّلب .

٣ أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزوميّ : من أشدّ النّاس عداوة للنبيّ صلوات الله عليه ، وللإسلام ، بغياً منه وحسداً ، قتل في وقعة بدر سنة ٢ هجرية (الأعلام ٥ / ٢٦١) .

٤ شيبة بن ربيعة بن عبد شمس : عمّ هند ، أمّ معاوية بن أبي سفيان ، كان من أشدّ النّاس عداوة للنبيّ صلوات الله عليه ، وللمسلمين ، قتل وهو يحارب المسلمين في وقعة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية (الأعلام ٣ / ٢٦٤) .

٥ أبو الوليد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس : والد هند ، أمّ معاوية بن أبي سفيان ، حارب النبيّ صلوات الله عليه والمسلمين ، وقتله المسلمون في وقعة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية (الأعلام ٤ / ٣٥٩) .

٦ أبو سفيان صخر بن حرب بن أميّة (٥٧ ق – ٣١ هـ) : والد معاوية ، كان من رؤساء المشركين في محاربة الإسلام عند ظهوره ، حارب النبيّ صلوات الله عليه في بدر ، وأحد ، والخندق (الأعلام ٣ / ٢٨٨) ، وكان أشدّ النّاس عداوة لرسول الله ، وأعظمهم مخالفة له ، وأوّلهم في كلّ حرب ومناصبة ، لا ترفع على الإسلام راية إلاّ كان صاحبها ، وقائدها ، ورئيسها (الطبري ١٠ / ٥٧ و٥٨) وكانت طبيعته القبليّة الأرستقراطيّة ، طاغية على جميع تصرّفاته ، فقد عادى الإسلام والمسلمين ، لاقتناعه بأنّ الإسلام يضعف من شأن الأرستقراطيّة القرشية ، وقد صرّح بذلك على جثّة حمزة ، عمّ النبيّ ، لمّا وقف عليه قتيلاً ، في وقعة أحد ، فأخذ يضرب برمحه في شدق حمزة ، وهو يقول : ذق عقق (الأغاني ١٥ / ٢٠٠) ، يتّهمه بأنّه عقّ الأرستقراطيّة القرشية ، كما رؤي بعد ذلك ، في أيّام عثمان ، واقفاً على قبر حمزة ، يقول له : رحمك الله ، يا أبا عمارة ، لقد قاتلتنا على أمر صار إلينا (الإمتاع والمؤانسة ٢ / ٧٥) . ولمّا توفّي النبيّ ، واستخلف أبو بكر ، تحرّكت فيه أرستقراطيّته من جديد ، فجاء إلى عليّ ، فقال له : يا أبا الحسن ، ما بال الأمر في أضعف قريش ، وأقلّها ؟ لو شئتَ ، ملأتها عليهم خيلاً ورجالاً ، فقال له عليّ : يا أبا سفيان ، طالما عاديتَ الله ورسوله والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً ، قد رضينا لها أبا بكر (الأغاني ٦ / ٣٥٥) ، وأدّى بأبي سفيان حقده على الإسلام والمسلمين ، أن هجا النبيّ محمّداً (أدب الكتاب ١٥٤) ، وحقد على الأنصار ، لأنّهم

معيط[8] ، وغيرهم ، قتلَه ، وما كانوا يكاشفونه به ، من السبّ والتكذيب ، والاستهزاء والفدع[9] والتأنيب[10] ، ورميهم إيّاه بالجنون ، وقصدهم إيّاه غير دفعة بأنواع الأذى والعضيهة[11] والافتراء ، وحصرهم إيّاه صلّى الله عليه وسلّم ، وجميع بني هاشم في الشِّعب[12] ، وتخويفهم إيّاه ، وتدبيرهم أن يقتلوه ، حتى بَعُدَ ، وبيّت عليًّا عليه السلام ، على فراشه[13] ، ما يطول اقتصاصه ، ويكثر شرحه ، ثم أعقبه الله تعالى ، من ذلك ، بالنصر والتمكين ، وإعزاز الدين ، وإظهاره على كلّ دين ، وقمع الجاحدين والمشركين ، وقتل أولئك الكفرة المارقين والمعاندين ، وغيرهم من المكذّبين الكاذبين ، الذين كانوا عن الحق ناكثين ،

عاونوا في نشر الإسلام (الأغاني ٦ / ٣٥٨) وقد تبلور هذا الحقد في حفيده يزيد ، فذبح أهل المدينة ، المذبحة التاريخيّة (اليعقوبي ٢ / ٢٥٣) ، وتمثّل بأبيات من الشعر ، تدلّ على أنّه انتقم منهم لقتلهم المشركين في موقعة بدر (رسائل الجاحظ ١٩ – ٢٠) ، راجع بعض أخبار أبي سفيان في الطبري ٣ / ٥٤ – ٦٣ والأغاني ٦ / ٣٤٣ و ٣٥٤ – ٣٥٨ واليعقوبي ٢ / ٥٩ و ٢١٧ والإمتاع والمؤانسة ٣ / ٧٨ والبصائر والذخائر م٢ ق٢ ص ٧٠٢ .

٧ العاص بن وائل بن هاشم السهمي : أحد المستهزئين بالنبيّ صلوات الله عليه ، مات وثنيًّا كافراً ، (الاعلام ٤ / ١١) .

٨ أبو الوليد عقبة بن أبي معيط الأموي : كان عظيم العداوة للإسلام ، شديد الأذى للمسلمين ، أسر في وقعة بدر ، وقتل (الإعلام ٥ / ٣٦) .

٩ الفدع : الشدخ .

١٠ راجع الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٠ – ٧٦ .

١١ العضيهة ، وجمعها عضائه : البهتان والكلام القبيح .

١٢ الشِعب : بكسر الشين ، ما انفرج بين الجبلين ، وقد كان من جملة الأذى الذي تعرض له رسول الله صلوات الله عليه لما صدع بدعوة الإسلام أن اتفقت قريش وكتبت صحيفة بمقاطعة بني هاشم فلا يعاملونهم في بيع ولا شراء ولا نكاح ، وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم إلى شِعب أبي طالب ودخلوا فيه ، واستمرّت القطيعة ثلاث سنوات ، ثم تقدّم قوم من قريش فأبطلوا الصحيفة ، وخرج بنو هاشم من الشِعب . للتفصيل راجع الكامل لابن الأثير ٢ / ٨٧ – ٩٠ .

١٣ الطبري ٢ / ٣٧٢ والكامل لابن الأثير ٢ / ١٠٣ .

وبالدين مستَهزئين ، وللمؤمنين مناصبين متوعِّدين ، وللنبيّ صلّى الله عليه وسلّم مكاشفين محاربين ، وأذلّ من بقيَ منهم بعزّ الإسلام بعد أن عاذ بإظهاره ، وأضمر الكفر في إسراره ، فصار من المنافقين[14] الملعونين ، والحمد لله ربِّ العالمين .

١٤ المنافق في الدين : الذي أظهر الايمان بلسانه ، وستر كفره بقلبه ، من النفق : السرب في الأرض ، وسرب اليربوع يقال له : النافقاء ، له طرفان ، حتى إذا طلب من أحدهما ، خرج من الآخر ، وقد اشتقّ منه اسم المنافق ، لأنه دخل في الإسلام ، ثم خرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه (المنجد ، لسان العرب) .

١٣

أخبار جاءت في آيات من القرآن

وهي تجري في هذا الباب وتنضاف إليه

حدّثنا علي بن أبي الطيّب بن مطرف ، قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن الجرّاح[١] ، قال حدّثنا أبو بكر [عبد الله بن محمد القرشي المعروف با][٢] بن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا إبراهيم بن راشد[٣] ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن حمّاد الشعيثي[٤] ، قال : حدّثنا كهمس بن الحسن[٥] ، عن أبي السليل[٦] ، قال : قال أبو ذر[٧] : كان نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم ، يتلو هذه الآية : ﴿ومن يتّقِ اللهَ يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكّل على الله فهو

---

١ أبو بكر أحمد بن محمّد بن الفضل بن جعفر بن محمّد بن الجرّاح ، المعروف بالخزّاز : أديب ، ثقة ، فارس ، عالم ، كثير الكتب ، ظاهر الثروة ، توفّي سنة ٣٨١ (المنتظم ٧ / ١٦٥ ، معجم الأدباء ٢ / ٧٩ ، تاريخ بغداد للخطيب ٥ / ٨١ – ٨٢ ، نشوار المحاضرة ٤ / ١٦) .

٢ الزيادة من م.

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن راشد بن سليمان الآدمي : ترجم لـه الخطيب في تاريخه ٦ / ٧٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٤ عن ثمانين سنة .

٤ أبو سلمة عبد الرحمن بن حمّاد الشعيثي البصري : ينسب إلى شعيث ، بطن من بلعنبر بن عمرو ابن تميم ، ترجم لـه السمعاني في الأنساب ٣٣٥ ، وذكره الذهبيّ في المشتبه ٢ / ٣٩٨ ، ورد اسمه في نسخة م : عبد الرحمن بن حامد الشعبي ، وهو تصحيف ، والصحيح ما أثبتناه .

٥ أبو الحسن كهمس بن الحسن التميمي البصري : ترجم لـه البستي في مشاهير علماء الأمصار ص ١٥٢ ، وقال إنّه توفّي سنة ١٤٩ .

٦ أبو السليل عبيد الله بن إياد بن لقيط : ذكره الذهبيّ في ميزان الاعتدال ٣ / ٣ وفي المشتبه ١ / ٣٦٧ .

٧ أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري : من كبار الصحابة ، كان خامس من أسلم ، قال عنه النبيّ صلوات الله عليه : ما أقلّت الغبراء ، ولا أظلّت الخضراء ، أصدق لهجة من أبي ذرّ ، نفاه عثمان إلى الربذة ، وتوفّي بها سنة ٣٢ (الاعلام ٢ / ١٣٧ ، شذرات الذهب ١ / ٣٩) .

حسبه ، إنّ الله بالغ أمره ﴾[8] ، ثم يقول : يا أبا ذرّ ، لو أنّ النّاس كلّهم أخذوا بها لكفتهم[9] .

وحدّثنا علي بن الحسن[10] ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل[11] ، قال : حدّثنا سفيان[12] ، عن مسعر[13] ، عن علي بن بذيمة[14] ، عن أبي عبيدة[15] ، قال : جاء رجلٌ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال [١١ ظ] إنّ بني فلان أغاروا عليّ ، فذهبوا بإبلي وابني ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ آل محمدٍ ، لكذا وكذا أهلّ[16] ، ما فيهم مُدّ[17] من طعام ، أو صاع[18] من طعام ، فسَلِ الله عزّ وجلّ .

---

٨ ٢ و٣ م الطلاق ٦٥ .

٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٤ .

١٠ في م : عليّ بن أبي الطيّب .

١١ أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل المعروف بالطالقاني ، ويعرف أيضاً باليتيم : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٣٤ وقال : إنّه توفّي ببغداد سنة ٢٣٠ .

١٢ أبو محمّد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي (١٠٧ – ١٩٨) : ولد بالكوفة ، وقدم إلى بغداد ، وأقام بمكّة ، حافظ ، ثقة ، كبير القدر ، واسع العلم ، قال عنه الشافعي : لولا مالك وابن عيينة ، لذهب علم الحجاز (الاعلام ٣ / ١٥٩) .

١٣ أبو سلمة مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري : ذكره البستي في كتابه مشاهير علماء الأمصار ص ١٦٩ ، وقال : كان متقناً ، توفّي سنة ١٥٥ .

١٤ علي بن بذيمة : ذكره الذهبي في المشتبه ١ / ٥٥ ، وترجم له البستي في مشاهير علماء الأمصار ص ١٦٦ وقال : إنّه مولى جابر بن سمرة السوائي وكان يقيم بالكوفة مدّة ، وبالجزيرة زماناً ، توفّي سنة ١٣٣ .

١٥ أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال الفهري القرشيّ (٤٠ ق – ١٨ هـ) : الأمير ، القائد ، فاتح الشام ، سمّاه النبيّ أمين هذه الأمّة (الاعلام ٤ / ٢١) .

١٦ أهلّ الشّهر : ظهر هلاله ، والشهر في الشرع : عبارة عمّا بين هلالين من الأيّام ، وإنّما سمّي الشهر شهراً لإشهاره بالهلال (مجمع البيان ٥ / ٥١٧ و ٥١٨) .

١٧ المدّ : رطل وثلث ، والرطل نصف المن ، والمن وزن ٢٥٧ درهماً وسبع الدرهم (مفاتيح العلوم للخوارزمي ١١) .

فرجع إلى امرأته ، فقالت : ما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرهـا .

فقالت : نعمَ ما ردّك إليه .

فما لبث أن ردّ الله عليه إبله أوفر ما كانت ، فأتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره .

فصعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر الناس بمسألة الله عزَّ وجلّ ، والرجوع إليه ، والرغبة فيه ، وقرأ عليهم ﴿ ومن يتّق الله [٨ ر] يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيثُ لا يحتسب ﴾[١٩] .

وحدّثني عليّ بنُ أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا [أبو عبد الرحمن القَرشي][٢٠] ، عن إسحاق بن سليمان[٢١] [١٣ غ] ، عن معاوية بن يحيي[٢٢] ، عن يونس بن ميسرة[٢٣] ، عن أبي إدريس الخولاني[٢٤] ، عن أبي الدرداء[٢٥] ، وسئل عن هذه الآية : ﴿ كلّ يوم هو في

---

١٨ الصاع : أربعة أمداد (عند أهل المدينة) وثمانية أرطال (عند أهل الكوفة) (مفاتيح العلوم ١١) .

١٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٤ و ١٣٥ ، ونقله صاحب حلّ العقال ص ٣ .

٢٠ الزيادة من مخطوطة (د) .

٢١ أبو يحيى إسحاق بن سليمان العبدي الكوفي المعروف بأبي إسحاق الرازي : ترجم لـه الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٢٤ وقال عنه إنّه لقّب بالرازي ، لأنّه انتقل إلى الري ، وتوفّي بها سنة ٢٠٠ .

٢٢ أبو روح معاوية بن يحيي الصدفي الدمشقي : ترجم لـه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤ / ١٣٨ .

٢٣ يونس بن ميسرة بن حلبس الدمشقي الزاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٣٧٩ و ٣٨٠ وذكر أنّه قتل سنة ١٣٢ بدمشق .

٢٤ أبو إدريس عـائذ بن عبدالله الخولاني (٨ — ٨٠) : تابعيّ ، فقيه ، عالم ، ولي قضاء دمشق لعبد الملك ابن مروان (الاعلام ٤ / ٤) .

٢٥ أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أميّة الخزرجي الأنصاري : صحابيّ ، حكيم ، فارس ، قاض ، اشتهر بالشجاعة والنسك ، قال عنه النبيّ صلوات الله عليه : عويمر حكيم أمّتي ، وقال عنه : نعم الفارس عويمر ، توفّي بدمشق سنة ٣٢ (الاعلام ٥ / ٢٨١) .

شأن ﴾[٢٦] ، قال : سُئل عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [١٢ م] ، فقال : إنّ من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويكشف كرباً ، ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين[٢٧] .

أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب[٢٨] ، قال : أنبأنا محمد بن عبد الواحد[٢٩] ، أبو عمر ، قال :

حدّثنا بشر بن موسى الأسدي[٣٠] ، قال : حدّثنا أبو بكر الأسدي[٣١] ، قال : حدّثنا أبو حاتم الرازي[٣٢] ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الكريم[٣٣] ، قال : سمعت سعيد بن عنبسة[٣٤] يقول : بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصى ويحذف بها ، إذ رجعت حصاة منها فصارت في أذنه ، فجهد بكلّ حيلة ، فلم يقدر على إخراجها ، فبقيت الحصاة في أذنه دهراً تؤلمه ، فبينما هو ذات يوم جالس ، إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ... الآية ﴾ ،

---

٢٦ ٢٩ م الرحمن ٥٥ .

٢٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٣ .

٢٨ أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفّر الكاتب ، المعروف بالحاتمي : بغدادي ، أديب ، نقّاد ، له مؤلفات في الأدب ، توفّي سنة ٣٨٨ (الأعلام ٦ / ٣١٢ والأنساب ١٤٩ والمنتظم ٧ / ٢٠٥) .

٢٩ أبو عمر محمّد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، غلام ثعلب ، الملقب بالزاهد : عالم ، زاهد ، ترجم له صاحب المنتظم ٦ / ٣٨٠ والخطيب في تاريخه ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٩ وهو أحد أساتذة التنوخي ، راجع القصّة ٤ / ١٠٨ من نشوار المحاضرة .

٣٠ أبو علي بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي (١٩٠ - ٢٨٨) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٧ / ٨٦ .

٣١ أبو بكر محمّد بن عبدالله بن ابراهيم الأسدي ، المعروف بابن الأكفاني : والد القاضي أبي محمد الأسدي ، كان ثقةً نبيلاً ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٥ / ٤٥٠ .

٣٢ أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظليّ الرّازي (١٩٥ - ٢٧٧) : حافظ ، محدّث ، من أقران البخاري ومسلم ، توفّي ببغداد (الأعلام ٦ / ٢٥٠) .

٣٣ محمّد بن عبد الكريم المروزي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٦٣٠ .

٣٤ سعيد بن عنبسة : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ١٥٤ .

فقال الرجل : يا ربّ أنت المجيب ، وأنا المضطرّ ، فاكشف ضرّ ما أنا فيه ، فنزلت الحصاة من أذنه .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد لقيت أنا أبا عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ، وبالزاهد ، وحملت عنه ، وأجاز لي جميع ما يصحّ عندي من رواياته ، ولم أسمع هذا الخبر منه ، إلاّ أنّه قد دخل في الإجازة .

حدّثنا علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا خالد بن خداش[٣٥] ، قال : حدّثنا عبدالله بن زيد بن أسلم[٣٦] ، عن أبيه [زيد[٣٧] عن أبيه] أسلم[٣٨] : أنّ أبا عُبيدة حصر ، فكتب إليه عمر : مهما نزل بامرئ من شدّة ، يجعل له الله بعدها فرجاً ، ولن يغلب عسرٌ يسرين ، فإنّه يقول : ﴿ اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتّقوا الله لعلّكم تفلحون ﴾[٣٩] .

حدثنا علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا الحسن بن علي[٤٠] ، قال : حدّثنا أحمد بن صالح[٤١] ، قال :

---

٣٥ أبو الهيثم خالد بن خداش بن عجلان : مولى آل المهلّب ، بصريّ ، سكن بغداد ، وتوفّي بها سنة ٢٢٣ ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ٣٠٤ .

٣٦ عبد الله بن زيد بن أسلم : ترجم له الذهبيّ في ميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٥ .

٣٧ أبو أسامة زيد بن أسلم : مولى عمر بن الخطّاب ، من التابعين بالمدينة ، توفّي سنة ١٣٦ (مشاهير علماء الأمصار ٨٠) .

٣٨ أبو خالد أسلم : مولى عمر بن الخطّاب ، من التابعين بالمدينة توفّي سنة ١١٤ (مشاهير علماء الأمصار ٧٤) .

٣٩ ٢٠٠ م آل عمران ٣ ، ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٧ .

٤٠ أبو علي الحسن بن علي بن شبيب المعمري : بغدادي ، من حفّاظ الحديث ، ترجم له الخطيب البغدادي ٧ / ٣٦٩ وقال : إنّه توفّي ببغداد سنة ٢٩٥ .

٤١ أبو جعفر أحمد بن صالح المقرئ (١٧٠ – ٢٤٨) : من المحدّثين الثّقاة ، طبري الأصل ، ورد بغداد ، ثم أقام بمصر ، وتوفّي بها ، ترجم له الخطيب البغدادي ٤ / ١٩٥ .

حدّثنا عبد الله بن وهب[٤٢] ، قال : حدّثنا أبو صخر[٤٣] : أنّ يزيد الرقاشي[٤٤] حدّثه ، قال : سمعت أنس بن مالك[٤٥] ، ولا أعلم إلاّ أنّ أنساً يرفع الحديث إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّ يونس عليه السلام ، حين بدا له أن يدعو الله عزّ وجلّ[٤٦] بالظُلمات ، حين ناداه وهو في بطن الحوت ، فقال : اللّهم ، ﴿ لا إله إلّا أنتَ ، سبحانك إنّي كنت من الظالمين ﴾[٤٧] ، فأقبلت الدعوة تحفّ بالعرش .

فقالت الملائكة : يا ربّ هذا صوت ضعيفٍ مكروبٍ ، من بلاد غربة .

فقال : أما تعرفون ذاك ؟

قالوا : ومن هو ؟

قال : ذاك عبدي يونس ، الذي لم يزل يرفع له عمل متقبّل ، ودعوة مجابة .

قالوا : يا ربّ ، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء ، فتنجيه من البلاء ؟

قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه بالعراء .

قال أبو صخر : فأخبرني أبو سعيد [بن بسيط][٤٨] وأنا أحدّثه[٤٩] بهذا

---

٤٢ أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري (١٢٥ – ١٩٧) : ترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٥٢١ وقال عنه إنّه أحد الأثبات والأئمّة الأعلام .

٤٣ أبو صخر حميد بن زياد (وقيل صخر) الخرّاط المدني : ترجم لـه صاحب الميزان ١ / ٦١٢ – ٦١٣ والخلاصة ٨٠ .

٤٤ أبو عمرو يزيد بن أبان بن عبد الله البصريّ الرقاشي : يروي عن أنس بن مالك ، ترجم له صاحب اللباب ١ / ٤٧٢ وقال : إنّه كان قاصّاً من خيار عباد الله ، نسبته إلى رقاش إمرأة من قيس عيلان .

٤٥ أبو ثمامة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري (١٠ ق – ٩٣ هـ) : صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، وخادمه ، أسلم صغيراً ، وخدم النبيّ إلى أن قبض ، ثم رحل إلى دمشق ، ثم إلى البصرة ، وتوفّي بها (الأعلام ١ / ٣٦٦) .

٤٦ في غ : جلّ اسمه .

٤٧ ٨٧ ك الأنبياء ٢١ .

٤٨ الزيادة من غ وفي مخطوطة (د) ابن قسيط .

٤٩ في غ : وأنا أحدّث .

الحديث ، أنّه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء ، فأنبت الله عليه اليقطينة[50] .

قلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟

قال : شجرة الدّباء[51] .

قال أبو هريرة : هيّأ الله تعالى له أروية[52] وحشيّة [١٤ غ] تأكل من حشيش الأرض، فتجيء ، فتفشج له[53] ، وترويه من لبنها كلّ عشيّة [١٢ ظ] وبكرة ، حتى نبت ، يعني لحمه[54] .

وقال أميّة بن أبي الصلت[55] ، قبل الإسلام ، في ذلك ، بيتاً من الشعر :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة   من الله ، لولا الله ألفي ضاحيا[56]

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثني ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا يوسف بن موسى[57] ، قال : حدّثنا عبيد الله بن موسى[58] عن

---

٥٠ اليقطين : واحدته يقطينة ، كل ما لا ساق له من النّبات ، كالقثّاء ، ثم غلب على القرع المستطيل ، وهو ما يسمّى في بغداد بالشِجَر (بكسر الشين وفتح الجيم) وهو في لبنان على نوعين ، يسمّى الأول : الكوسة ، والثاني : القرع .

٥١ الدباء ، واحدته دباءة : القرع .

٥٢ الأروية : الأنثى من الوعول ، للتفصيل راجع معجم الحيوان لمعلوف ١٧٩ .

٥٣ فشج البعير : باعد ما بين رجليه ليبول .

٥٤ في م : نبت شعره .

٥٥ أميّة بن أبي الصّلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي : شاعر جاهليّ حكيم ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، توفّي سنة ٥ هـ (الأعلام ١ / ٣٦٤) .

٥٦ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٧ و ١٣٨ .

٥٧ أبو يعقوب يوسف بن موسى بن راشد القطّان الكوفي : أصله من الأهواز ، ومتجره بالريّ ، وأقام ببغداد وحدّث بها ، توفّي سنة ٢٥٣ ، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١٤ / ٣٠٤ والخلاصة ٣٧٨ .

٥٨ عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ١٦ وقال عنه : إنّه شيخ البخاري ، وإنّه ثقة ، ذو زهد ، وعبادة ، وإتقان ، وإنّه توفّي سنة ٢١٣ .

إسرائيل[٥٩] عن أبي إسحاق[٦٠] ، عن عمرو بن ميمون[٦١] ، قال : حدّثنا عبدالله ابن مسعود[٦٢] في بيت المال[٦٣] ، قال : لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام ، أهوى به إلى قرار الأرض ، فسمع يونس تسبيح الحصى في الظلمات ، ظلمات ثلاث ، بطن الحوت ، وظلمات الليل ، وظلمة البحر ، فنادى في الظلمات ﴿ أن لا إله إلاّ أنت ، سبحانك إنّي كنت من الظالمين ﴾ ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ ، قال : كهيأة الفرخ الممعوط[٦٤] ، الذي ليس له ريش[٦٥] .

---

٥٩ أبو يوسف إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي : ترجم لـه الخطيب في تاريخه ٧ / ٢٠ وقال : إنّه توفّي سنة ١٦٢ ، راجع الخلاصة ٢٧ .

٦٠ أبو إسحاق عمرو بن عبيد الله السبيعي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٠ وقال عنه : إنّه من أئمّة التابعين بالكوفة .

٦١ أبو عبد الله عمرو بن ميمون الجزري : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ١٨٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٤٥ ، راجع الخلاصة ٢٤٩ .

٦٢ أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذليّ : صحابي جليل ، من السابقين إلى الإسلام ، كان خادم النبيّ صلوات الله عليه ، وصاحب سرّه ، ورفيقه في غزواته ، توفّي سنة ٣٢ (الأعلام ٤ / ٢٨٠) .

٦٣ ولي عبد الله بن مسعود ، بعد وفاة النبيّ ، بيت مال الكوفة .

٦٤ الممعوط : الذي سقط شعره ، وعامّة بغداد يكنّون عمن أوغل في الشرّ والحيلة بقولهم (ذيب أمعط) .

٦٥ في غ : ليس عليه ريش ، ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

١٤

أبو الحسن بن أبي اللّيث الكاتب يطلق من حبسه على إثر دعاءٍ دعا به

حدّثني فتى من الكتّاب البغداديّين ، يعرف [١٣ م] بأبي الحسن بن أبي اللّيث[1] ، وكان أبوه من كتّاب الجيل[2] ، يتصرّف مع لشكرورز بن سهلان الديلمي[3] ، أحد الأمراء – كان – في عسكر معزّ الدولة[4] ، قال :

---

١ أبو الحسن محمد بن أحمد الكاتب البغدادي ، ابن أبي الليث الهمذاني : روى عنه القاضي التنوخي ، في الجزء الثالث من كتابه نشوار المحاضرة أبياتاً من شعره (القصّة ٣ / ٤٦ نشوار المحاضرة) ، وروى عنه كذلك أبياتاً قرأها على القصر الأحمدي بسامراء (القصّة ٣ / ١٧٠ نشوار المحاضرة) ونقل عنه أيضاً قصّتين ، إحداهما عن عقيلي سلّ فرساً ، والثانية عن دكين البدوي ، من النمر بن قاسط ، سلّ فرس معزّ الدولة من أقرب المواضع إلى موضع مبيته (القصّة ٣ / ١٦٨ و ١٦٩ من نشوار المحاضرة) ، ترجم له صاحب الوافي بالوفيات ٢ / ٤٩ .

٢ الجيل : قوم من الفرس من أهالي جيلان ، وهي منطقة كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان (معجم البلدان ٢ / ١٧٩) .

٣ أبو منصور لشكرورز بن سهلان : من قوّاد معزّ الدّولة ، وكان محلّ ثقته ، بعث به في السنة ٣٣٥ إلى الأهواز مع عامل خراج ، واشترك في السنة ٣٤١ في الدفاع عن البصرة ضد هجمات يوسف بن وجيه صاحب عمان ، وفي السنة ٣٤٨ تزوّج بختيار بن معزّ الدّولة بابنته ، ومات لشكرورز في السنة ٣٤٨ (تجارب الأمم ٢ / ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٧٦) .

٤ الأمير معزّ الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه ، صاحب العراق : أصغر الإخوة الثلاثة أولاد بويه الذين حكموا الدّنيا ، الأكبر عماد الدّولة أبو الحسن علي ، والثاني ركن الدّولة أبو علي الحسن ، وهو الثالث ، لقّبهم بذلك المستكفي بالله ، وكانوا فقراء ببلدهم الديلم ، وكان معزّ الدّولة يحتطب ويحمل الحطب على رأسه ، ثم خدموا مرداويج بن زيار الدّيلمي ، وتقلّبت بهم الأحوال ، فملكوا الدّنيا ، وكان العراق من حصّة معزّ الدّولة ، ورده في السنة ٣٣٤ ولقي المستكفي ، فمنحه وأخويه ألقابهم ، ثم عزل المستكفي ونصب المطيع ، ومرض معزّ الدّولة ببغداد ، فعهد إلى ابنه عزّ الدّولة أبي منصور بختيار ، ←

قرأت في بعض الكتب ، إذا دهمك أمر تخافه ، فبت وأنت طاهر ، على فراش طاهر ، وثياب كلّها طاهرة ، واقرأ : ﴿ والشمس وضحاها ﴾[5] ، إلى آخر السورة ، سبعاً ، و ﴿ والليل إذا يغشى ﴾[6] [إلى آخر السورة][7] ، سبعاً ، ثم قل : اللهمّ اجعل لي فرجاً ومخرجاً من أمري ، فإنّه يأتيك في الليلة [الأوّلة][7] أو الثانية ، وإلى السابعة ، آتٍ في منامك ، يقول لك : المخرج منه كذا وكذا .

قال : فحبست بعد هذا بسنين ، حبسة طالت حتى أيست من الفرج ، فذكرته يوماً وأنا في الحبس ، ففعلت ذلك ، فلم أر في [٩ ر] الليلة الأوّلة ، ولا الثانية ، ولا الثالثة شيئاً ، فلما كان في الليلة الرابعة ، فعلت ذلك على الرسم ، فرأيت في منامي ، كأنّ رجلاً يقول لي : خلاصك على يد علي بن إبراهيم .

فأصبحت من غدٍ متعجّباً ، ولم أكن أعرف رجلاً يقال له علي بن إبراهيم ، فلما كان بعد يومين ، دخل إليّ شاب لا أعرفه ، فقال لي : قد كفلت بما عليك ، فقم ، وإذا معه رسول إلى السجّان بتسليمي إليه ، فقمت معه ، فحملني إلى منزلي ، وسلّمني فيه ، وانصرف .

فقلت لهم : من هذا ؟

فقالوا : رجل بزّاز من أهل الأهواز ، يقال له علي بن إبراهيم ، يكون

وتوفّي سنة ٣٥٦ وعمره ٥٣ سنة ، وكانت إمارته ٢٢ سنة (المنتظم ٧ / ٣٨) وكان معزّ الدّولة حديداً جداً ، وهو مع ذلك سليم الباطن (نشوار المحاضرة القصّة ١ / ٤٧ و١ / ٧٠) وكان إذا حمي جدًّا ، قتل ، ثم ندم وبكى (نشوار المحاضرة القصّة ١ / ٧١) راجع أخبار معزّ الدّولة في نشوار المحاضرة ، القصص ١ / ٢٨ و٤٧ و٧٠ و٧١ و١٦٩ و١٨٤ و١٨٥ و١٨٦ و١٨٩ و٢ / ٦٢ و٣ / ٣٩ ، ٥٧ ، ٦١ ، ١٤١ ، ١٦٩ و٤ / ٢٣ و٦٧ و٨٩ و١٠٤ و١٠٥ و٧ / ٩٤ ، ٩٥ و٨ / ٩٣) .

٥ سورة الشّمس ك ٩١ .

٦ سورة الليل ك ٩٢ .

٧ الزيادة من غ .

في الكرخ ، قيل لنا إنّه صديق الذي حبسك ، فطرحنا أنفسنا عليه ، فتوسّط أمرك ، وضمن ما عليك ، وأخرجك .

قال مؤلّف هذا الكتاب : فلما كان بعد سنين ، جاءني علي بن إبراهيم هذا ، وهو معاملي في البزّ ، منذ سنين كثيرة ، فذاكرته بالحديث ، فقال : نعم ، كان هذا الفتى قد حبسه عبدوس بن أخت أبي علي الحسن بن إبراهيم النصرانيّ ، خازن معزّ الدولة[8] ، وطالبه بخمسة [١٥ غ] الآف درهم ، كانت عليه من ضمانه[9] ، وكان عبدوس لي صديقاً ، فجاءني من سألني خطابه في أمر هذا الرجل ، وجرى الأمر على ما عرّفتك .

---

٨ أبو علي الحسن بن إبراهيم الشيرازي النّصراني : كان خازن معزّ الدّولة البويهيّ ، وكاتم أسراره في السنة ٣٣٨ (تجارب الأمم ٢ / ١٢١) ، وإليه أسرّ معزّ الدّولة ، لمّا اختار المهلّبي للوزارة ، فمشى إلى المهلّبي ، وقبّل يده ، وخاطبه بالأستاذية (معجم الأدباء ٣ / ١٨٦) ، وكان يعنى كثيراً بأمر الابزاعجي صاحب شرطة بغداد (ورد ذكر الابزاعجي في نشوار المحاضرة ٣ / ١٤١ و ١٤٢) وكان الابزاعجي منقطعاً إليه (تجارب الأمم ٢ / ١٥٧) ، وفي السنة ٣٥٠ لما احتاج معزّ الدّولة إلى نفقة لبناء داره ، صادر المهلّبي الحاشية ، ومنهم أبو علي النّصراني ، فأظهر فقراً وحاجة ، واقترض من جميع الناس ، ولسعته دابّة وهو في الحبس ، فمات ، فأثار المهلّبي من تركته ما يزيد على مائتي ألف دينار (تجارب الأمم ٢ / ١٨٦ – ١٨٨ ومعجم الأدباء ٣ / ١٨٧) .

٩ في غ : من ضمان ضمنه عنه .

١٥

اللّهم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً

وما أعجب هذا الخبر ، فإنّي قد وجدته في عدّة كتب ، بأسانيد ، وبغير أسانيد ، على اختلاف الألفاظ ، والمعنى قريب[١] ، وأنا أذكر أصحّها عندي : وجدتُ في كتاب محمد بن جرير الطبري[٢] ، الذي سماه : « كتاب الآداب الحميدة ، والأخلاق النفيسة » ، حدّثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : حدّثنا عبدالله بن يزيد ، قال : أنبأنا أنيس بن عمران النافعي أبو يزيد ، عن روح ابن الحارث بن حبش الصنعاني ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّه قال لبنيه : يا بنيّ ، إذا دهمكم أمر ، أو كربكم ، فلا يبيتنّ أحد منكم ، إلاّ وهو طاهر ، على فراش طاهر ، في لحاف طاهر ، ولا تبيتنّ معه امرأة ، ثم ليقرأ والشمس وضحاها ، سبعاً ، والليل إذا يغشى ، سبعاً ، ثم ليقل : أللهمّ اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ، فإنّه يأتيه آت في أوّل ليلة ، أو في الثالثة ، أو في الخامسة ، وأظنّه قال : أو في السابعة ، فيقول له : المخرج مما أنت فيه كذا وكذا .

قال أنيس : فأصابني وجع لم أدر كيف أزيله ، ففعلت أوّل ليلة [١٣ ظ] هكذا ، فأتاني اثنان[٣] فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : جسّه ، فلمس جسدي كلّه ، فلما انتهى إلى موضع من رأسي ،

---

١ في م : والمعنى متقارب .

٢ الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري ، صاحب التّفسير والتّاريخ : ولد بآمل في طبرستان سنة ٢٢٤ ، واستوطن بغداد ، وتوفّي بها سنة ٣١٠ ، عرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى ، له التفسير المشهور جامع البيان في تفسير القرآن في ٣٠ جزءاً ، والتاريخ المشهور أخبار الرسل والملوك ويعرف بتاريخ الطبري في ١١ جزءاً ، وعدّة تآليف أخرى (الاعلام ٦ / ٢٩٤) .

٣ في م : فأتاني آتيان .

قال : احجم ها هنا ، ولا تحلق ، ولكن أطله بغرا[4] ، ثم التفت إليّ أحدهما ، أو كلاهما ، فقالا لي : كيف [١٤ م] لو ضممت إليهما ﴿ والتين والزيتون ﴾[5] .

قال : فلما أصبحت سألت أيّ شيء الغرا ؟ ، فقيل لي : الخطمي[6] ، أو شيء تستمسك به المحجمة ، فاحتجمت ، فبرئت ، وأنا ليس أحدّث بهذا الحديث أحداً ، إلاّ وجد فيه الشفاء بإذن الله تعالى ، [وأضم إليها التين والزيتون][7] .

---

٤ الغرا والغراء : مادّة لاصقة ، ما زال هذا اسمها في بغداد .

٥ سورة التين ك ٩٥ .

٦ الخطميّ : نبات من فصيلة الخبّازيات ، يعيش في المواضع الرّطبة .

٧ الزيادة من م .

١٦أ

من يتوكّل على الله فهو حسبه

ووجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي عبد الواحد بن نصر[1] ، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن العباس ، قال : حدّثني أبو ساعدة [بن أبي] الوليد بن أحمد [بن] أبي دؤاد ، قال : حدّثني أبي[2] ، قال : .

حدّثنا إبراهيم بن رباح[3] ، قال : حدّثنا أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد ، قال : حدّثنا الواثق ، قال : حدّثنا المعتصم :

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمّد المخزومي الشاعر : ذكره الثّعالبي في اليتيمة ١ / ٢٥٣ ، وبالغ في الثناء عليه ، وكان قد خدم سيف الدّولة أبا الحسن علي بن حمدان أمير حلب مدّة ، وبعد وفاته تنقّل في البلاد ، وقال عنه الأمير أبو الفضل الميكالي : إنّه شاهده ببغداد سنة ٣٩٠ شيخاً عالي السنّ ، متطاول الأمد ، قد أخذت الأيام من جسده وقوّته ، ولم تأخذ من ظرفه وأدبه ، لقّب بالببغاء لفصاحته ، وقيل للثغة كانت في لسانه ، توفّي سنة ٣٩٨ ، وحدث أن زار مغاني الأمير سيف الدّولة بعد وفاته ، فنظم بيتين من أبدع ما سمعت في باب التفجّع ، وهما :

عجبـاً لي وقد مـَرَرت بأبيـاتك ... كيـف اهتـديت سبـل الطريق
أتـراني نسيـت عهـدك فيهـا ... صدقوا ! مـا لمـيّت من صديق

٢ أبو الوليد محمّد بن قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد الإيادي : كان يخلف أباه على قضاء القضاة في أيّام المعتصم (تاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٣١٨ و ٣١٩) وولي المظالم للمتوكّل ، فلمّا سخط المتوكّل على والده أحمد بن أبي دؤاد عزله عن المظالم ، وولاّها محمد بن يعقوب المعروف بأبي الربيع ، وحبس محمّد وإخوته ، وصادر أموالهم ، وأجبرهم على بيع ضياعهم ، ثم أمر بهم فأحدروا إلى بغداد ، وتوفّي محمّد في السنة ٢٣٩ ببغداد ، وتوفّي أبوه أحمد ، بعده بعشرين يوماً (الطبريّ ٩ / ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧) .

٣ إبراهيم بن رباح بن شبيب الجوهري الكاتب : كان على ديوان الضياع في أيّام الواثق ، وحبسه الواثق في السنة ٢٢٩ فيمن حبس من كتّابه وأخذ منه ومن كتّابه مائة ألف دينار ، (أنظر أخباره في الطبريّ ٧ / ٥٢٤ و ٩ / ١٢٥ ، ١٢٨ ، ٢١٤ وابن الأثير ٧ / ١٠) .

أنّ قوماً ركبوا البحر ، فسمعوا هاتفاً يهتف بهم ، من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلّمه كلمة ، إذا أصابه غمّ ، أو أشرف على هلاك ، فقالها ، انكشف ذلك عنه .

فقام رجل من أهل المركب[4] ، معه عشرة آلاف دينار ، فصاح : أيّها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار ، وعلّمني .

فقال : ارم بالمال في البحر ، فرمى به ، وهو بدرتان فيهما عشرة آلاف دينار .

فسمع الهاتف يقول : إذا أصابك غمّ ، أو أشرفت على هلكة ، فاقرأ : ﴿ ومن يتّق الله ، يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكّل على الله فهو حسبه ، إنّ الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكلّ شيء قدراً ﴾[5] .

فقال جميع من في المركب للرجل : لقد ضيّعت مالك .

فقال : كلاّ ، إنّ هذه لعظة ما أشكّ في نفعها .

قال : فلمّا كان بعد أيّام [١٠ ر] ، كسر بهم المركب ، فلم ينج منهم أحدٌ غير ذلك الرجل ، فإنّه وقع على لوح .

فحدّث بعد ذلك ، قال : طرحني البحر على جزيرة ، فصعدت أمشي فيها ، فإذا بقصر منيف ، فدخلته ، فإذا فيه كلّ ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها ، وإذا بامرأة لم أر قطّ أحسن منها .

فقلت لها : من أنت وأيّ شيء تعملين ها هنا ؟

قالت : أنا بنت فلان [١٦ غ] بن فلان التاجر بالبصرة ، وكان أبي عظيم التجارة ، وكان لا يصبر عنّي ، فسافر بي معه في البحر ، فانكسر مركبنا ، فاختطفت ، حتّى حصلت في هذه الجزيرة ، فخرج إليّ شيطان من البحر ، يتلاعب بي سبعة أيّام ، من غير أن يطأني ، إلاّ أنّه يلامسني ، ويؤذيني ، ويتلاعب بي ،

---

٤ المركب : واحد المراكب البحريّة والبرّية ، وفي بغداد تعني الكلمة : المركب البحري أي السفينة .

٥ ٢ و٣ م الطلاق ٦٥ .

ثم ينظر إليّ ، ثم ينزل إلى البحر سبعة أيّام ، وهذا يوم موافاته ، فاتّق الله في نفسك ، واخرج قبل موافاته ، وإلاّ أتى عليك .

فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة ، فقالت : قد والله جاء ، وسيهلكك .

فلما قرب منّي ، وكاد يغشاني ، قرأت الآية ، فإذا هو قد خرّ كقطعة جبل ، إلاّ أنّه رماد محترق .

فقالت المرأة : هلك والله ، وكفيت أمره ، من أنت يا هذا الذي منّ الله عليّ بك ؟

فقمت أنا وهي ، فانتخبنا ذلك الجوهر ، حتى حملنا كلّ ما فيه من نفيس وفاخر ، ولزمنا الساحل نهارنا أجمع ، فإذا كان الليل ، رجعنا إلى القصر .

قال : وكان فيه ما يؤكل ، فقلت لها : من أين لك هذا ؟

فقالت : وجدته ها هنا .

فلما كان بعد أيّام رأينا مركباً بعيداً ، فلوّحنا إليه ، فدخل ، فحملنا ، فسلّمنا الله تعالى إلى البصرة ، فوصفت لي منزل أهلها ، فأتيتهم .

فقالوا : من هذا ؟

فقلت : رسول فلانة بنت فلان .

فارتفعت الواعية ، وقالوا : يا هذا لقد جدّدت علينا مصابنا .

فقلت : اخرجوا ، فخرجوا .

فأخذتهم حتى جئت بهم إلى ابنتهم ، فكادوا يموتون فرحاً ، وسألوها عن خبرها ، فقصّته عليهم .

وسألتهم أن يزوّجوني بها ، ففعلوا ، وحصّلنا[6] ذلك الجوهر رأس مال بيني وبينها . وأنا اليوم أيسر أهل البصرة ، وهؤلاء أولادي منها .

---

٦ في غ : وجعلنا .

١٧

المعلّى بن أيّوب الكاتب يتخلّص من الفضل ابن مروان بدعاءٍ دعا به

وذكر أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري[1] ، في كتابه ، كتاب الوزراء ، أنّ [١٥ م] المعلّى بن عبدالله بن المعلّى [١٤ ظ] بن أيّوب ، حدّثه عن أبيه ، قال : قال لي المعلّى بن أيّوب[2] :

أعنتني[3] الفضل بن مروان[4] ، ونحن في بعض الأسفار وطالبني بعمل طويل

---

١ أبو عبد الله محمّد بن عبدوس بن عبدالله الجهشياري الكوفي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٦ من هذا الكتاب .

٢ المعلّى بن أيّوب : من كتاب الدّولة العبّاسية ، وهو ابن خالة الفضل بن سهل وزير المأمون (إعتاب الكتّاب ١٠٩) وكان على ديوان الإعطاء (الجيش) في أيّام المأمون (تجارب الأمم ٦ / ٤٦٩) ، ثم صاحب الوزير محمّد بن عبد الملك الزيّات (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ٣) ثم خدم المتوكّل (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ٣١) وخدم من بعده من الخلفاء (الملح والنوادر ١٦٩) ، توفّي في السنة ٢٥٥ (الطبري ٩ / ٣٨٧ وابن الأثير ٧ / ٢١٥) ، راجع في الإمتاع والمؤانسة ٣ / ٢٠١ حديثاً جرى بينه وبين ثمامة بن أشرس مستشار المأمون . وفي العقد الفريد ٤ / ٢١٦ انّ المأمون وقّع له في يوم عاشوراء بخمسمائة ألف درهم ، وفيه يقول أبو علي البصير الشاعر : [معجم الأدباء ١ / ١٥٤]

لعمـــر أبيـــك مـــا نسب المعلّى ... إلى كـــرم وفي الدّنيـــا كريـــم
ولكـــنّ البـــلاد إذا اقشعـــرّت ... وصوّح نبتهـــا رعـــي الهشيـــم

٣ كذا ورد في م ، وفي ظ : اعتقلني .

٤ الفضل بن مروان بن ماسرجس (١٧٠ – ٢٥٠) : وزير المعتصم ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيّد الإنشاء ، استوزره المعتصم ثلاث سنوات ثم اعتقله ، وأطلقه ، وخدم بعده عدّة خلفاء (الأعلام ٥ / ٣٥٨) راجع القصص ١ / ٦٨ و٨ / ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و٨٤ من نشوار المحاضرة ، وراجع كتاب المفوات النادرة ص ١٩٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ .

[يعمل][5] في مدّة بعيدة ، واقتضانيه في كلّ يوم مراراً ، إلى أن أمرني عن المعتصم بالله[6] أن لا أبرح إلاّ بعد الفراغ منه .

فقعدت في ثيابي ، وجاء الليل ، فجعلت بين يديّ نفّاطة[7] ، وطرح غلماني

---

٥ الزيادة من م وغ .

٦ أبو إسحاق محمّد المعتصم بن أبي جعفر هارون الرّشيد (١٧٩ - ٢٢٧) : الخليفة العبّاسي الثامن ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ على أثر وفاة أخيه المأمون ، وبنى مدينة سر من رأى (سامراء) سنة ٢٢١ ، وفتح عمّورية سنة ٢٢٣ ، وهو أوّل من تلقّب بلقب مضاف إلى اسم الله تعالى (الأعلام ٧ / ٣٥١) ، ولم يعدّ المعتصم ليكون خليفة ، ولمّا نصب الرّشيد ثلاثة من أولاده لولاية عهده ، لم يكن المعتصم من بينهم ، وكان أبوه يتساهل في تعليمه ، حتّى إنّه سأله مرّة عن مملوك له كان لا يفارقه ، فقال : لقد مات واستراح من الكتّاب ، فأهمل أمر تأديبه ، ووجّهه إلى البادية فعاد فصيحاً (العقد الفريد ٢ / ٤٤٠) واهتمّ بالصّيد والرياضة ، ونشأ فارساً محارباً ، وكان وهو خليفة يقرّ بنقص معرفته ، وقد سأل وزيره مرّة ، فلم يتلقّ جواباً مرضياً ، فصاح به : خليفة أمّيّ ، ووزير عاميّ (شذرات الذهب ٢ / ٧٨) . وقد اتّبع لما استخلف ، وصية أخيه المأمون في سياسة الدّولة ، فسارت أموره سيراً مرضيًّا ، إذ اعتمد على رجال ثقاة أوصاه أخوه بالاعتماد عليهم ، غير أنّه استكثر من المماليك الأتراك ، فكان ذلك من أسباب خراب المملكة من بعده .

٧ النّفط : دهن معدنيّ سريع الاحتراق ، توقد به النّار ، ويُتداوى به (المنجد) ، وكان النّفط فيما مضى دواء تطلى به الإبل للجرب والدبر والقردان (لسان العرب) ، وتحدّث عنه ابن سينا ، في القانون ١ / ٣٧٧ وابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤ / ١٨٢ وذكرا فائدته في مداواة أوجاع الوركين ، والمفاصل ، وآلام الأذن ، وبياض العين ، ومائها ، والربو والسعال ، ولسع الحشرات ، والنفّاطة : سراج النّفط ، يستضاء به ، واسمه اليوم ببغداد : نفطيّة ، والنفّاطة أيضاً : أداة من النحاس ، يرمى فيها بالنّفط والنّار ، استعملها الرّشيد في حربه مع الروم ، لمّا فتح هِرَقْلة ، فقال الشاعر المكّي (معجم البلدان ٤ / ٩٦١) :

هوت هِرَقْلَةُ لمّا أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنّفط والنّار
كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم مصبّغات على أرسان قصّار

والنفّاطة أيضاً : الموضع الذي يستخرج منه النّفط (لسان العرب) ، وكتب عبد الصمد بن المعذّل ، إلى صديق له ، ولي النفّاطات ، فأظهر تيهاً ، (المحاسن والمساوئ ١ / ١٣٠) :

لعمري لقد أظهرت تيهاً كأنّما تولّيت للفضل بن مروان منبرا

أنفسهم حولي ، وورد عليّ همٌّ عظيم ، لأنّني قلت : ما تجاسر على أن يوكّل بي إلاّ وقد وقف على سوء رأي فيّ من المعتصم .

فإنّي لجالس ، وذقني على يدي ، وقد مضى الليل ، وأنا متفكّر ، فحملتني عيناي ، فرأيت كأنّ شخصاً قد مثل بين يديّ ، وهو يقول : ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ، تدعونه تضرعاً وخفيةً ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكوننّ من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كلّ كرب ﴾[8] .

ثم انتبهت ، فإذا أنا بمشعل[9] قد أقبل من بعيد ، فلما قرب منّي كان وراءه [محمد بن] حماد دنقش[10] صاحب الحرس ، وقد أنكر نفّاطتي ، فجاء يعرف

وما كنت أخشى لو وليت مكانه ... عليّ أبا العبّاس أن تتغيّرا
دع الكبر واستبق التواضع إنّه ... قبيح بوالي النّفط أن يتكبّرا
لحفظ عيون النّفط أظهرت نخوة ... فكيف به لو كان مسكاً وعنبرا

٨ ٦٤ ك الأنعام ٦ .

٩ المشعل ، وجمعه مشاعل : ما يشعل من الحطب فيستضاء به ، ويحمل بالأيدي ، والبغداديّون يطلقون كلمة (المشعل) على أداة تشتمل على لفّة من الخيش تسمّى : كبيرة ، وجمعها كباير ، توضع على رأس عمود ثم يصب عليها النّفط وتشعل ، وتختلف قوّة إضاءة المشعل باختلاف عدد رؤوسه ، وقد شاهدت في بغداد مشاعل للواحد منها أكثر من عشرة رؤوس ، يحملها شخص واحد ، وفي بغداد يسمّون الصّبي : مشعل ، ويصفون الجميل الوّجه بأنّه مشعل ، ومن الأغنيات القديمة في بغداد ، أغنية قيلت في حمد الحمود شيخ الخزاعل (أمير خزاعة) الذي حارب الحكومة العثمانية ، ثم اصطلحا ، فقدم بغداد مع حاشيته ، وكان شاباً ما نبت عذاره ، فأعجب به البغداديّون ، ونظموا فيه أغنية تقول :

حمد الحمود ... شيخ الخزاعل
خدودك اللالات ... ربعك مشاعل

اللالات : جمع لالة : أي المصباح الساطع النور ، والربع : بفتح الراء ، الأصحاب والجماعة ، فصيحة .

١٠ محمّد بن حماد دنقش : كان أبوه حمّاد الملقب دنقش مولى المنصور ، وصاحب حرسه (تاريخ

سببها ، فأخبرته خبري .

فمضى إلى المعتصم ، فأخبره ، فإذا الرسل يطلبوني[11] ، فدخلت إليه ، وهو قاعد ، ولم يبق [بين يديه][12] من الشمع إلاّ أسفله .

فقال لي : ما خبرك ؟ فشرحته له .

فقال : ويلي على النبطيّ ، يمتهنك ، وأيّ يدٍ له عليك ، أنت كاتبي ، كما هو كاتبي ، انصرف .

فلما ولّيت ، ردّني ، واستدناني ، ثم قال لي : تمضي مديدة ، ثم ترى فيه ما تحبّ .

قال : فانصرفت ، وبكّرت إلى الفضل على عادتي ، لم أنكر شيئاً .

بغداد للخطيب ١٠ / ٤٦٢) ، أمّا محمّد بن حمّاد فقد حجب الرشيد والمعتصم (اليعقوبي ٢ / ٤٧٨) وترسّل له (الطبريّ ٩ /١٠٦) وله قصّة لطيفة مع الوزير محمّد بن عبد الملك الزيّات (بدائع البدائه ١ / ٤٨) ، وولده حمّاد كان أحد القوّاد بسرّمن رأى مع صالح بن وصيف ، وولي الشرطة للمهتدى (تاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٤٦٢) وقام مقاماً مذموماً في تعذيب أحمد بن إسرائيل وأبي نوح عيسى ابن إبراهيم ، من كبار الكتّاب في الدّولة ، حتّى ماتا تحت الضّرب ، راجع تفصيل ذلك في الطبريّ ٩ / ٣٩٦ – ٣٩٨ وراجع كذلك القصّة ١٠٦ من هذا الكتاب .

١١ كذا ورد في جميع النسخ .

١٢ الزيادة من غ .

١٨

ألم ترَ كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل

وحدّثني أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب[١] ، في المذاكرة ، في خبر طويل ، لست أقوم على حفظه :

أنّ رجلاً كانت بينه وبين رجل متمكّن من أذاه عداوة ، فخافه خوفاً [١٧ غ] شديداً ، وأهمّه أمره ، ولم يدر ما يصنع .

فرأى في منامه ، كأنّ قائلاً يقول له : اقرأ في كلّ يوم ، في إحدى ركعتي صلاة الفجر ، [١١ ر] ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل .. إلى آخر السورة .

قال : فقرأتها ، فما مضت إلاّ شهور ، حتى كفيت أمر ذلك العدوّ ، وأهلكه الله تعالى ، فأنا أقرؤها إلى الآن .

قال مؤلّف هذا الكتاب : دفعت أنا إلى شدّة لحقتني شديدة ، من عدوّ ، فاستترت منه ، فجعلت دأبي قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر ، في كلّ يوم ، وأنا أقرأ في الأوّلة منها : ألم نشرح لك صدرك ... إلى آخر السورة ، لخبر كان بلغني أيضاً فيها ، فلما كان بعد شهور ، كفاني الله أمر ذلك العدوّ ، وأهلكه الله من غير سعي لي في ذلك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، وأنا أقرؤها في ركعتي الفجر إلى الآن .

---

١ أبو الفضل محمّد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب : نقل عنه القاضي التنوخي أخباراً عدّة أوردها في كتابه نشوار المحاضرة وكان يجمعهما مجلس الوزير أبي محمّد المهلّبي ، راجع كتاب نشوار المحاضرة ٢ / ٦٢ و٣ / ١٧ و٥٠ و١٥١ و٢٦٨ و٦ / ٢٧ و٢٨ و٨ / ١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٠ .

١٩

إذا ضاق بك الصّدر ففكّر في ألم نشرح

وأمّا الخبر في : ألم نشرح لك صدرك ، فإنّ أبا بكر بن شجاع ، المقرئ البغدادي ، الذي كان يخلفني على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز ، في سنة ستّ وأربعين وثلثمائة ، وكان خازن المسجد الجامع بها ، وكان شيخاً محدّثاً ثقةً نبيلاً ، من أمناء القاضي الأحنف وهو محمد بن عبد الله بن عليّ بن محمد ابن أبي الشوارب[1] ، حدّثنا بإسناد له ذكره ، لم أحفظه ، ولا المتن بلفظه ، وبَعُدَ عن يدي إخراجه من الأصل ، وقد تحرّيت[2] مقاربة اللّفظ بجهدي ، ولعلّه يزيد أو ينقص :

أنّ بعض الصالحين ، ألحّ عليه الغمّ ، وضيق الصدر ، وتعذّر الأمور ، حتى كاد يقنط ، فكان يوماً يمشي ، وهو يقول :

أرى الموت لمن أمسى ... على الذلّ له أصلح[3]

فهتف به هاتف ، يسمع صوته ، ولا يُرى شخصه ، أو أُري في النوم – أنا الشاكّ[4] – كأنّ قائلاً يقول :

ألا يا أيّها المرء ... الذي الهمّ به برّح
إذا ضاق بك الأمر ... ففكّر في أَلَمْ نَشْرَح

---

١ القاضي محمّد بن عبد الله بن علي بن محمّد بن عبد الملك المعروف بابن أبي الشوارب ، والملقّب بالأحنف : كان يخلف أباه على القضاء بمدينة السلام ، وتوفّي في السنة ٣٠١ قبل وفاة أبيه بثلاثة وسبعين يوماً ، ودفنا في موضع واحد (المنتظم ٦ / ١٢٧) .

٢ كذا ورد في غ ، وفي ظ : وقد تخيّرت .

٣ في م : أروح .

٤ في غ وم : أنا أشكّ .

قال : فواصلت قراءتها في صلاتي ، فشرح الله صدري ، وأزال همّي وكربي ، وسهّل أمري ، أو كما قال :

وحدّثني غيره بهذا [١٦ م] الخبر ، على قريب من هذا ، وزادني في الشعر :

فـــإنّ العســـر مقـــرون بيسريـــن فـــلا تـبرح

وقد ذكر القاضي أبو [١٥ ظ] الحسين[٥] ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » البيتين المتّصلين فقط ، وقال في الآخر منهما : إذا أعضلك الأمر ، ولم يذكر لهما خبراً ، [ويروى أيضاً : إذا لجّ بك الأمر][٦] .

وروى غيره البيتين الأوّلين لأبي العتاهية ، في غير حديث له .

---

٥ أبو الحسين عمر بن أبي عمر محمّد بن يوسف الأزدي القاضي (٢٩١ – ٣٢٨) : ناب عن أبيه في القضاء وهو ابن ٢٠ سنة ، وتوفّي أبوه وهو على القضاء ، ثم جعل قاضي القضاة إلى آخر عمره ، كان عظيم الحظوة عند الراضي ، حتى إنّه لمّا مات كان الراضي يبكي عليه كلّما ذكره (المنتظم ٦ / ٣٠٧ والأعلام ٥ / ٢٢١ والقصّة ٤ / ٧٧ و ٤ / ٩٩ من النشوار) .

٦ الزيادة من م .

الباب الثاني

ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء
وما يتوصّل به إلى كشف نازل الشدّة والبلاء

٢٠

أفضل العبادة انتظار الفرج من الله تعالى

أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي ، أبي رحمه الله تعالى[١] ، قال : حدّثنا محمد بن إبراهيم الصلحي[٢] ، قال : حدّثنا بشر بن معاذ[٣] ، قال : حدّثنا حماد بن واقد[٤] .

وحدّثنا علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا محمد بن عبدالله الأزدي[٥] ، قال : حدّثنا حماد بن واقد ،

---

١ القاضي أبو القاسم علي بن محمّد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم التنوخي (٢٧٨ - ٣٤٢) : والد مؤلّف كتاب الفرج بعد الشدّة ، ولد بأنطاكية ، وقدم بغداد سنة ٣٠٦ ، وولي القضاء بالأهواز والكوفة وواسط وسقي الفرات والثغور الشامية وأرجان وكورة سابور ، وله تصانيف في الأدب ، وشعر ، راجع ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ وتاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ .

٢ في ظ وغ : الطّلحي ، وفي م الصلحي ، وهو محمّد بن إبراهيم بن آدم بن أبي الرجال الصّلحي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١ / ٤٠٣ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٦ .

٣ أبو سهل بشر بن معاذ العقدي البصري الضرير : ذكره صاحب الخلاصة ٤٢ .

٤ أبو عمر حمّاد بن واقد العيشي الصفّار البصري : ذكره صاحب الخلاصة ٧٩ .

٥ أبو جعفر محمّد بن عبد الله بن عمّار الأزدي البغدادي ، نزيل الموصل : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٥ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٢ .

قال : حدّثنا [١٨ غ] إسرائيل [بن يونس][٦] ، عن أبي إسحاق [الهمذاني][٦] ، عن أبي الأحوص[٧] ، عن عبد الله [بن مسعود][٨] ، قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : سلوا الله عزّ وجلّ من فضله ، فإنّ الله يحبّ أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج من الله تعالى[٩] .

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا الفضل بن محمد العطار الأنطاكي[١٠] ، قال : حدّثنا سليمان بن سلمة[١١] ، قال : حدّثنا بقيّة[١٢] ، عن مالك[١٣] ، عن الزهري[١٤] ، عن أنس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : انتظار الفرج من الله تعالى عبـادة[١٥] .

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الكوفيّ[١٦] ، قال : حدّثنا حسين

---

٦ الزيادة من مخطوطة (د) .

٧ أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٥٣ وقال : إنّه قتـل أيّام الحجّاج .

٨ الزيادة من مخطوطة (د) ، وفي م : عبد الله بن عبّاس .

٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٣ .

١٠ الفضل بن محمّد العطّار الأنطاكي : ذكره الخطيب البغدادي في ترجمة القاضي أبي القاسم التنوخي والد المؤلّف ، وقال إنّه أحد أساتذة أبي القاسم ، ويتّضح من نص العبارة ، أنّ والد المؤلّف أخذ الحديث عن أستاذه الفضل في أنطاكية (تاريخ بغداد ١٢ / ٧٧) .

١١ أبو أيّوب سليمان بن سلمة الحمصي الخبائري : ذكره صاحب الميزان ٢ / ٢٠٩ .

١٢ أبو يحمد بقيّة بن الوليد بن صائد الحميري الحافظ : أحد الأعلام ، ترجم له صاحب الميزان ترجمة مطوّلة ١ / ٣٣١ - ٣٣٩ .

١٣ أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني (٩٣ - ١٧٩) : أحد الأعلام في الأسلام ، ترجم له صاحب الخلاصة ٣١٣ .

١٤ الزهري ، أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب القرشي (٥٨ - ١٢٤) : مدني ، تابعي ، محدّث ، حافظ ، فقيه ، نزل الشام (الأعلام ٧ / ٣١٧) .

١٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) .

١٦ إسحاق بن إبراهيم بن عمير المسعودي الكوفي : ذكره صاحب الخلاصة ٢٢ ، وصاحب ميزان ←

ابن حسن[17] ، عن سفيان بن إبراهيم[18] ، عن حنظلة المكّي[19] ، عن مجاهد[20] ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : انتظار الفرج عبادة .

حدّثني أبي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي[21] ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني عليّ بن موسى الرضا[22] ، قال : حدّثني أبي موسى[23] ، قال : حدّثني أبي جعفر ، قال : حدّثني أبي محمّد ، قال حدّثني أبي عليّ ، قال : حدّثني أبي الحسين ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ .

أخبرني أبي ، قال : حدّثني أحمد بن عبد الله بن النعمان ، قال : حدّثني محمد بن يعقوب بن إسحاق الأعرج ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمّد عن

الاعتدال ١ / ١٧٦ وسمّى جدّه عمران .

١٧ أبو عبد الله حسين بن حسن بن حرب السلمي المروزي ثم المكّي : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٠ .

١٨ سفيان بن إبراهيم الكوفي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ١٦٤ .

١٩ حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أميّة الأموي المكّي : ذكره صاحب الخلاصة ٨٢ وذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٦٢٠ ولعته بالجمحي .

٢٠ أبو الحجّاج مجاهد بن جبر المكّي : المقرئ ، الإمام ، المفسّر ، ترجم له صاحب الخلاصة ٣١٥ وصاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٤٣٩ .

٢١ عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٣٩٠ وقال إنّه يروي عن أبيه عن عليّ الرضا عن آبائه ، واتّهمه بالوضع ، وحجّته في ذلك : أنّه متشيّع ، أقول : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .

٢٢ الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم (١٥٣ – ٢٠٣) : ثامن الأئمّة ، ولد بالمدينة ، وجعله المأمون العبّاسي وليّ عهده ، وزوّجه ابنته ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وغيّر من أجله الزيّ العبّاسي من السواد إلى الخضرة ، توفّي بطوس في حياة المأمون ، وقبره بها يزار (الأعلام ٥ / ١٧٨) .

٢٣ الإمام أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ – ١٨٣) : سابع الأئمّة ، من أعبد أهل زمانه ، وأحد كبار العلماء الأجواد ، أقام بالمدينة ، وأقدمه المهدي العبّاسي إلى بغداد ، ثم أعاده إلى المدينة ، ولمّا حجّ الرّشيد سنة ١٧٩ أخذه معه إلى البصرة ، وحبسه عند واليها عيسى بن جعفر سنة واحدة ، ثمّ نقله إلى بغداد حيث قضى سجيناً (الأعلام ٨ / ٢٧٠) .

سعدويه[٢٤] ، قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن بكر[٢٥] ، قال : حدّثنا عبد العزيز ابن عبد الله[٢٦] عن عليّ بن أبي علـيّ[٢٧] ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عن جدّه ، عن عليّ رضي الله عنه : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال لعليّ [عليه السلام][٢٨] ، في حديث ذكره : واعلم أنّ النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأنّ مع العسر يسراً .

---

٢٤ أبو عثمان سعيد بن سليمان الضبّي الواسطي البزّاز ، المعروف بسعدويه : نزيل بغداد ، ذكره صاحب الخلاصة ٢١٨ .

٢٥ أبو روق الهزّاني ، أحمد بن محمد بن بكر : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ١٣٢ و ١٣٣ .

٢٦ عبد العزيز بن عبد الله : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣٠ .

٢٧ علي بن أبي علي اللّهبي المدنيّ : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ١٤٧ .

٢٨ الزيادة من غ .

٢١

اشتدّي أزمة تنفرجي

أخبرني أبي ، قال : كتب إليّ عبد الله بن مبشّر[١] ، حدّثنا أبو الأشعث[٢] ، قال : حدّثنا أميّة بن خالد[٣] ، عن الحسين بن عبد الله بن ضميرة[٤] ، عن أبيه[٥] ، عن جدّه[٦] ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[٧] ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اشتدّي أزمة تنفرجي .

حدّثنا عليّ بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني عليّ بن الجعد[٨] ، قال : أخبرني شعبة ، عن عمرو بن مرّة[٩] ،

---

١ عبد الله بن مبشر الغفاري : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٤٩٩ .

٢ أبو الأشعث الجرمي : ذكره صاحب الخلاصة ٣٨١ .

٣ أبو عبد الله أميّة بن خالد بن الأسود القيسي البصري : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٢٧٥ .

٤ الحسين بن عبد الله بن ضميرة بن أبي ضميرة سعيد الحميري المدنيّ : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٥ عبد الله بن ضميرة بن أبي ضميرة سعيد الحميري المدني : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٦ ضميرة بن أبي ضميرة سعيد الحميري المدني : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٧ أمير المؤمنين ، أبو الحسن ، علي بن أبي طالب ، الهاشميّ ، القرشيّ (٢٣ ق – ٤٠ هـ) : رابع الخلفاء الرّاشدين ، أحد العشرة المبشّرين ، ابـن عمّ النبيّ وصهره ، وأحد الشّجعان الابطال ، من أكابر الخطباء ، والعلماء بالقضاء ، أوّل النّاس إسلاماً بعد خديجة ، ولد بمكّة ، وربّي في حجر النبيّ صلوات الله عليه ، ولم يفارقه ، ولمّا آخى النبيّ بين أصحابه ، قال له : أنت أخي . قتله غيلة عبد الرّحمن بن ملجم المرادي (الأعلام ٥ / ١٠٧) راجع البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٢٨ وم ٣ ق ٢ ص ٥٩٣ .

٨ أبو الحسن علي بن الجعد الجوهري : محدّث ، حافظ ، ثبت ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٩ / ٢٥٥ وترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ١١٦ و١١٧ .

٩ في غ : عمرو بن أبي مرّة ، والصحيح إنّه : أبو عبد الله عمرو بن مرّة الجملي الكوفي الضرير : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٢٨٨ .

قال : سمعت أبا وائل[١٠] يحدّث عن كردوس بن عمرو[١١] ، وكان ممن قرأ الكتب : إنّ الله [عزّ وجلّ] يبتلي العبد وهو يحبّه ، ليسمع تضرّعه[١٢] .

---

١٠ أبو وائل عبد الله بن بحير الصنعاني القاصّ : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٣٩٥ .

١١ كردوس بن عمرو : سمّاه صاحب الخلاصة ٢٧٥ كردوس بن العبّاس ، أو ابن هانئ الثعلبي ، وذكر أنّ أبا وائل روى عنه .

١٢ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٦ .

٢٢

النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب

حدّثنا عليّ بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو سعيد المديني[١] ، قال : حدّثني أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي[٢] ، قال : حدّثني محمّد بن إبراهيم بن المطّلب بن أبي وداعة السّهمي[٣] ، قال : حدّثنا زهرة بن عمرو التيميّ[٤] عن أبي حازم[٥] عن [سهل بن] سعد الساعدي[٦] :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال لعبد الله بن عبّاس : ألا أعلّمك كلمات تنتفع بهنّ ؟

قال : بلى ، يا رسول الله .

---

١ أبو سعيد عبد الله بن شبيب بن خلف الرّبعي المديني : هكذا ورد اسمه في مخطوطة (د) ص ١٣٤ ترجم له الخطيب في تاريخه ٩ / ٤٧٤ .

٢ وردت نسبته في ظ : الحرامي ، وفي غ : الخزامي ، وفي مخطوطة د : الحزامي ، وصحّحت إلى : الحراني ، وفي م : ذكره بلا نسبة ، وذكر صاحب الميزان ٤ / ٥٩٣ شخصاً باسم أبي بكر بن شيبة الحزامي وهو عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة ، ولعلّ المقصود في هذا الكتاب ، أبا بكر بن أبي شيبة الكوفي الحافظ ، واسمه عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ، ترجم له صاحب الخلاصة ١٧٩ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٣٥ .

٣ أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن المطّلب بن أبي وداعة السّهمي المدني : ذكره صاحب الخلاصة ٣٧٧ .

٤ أحسبه أبا عقيل زهرة بن معبد التّيمي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠٤ .

٥ أبو حازم سلمة بن دينار : مولى الأسود بن سفيان المخزوميّ القرشي ، من عبّاد أهل المدينة وزهّادهم ، متقشّف ، ورع ، توفّي سنة ١٣٥ ذكره صاحب الخلاصة ١٢٥ وصاحب كتاب مشاهير علماء الأمصار ٧٩ .

٦ سهل بن سعد بن مالك السّاعدي : كان اسمه حزن ، فسمّاه رسول الله صلوات الله عليه سهلاً ، توفّي سنة ٩١ ، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٢٥ .

قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدّة ، فإذا سألتَ ، فسَل الله ، وإذا استعنتَ ، فاستعن بالله ، [١٦ ظ] جفّ القلم بما [كان وما هو][٧] كائن ، فلو جهد العباد أن ينفعوك [١٩ غ] بشيء لم يكتبه الله عزّ وجلّ لك ، لم يقدروا عليه ، [١٧ م] فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق واليقين ، فافعل ، فإن لم تستطع ، فإنّ في الصّبر على ما تكره ، خيراً كثيراً ، واعلم أنّ النّصر مع الصّبر ، وأنّ الفرج مع الكرب ، وأنّ مع العسر يسراً[٨] .

---

٧ الزيادة من م ، ولم ترد هذه الزيادة في مخطوطة (د) .

٨ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٤ .

٢٣

المعونة على قدر المؤونة

أخبرني أبي ، قال : حدّثت عن إسحاق بن الضيف[1] ، قال : حدّثنا داود ابن المحبّر[2] ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي رزين[3] ، عن فراس بن يحيى[4] ، عن ثابت[5] ، عن أنس ، قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ المعونة من الله عزّ وجلّ ، تأتي العبد على قدر المؤونة ، وإنّ الصّبر يأتي [١٢ ر] على قدر شدّة البلاء .

وربّما قال : إنّ الفرج يأتي من الله تعالى ، على قدر شدّة البلاء .

---

١ أبو يعقوب إسحاق بن الضّيف العسكري البصري ، نزيل مصر : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤ .

٢ أبو سلمان داود بن المحبر بن قحذم الطائي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٦٤ .

٣ عبد الله بن أبي رزين الأسدي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٦٧ .

٤ في م : جابر ، وفي غ وظ : خلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وهو : فراس بن يحيى الهمداني الخارفي ، من فقهاء أهل الكوفة ، توفّي سنة ١٢٩ ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ١٦٧ .

٥ أبو محمد ثابت بن أسلم البناني البصري : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٣٦٢ وصاحب الخلاصة ٤٧ توفّي سنة ١٢٧ .

٢٤

من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته

حدّثنا أبو محمد وهب بن يحيى بن عبد الوهاب المازني[١] ، لفظاً من حفظه ، في داره بالبصرة ، ببني سدوس الباطنة[٢] ، بحضرة قبر مجاشع ومجالد السلمي[٣] ، صاحبي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، بالقرب من بني يشكر ، قال : حدّثنا نصر بن عليّ الجهضمي[٤] ، قال : أنبأنا محمّد بن بكر البرساني[٥] ، عن ابن جريج[٦] ، عن ابن المنكدر[٧] ، عن أبي أيّوب[٨] ، عن مسلمة بن مخلد[٩] ، قال :

---

١ أبو محمّد وهب بن يحيى بن عبد الوهّاب المازني : أحد أساتذة القاضي التنوخي المؤلّف ، ذكره الخطيب البغدادي ١٣ / ١٥٥ .

٢ قوله : الباطنة ، يعني أنّ بني سدوس كانت لهم بالبصرة محلّتان ، واحدة في طرف البلدة ، تسمّى الظاهرة (راجع القصّة ٣٠٩ من هذا الكتاب) ، والأخرى في داخل البلدة ، تسمّى الباطنة .

٣ مجاشع ومجالد ابنا مسعود بن ثعلبة السّلمي ، أخوان صحابيّان ، قتلا يوم الجمل مع طلحة والزّبير (ابن الأثير ٣ / ٢٦٣) وكان مجاشع ممن بايع رسول الله صلوات الله عليه على الهجرة (مشاهير علماء الأمصار ٢٧) واشترك في فتح العراق وفارس (الطبري ٣ / ٥٩٥ و ٤ / ٤٦٩ و ٥٠٥) نسبتهما إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان (اللباب ١ / ٥٥٤) .

٤ أبو عمر نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي البصري : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣ / ٢٨٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٠ ، راجع في ترجمته قصّته مع المتوكّل العبّاسي .

٥ أبو عثمان محمّد بن بكر بن عثمان البرساني الأزدي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٠ .

٦ أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (٨٠ – ١٥٠) : فقيه الحرم المكّي ، إمام أهل الحجاز في عصره ، رومي الأصل ، مكّي المولد والوفاة (الخلاصة ٢٠٧ ، الأعلام ٤ / ٣٠٥ ، مشاهير علماء الأمصار ١٤٥) .

٧ أبو عبد الله محمّد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التّيمي المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٨ وقال : إنّه توفّي سنة ١٣٠ .

٨ أبو أيوب خالد بن يزيد بن كليب الأنصاري الخزرجي : صحابي ، نزل عليه النبيّ صلوات الله عليه لمّا قدم المدينة ، توفّي سنة ٥٢ ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٢٦ .

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : من ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن فكّ عن مكروب ، فكّ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته .

---

٩ مسلمة بن مخلد الأنصاري : ولد مقدم النبيّ صلوات الله عليه المدينة ، ووليّ مصر وأفريقية ، توفّي سنة ٦٢ ، ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٢ .

٢٥

إنّ الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا أبو عقيل الخولاني[١] ، قال : حدّثنا مؤمّل بن إهاب[٢] ، قال : حدّثنا مالك بن سُعَيْر[٣] ، عن الأعمش[٤] .

وأنبأنا نصر بن القاسم[٥] ، قال : حدّثنا الوكيعي[٦] ، قال : حدّثنا أبو معاوية[٧] ، عن الأعمش .

قال أبي : وأنبأنا ابن [بنت][٨] منيع[٩] من طريق آخر ، واللفظ له ، قال :

---

١ أنس بن سالم الخولاني : ذكره الخطيب في تاريخه ١٢ / ٧٧ بين أساتذة أبي القاسم التنوخي .

٢ أبو عبد الرّحمن مؤمّل بن إهاب بن عبد العزيز الرّبعي العجلي الكوفي : نزل الرملة ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٢٩ ، وصاحب الخلاصة ٣٣٧ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٥٤ .

٣ مالك بن سُعَيْر (تصغير سُعْر ، بضم السين) بن الخمس : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٤٢٦ .

٤ أبو محمّد سليمان بن مهران الكاهليّ الكوفي الملقّب بالأعمش (٦١ – ١٤٨) : تابعي ، عالم بالقرآن والفرائض ، نشأ وتوفّي بالكوفة ، ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ٩ / ٣ – ١٣ وفي الأعلام ٣ / ١٩٨ وميزان الاعتدال ٢ / ٢٢٤ .

٥ نصر بن القاسم : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٥٣ والخلاصة ٣٤٤ .

٦ الوكيعي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن جعفر الضرير : إمام ، حافظ ، محدّث ، ثقة ، توفّي ببغداد سنة ٢١٥ ، روى عن أبي معاوية الضرير ، لقّب بالوكيعي لأنّه رحل إلى وكيع بن الجرّاح وأكثر عنه (اللباب ٣ / ٢٧٧ و ٢٧٨) .

٧ أبو معاوية محمّد بن حازم التّميمي السعدي الضرير (١١٠ – ١٩٥) : حافظ ، متقن ، روى عنه الإمام أحمد بن حنبل (اللباب ٢ / ٧٣) .

٨ كلمة (بنت) ساقطة من جميع النسخ .

٩ أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغوي المحدّث : كان ورّاقاً في ابتداء عمره ، توفّي وقد نيّف على المائة وهو صحيح السمع والبصر والأسنان ، راجع نشوار المحاضرة القصّة ٢ / ١٨٠ والأنساب للسمعاني ٨٧ والأعلام ٤ / ٢٦٣ .

حدّثنا عبد الأعلى بن حمّاد[10] ، قال : حدّثنا حمّاد[11] عن محمد بن واسع[12] ، وأبي سورة[13] ، عن الأعمش ، عن أبي صالح[14] ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

من ستر أخاه المسلم ، ستره الله يوم القيامة ، ومن نفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا ، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة[15] ، وإنّ الله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه .

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا محمد بن محمد[16] ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الملك بن مغيث[17] ، قال : أخبرني أبي عن جدّي ، قال : حدّثنا عقيل بن شهاب[18] ، أنّ سالم بن عبد الله بن عمر[19] أخبره ، أنّ ابن عمر[20] أخبره ، أنّ

---

١٠ أبو يحيي عبد الأعلى بن حمّاد بن نصر الباهلي النرسي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١٨٦ .

١١ أبو إسماعيل حمّاد بن زيد بن درهم الأزرق البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٧ عن ٨١ سنة .

١٢ أبو بكر محمّد بن واسع بن جابر الأزدي البصري الزاهد : أحد الأعلام ، ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٩ وقال إنّه توفّي سنة ١٢٧ .

١٣ أبو سورة الأنصاري : ذكره صاحب الخلاصة ٣٨٨ .

١٤ أبو صالح ذكوان السمّان المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٦ وقال إنّه توفّي سنة ١٠١ .

١٥ في غ : من كرب الآخرة .

١٦ أبو بكر محمّد بن محمّد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرّحمن الأزدي الواسطي المعروف بابن الباغندي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣/٢٠٩ .

١٧ لعلّه : أبا عبد الله محمّد بن عبد الملك بن خالد بن أسيد الأموي المعروف بابن أبي الشوارب : ترجم له الخطيب في تاريخه ٢ / ٣٤٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٤ .

١٨ عقيل بن شهاب : أحسبه عقيل بن شبيب ، ترجم له صاحب الخلاصة ٢٣٨ وصاحب الميزان ٣ / ٨٨ .

١٩ أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب القرشي العدوي : أحد قرّاء المدينة السبعة ، من سادات التّابعين وعلمائهم وفقهائهم ، توفّي سنة ١٠٦ (مشاهير علماء الأمصار ٦٥ والأعلام ٣ / ١١٤) .

٢٠ أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطّاب القرشي العدوي : صحابي جليل ، ولد قبل الوحي بسنة ،

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال :

من كان في حاجة أخيه كان الله تعالى في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة ، فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .

هذا حديث مشهور ، جاء به أبو داود ، في كتاب السنن ، الذي حدّثنا به عنه ، محمد بن بكر بن داسه ، باختلاف في اللفظ ، وليس غرضي جمع طرقه وألفاظه ، فآتي بها مستقصاة .

من صلحاء الصّحابة ، وقرائهم ، وزهّادهم ، ومن أكثرهم تتبّعاً لآثار الرسول صلوات الله عليه ، توفّي سنة ٧٣ (مشاهير علماء الأمصار ١٦ و ١٧) .

٢٦

من أكثر الاستغفار جعل الله

له من كل همّ فرجاً

حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق[١] ، قال : حدّثنا أبو حامد محمد ابن هارون الحضرمي[٢] ، قال : حدّثنا محمد بن صالح النطّاح[٣] ، قال : حدّثنا المنذر بن زياد الطائي[٤] ، قال : حدّثنا عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[٥] ، عن أبيه ، عن جده ، رضي الله عنهم ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنّه قال :

من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجاً ، ومن كلّ ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

حدّثنا عليّ[٦] ، قال حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال :

---

١ أبو بكر أحمد بن عبد الله بن خلف الدوري الورّاق (٢٩٩ - ٣٧٩) : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٤ / ٢٣٤ وعابه بالرفض ، أي بالتشيّع لآل البيت ، أقول : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .

٢ أبو حامد محمّد بن هارون بن عبد الله بن حميد بن سلمان بن مياح الحضرمي المعروف بالبعراني : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ٣٥٨ وقال إنّه ولد سنة ٢٣٠ وتوفّي سنة ٣٢١ .

٣ أبو التيّاح محمّد بن صالح بن مهران النطّاح البصري : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٥٨٢ .

٤ أبو يحيى المنذر بن زياد الطّائي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ١٨١ .

٥ أبو محمّد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ القرشيّ (٧٠ - ١٤٥) : تابعيّ ، مدنيّ ، ذو عارضة ، ولسان ، وهيبة ، وشرف ، حبسه المنصور العبّاسي وقتله في السجن ، ترجمته في الأعلام ٤ / ٢٠٧ .

٦ في غ : عليّ بن أبي الطيّب .

حدّثنا خالد بن خداش [7] ، قال : حدّثنا عبد الرزاق [8] [٢٠ غ] عن بشر بن رافع الحارثي [9] ، عن محمد بن عجلان [10] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

قول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، دواء من تسعة وتسعين داء ، أيسرها الهمّ .

أخبرنا أبو محمّد الحسن بن خلّاد الرامهرمزي [11] ، خليفة أبي على القضاء بها ، قال : أخبرنا وكيع [12] ، أنّ القاسم بن إسماعيل أبا المنذر [١٧ ظ] السّورمي حدّثه : قال : حدّثنا نصر بن زياد [13] ، قال : كنت عند جعفر بن محمّد ، فأتاه سفيان بن سعيد الثوري [14] ، فقال : يا ابن رسول الله ، حدّثني . قال : يا سفيان ، إذا استبطأت الرزق ، فأكثر من الاستغفار ، وإذا ورد عليك أمر تكرهه ، فأكثر من لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، وإذا أنعم الله عليك ، فأكثر من الحمـــد لله .

---

٧ في غ : خالد بن حواس ، وهو تصحيف ، وقد سبقت ترجمة خالد بن خداش في حاشية القصّة ١٣ .

٨ أبو بكر عبد الرزّاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٦٠٩ .

٩ أبو الأسباط بشر بن رافع النجراني : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٣١٧ .

١٠ محمّد بن عجلان : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٦٤٤ .

١١ أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد الرامهرمزي : حافظ ، أديب ، ولّي القضاء برامهرمز ، كان صديقاً لابن العميد ، والوزير المهلبيّ ، توفّي سنة ٣٦٠ ، ترجم له صاحب اليتيمة ٣ / ٤٢٣ وشذرات الذّهب ٣ / ٣٠ واللباب ١ / ٤٥٤ .

١٢ وكيع القاضي : أبو بكر محمّد بن خلف بن حيّان الضبّي : كان عالماً ، فقيهاً ، نحوياً ، قارئاً ، تقلّد القضاء بالأهواز ، وله مصنّفات منها أخبار القضاة ، توفّي سنة ٣٠٦ (المنتظم ٦ / ١٥٢)

١٣ أحسبه أبا الحسن نصر بن زيد الهاشميّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٣ .

١٤ أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧ – ١٦١) : كان سيّداً في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ بالكوفة ، أراده المنصور على القضاء ، فأبى ، وغادر الكوفة إلى مكّة والمدينة ، ثم طلبه المهدي ، فتوارى ، ومات بالبصرة (الأعلام ٣ / ١٥٨) .

٢٧

قصّة الثلاثة انطبقت عليهم صخرة

ونجّتهم أعمالهم

حدّثنا محمّد بن جعفر بن صالح الصالحي أبو الفرج[١] ، من ولد عليّ بن صالح ، صاحب المصلّى[٢] ، قال : حدّثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين بن طلاب المشغرائي[٣] ، من قرية من قرى غوطة دمشق يقال لها : مشغرا[٤] ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الرحمن الجعفي[٥] ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، قال : حدّثنا عبيد الله بن عمر[٦] ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال :

بينما ثلاثة رهط من بني إسرائيل يسيرون ، إذ أخذهم المطر ، فأووا إلى

---

١ أبو الفرج محمّد بن جعفر بن صالح الصّالحي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٥٠٠ .

٢ صالح صاحب المصلّى : وفد من خراسان على السفّاح مع أبي مسلم الخراساني ، واختصّ بالمنصور ، فأعطاه حصيراً للصلاة من سعف مبطّن ، من عمل مصر ، ذكروا أنّه كان للنبيّ عليه صلوات الله واشترط المنصور عليه أن يحمله في الأعياد والجمع ليصلّي عليه الخليفة ثم يعيده إلى داره ، فسمّي لذلك صاحب المصلّى ، راجع تاريخ بغداد للخطيب ١١ / ٤٣٨ وتاريخ الخلفاء للسيّوطي ٣٠٠ .

٣ أبو الجهم أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب المشغرائي الدمشقي : ذكره صاحب اللباب ٢ / ١٤٤ وقال : إنّ نسبته إلى مشغرا وهي قرية من قرى دمشق .

٤ مشغرا : قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع (معجم البلدان ٤ / ٥٤٠) . قال الشيخ أبو بكر زهير الشاويش إنّ ما يسقى من نهر بردى في غربي دمشق وشماليها يسمّى الغوطة ، وعلى ذلك فإنّ مشغرا لا تعتبر من غوطة دمشق .

٥ أبو بكر محمّد بن عبد الرحمن بن الحسن الجعفيّ الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٧ ، وقال إنّه توفّي سنة ١٦٠ .

٦ عبيد الله بن عمر بن الخطّاب القرشيّ العَدَوي : لمّا قتل الخليفة الثاني عمر ، عمد ولده عبيد الله فقتل الهرمزان وابنته ، وخشي أن يقدّم للمحاكمة ، فالتجأ إلى معاوية بالشام ، وكان من أشدّ الناس على الإمام عليّ بن أبي طالب ، قتل في أحد أيّام صفّين ؛ ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٦٥ .

غار ، فانطبقت عليهم صخرة ، فسدّت الغار ، فقالوا : تعالوا فليسأل اللهَ تعالى كلّ رجل منّا بأفضل عمله .

فقال أحدهم : اللّهمّ إنّه كانت لي ابنة عمّ جميلة ، وكنت أهواها ، فدفعتُ إليها مائة دينار ، فلمّا جلستُ منها مجلس الرجل من المرأة ، قالت : اتّق الله يا ابن عمّ ، ولا تفضّ الخاتم [إلاّ بحقّه] [7] ، فقمت عنها ، وتركت المائة دينار ، اللّهمّ إن كنتَ تعلم ، أنّي فعلت هذا خشية منك ، وابتغاء ما عندك ، فأفرج عنّا ، فانفرج عنهم ثلث الصخرة .

وقال الآخر : اللّهمّ إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت أغدو عليهما بصبوحهما ، وأروح عليهما بغبوقهما ، فغدوت عليهما يوماً ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، وكرهت أن أنصرف عنهما ، فيفقدا غداءهما ، فوقفت حتّى استيقظا ، فدفعت إليهما غداءهما ، اللّهمّ إن كنتَ تعلم أنّي إنّما فعلت ذلك ابتغاء ما عندك ، وخشية منك ، فأفرج عنّا ، فانفرج الثلث الثاني .

وقال الثالث : اللّهمّ [١٨ م] إن كنت تعلم ، أنّي استأجرت أجيراً ، فلمّا دفعت إليه أجره ، قال : عملي بأكثر من هذا ، فترك عليّ أجره ، وقال : بيني وبينك يوم يؤخذ فيه للمظلوم من الظالم ، ومضى ، فابتعت له بأجره غنماً ، ولم أزل أنميها وأرعاها ، وهي تزيد وتكثر ، فلمّا كان بعد مدّة ، أتاني ، فقال لي : يا هذا إنّ لي عندك أجراً ، عملت كذا وكذا في وقت كذا وكذا ، فقلت : خذ هذه الغنم ، فهي لك ، [فقال : تمنعني من أجري ، وتهزأ بي ، فقلت : خذها فهي لك] [8] ، فأخذها ودعا لي ، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي فعلت هذا خشية

---

٧ الزيادة من ر .

٨ الزيادة من غ .

منك ، وابتغاء ما عندك ، فأفرج عنّا ، فانفرج عنهم باقي الصخرة ، وخرجوا يمشون ، وذكر الحديث كذا .

قال مؤلّف هذا الكتاب : هذا الحديثُ مشهور ، رواه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن عبّاس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن أبي أوفى [9] ، والنعمان بن بشير الأنصاري [10] ، وغيرهم ، وعن كلّ واحد منهم عدّة طرق ، وقد اختلف في ألفاظه والمعنى واحد ، وليس غرضي هنا ، جمع طرقه وألفاظه ، فأستقصي ما روي من ذلك ، إلاّ أنّ في هذه الرواية ، غلطاً لا بد من تبيينه ، وهو أنّه روي من غير طريق عن أبي أسامة [٢١ غ] ، عن عمر بن حمزة العمريّ [11] ، عن سالم ، عن ابن عمر [ليس فيه عبيد الله ، والمشهور أنّه عن عبيد الله عن نافع [12] عن ابن عمر] [13] .

وجاء من طريق أخرى أبين من هذا ، ووقع لنا بعلوّ ، فحدّثني أبو العبّاس محمّد بن أحمد الأثرم [14] ، المقرئ البغدادي ، بالبصرة سنة خمس وثلاثين

---

٩ أبو إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٤٩ وقال إنّه توفّي سنة ٨٧ وهو آخر من مات بالكوفة من أصحاب النبيّ صلوات الله عليه .

١٠ أبو عبد الله النّعمان بن بشير بن سعد الأنصاري : هو الأنصاري الوحيد الذي انحاز إلى جانب معاوية لمّا خاصم الإمام علياً ، وكانت ابنته تحت المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ولمّا قتل المختار طالبها مصعب ابن الزبير بأن تتبرأ من زوجها ، فقالت له : كيف تبرأ الحرّة من زوجها ؟ فأمر بها فقتلت صبراً . ولي النعمان الكوفة لمعاوية ، ثم ولّي قضاء دمشق ، ثم ولّي حمص وقتل فيها ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٥١ .

١١ عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ١٣٦ .

١٢ أبو عبد الله نافع ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطّاب : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٨٠ وقال إنّه توفّي سنة ١١٩ .

١٣ الزيادة من غ .

١٤ أبو العبّاس محمّد بن أحمد الأثرم البغدادي المقرئ : أحد أساتذة القاضي المحسّن صاحب الكتاب ، قرأ عليه بالبصرة في السنة ٣٣٥ ، كما يظهر من هذه القصّة ومن مواضع أخرى في الكتاب ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١ / ٢٦٣ – ٢٦٥ ، وقال إنّه ولد سنة ٢٤٠ وتوفّي سنة ٣٣٦ .

وثلثمائة ، قال : حدّثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي [15] ، قال : حدّثنا أبو اليمان الحكم ابن نافع [16] ، قال : أنبأنا شعيب [17] ، عن الزهري ، قال : أخبرني سالم بن عبد الله ابن عمر ، أنّ عبد الله بن عمر ، قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول : [١٨ ظ] انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى أواهم المبيت إلى غار ، فدخلوا ، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل ، فسدّت عليهم الغار ، وذكر الحديث إلى نحو الرواية الأولى .

---

١٥ إبراهيم بن الهيثم البلدي : ترجم له صاحب الميزان ١ / ٧٣ .

١٦ أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٨١ وقال إنّه ولد سنة ١٣٨ وتوفّي سنة ٢٢١ .

١٧ أبو بشر شعيب بن أبي حمزة الأمويّ الحمصي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٤١ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٣ .

٢٨

لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا هارون بن سفيان[1] ، قال : حدّثنا عبيد بن محمّد[2] عن محمّد بن مهاجر[3] ، قال : حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن سعد[4] عن أبيه[5] ، عن جدّه[6] ، قال : كنّا جلوساً عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

ألا أخبركم وأحدّثكم بشيء ، إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا ، ودعا به ، فرّج الله عنه ؟

فقيل له : بلى .

قال : دعاء ذي النّون ، لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين .

---

١ أبو سفيان هارون بن سفيان بن راشد المستملي المعروف بمكحلة : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ٢٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٧ .

٢ عبيد بن محمّد المحاربي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢١٦ .

٣ محمّد بن مهاجر : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٠ هـ .

٤ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص الزهري المدني الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٨ .

٥ أبو القاسم محمّد بن سعد بن أبي وقّاص الزهري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٨ وقال : إنّ الحجّاج قتله بعد واقعة الجماجم .

٦ أبو إسحاق سعد بن أبي وقّاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزّهري المدني (٢٣ ق – ٥٥ هـ) : الصحابي ، الأمير ، شهد بدراً وكافة المشاهد ، وأوّل من رمى بسهم في سبيل الله ، فاتح العراق ، ومدائن كسرى (الخلاصة ١١٥ والأعلام ٣ / ١٣٧ – ١٣٨) .

٢٩

دعاء للمريض

وجدتُ في كتاب ألّفه محمّد بن جرير الطبري ، وسمّاه : كتاب الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة : حدّثنا ابن بشّار[١] ، قال : حدّثنا ابن أبي عديّ[٢] ، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري[٣] ، قال : كان بأبي الحصاة ، فكان يلقى – من شدَّة ما به – البلاءَ .

قال حميد : فانطلقت إلى بيت المقدس ، فلقيت أبا العوّام ، فشكوت إليه الذي بأبي ، وأخبرته خبره .

فقال : مُره فليدعُ بهذه الدعوة : ربّنا الذي في السّماء عرشه ، ربّنا الذي في السماء تقدّس اسمه ، أمرك ماضٍ في السماء والأرض ، وكما رحمتك في السّماء ، فاجعلها في الأرض ، اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ، إنّكَ أنت الغفور الرحيم ، اللّهمّ أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك ، على ما بفلان من وجع .

قال : فدعا به ، فأذهبه الله تعالى عنه .

---

١ أبو بكر محمّد بن بشار بن عثمان البصري الملقّب بندار : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٢ .

٢ أبو عمر محمّد بن إبراهيم البصري المعروف بابن أبي عـديّ : ترجمته في حاشية القصّة ٥٨ .

٣ حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري الفقيه : ترجم له صاحب الخلاصة ٨٠ .

٣٠

كلمات الفرج

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو خيثمة[١] ، قال : حدّثنا يزيد بن هارون[٢] عن سعيد بن أبي عروبة[٣] ، عن قتادة ، عن أبي العالية[٤] ، عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قــال :

كلمات الفرج : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم ، لا إله إلاّ الله العليّ العظيم ، لا إله إلاّ الله ربّ السموات السبع ، وربّ الأرضين السبع [١٣ ر] ، وربّ العرش العظيم[٥] .

---

١ أبو خيثمة زهير بن حرب بن شدّاد النسائي : محدّث بغداد في عصره ، توفّي سنة ٢٣٤ (الأعلام ٣ / ٨٧) .

٢ أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السّلمي الواسطي (١١٨ - ٢٠٦) : من الموالي ، أصله من بخارى ، ولد وتوفّي بواسط ، عمي في كبره ، مدحه قوم وذمّه يحيى بن معين ، وقال : إنّه ليس من أصحاب الحديث لأنّه كان لا يميّز ولا يبالي عمّن روى (تاريخ بغداد للخطيب ١٤ / ٣٣٧) .

٣ أبو النّضر سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١٢٠ وقال إنّه توفّي سنة ١٥٦ .

٤ أبو العالية البراء : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٥٤٣ وقال إنّه توفّي سنة ٩٠ .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

٣١

دعوات المكروب

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا زيد بن أخزم الطائي[١] ، قال : حدّثنا عبد الملك بن عمرو أبو عامر[٢] ، قال : حدّثنا عبد الجليل بن عطيّة[٣] عن جعفر بن ميمون[٤] ، قال : حدّثني عبد الرحمن بن أبي بكرة[٥] ، عن أبيه[٦] ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال :

دعوات المكروب : اللّهمّ رحمتَك أَرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، لا إله إلاّ أنت[٧] .

أخبرني أبو بكر مكرم بن أحمد بن عبد الوهّاب بن مكرم القاضي[٨] ، قال : حدّثنا أبو الأزهر محمّد بن جعفر[٩] ، قال : حدّثنا أبو نعيم[١٠] ، قال : حدّثنا

---

١ أبو طالب زيد بن أخزم الطّائي البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠٧ .

٢ أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٤ .

٣ أبو صالح عبد الجليل بن عطيّة القيسي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١٨٧ .

٤ أبو علي جعفر بن ميمون بيّاع الأنماط : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٤ .

٥ أبو بحر عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي البصري : تابعي ، أوّل مولود في الإسلام بالبصرة ، ترجم له صاحب الخلاصة ١٩٠ والأعلام ٤ / ١١٦ .

٦ أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة التقفيّ : صحابي ، كنّاه النبيّ صلوات الله عليه بأبي بكرة ، توفّي سنة ٥١ ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٦ .

٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

٨ أبو بكر مكرم بن أحمد بن محمّد بن مكرم القاضي ، المعروف بالبزّاز : ترجم له الخطيب البغدادي ١٣ / ٢٢١ وقال إنّه توفّي سنة ٣٤٥ .

٩ أحسب أنّ الصحيح : ابن الأزهر ، وهو أبو عمر محمّد بن جعفر بن محمّد بن حبيب بن أزهر

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[11] عن هلال مولى غفرة[12] ، عن عمر بن عبد العزيز[13] ، عن عبد الله بن جعفر[14] ، قال :

علّمتني أمّي أسماءُ بنت عميس[15] ، شيئاً أمرها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أن تقوله عند الكرب : الله ربّي ، لا أشرك به شيئاً .

أخبرني مكرم بن أحمد القاضي ، قال : حدّثنا محمد بن إسماعيل السلميّ[16] ، قال : أنبأنا ابن أبي مريم[17] ، قال : حدّثني يحيى بن أيّوب[18] ، قال : حدّثني

القتّات الكوفي ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٢ / ١٢٩ وقال إنّه قدم بغداد وحدّث بها عن أبي نعيم ، وإنّه توفّي سنة ٣٠٠ .

١٠ أبو نعيم الفضل بن دكين واسمه عمرو بن حمّاد بن زهير بن درهم التيمي الكوفي الملائي الأحول الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٢ وقال إنّه توفّي سنة ٢١٩ وترجم له الخطيب البغدادي ترجمة مطوّلة ١٢ / ٣٤٦ – ٣٥٧ .

١١ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الزّهري ، المعروف بابن أبي ثابت الأعرج المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٤ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٧ .

١٢ في غ : مولى عفره .

١٣ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٥ من هذا الكتاب .

١٤ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشميّ : ترجمته في حاشية القصّة ٤٦٢ من هذا الكتاب .

١٥ أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعمي : صحابيّة ، وصفها أبو نعيم بأنّها مهاجرة المهاجرتين ، ومصلّية القبلتين ، أسلمت قبل دخول النبيّ صلوات الله عليه دار الأرقم ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر الطيّار ، فولدت له عبد الله وعوناً ومحمّداً ، وقتل عنها جعفر فتزوّجها أبو بكر الصدّيق ، فولدت له محمّد بن أبي بكر ، وتوفّي عنها أبو بكر ، فتزوّجها الإمام عليّ بن أبي طالب ، فولدت له يحيى وعوناً (الخلاصة ٤٢٠ والأعلام ١ / ٣٠٠) .

١٦ أبو إسماعيل محمّد بن إسماعيل بن يوسف السّلمي الترمذي الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٧٩ وقال إنّه توفّي سنة ٢٨٠ .

١٧ ابن أبي مريم : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٥٩٦ والخلاصة ٤١٠ .

١٨ أبو زكريا يحيى بن أيّوب العابد المعروف بالمقابري (١٥٧ – ٢٣٤) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ١٨٨ .

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن هلال مولى غفرة[١٩] [٢٢ غ] ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن جعفر ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كان يقول عند الكرب : الله ربّي ، لا أشرك به شيئاً .

حدّثنا بالموصل ، في مجلس عضد الدولة[٢٠] ، وهو يسمع ، إبراهيم بن محمّد الأنصاري المعروف بالشمدي[٢١] ، وهو يخلفني يومئذ في جملة من أعمالي على القضاء بجزيرة ابن عمر[٢٢] ، وسنّه أكثر من تسعين سنة ، وكان عضد الدولة استدعاه منها لعلوّ إسناده ، وعمل له مجلساً بحضرته ، حدّث فيه ، وأحضرني وجماعة مخصوصين من أهل العلم ، حتّى سمع منه ، وسمعنا معه ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمّد بن قريعة الأزدي ، وأبو العبّاس محمّد بن حسّان [١٩ ظ]

---

١٩ في غ : مولى عفره .

٢٠ عضد الدّولة أبو شجاع فناخسرو بن أبي عليّ الحسن ركن الدّولة بن بويه (٣٢٤ – ٣٧٢) : أحد المتغلّبين على الملك في عهد الدّولة العبّاسية ، تولّى ملك فارس ، ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ، ولقّب : شاهنشاه ، وعضد الدّولة ، وتاج الملّة ، وكان مهيباً جبّاراً عسوفاً ، عالماً بالعربية ، ينظم الشعر ، وكان محبّاً للعمران ، أنشأ البيمارستان العضدي ببغداد ، وعمّر القناطر والجسور (الأعلام ٥ / ٣٦٤) ، أقول : إنّ نظم عضد الدّولة لا يرتقي إلى مرتبة الشعر ، راجع في نشوار المحاضرة في القصّة ٣ / ٩ أبياتاً من شعره ، وفي حاشية القصّة رأي أحد ندمائه في شعره ، هذا الرأي الذي أدّى إلى أن أمر عضد الدّولة بضربه مائتي سوط .

٢١ إبراهيم بن محمّد الأنصاري المعروف بالشمدي : لم أعثر فيما لديّ من المراجع ، على ترجمة له ، وقد ذكر القاضي التنّوخي في هذا الكتاب ، أنّ الشمدي كان يخلفه على القضاء بجزيرة ابن عمر ، وأنّ عضد الدولة استمع منه الحديث بالموصل ، وكان سن الشمدي إذ ذاك قد نيّف على التسعين ، وكان عضد الدّولة قد حلّ بالموصل سنة ٣٦٧ وكان القاضي التّنوخي مرافقاً له حيث قلّده قضاء جميع ما فتحه من تلك النّواحي إضافة إلى قضاء حلوان وقطعة من طريق خراسان ، راجع القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٢٢ جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة أيّام ، تحيط بها دجلة إلّا من جهة واحدة مثل الهلال ، لها رستاق ، خصب واسع الخيرات ، أوّل من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التّغلبيّ فنسبت إليه ، (معجم البلدان ٢ / ٧٩) .

البصريّان ، قالا : حدّثنا عفّان بن مسلم[٢٣] ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلمة[٢٤] ، عن أسامة بن زيد[٢٥] ، عن محمّد بن كعب القرظي[٢٦] عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد[٢٧] ، عن عبد الله بن جعفر ، عن عليّ عليه السلام ، قال :

علّمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل بي كرب أو شدّة ، أن أقول : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم ، عزّ الله ، وتبارك الله ، ربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

وأخبرني القاضي أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن حمّاد[٢٨] ، قال : حدّثنا محمد بن يونس الكديمي[٢٩] ، قال : حدّثنا روح بن عبادة[٣٠] ، قال : حدّثنا أسامة بن زيد ، فذكر بإسناده مثله .

وأخبرني[٣١] القاضي عليّ بن إبراهيم ، قال حدّثنا الكديمي ، قال : حدّثني

---

٢٣ أبو عثمان عفّان بن مسلم الصفّار البصري (١٣٤ – ٢١٩) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٢٦٩ – ٢٧٧ وصاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٨١ – ٨٢ .

٢٤ أبو سلمة حمّاد بن سلمة بن دينار البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٧ .

٢٥ أبو زيد أسامة بن زيد بن أسلم العدوي المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٢ .

٢٦ أبو حمزة محمّد بن كعب القرظي : من فضلاء المدينة ، روى عن الإمام علي عليه السلام ، وعن عبد الله بن عبّاس ، وعن أبيه كعب بن سليم القرظي ، توفّي بالمدينة سنة ١١٧ أو ١١٨ (اللباب ٢ / ٢٥٤) .

٢٧ أبو الوليد عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، واسمه أسامة اللّيثي المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٧١ وقال إنّه قتل سنة ٨١ .

٢٨ أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن حمّاد الأزدي القاضي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٣٣٩ وقال إنّه ولّي القضاء بالأهواز ، وقدم بغداد وحدّث بها ، وتوفّي سنة ٣٥٦ .

٢٩ أبو العبّاس محمّد بن يونس بن موسى بن عبيد بن سليمان بن ربيعة بن كديم ، القرشيّ ، الساميّ ، البحريّ ، المعروف بالكديمي : (١٨٣ – ٢٨٦) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ٤٣٥ – ٤٤٥ .

٣٠ أبو محمّد روح بن عبادة بن العلاء بن حسّان بن عمرو بن مرثد القيسي ، من بني قيس بن ثعلبة : ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ٤٠١ – ٤٠٦ .

٣١ في غ : وأخبرنيه .

سعيد بن منصور البلخي [٣٢] ، قال : حدّثنا يعقوب بن عبد الرحمن [٣٣] ، عن محمّد ابن عجلان ، عن محمّد بن كعب القرظي ، فذكر بإسناده مثله .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا محمّد بن عبّاد بن موسى [٣٤] ، قال : حدّثني روح بن عبادة [٣٥] ، عن أسامة بن زيد ، عن محمّد بن كعب القرظيّ ، عن عبد الله بن شدّاد ، عن عبد الله بن جعفر ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : علّمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذا نزل بي كرب ، أن أقول : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم ، سبحان الله ، وتبارك الله ربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين [٣٦] [١٩ م] .

حدّثنا : عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو خيثمة ، قال : حدّثنا عفّان بن مسلم ، عن عبد الواحد ابن زياد [٣٧] ، قال : حدّثنا مجمع بن يحي [٣٨] ، قال : حدّثنا أبو العيوف صعب ، أو صعيب العنزي ، عن أسماءَ بنت عميس ، قالت : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يقول :

من أصابه همّ ، أو غمّ ، أو سقم ، أو شدّة ، أو ذلّ ، أو لأواء ، فقال :

---

٣٢ أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة النسائي البلخي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٢١ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٧ .

٣٣ أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن بن أحمد بن يعقوب الجصّاص : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ٢٩٤ وقال إنّه توفّي سنة ٣٣١ .

٣٤ أبو جعفر محمّد بن عبّاد بن موسى العكلي البغدادي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٣ .

٣٥ أبو محمّد روح بن عبادة بن العلاء بن حسّان القيسي البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠١ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٥ .

٣٦ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤١ .

٣٧ أبو بشر عبد الواحد بن زياد العبدي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٦ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٦ .

٣٨ مجمع بن يحيى بن يزيد : ترجم له صاحب الخلاصة ٣١٦ .

الله ربّي ، لا شريك له ، كشف الله ذلك عنه [39] .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني سعيد بن سليمان [40] ، قال : حدّثنا فضيل بن مرزوق [41] ، قال : حدّثنا أبو سلمة الجهني [42] ، عن القاسم بن عبد الرحمن [43] ، عن أبيه [44] ، قال ، [قال عبد الله بن مسعود :] [45] قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

ما أصاب مسلماً قطّ ، همّ ، أو حزن ، فقال : اللّهمّ إنّي عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي في يدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدْل فيّ قضاؤك ، أسألك بكلّ اسم هو لك ، سمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء حزني ، وذهاب همّي ، إلاّ أذهب الله عنه كربه ، وأبدله مكان حزنه فرحاً .

قالوا : يا رسول الله أفـلا نتعلّم هذه الكلمات ؟

قال : بـلى ، ينبغي لمن سمعهنّ أن يتعلّمهنّ [46] .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو حفص الصفّار أحمد بن حميد ، قال : حدّثنا جعفر

---

٣٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

٤٠ أبو عثمان سعيد بن سليمان الضبّي الواسطي البزّاز المعروف بسَعدويه : ترجمته في حاشية القصّة ٢١ .

٤١ فضيل بن مرزوق الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٤ وصاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٣٦٢ .

٤٢ أبو سلمة الجهني : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٣٦٢ .

٤٣ أبو عبد الرّحمن القاسم بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن مسعود الهذليّ : قاضي مكّة ، ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٦ وقال إنّه توفّي سنة ١١٠ .

٤٤ عبد الرّحمن بن عبد الله بن مسعود الهذليّ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٩٥ وقال إنّه توفّي سنة ٧٧ .

٤٥ الزيادة من مخطوطة (د) .

٤٦ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

ابن سليمان[47] ، قال : حدّثنا الخليل بن مرة[48] ، عن فقيه من أهل [٢٣ غ] الأردن ، قال :

بلغنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كان إذا أصابه غمّ أو كرب يقول : حسبي الربّ من العباد ، حسبي الخالق من المخلوق ، حسبي الرازق من المرزوق ، حسبي الله الذي هو حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الله ، لا إله إلاّ هو ، عليـه توكّلت ، وهو ربّ العرش العظيم[49] .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا القاسم بن هاشم[50] ، قال : حدّثني الخطّاب بن عثمان[51] ، قال : حدّثني ابن أبي فديك[52] ، قال : حدّثنا سعد بن سعيد[53] ، قال : حدّثنا أبو إسماعيل ابن أبي فديك ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

ما كربني أمرٌ ، إلاّ تمثّل لي جبريل عليه السّلام ، فقال : يا محمّد ، قل توكّلت على [٢٠ ظ] الحيّ الذي لا يموت ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ... إلى آخر الآية .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثني ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم[54] ، قال : حدّثنا النضر بن إسماعيـل

---

٤٧ أبو سليمان جعفر بن سليمان البصري الزّاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٤ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٨ .

٤٨ الخليل بن مرّة الضّبعي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٩١ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٠ .

٤٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤٢ .

٥٠ القاسم بن هاشم بن سعيد بن سعد بن عبد الله بن سيف بن حبيب السمسار : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٢٩ .

٥١ أبو عمر الخطّاب بن عثمان الفوزي الطّائي : ترجم له صاحب الخلاصة ٨٩ .

٥٢ أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك دينار : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٧٩ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٠ .

٥٣ أبو سهل سعد بن سعيد المقبري المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٤ .

٥٤ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن الضيف العسكري البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٣ من الكتاب .

البجليّ[٥٥] عن عبد الرحمن بن إسحاق[٥٦] ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله ، قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذا نزل به همّ ، أو غمّ ، قال : يا حيّ ، يا قيّوم ، برحمتك أستغيث[٥٧] .

حدّثنا جعفر بن أبي طالب بن أبي جعفر بن البهلول التنوخي القاضي[٥٨] ، قال : حدّثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن أبي حيّة[٥٩] ، قال : حدّثنا إسحاق ابن أبي إسرائيل[٦٠] ، قال : حدّثني النضر بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عبد الله بن مسعود قال :

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذا نزل به غمّ أو كرب ، قال : يا حيّ ، يا قيّوم ، برحمتك أستغيث .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا هارون بن سفيان ، قال : حدّثني عبد الله بن محمد القرشي[٦١] ،

---

٥٥ أبو المغيرة النضر بن إسماعيل بن خازم البجليّ الكوفي القاص إمام مسجد الكوفة : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٣ / ٤٣١ - ٤٣٤ وصاحب الخلاصة ٣٤٤ .

٥٦ عبد الرّحمن بن إسحاق المدنيّ ، المعروف بعبّاد : ترجم له صاحب الميزان ٢ / ٥٤٦ - ٥٤٧ .

٥٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤١ .

٥٨ أبو محمّد جعفر بن أبي طالب محمّد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسّان التنوخي الأنباري (٣٠٣ - ٣٧٧) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٧ / ٢٣٢ .

٥٩ أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حيّة : ورّاق الجاحظ ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٢٨ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٩ .

٦٠ أبو يعقوب إسحاق بن أبي إسرائيل واسمه إبراهيم بن كامجر المروزي (١٥١ - ٢٤٦) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٥٦ - ٣٦٢ .

٦١ أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدّنيا : ترجمته في حاشية القصّة ١١ من الكتاب .

عن نعيم بن مورع[٦٢] ، عن جويبر[٦٣] ، عن الضحّاك[٦٤] ، قال :

دعاء موسى حين توجّه إلى فرعون ، ودعاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [٢٤ غ] ، يوم حنين ، ودعاء كلّ مكروب : كنتَ وتكون ، حيًّا لا تموت ، تنام العيون ، وتنكدر النجوم ، وأنتَ حيّ قيّوم ، لا تأخذك سنّة ولا نوم ، يـا حيّ ، يا قيّوم[٦٥] .

---

٦٢ نعيم بن مورّع : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٧١ .

٦٣ أبو القاسم جويبر بن سعيد الأزدي البلخي المفسّر : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٦ وصاحب ميزان الاعتدال ١ / ٤٢٧ ، مات بعد سنة ١٤٠ .

٦٤ أبو القاسم الضحّاك بن مزاحم البلخي المفسّر : كان مؤدّباً ، وكان في مكتبه ثلاثة آلاف صبيّ ، وكان يطوف عليهم على حمار ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٣٢٥ وقال إنّه توفّي سنة ١٠٥ .

٦٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٦٤ .

٣٢

دعـاء الفرج

دعاء الفرج ، أعطانيه أبو الحمد داود بن الناصر لدين الله واسمه أحمد بن الهادي للحقّ يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم المعروف بطباطبا ابن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، وقال لي : إنّ أهله يتوارثونه ، وهو عن أمير المؤمنين عليه السلام :

يا من تحلّ به عقد المكاره ، ويفلّ حدّ الشدائد ، ويا من يلتمس به المخرج ، ويطلب منه رَوْحُ الفرج ، أنت المدعوّ في المهمّات ، والمفزع في الملمّات ، لا يندفع منها إلاّ ما دفعت ، ولا ينكشف منها إلاّ ما كشفت ، قد نزل بي ما قد علمت ، وقد كادني ثقله ، وألمّ بي ما بهظني حمله ، وبقدرتك أوردته عليّ ، وبسلطانك وجّهته إليّ ، ولا مصدر لما أوردت ، ولا كاشف لما وجّهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا ميسّر لما عسّرت ، ولا معسّر لما يسّرت ، فصلّ اللّهمّ على محمد ، وعلى آل محمد ، وافتح لي باب الفرج بطَولك ، واحبس عنّي سلطان الهمّ بحولك ، وأنلني حسن النظر فيما شكوت ، وأذقني [٢٠ م] حلاوة الصنع فيما سألت ، وهب لي من لدنك فرجاً هنيًا عاجلاً ، وصلاحاً في جميع أمري سنيًا شاملاً ، واجعل لي من عندك فرجاً قريباً ، ومخرجاً رحباً ، ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك ، واستعمال سنّتك ، فقد ضقت ذرعاً بما عراني ، وتحيّرت فيما نزل بي ودهاني ، وضعفت عن حمل ما قد أثقلني همًّا ، وتبدّلت [١٤ ر] بما أنا فيه قلقاً وغمًّا ، وأنت القادر على كشف ما قد وقعت فيه ، ودفع ما منيت به ، فافعل بي ذلك يا سيّدي ومولاي ، وإن لم أستحقّه ، وأجبني إليه وإن لم أستوجبه ، يا ذا العرش العظيم (ثلاث مرّات) .

٣٣

دعاء آخر للفرج

وأعطاني دعاء آخر للفرج ، وقال لي : إنّ أهله بصعدة[١] ، يتوارثونه عن أهل البيت عليهم السلام :

لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً ، لا إله إلاّ الله تعبّداً ورقّاً ، لا إله إلاّ الله إيماناً وصدقاً ، يا منزل الرحمة من معادنها ، ومنشئ البركة من أماكنها ، أسألك أن تصلّي على محمد ، عبدك ونبيّك ، وخيرتك من خلقك وصفيّك ، وعلى آله مصابيح الدجى ، وأئمّة الهدى ، وأن تفرّج عنّي فرجاً عاجلاً ، وتنيلني صلاحاً لجميع أمري شاملاً ، وتفعل بي ، في ديني ودنياي ، ما أنت أهله ، يا كاشف الكرب ، يا غافر الذنب ، يا الله ، يا ربّ .

---

١ صعدة : مدينة من مدن اليمن (معجم البلدان ٣ / ٣٨٨ – ٣٩٠) .

٣٤
استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً

حدّثني أيوب بن العباس بن الحسن [٢١ ظ] الذي كان وزير المكتفي – ولقيت أيوب بالأهواز في حدود سنة خمسين وثلثمائة – من حفظه ، قال : حدّثني عليّ بن همّام ، بإسناد لست أحفظه :

أنّ أعرابياً شكى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شدّة لحقته ، وضيقاً في الحال ، وكثرة من العيال .

فقال له : عليك بالاستغفار ، فإنّ الله [تعالى][1] يقول : استغفروا ربّكم ، إنّه كان غفّاراً ... الآيات .

فعاد إليه ، وقال : يا أمير المؤمنين قد استغفرت كثيراً ، وما أرى فرجاً مما أنا فيه .

قال : لعلّك لا تحسن أن تستغفر .

قال : علّمني .

قال : أخلص نيّتك ، [٢٥ غ] وأطع ربّك ، وقل : اللّهم إنّي أستغفرك من كلّ ذنب ، قوي عليه بدني بعافيتك ، أو نالته يدي بفضل نعمتك ، أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك ، أو اتّكلت فيه ، عند خوفي منه ، على أناتك ، أو وثقت فيه بحلمك ، أو عوّلت فيه على كرم عفوك ، اللّهم إنّي أستغفرك من كلّ ذنب خنت فيه أمانتي ، أو بخست فيه نفسي ، أو قدّمت فيه لذّتي ، أو آثرت فيه شهوتي ، أو سعيت فيه لغيري ، أو استغويت فيه من تبعني ، أو غلبت فيه بفضل حيلتي ، أو أحلتُ فيه عليك يا مولاي ، فلم تؤاخذني على فعلي ، إذ كنتَ – سبحانك – كارهاً لمعصيتي ، لكن سبق علمك فيّ باختياري ، واستعمالي مرادي

---

١ الزيادة من غ .

وإيثاري ، فحلمت عنّي ، لم تدخلني فيه جبراً ،ولم تحملني عليه قهراً ، ولم تظلمني شيئاً ، يا أرحم الراحمين ، يا صاحبي عند شدّتي ، يا مؤنسي في وحدتي ، ويا حافظي عند غربتي[2] ، يا وليّي في نعمتي ، ويا كاشف كربتي ، ويا سامع دعوتي ، ويا راحم عبرتي ، ويا مقيل عثرتي ، يا إلهي بالتحقيق ، يا ركني الوثيق ، يا رجائي في الضيق[3] ، يا مولاي الشفيق ، ويا ربّ البيت العتيق ، أخرجني من حلق المضيق ، إلى سعة الطريق ، وفرجٍ من عندك قريب وثيق ، واكشف عنّي كلّ شدّة وضيق ، واكفني ما أطيق وما لا أطيق ، اللّهمّ فرّج عنّي كلّ همّ وكرب ، وأخرجني من كلّ غمّ وحزن ، يا فارج الهمّ ، ويا كاشف الغمّ ، ويا منزل القطر [٢١ م] ، ويا مجيب دعوة المضطرّ ، يا رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمها ، صلّ على خيرتك محمد النبيّ ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين ، وفرّج عنّي ما ضاق به صدري ، وعيل معه صبري ، وقلّت فيه حيلتي ، وضعفت له قوّتي ، يا كاشف كلّ ضرّ وبليّة ، ويا عالم كلّ سرّ وخفيّة ، يا أرحم الراحمين ، وأفوّض أمري إلى الله ، إنّ الله بصير بالعباد ، وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلت ، وهو ربّ العرش العظيم .

قال الأعرابي : فاستغفرت بذلك مراراً ، فكشف الله عزّ وجلّ عنّي الغمّ والضيقّ ، ووسع عليّ في الرزق ، وأزال عنّي المحنة .

---

٢ في غ : في غربتي .

٣ في ظ ور وغ : يا جاري اللّصيق ، راجع القصّة ٣ / ٩٨ من النشوار .

٣٥

لا أبالي على أيّ حالة أصبحتُ

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثني علي بن الجعد وإسحاق بن إسماعيل[١] ، قالا : حدّثنا سفيان ابن عيينة ، عن أبي السوداء[٢] ، عن أبي مجلز[٣] ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ما أبالي على أيّ حالة أصبحت ، على ما أُحبّ ، أو على ما أكره ، وذلك أنّي لا أدري ، الخير فيما أُحبّ ، أو فيما أكره[٤] .

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا إبراهيم بن سعيد[٥] ، قال : حدّثنا أبو أسامة[٦] ، عن الأعمش ، عن إبراهيم[٧] ، قال :

إن لم يكن لنا خير فيما نكره ، لم يكن لنا خير فيما نحبّ[٨] .

---

١ أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل الطالقاني المعروف باليتيم : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٣٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٠ .

٢ أبو السّوداء : ذكره صاحب الخلاصة ٣٨٠ .

٣ في الأصل أبو مخلد والتّصحيح من الخلاصة ٣٩٥ ومن مخطوطة (د) ص. ١٣٥ .

٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٥ .

٥ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الطّبري الجوهري البغدادي الحافظ : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٩٣ وصاحب الخلاصة ١٥ ، توفّي سنة ٢٤٩ .

٦ أبو أسامة : ذكره الخطيب البغدادي في ثبت من روى عنهم إبراهيم الجوهري (تاريخ بغداد ٦ / ٩٣) .

٧ أبو أسماء إبراهيم بن يزيد التّيميّ ، الكوفي ، العابد ، القدوة : من تيم الرباب ، قال الأعمش : كان إبراهيم التّيمي إذا سجد تجيء العصافير تنقر ظهره ، قتله الحجّاج سنة ٩٤ ، ترجمه صاحب الخلاصة ٢٠ .

٨ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٥ .

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي[9] ، قال : حدّثنا أبو روح[10] ، رجل من أهل مرو ، عن سفيان بن عيينة ، قال :

مرّ محمد بن عليّ[11] ، على محمد بن المنكدر[12] ، فقال : ما لي أراك مغموماً ؟

فقال أبو حازم : ذلك لدين فدحه .

قال محمد بن علي : أفتح له في الدعاء ؟

قال : نعم .

قال : لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها دعاء ربّه ، كانت ما كانت[13] .

حدّثنا [٢٦ غ] علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي [٢٢ ظ] الدنيا ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، قال : حدّثنا أبو روح ، قال : قال ابن عيينة :

ما يكره العبد ، خير له ممّا يحبّ ، لأنّ ما يكره ، يهيجه على الدعاء ، وما يحبّ ، يلهيه عنه[14] .

---

٩ أبو محمّد عبد الرحمن بن صالح الأزدي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠ / ٢٦١ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٥ .

١٠ أبو روح خالد بن محدوج : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٦٤٢ .

١١ الإمام أبو جعفر محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (٥٧ – ١١٤) : خامس الأئمة ، ولد بالمدينة ، وتوفّي بالحميمة ، ودفن بالمدينة (الأعلام ٧ / ١٥٣) .

١٢ محمّد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتّصغير) بن عبد العزّى القرشي التّيمي المدني : (٥٤ – ١٣٠) ترجمته في حاشية القصّة ٣١٢ من الكتاب .

١٣ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٦ .

١٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٦ .

٣٦

دعاء داود عليه السلام

قال ابن أبي الدنيا ، قال حدّثنا أبو نصر التمّار[1] ، قال : حدّثنا سعيد بن عبد العزيز التنوخيّ[2] ، قال : قال داود عليه السلام :

سبحان الله مستخرج الدعاء بالبلاء ، سبحان الله مستخرج الشكر بالرخاء[3] .

٣٧

ما أقرب النعيم من البؤس

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا أحمد بن إبراهيم العبدي[4] ، قال : حدّثنا العلاء بن عبد الجبار العطار[5] ، قال : حدّثنا أبو عبد الصمد العمّي ، قال : سمعت مالك بن دينار[6] ، يقول في مرضه ، وهو من آخر كلام سمعته يتكلّم به :

ما أقرب النعيم من البؤس ، يعقبان ، ويوشكان زوالاً[7] .

---

١ أبو نصر عبد الملك بن عبد العزيز القشيري التمار النسوي الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٧ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٨ .

٢ أبو محمّد سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي الدمشقي الفقيه : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٩ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٧ .

٣ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٦ .

٤ أحمد بن إبراهيم بن كثير بن يزيد بن أفلح العبدي النُكري البغدادي الدورقي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٦ عن ٧٨ سنة .

٥ العلاء بن عبد الجبّار العطّار الأنصاري : ترجم صاحب الخلاصة ١٨٧ لولده عبد الجبّار بن العلاء ، وقال إنّه روى عن أبيه .

٦ أبو يحيى مالك بن دينار البصري : محدّث ، ورع ، كان يكتب المصاحف بالأجرة ، توفّي سنة ١٣١ بالبصرة (الأعلام ٦ / ١٣٤) .

٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٧ .

٣٨

عُبَيدُك بفنائك

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا محمد بن الحسين[١] ، قال : حدّثني عبد الله بن محمد التميمي[٢] ، قال : حدّثنا شيخ مولى لعبد القيس ، عن طاووس[٣] ، قال :

إنّي لفي الحِجْر ذات ليلة ، إذ دخل عليّ بن الحسين عليهما السلام[٤] ، فقلت : رجلٌ صالحٌ من أهل بيت الخيَر ، لأستمعنّ إلى دعائه الليلة ، فصلّى ، ثم سجد ، فأصغيت بسمعي إليه ، فسمعته يقول : عُبَيْدُكَ بفنائك ، مسكينك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، سائلك بفنائك .

قال طاووس : فحفظتهنّ ، فما دعوت بهنّ في كرب ، إلاّ فرّج الله عنّي[٥] .

---

١ أبو شيخ محمّد بن الحسين البرجلانيّ : صاحب كتاب الرّقائق ، ترجم له صاحب الميزان ٣ / ٥٢٢ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٨ .

٢ أبو الحباب عبد الله بن محمّد العدوي التّميمي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٤٨٥ .

٣ أبو عبد الرّحمن طاووس بن كيسان الخولاني الهمدانيّ (٣٣ – ١٠٦) : من أكابر التّابعين ، فقيه ، محدّث ، متقشّف ، جريء في الحقّ ، ولد ونشأ باليمن وتوفّي حاجًّا بمكّة (الأعلام ٣/٣٢٢) .

٤ الإمام أبو الحسن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بن الإمام عليّ بن أبي طالب (٣٨ – ٩٤) : رابع الأئمّة ، كان يضرب به المثل في الحلم والورع ، ليس للحسين عقب إلاّ منه ، لأنّه الوحيد الذي نجا من مذبحة كربلاء لأنّه كان صغيراً مريضاً طريح الفراش إبان المعركة ، ولد وتوفّي بالمدينة ، راجع ترجمته في الأعلام ٥ / ٨٦ .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٦٤ .

٣٩

ذبح عجلاً بين يدي أمه فخبل

حدّثنا إبراهيم بن محمد الأنصاري ، بالموصل ، بحضرة عضد الدولة ، قال : أنبأنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي القاضي[١] ، وأبو جعفر محمّد بن محمّد بن حبّان الأنصاري ، البصريّان ، قالا : حدّثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي[٢] ، قال : حدّثني حمّاد بن سلمة[٣] . قال : حدّثنا أبو عمران الجوني[٤] عن نوف البكالي :

أنّ نبياً أو صدّيقاً ذبح عجلاً بين يدي أمّه ، فخبل[٥] ، فبينما هو كذلك ذات يوم ، تحت شجرة فيها وكر طير ، إذ وقع فرخ طائر في الأرض ، وتغبّر في التراب ، فأتاه الطائر ، فجعل يطير فوق رأسه ، فأخذ النبيّ أو الصدّيق الفرخَ ، فمسحه من التراب ، وأعاده في وكره ، فردّ الله عزّ وجلّ عليه عقله .

---

١ أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمّد الجمحي القاضي : ولّي القضاء بالبصرة ، وكان شاعراً ، وله تآليف في الشّعر والأدب ، توفّي بالبصرة سنة ٣٠٥ ، راجع أخباره في معجم الأدباء ١٣٤/٦ وفي مروج الذّهب للمسعودي ٢ / ٥٠٠ و٥٠١ ، وفي كتاب نشوار المحاضرة القصص ٢ / ٩ و١٠ ، ٣ / ٢٩ ، ١٧٩ و٤ / ٧٤ .

٢ أبو سلمة موسى بن إسماعيل المنقري التبوذكي البصري : حافظ ، من الأعلام ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٠٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٣ .

٣ أبو سلمة حمّاد بن سلمة بن دينار الرّبعي التّيمي القرشي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٧ .

٤ أبو عمران عبد الملك بن حبيب الجوني الكندي : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٩٦ وقال عنه إنّه من صالحي أهل البصرة توفّي سنة ١٢٣ وهو ابن ١٢٨ سنة .

٥ راجع القصّة ٨ / ٤٨ من نشوار المحاضرة .

٤٠

الغمرات ثمّ ينجلين

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا حرمي بن أبي العلاء[١] ، قال : حدّثنا الزبير بن بكّار[٢] ، قال : وحدّثني أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق ، قال : حدّثنا أحمد ابن سليمان الطوسي[٣] ، قال : حدّثنا الزبير بن بكّار ، قال : أخبرني عثمان بن سليمان[٤] ، قال :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يوماً لجلسائه ، وفيهم عمرو بن العاص[٥] : ما أحسن شيء ؟

فقال كلّ رجلٍ برأيه ؛ وعمرو ساكت .

فقال : ما تقول يا عمرو ؟ قال : الغمرات ثم ينجلين .

---

١ أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن إسحاق بن أبي حميضة ، ويعرف بالحرمي بن أبي العلاء ، ترجمته في حاشية القصّة ١٤٩ .

٢ أبو عبد الله الزبير بن بكّار بن عبد الله القرشي الأسدي المكّي (١٧٢ – ٢٥٦) : من أحفاد الزبير ابن العوام ، راوية ، نسّابة ، عالم بالأخبار ، ولد وتوفّي بالمدينة ، كان مؤدّب الأمير الموفّق ، (الأعلام ٣ / ٧٤) .

٣ أبو عبد الله أحمد بن سليمان بن داود بن محمّد بن أبي العبّاس الطّوسي (٢٤٠ – ٣٢٢) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ١٧٧ .

٤ عثمان بن سليمان بن أبي خيثمة العدوي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٣٠ .

٥ أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السّهمي (٥٠ ق – ٤٣) : كان في الجاهليّة شديداً على الإسلام والمسلمين ، وفي الإسلام شديداً على عثمان أوّلاً ، ثمّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وانتصر لمعاوية في حربه مع الإمام عليّ ، وكان داهية ذا رأي وحزم ومكيدة ، افتتح مصر في أيّام الخليفة عمر ، ووليها له ، وعزله عثمان (الأعلام ٥ / ٢٤٨) ، ويؤثر عنه ما قاله حين احتضر : يا ربّ ، إنّك أمرتنا فلم نأتمر ، وزجرتنا فلم ننزجر ، وإنّا لا نعتذر ، ولكن نستغفر (محاضرات الأدباء ٤ / ٤٧١ و٤٧٢) .

٤١

طول الغمّة يطمع في انقضائها

كتب سعيد بن حُمَيد[١] ، إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[٢] ، كتاباً من الاستتار ، قال فيه :

وأرجو أن يكشف الله ، بالأمير أعزّه الله ، هذه الغمّة الطويل مداها [٢٧ غ] ، البعيد منتهاها ، فإنّ طولها ، قد أطمع في انقضائها ، وتراخي أيّامها ، قد سهّل سبيل الأمل لفنائها[٣] .

---

١ أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد : كاتب مترسّل ، شاعر ، ولد ببغداد ، وتقلّد للمستعين العبّاسي ديوان رسائله ، توفّي نحو سنة ٢٥٠ (الأعلام ٣ / ١٤٦) راجع أخباره في الأغاني ١٨ / ١٥٦ وفوات الوفيات ٢ / ٢٥٣ والفهرست ١٣٧ .

٢ أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (٢٢٣ – ٣٠٠) : أديب ، شاعر ، انتهت إليه رئاسة أسرته ، ولّاه المعتز بالله إمارة بغداد لمّا توفّي أخوه محمّد بن عبد الله بن طاهر ، راجع ترجمته في الأعلام ٤ / ٣٥٠ وأخباره في الكامل لابن الأثير ٧ / ١٨١ – ٥٠٠ و ٨ / ٧٥ وفي نشوار المحاضرة القصّة ١ / ٦٥ والديارات ١٠٩ – ١٢٢ والاغاني ٩ / ٤٠ – ٤٧ ووفيات الاعيان ٣ / ١٢٠ وتاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٣٤٠ .

٣ في غ : لنفادها .

٤٢

رقعة أبي الفرج الببغاء إلى القاضي

التنوخي مؤلّف الكتاب يتوجّع له في محنته

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولحقتني محنة غليظة من السلطان[١] ، فكتب إليّ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الكاتب الشاعر النصيبي ، المعروف بالببغاء ، رقعة ، يتوجّع لي فيها ، نسختها :

بسم الله الرّحمن الرحيم ، مُدَدُ النعم – أطال الله بقاء سيّدنا القاضي – بغفلات المسارّ وإن طالت ، أحلام ، وساعات المحن ، وإن قصرت بشوائب الهمّ ، أعوام ، وأحظانا بالمواهب ، من ارتبطها بالشكر ، وأنهضنا بأعباء المصائب ، من قاومها بعدد الصبر ، إذ كان أوّلها بالعظة مذكّراً ، وآخرها بمضمون الفرج مبشّراً ، وإنّما يتعسّف ظلم الفتنة ، ويتمسّك[٢] بتفريط العجز ، ضالّ الحكمة ، من كان بسنة الغفلة مغموراً ، وبضعف المنّة والرأي مقهوراً ، وفي انتهاز فرص الحزم مفرّطاً ، ولمرضيّ ما اختاره الله تعالى فيه متسخّطاً .

وسيّدنا القاضي – أدام الله تأييده – أنور بصيرةً ، وأطهر سريرةً ، وأكمل حزماً ، وأنفذ مضاءً وعزماً ، من أن يتسلّط الشكّ على يقينه [٢٣ ظ] أو يقدح اعتراض الشبه في مروءته ودينه ، فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم ، بغير واجبه من فرض الرضا والتسليم ، ومع ذلك فإنّما تعظم المحنة إذا تجاوزت ،

---

١ المحنة الغليظة الّتي يشير إليها القاضي المؤلّف ، أحسبها الّتي جرت في السنة ٣٧١ لمّا سخط عليه عضد الدّولة ، فصرفه عن جميع ما كان يتقلّده ، وأمره بلزوم منزله ، وقد أشرنا إلى ذلك في ترجمة المؤلّف في صدر الجزء الأوّل من هذا الكتاب ، راجع كتاب تجارب الأمم ٣ / ٢٠ و ٢١ .

٢ في ظ : وتفسد ، وفي غ : ويفسد ، وما أثبتناه من هـ .

وضعف التنبيــه من الله جــلّ ذكره إلى واجب العقوبــة ، ويصير مجــيء السّلطان – أدام الله عزّه – بها ، وجوب الحجة ، وشغلت الألسن عن محمود الثناء[3] منها بمذموم اللائمة ، فإذا خلت من هذه الصفات المليمة ، والشوائب المذمومة ، كانت – وإن راعَ ظاهرها – بصفات النعم أولى ، وبأسماء المنح[4] أحقّ وأحرى ، ومتى أعمل ذو الفهم الثاقب ، والفكر الصائب ، مثله أعزّه الله ، بكامل عقله ، وزائد فضله ، فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها ، وتمدّ له من خدع لذّاتها ، علم أنّ أسعد أهلها فيها ببلوغ الآمال ، أقربهم فيما خوّله من التغيّر والانتقال ، فصفاؤها مشوب بالكدر ، وأمنها مروع بالحذر ، لأنّ انتهاء الشيء إلى حدّه ، ناقل له عما كان عليه إلى ضدّه ، فتكاد المحنة ، بهذه القاعدة ، لاقترانها من الفرج بفسيح الرجاء ، وانتهاء الشدّة منها إلى مستجدّ الرخاء ، أن تكون أحقّ بأسماء النعم ، وأدخل في أسباب المواهب والقسم ، وبالحقيقة ، فكلّ وارد من الله تعالى على العبد ، وإن جهل مواقع الحِكَمِ منه ، وساءه استتار عواقب الخيرة بمفارقة ما نقل عنه ، غير خالٍ من مصلحة ، بتقديم عاجل ، وادّخار آجل . وهذا وصف ما ذكّر الله به سيّدنا القاضي – أدام الله تأييده – إذ كان للمثوبة مفيداً ، وللفرج ضامناً ، وبالحظّ مبشّراً ، وإلى المسرة مؤدّياً ، وبأفضل ما عوّده الله جلّ اسمه عائداً ، وهو – أدام الله كفايته – يتنجّز ذلك بمستحكم الثقة ، ووجاهة الدعاء والرغبة ، ووسائط الصبر والمعونة ، ولعلّه أن يكون إليه أقرب من ورود رقعتي هذه عليه ، بقدرة الله ومشيئته ، ولولا الخوف من الإطالة ، والتعرّض للإضجار والملالة ، بإخراج هذه الرقعة عن مذهب الرقاع ، وإدخالها بذكــر ما نطق به نصّ الكتاب ، من ضمان اليسر بعد العسر ، وما وردت به في هذا المعنى ، الأمثال السائرة ، والأشعار المتناقلة ، في جمة الرسائل وحيز المصنّفات ،

---

٣ كذا في هـ ، وفي ظ : البري ، وفي غ : الزي .

٤ في غ : وبأسباب المنح .

لأودعتها نبذاً من ذلك ، لكنّي آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به ، واستخدمتها له ، مقتصراً على استغناء سيّدنا القاضي – أدام الله تأييده – عن ذلك ، بمرشد حفظه ، ووفور فضله ، ومأثور نباهته ونبله ، والله يبلغه ويبلغنا فيه نهاية الآمال ، ولا يخليه ، في طول البقاء ، من مواد السعادة والإقبال ، إن شاء الله تعالى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٤٣

حسن الظّن بالله أقرب إلى الفرج

قال بعض الصالحين : [٢٨ غ] استعمل في كلّ بليّة تطرقك حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ ، في كشفها ، فإنّ ذلك أقرب بك إلى الفرج .

٤٤

الصبر على قدر البلاء

وروي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أنّه قال : أفضل عمل الممتحنين ، انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ ، والصبر على قدر البلاء .

وعنه : الصبر كفيل بالنجاح ، والمتوكّل لا يخيب ظنّه .

٤٥

قد ينجلي المكروب عمّا يسرّ

وكان يقال : العاقل لا يذلّ بأوّل نكبة ، ولا يفرج بأوّل نعمة ، فربّما أقلع المحبوب عمّا يضر ، وأجلى المكروه عمّا يسرّ .

شكا عبد الله بن طاهر[١] ، إلى سليمان بن يحيى بن معاذ[٢] كاتبه ، بلاءً خافه وتوقّعه .

فقال له : أيّها الأمير ، لا يغلبنّ على قلبك ، إذا اغتممت ، ما تكره دون ما تحبّ ، فلعلّ العاقبة تكون بما تحبّ ، وتوقّي ما تكره ، فتكون كمن يستسلف الغمّ والخوف .

قال : أمَا أنّك قد فرّجت عنّي ما أنا فيه .

١- الأمير أبو العبّاس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق (١٨٢ - ٢٣٠) : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٤ من الكتاب .

٢ سليمان بن يحيى بن معاذ : كان يكتب للأمير عبد الله بن طاهر ثم ارتقت به الحال فأصبح من كبار رجال الدّولة ، ذكره الطبري ٩ / ٢٨٣ وابن الأثير ٧ / ١٤١ في أخبار السنة ٢٥١ .

٤٦

لماذا أصبح الاستغفار سنّة في الاستسقاء

بلغني أنّ الناس قحطوا بالمدينة ، في سنة من خلافة عمر بن الخطاب[١] ، فخرج بهم مستسقياً ، فكان أكثر قوله الاستغفار .

فقيل له : يا أمير المؤمنين ، لو دعوت .

فقال : أما سمعتم قوله عزّ وجلّ ﴿ استغفروا ربّكم ،إنّه كان غفّاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً[٢] ﴾ .

فصار الاستكثار من الاستغفار في الاستسقاء [٢٤ ظ] سنّة إلى اليوم .

١ الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي : ثاني الخلفاء الراشدين ، ولد سنة ٤٠ ق.هـ ، وأسلم سنة ٥ ق.هـ ، وبويع بالخلافة سنة ١٣ هـ ، وقتل غيلة سنة ٢٣ ، قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وفي عهده تمّ فتح الشام والعراق ، وفتحت مصر ، والقدس ، والجزيرة ، وفي عهده مصّرت الكوفة والبصرة (الأعلام ٥ / ٢٠٣) .

٢ ١٠ - ١٢ م نوح ٧١ .

٤٧

أقوال الحكماء في الصبر

يحكى عن أنوشروان[١] ، أنّه قال :

جميع المكاره في الدنيا ، تنقسم على ضربين ، فضرب فيه حيلة ، فالاضطراب دواؤه ، وضرب لا حيلة فيه ، فالاصطبار[٢] شفاؤه .

كان بعض الحكماء يقول : الحيلة فيما لا حيلة فيه ، الصبر .

وكان يقال : من اتّبع الصبر ، اتّبعه النّصر .

ومن الأمثال السائرة : الصبر مفتاح الفرج ، من صبر قدر ، ثمرة الصبر الظفر ، عند اشتداد البلاء يأتي الرخاء .

وكان يقال : تضايقي تنفرجي[٣] .

وكان يقال : إذا اشتدّ الخناق انقطع .

وكان يقال : خفِ المضارّ ، من خلل المسارّ ، وارجُ النفع ، من موضع المنع ، واحرص على الحياة ، بطلب الموت ، فكم من بقاء سببه استدعاء الفناء ، ومن فناء سببه إيثار البقاء ، وأكثر ما يأتي الأمن من قبل الفزع .

والعرب تقول : إنّ في الشرّ خياراً .

وقال الأصمعيّ : معناه ، أنّ بعض الشرّ أهون من بعض .

وقال أبو عبيدة : معناه ، إذا أصابتك مصيبة ، فاعلم أنّه قد يكون أجلّ منها ، فلتهن عليك مصيبتك .

---

١ كسرى أنوشروان (٥٣١م – ٥٧٩م) : ملك الفرس ، حارب البيزنطيّين وفتح انطاكية ، وأنوشروان كلمة فارسية معناها : ذو النفس الخالدة (المنجد) .

٢ في ظ وغ : فالاضطراب ، والتّصحيح من هـ .

٣ لم ترد هذه الفقرة في غ .

قال بعض الحكماء : عواقب الأمور ، تتشابه في الغيوب[4] ، فربّ محبوب في مكروه ، ومكروه في محبوب ، وكم مغبوط بنعمة هي داؤه ، ومرحوم من داء هو شفاؤه .

وكان يقال : ربّ خير من شرّ ، ونفع من ضرّ .

وروي أنّ أمير المؤمنين عليًّا قال : يا ابن آدم ، لا تحمل همّ يومك الذي لم يأت ، على يومك الذي أتى ، فإنّه إن يكن في عمرك ، يأتك الله فيه بمحبّتك ، واعلم أنّك لن تكسب شيئاً سوى قوتك ، إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك بعد موتك .

وقال وداعةُ السهمي ، في كلام له : اصبر على الشرّ إن قدحك[5] ، فربّما أجلى عمّا يفرحك ، وتحت الرغوة اللبن الصريح .

٤٨

شريح القاضي يحمد الله على المصيبة أربع مرّات

قال شريح[1] : إنّي لأصاب بالمصيبة ، فأحمد الله عزّ وجلّ عليها أربع مرّات ، أحمده إذ لم تكن أعظم ممّا هي ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفّقني للاسترجاع ، لما أرجو فيه من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني .

---

٤ في ظ وغ : أعناق الأمور ، تشابه في العيون ، والتصحيح من هـ .

٥ هكذا وردت في جميع النسخ ، وأحسب أنّ الصحيح : فدحك ، بالفاء .

١ أبو أميّة شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي القاضي : من أشهر القضاة في صدر الإسلام ، ولّي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعليّ ومعاوية ، واستعفى في أيّام الحجّاج سنة ٧٧ ، ومات بالكوفة سنة ٧٨ (الأعلام ٣ / ٢٣٦) .

٤٩

من ساعة إلى ساعة فرج

ويشبه هذا ما روي عن بزرجمهر بن البختكان الحكيم[1] ، الذي كان وزير [١٥ ر] أنوشروان ، فإنّه حبسه عند غضبه ، في بيت كالقبر ظلمة وضيقاً ، وصفّده بالحديد ، وألبسه الخشن من الصوف ، وأمر أن لا يزاد في كلّ يوم ، على قرصين خبزاً شعيراً ، وكفّ ملح جريش ، ودورق ماء ، وأن تحصى ألفاظه ، فتنقل إليه ، فأقام بزرجمهر شهوراً ، لا تسمع له لفظة .

فقال أنوشروان : أدخلوا إليه أصحابه ، ومروهم أن يسألوه ، ويفاتحوه في الكلام ، واسمعوا ما يجري بينهم ، وعرّفونيه .

فدخل إليه جماعة من المختصّين – كانوا – به ، فقالوا له : أيّها الحكيم ، نراك في هذا الضيق ، والحديد ، والصوف ، والشدّة التي وقعت فيها ، ومع هذا ، فإنّ سحنة وجهك ، وصحّة جسمك ، على حالهما ، لم تتغيّرا ، فما السبب في ذلك ؟ .

فقال : إنّي عملت جوارشاً[2] من ستّة أخلاط ، آخذ منه كلّ يوم شيئاً ، فهو الذي أبقاني على ما ترون .

قالوا : فصفه لنا ، فعسى أن نبتلى بمثل بلواك ، أو أحد من إخواننا ، فنستعمله ونصفه لـه .

---

١ بزرجمهر بن البختكان : من حكماء الفرس ، كان وزير كسرى أنوشروان ، قيل أنّه مؤلّف كتاب كليلة ودمنة (الفهرست ٢٦٤) ، أحسب أن الاسم مركّب من كلمتين : بزرك : فارسيّة : عظيم ، قوي ، ومهر : فارسيّة : محبّة .

٢ الجوارش ، وقد تسمّى جوارشن : مساحيق تجمع ويركّب منها دواء يقوّي المعدة ويهضم الطعام (لسان العرب) ، والكلمة فارسيّة ، أصلها : گوارش ، بمعنى الهضم (المعجم الذهبي ، فارسي عربي) .

قال : الخلط الأوّل : الثقة بالله عزّ وجلّ ، والخلط الثاني : علمي بأنّ كلّ مقدّر كائن ، والخلط الثالث : الصبر خير ما استعمله الممتحنون ، والخلط الرابع : إن لم أصبر أنا فأيّ شيء أعمل ، ولمَ أُعين على نفسي بالجزع ، والخلط الخامس : قد يمكن أن أكون في شرّ مما أنا فيه ، والخلط السادس : من ساعة إلى ساعة فرج .

[قال : فبلغ كسرى كلامه ، فعفا عنه][3] .

---

٣ الزيادة من هـ .

٥٠

يأتي الله بالفرج عند انقطاع الأمل

واستبهام الحيل

فصلٌ لبعض كتّاب زماننا ، وهو علي بن نصر بن علي الطبيب[١] :

وكما أنّ الله جلّ وعلا يأتي بالمحبوب ، من الوجه الذي قدّر ورود المكروه منه ، ويفتح بفرج ، عند انقطاع الأمل ، واستبهام [٢٩ غ] وجوه الحيل ، ليحضّ سائر خلقه ، بما يريهم من تمام قدرته ، على صرف الرجاء إليه ، وإخلاص [آمالهم في][٢] التوكّل عليه ، وأن لا يزووا وُجوههم [٢٢ م] في وقت من الأوقات [٢٥ ظ] عن توقّع الروح منه ، فلا يعدلوا بآمالهم على أيّ حال من الحالات ، عن انتظار فرج يصدر عنه ، وكذلك أيضاً ، يسرّهم فيما ساءهم ، بأن كفاهم بمحنة يسيرة ، ما هو أعظم منها ، وافتداهم بملمّة سهلة ، مما كان أنكى فيهم لو لحقهم .

قال إسحاق العابد : ربّما امتحن الله العبدَ ، بمحنة يخلّصه بها من الهلكة ، فتكون تلك المحنة ، أجلّ نعمة .

قال : وسمعت ، أنّ من احتمل المحنة ، ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة ، وصبر على الشدّة ، كشف له عن منفعتها ، حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها .

وقال عبد الله بن المعتزّ[٣] : ما أوطأ راحلةِ الواثق بالله ، وآنس مثوى المطيع لله .

---

١ أبو الحسن عليّ بن نصر بن عليّ الطبيب النّصراني : أديب ، مصنّف ، ترجم له ابن النديم في الفهرست ١٤٥ وياقوت في معجم الأدباء ٥ / ٤٣٢ وقال إنّه توفّي سنة ٣٧٧ .

٢ الزيادة من م .

٣ أبو العبّاس عبد الله بن محمّد المعتز بن جعفر المتوكّل (٢٤٧ – ٢٩٦) : الشاعر المبدع ، خليفة

حكى بعض النصارى ، أنّ بعض الأنبياء عليهم السلام ، قال : المحن تأديب من الله ، والأدب لا يدوم ، فطوبى لمن تصبّر على التأديب ، وتثبّت عند المحنة ، فيجب له لبس إكليل الغلبة ، وتاج الفلاح ، الذي وعد الله به محبّيه ، وأهل طاعته .

قال إسحاق : احذر الضجر ، إذا أصابتك أسنّة المحن ، وأعراض الفتن ، فإنّ الطريق المؤدّي إلى النجاة صعب المسلك .

قال بزرجمهر : انتظار الفرج بالصبر ، يعقب الاغتباط .

يوم وليلة ، بويع بالخلافة في السنة ٢٩٦ على أثر خلع المقتدر ، ولقبوه بالمرتضى بالله ، فأقام يوماً وليلة ، ثمّ انقلب عليه الحال ، فاعتقله المقتدر وسلّمه إلى مؤنس الخادم ، فقتله (الأعلام ٤ / ٢٦١) .

٥١

حسن الظنّ بالله لا يخيب

فصل آخر ، لبعض كتّاب زماننا ، وهو علي بن نصر بن بشر الطبيب :

كما أنّ الرجاء مادّة الصبر ، والمعين عليه ، فكذلك علّة الرجاء ومادّته ، حسن الظنّ بالله ، الذي لا يجوز أن يخيب ، فإنّا قد نستقري الكرماء ، فنجدهم يرفعون من أحسن ظنّه بهم ، ويتحوّبون[1] من تخييب أمله فيهم ، ويتحرّجون من إخفاق رجاء من قصدهم ، فكيف بأكرم الأكرمين ، الذي لا يعوزه أن يمنح مؤمّليه ، ما يزيد على أمانيهم فيه ، وأعدل الشواهد بمحبّة الله جلّ ذكره ، لتمسّك عبده برحابه ، وانتظار الرَّوْح من ظلّه ومآبه ، أنّ الإنسان لا يأتيه الفرج ولا تدركه النجاة ، إلاّ بعد إخفاق أمله في كلّ ما كان يتوجّه نحوه بأمله ورغبته ، وعند انغلاق مطالبه ، وعجز حيلته ، وتناهي ضرّه ومحنته ، ليكون ذلك باعثاً له على صرف رجائه أبداً إلى الله عزّ وجلّ ، وزاجراً له على تجاوز حسن ظنّه به .

---

١ في غ : يتخوّفون ، وفي م : يخونون ، وكلاهما تصحيف ، والتحوّب : اجتناب الإثم .

٥٢

يدرك الصبور أحمد الأمور

وروي عن عبد الله بن مسعود : الفرج[١] والرَّوح ، في اليقين والرضا ، والهمّ والحزن ، في الشكّ والسخط .

وكان يقول : الصبُور ، يدرك أحمد الأمَورْ .

قال أبان بن تغلب[٢] : سمعتُ أعرابياً يقول :

من أفضل آداب الرجال ، أنّه إذا نزلت بأحدهم جائحة ، استعمل الصبر عليها ، وألهمَ نفسه الرجاء لزوالها ، حتى كأنّه لصبره يعاين الخلاص منها والغناء ، توكّلاً على الله [١٦ ر] عزّ وجلّ ، وحسن ظنّ به ، فمتى لزم هذه الصفة ، لم يلبث أن يقضي الله حاجته ، ويزيل كربته ، وينجح طلبته ، ومعه[٣] دينه وعرضه ومروءته .

---

١ في غ : الفرح .

٢ أبو سعيد أبان بن تغلب الكوفي القارئ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٣ وقال إنّه توفي سنة ١٤١ .

٣ في م : ويصون .

٥٣

ربّ حياة سببها طلبُ الموت

وموت سببه طلبُ الحياة

روى الأصمعي ، عن أعرابيّ ، أنّه قال :

خفِ الشرّ من موضع الخير ، وارجُ الخير من موضع الشرّ ، فربّ حياة سببها طلب الموت ، وموت سببه طلب الحياة ، وأكثر ما يأتي الأمن من ناحية الخوف .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ما أقرب هذا الكلام ، من قول قطري بن الفجاءة ، الخارجي[1] ، ذكره أبو تمّام الطائي[2] ، في كتابه المعروف بالحماسة [٣٠ غ] :

لا يركنن أحد إلى الإحجام ... يوم الوغى متخوّفاً لِحمام

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرّة وأمامي

حتى خضبتُ بما تحدّر من دمي ... أحناء[3] سرجي أو عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أَصبتُ ولم أُصَبْ ... جذع البصيرة قارح الإقدام [٢٣ م]

فهذا من أحبّ الموت ، طلباً لحياة الذكر .

---

١ أبو نعامة قطري بن الفجاءة (واسمه جعونة) بن مازن بن يزيد الكناني المازني التّميمي : من رؤساء الخوارج الأزارقة وأبطالهم ، خطيب ، فارس ، شاعر ، بايعه الخوارج بالخلافة ، وبقي ١٣ سنة يسلّم عليه بالخلافة ، قتل في المعركة سنة ٧٨ (الأعلام ٦ / ٤٦) .

٢ أبو تمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطّائي (١٨٨ – ٢٣١) : الشّاعر ، الأديب ، مدح المعتصم فقدّمه على شعراء عصره ، كان أسمر ، طويلاً ، فصيحاً ، حلو الكلام ، ولّي بريد الموصل ، وتوفّي بها (الأعلام ٢ / ١٧٠) أقول : وقبره معروف يزار إلى الآن .

٣ الحنو من السّرج : إسم لكلا القربوسين المقدّم والمؤخّر ، وفي م وديوان الحماسة ١ / ٣٥ أكناف سرجي .

وقد أفصح بهذا الحصين بن الحمام المريّ[4] ، حيث يقول :

تأخّرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدّما[5]

وهذا كثير متّسع ، وليس هو مما نحن فيه بسبيل ، فنستوعبه ونستوفيه ، ولكن [٢٦ ظ] الحديث ذو شجون ، والشيء بالشيء يذكر ، ونعود إلى ما كنّا فيه .

---

٤ أبو يزيد الحصين بن حمام بن ربيعة المرّي الذّبياني : شاعر ، فارس ، جاهليّ ، نبذ عبادة الأوثان في الجاهليّة ، مات قبيل ظهور الإسلام سنة ١٠ ق.هـ. (الأعلام ٢ / ٢٨٨) .

٥ راجع الحماسة للطائي ١ / ٦٠ ، وتتمّة الأبيات :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدّما

نفلّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

٥٤

أقوال في تهوين المصائب

قال بعض عقلاء التجّار : ما أصغر المصيبة بالأرباح ، إذا عادت بسلامة الأرواح .

وكأنّه من قول العرب : إن تسلم الجلّة فالسخل هدر[1] .

ومن كلامهم : لا تيأس أرض من عمران ، وإن جفاها الزمان .

والعامّة تقول : نهر جرى فيه الماء ، لا بدّ أن يعود إليه[2] .

وقال تيمسطوس[3] : لم يتفاضل أهل العقول والدين ، إلاّ في استعمال الفضل في حال القدرة والنعمة ، وابتذال الصبر في حال الشدّة والمحنة .

وقال بعض الحكماء : العاقل يتعزّى فيما نزل به من المكروه بأمرين ، أحدهما السرور بما بقي له ، والآخر رجاء الفرج مما نزل به ، والجاهل يجزع في محنته بأمرين ، أحدهما استكثار ما أدّي إليه ، والآخر تخوّفه مما هو أشد منه .

---

١ في معجم الأمثال للميداني ١ / ٢٣ : ان تسلم الجلّة فالنيب هدر ، والجلّة : العظام من الإبل ، والنيب : النّاقة المسنّة ، يعني أنّه إذا سلم ما ينتفع به ، هان ما لا ينتفع به ، والسخل : ولد الشّاة ، والبغداديّون يسمّونه : صَخَلْ .

٢ في البصائر والذّخائر ٤ / ٦٤ حدّثني بعض أصحابنا البغداديين سمعت شيخاً من العامّة يقول لآخر : والك ، نهر جرى فيه الماء لا بدّ من أن يعود إليه ، فقال الآخر : والك ، حتّى يعود إليه ، (تكون) ماتت ضفادعه .

٣ في ر وغ : سمسطوس ، وفي م : بطليموس ، والصحيح : ثامسطيوس : فيلسوف رومي ، ترجم له صاحب تاريخ الحكماء ص. ١٠٧ وذكر مؤلّفاته وقال عنه : إنّه كان فيلسوفاً ، وكان كاتباً ليوليانوس المرتدّ عن النّصرانيّة إلى مذهب الفلاسفة .

٥٥

كلمات في الصبر على المحنة

وكان يقال : المحن آداب الله عزّ وجلّ لخلقه ، وتأديب الله يفتح القلوب ، والأسماع ، والأبصار .

ووصف الحسن بن سُهل[١] ، المحن ، فقال : فيها تمحيص من الذنب ، وتنبيه من الغفلة ، وتعرّض للثواب بالصبر ، وتذكير بالنعمة ، واستدعاء للمثوبة ، وفي نظر الله عزّ وجلّ وقضائه الخيار .

وبلغني هذا الخبر على وجه آخر : قرئ على أبي بكر الصولي[٢] ، وأنا حاضر أسمع ، بالبصرة في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، في كتابه « كتاب الوزراء » : حدّثكم أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل ، قال :

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الكاتب[٣] ، يصف الفضل بن سهل[٤] ، ويذكر تقدّمه ، وعلمه ، وكرمه ، وكان ممّا حدّثني

---

١ أبو محمّد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي (١٦٦ - ٢٣٦) : ترجمته في حاشية القصّة ٢٠٣ من هذا الكتاب .

٢ أبو بكر محمّد بن يحيى بن عبد الله الصّولي : من علماء الأدب ، بارع في الشطرنج ، نادم ثلاثة خلفاء الراضي ، والمكتفي ، والمقتدر ، نسبته إلى جدّه : صول تكين ، توفّي في السنة ٣٣٥ بالبصرة مستتراً (الأعلام ٨ / ٤) وهو أحد أساتذة القاضي التنّوخي صاحب الكتاب ، درس عليه بالبصرة .

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول الكاتب (١٧٦ - ٢٤٣) : كاتب العراق في عصره ، كان يكتب لأحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون (الطبري ٨ / ٥٩٥ والقصّة ٨١ من الكتاب) ثم كتب للمعتصم والواثق والمتوكّل ، ومات وهو يتقلّد ديوان الضياع والنفقات بسامراء ، له شعر رائق ممتاز ، وهو خال العبّاس بن الأحنف الشاعر (الأعلام ١ / ٣٨) .

٤ أبو العبّاس الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤ - ٢٠٢) : وزير المأمون وصاحب تدبيره ، صحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها استوزره وولّاه قيادة الجيش ، فلقّب بذي الرئاستين ، رئاسة القلم والسّيف ، كان حازماً ، عاقلاً ، فصيحاً ، قتل في الحمّام (الأعلام ٥ / ٣٥٤) .

به : أنّه بريءٌ من علّة كان فيها ، فجلس للناس ، وهنّوه بالعافية ، فلمّا فرغ الناس من كلامهم ، قال الفضل :

إنّ في العـلل لنعماً لا ينبغي للعـاقل أن يجهلها : تمحيص للـذنب ، وتعرّض لثواب الصبر ، وإيقاظ من الغفلة ، وإذكار بالنعمة في حال الصحّة ، واستدعاء للمثوبة ، وحضّ على الصدقة ، وفي قضاء الله وقدره بعد ، الخيار .

٥٦

إنّما يبتلى الصالحون

وكتب محمد بن الحنفيّة[١] ، إلى عبد الله بن عبّاس ، حين سيّره ابن الزبير[٢]

---

١ أبو القاسم محمّد بن الإمام عليّ بن أبي طالب (٢١ – ٨١) : يعرف بابن الحنفيّه لأنّ أمّه من بني حنيفة ، أحد الأبطال الأشدّاء ، وكان واسع العلم ، ورعاً ، قويّ البدن ، شجاعاً ، ولد وتوفّي بالمدينة (الأعلام ٧ / ١٥٢) .

٢ أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي (١ – ٧٣) : أوّل مولود في المدينة بعد الهجرة ، أبوه الزبير بن العوام حواري رسول الله صلوات الله عليه وابن عمّته ، وأمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصدّيق ، بويع له بالخلافة في السنة ٦٤ عقيب موت يزيد بن معاوية ، ودانت له مصر والحجاز واليمن والعراق وخراسان وأكثر بلاد الشام ، ثم تقلّصت دولته ، حتّى حصره الأمويون في مكّة ، وقتل في المعركة (الأعلام ٤ / ٢١٨) أقول : كانت جميع الظروف في مصلحة عبد الله بن الزّبير لمّا نهض بحركته ، فقد كان الحكم الأموي مكروهاً عند المسلمين أجمع ، وكان يزيد بن معاوية ، قد ختم حياته بأعمال ثلاثة ، لا يتسنّى لأحد من النّاس جمعها لنفسه إلاّ بخذلان من الله تعالى وهي : قتل الحسين ابن عليّ بن أبي طالب ، وإباحة المدينة ، وهدم الكعبة بالمنجنيق ، أمّا ابن الزبير ، فقد كان أبوه حواري النبيّ وابن عمّته ، وجدّه لأمّه أبو بكر الصدّيق خليفة رسول الله ، وكان فارساً ، شجاعاً ، خطيباً ، فكانت كلّ الظروف في مصلحته ، ولكنّ تصرّفاته أودت به ، فقد كان بخيلاً ، وفد عليه أخوه المصعب ومعه وجوه أهل العراق ، فحرمهم وطردهم ، فانتقضوا عليه ، وراسلوا الأمويّين ، فأضاع العراق ،

عن مكّة ، إلى الطائف :

أمّا بعد ، فإنّه بلغني أنّ ابن الزبير سيّرك إلى الطائف ، فأحدث الله عزّ وجلّ لك بذلك أجراً ، وحطّ به عنك [٣١ غ] وزراً ، يا ابن عمّ ، إنّما يبتلى الصالحون ، وتعدّ الكرامة للأخيار ، ولو لم تؤجر إلاّ فيما تحبّ ، لقلّ الأجر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم ﴾[3] عزم الله لنا ولك ، بالصبر على البلاء [١٧ ر] ، والشكر على النعماء ، ولا أشمتَ بنا وبك الأعداء ، والسلام[4] .

وأضاع أخاه المصعب ، وكان يحكم مملكته حكماً مركزيًّا بعقليّة ضيّقة ، فقد أمر أخاه أن يقتل زوجة المختار الثقفي لأنّها أبت أن تتبرّأ من زوجها ، فَقُتِلَتْ (العقد الفريد ٦ / ١١٨ والأغاني ٩ / ٢٢٨) ، ولمّا حبس محمّد بن الحنفيّة في سجن عارم ، وبعث إليه المختار جنداً من العراق ، فأطلقوه ، كتب إلى أخيه لمّا استولى على العراق ، أن يعتقل نسوة أولئك الجنود ، وينفيهنّ عن بلدهنّ (الأغاني ١٥ / ١٥٠) وكانت تصرّفاته هذه ممّا أدّت إلى انزعاج الرعيّة منه ، إذ لم يجدوا فرقاً بين حكمه وحكم الأمويّين ، وممّا زاد في مشاكله أنّه خاصم بني هاشم وقد كان عليه أن يضمّهم إلى جانبه ليتقوّى بهم ، ففعل خلاف ذلك ، فقد اشتدّ في خصومتهم وحبس كبيرهم محمّد بن الحنفيّة ، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب ، في سجن عارم ونفى شيخهم عبد الله بن عبّاس إلى الطائف ، وبلغ به الحال أنّه قطع الصلاة على النبيّ صلوات الله عليه ، غيظاً من بني هاشم ، ولمّا أنكر عليه ذلك ، قال : إنّ له قوم سوء تشرئبّ أعناقهم عند ذكره . وقد ختم عبد الله بن الزّبير حياته بعمل نادر المثيل من أعمال البطولة والفداء شاركته فيه أمّه أسماء ذات النطاقين ، فإنّه لمّا أدرك مصيره ، جاء إلى أمّه ، وهي عجوز عمياء بلغت المائة ، وشكى إليها تخلّي النّاس عنه ، وخذلانهم إيّاه ، وقال لها : إنّ القوم يعطوني ما أردت من الدّنيا فما رأيك ؟ فقالت : يا بنيّ ، أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنّك على حقّ ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، فقال لها : إنّي أخشى إن قتلت أن يمثّل بي ، فقالت : يا بنيّ إنّ الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ ، فخرج ، وحارب ، واستقتل ، فقتل ، وماتت أمّه بعده بأيّام .

٣ ٢١٦ م البقرة ٢ .

٤ راجع القصّة ٢٧٩ من هذا الكتاب .

٥٧

النّعمة والعافية تبطران الإنسان

وكتب بعض الكتّاب إلى صديق له في محنة لحقته :

إنّ الله تعالى ليمتحن العبد ، ليكثر التواضع له ، والاستعانة به ، ويجدّد الشكر على ما يوليه من كفايته ، ويأخذ بيده في شدته ، لأنّ دوام النعم والعافية ، يبطران الإنسان ، حتى يعجب بنفسه ، ويعدل عن ذكر ربه ، وقد قال الشاعر :

لا يترك الله عبداً ليس يذكره ممن يؤدّبه أو من يؤنّبه

أو نعمة تقتضي شكراً يدوم له أو نقمة حين ينسى الشكر تنكبه [٢٤ م]

٥٨

كلمات في الشّكر على العافية

والصّبر على الشدّة

وقال الحسن البصري : الخير الذي لا شرّ فيه ، هو الشكر مع العافية ، والصبر عند المحنة ، فكم من منعم عليه غير شاكر ، وكم مبتلى بمحنة وهو غير صابر .

وقال أبو الحسن المدائني[١] ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة » : كان ابن شبرمة إذا نزلت به شدّة ، يقول : سحابة ثم تنقشع .

وقال في كتابه هذا ، عن جعفر بن سليمان الهاشمي[٢] ، قال : قال بعض

١ أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبد الله المدائني (١٣٥ - ٢٢٥) : راوية ، مؤرّخ ، من أهل البصرة ، سكن المدائن ، فنسب إليها ، ثم انتقل إلى بغداد ، أورد ابن النّديم في الفهرست أسماء ٢٠٠ مؤلّف من مؤلّفاته (الأعلام ٥ / ١٤٠) .

٢ جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس الهاشمي : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٦ من هذا الكتاب .

الحكماء : آخر الهمّ ، أول الفرج ، وكان جعفر يقول : قد وجدناه كذلك .

وقد ذكر هذا الخبر القاضي أبو الحسين ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » عن المدائني ، هكذا [٢٧ ظ] .

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » ، فقال : حدّثني بعض أصحابنا ، قال : حدّثني الحسن بن مكرم[٣] ، قال : حدّثني ابن أبي عديّ[٤] ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى[٥] ، عن أبي هريرة[٦] ، قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : لأن أكون في شدّة ، أتوقّع بعدها رخاء ، أحبّ إليّ من أن أكون في رخاء ، أتوقّع بعده شدّة .

---

٣ أبو عليّ الحسن بن مكرم بن حسّان البزّار (١٨٢ - ٢٧٤) : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٧ / ٤٣٢ .

٤ أبو عمر محمّد بن إبراهيم بن أبي عديّ السّلمي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٧٦ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٤ .

٥ أبو حاجب زرارة بن أوفى الحرشي البصري القاضي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠٣ وقال إنّه توفّي سنة ٩٣ .

٦ أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدّوسي (٢١ ق - ٥٩) : يلقّب بشيخ المضيرة (لطائف المعارف ١٦) ، أفرط في الرواية عن رسول الله صلوات الله عليه حتّى اتّهمه النّاس ، وكذّبه من كبار الصّحابة عليّ وعمر وعثمان ، ومن أمّهات المؤمنين عائشة وحفصة (أبو هريرة ١٠٣ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨) ، وعن الشّيخ ابن تيميّة إنّ أبا هريرة صحب النبيّ أقلّ من أربع سنوات ، وروى عنه خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثاً (الأعلام ٤ / ٨١) مع أنّ أبا بكر الصدّيق صحب النبيّ مدّة البعثة كلّها (٢٣ عاماً) وكان ألصق النّاس به ، ولم يرو عنه إلا ١٤٢ حديثاً (أبو هريره ١٢٧) وأبو هريرة أوّل من اختزل من بيت مال المسلمين ، استعمله الخليفة عمر على البحرين ، ثم عزله ، وحاسبه ، وغرّمه ما حصل عليه ، (لطائف المعارف ١٤ والعقد الفريد ١ / ٤٥ وفتوح البلدان ٩٣) وروى أحاديث في فضل بني أميّة (أبو هريرة ٢٢٩ ، ٢٣٠) وولي لهم المدينة (الأعلام ٤ / ٨١) .

٥٩

لو كان العسر في كُوَّة لجاء يُسران فأخرجاه

وذُكر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، بغير إسناد ، أنّه قال : لو كان العسر في كوّة ، لجاء يسران ، فأخرجاه .

قال مؤلّف هذا الكتاب : كان لي في هذا الحديث ، خبر طريف ، وذلك أنّي كنت قد لجأت إلى البطيحة[1] ، هارباً من نكبة لحقتني ، واعتصمت بأميرها معين الدولة أبي الحسين عمران بن شاهين السلمي[2] – على ما كان يقول رحمه

---

١ البطيحة ، وجمعها البطائح ؛ يقال : تبطّح السّيل ، إذا اتّسع في الأرض ، وبذلك سمّيت بطائح واسط ، لأنّ المياه تبطّحت فيها ، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة ، كانت قديماً قرى متّصلة ، وأراضي عامرة ، فاتّفق في أيّام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة ، وزاد الفرات أيضاً ، بخلاف العادة ، فعجزوا عن سدّها ، وتبطّح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع ، فطرد أهلها عنها (معجم البلدان ١ / ٦٦٨) ، وفي العراق ثلاث بطائح ، بطائح البصرة ، وبطائح الكوفة من فضلات ماء الفرات ، وبطائح واسط من مياه نهر دجلة ، وقد حدثت عند اشتغال الفرس بقتال المسلمين في العراق ، ومنها البطيحة العظمى ، وهي بحيرات أربع ، تدخل إليها دجلة من زقاق قصب ، ثمّ تخرج منها في زقاق قصب ثان إلى البحيرة الثّانية ، فالثّالثة ، فالرّابعة ، وعند انتهاء البطائح ، تخرج منها دجلة ، فتسمّى دجلة العوراء ، وبعد ذلك تتفرّع منها أنهار البصرة ، وتسمّى البطيحة عندهم : الهور (تقويم البلدان لأبي الفداء ٤٣) أقول : وما زال اسم البطيحة عند العراقيّين : الهور ، وجمعه أهوار .

٢ معين الدّولة أبو الحسين عمران بن شاهين السّلمي : أمير البطيحة ، ورأس الإمارة الشاهينيّة ، شمل سلطانه جميع نواحي البطائح ، وكان مقرّه الجامدة ، ونشبت معارك وحروب بينه وبين الحكومات المتوالية ، وانتهت بالصلح على أن تكون له إمارة البطائح ، وطالت أيّامه أربعين سنة ، وتوفّي سنة ٣٦٩ (الأعلام ٥ / ٢٣٣) أقول : كانت البطائح في أيّام عمران بن شاهين ومن بعده ملجأ لكلّ خائف ومأوى لكلّ مطرود (معجم البلدان ٣ / ٤١٥) ، كما يتّضح لك من هذه القصّة ، واستمرّت ملجأ للخائفين في أيّام من خلفه حتّى إنّ من جملة من التجأ إليها القادر بالله العبّاسي لمّا كان أميراً ، واستقرّ فيها منذ السنة ٣٧٩ حتّى بويع له بالخلافة فأصعد إلى بغداد في السنة ٣٨١ ، وقبر عمران بن شاهين بالنجف ، شاهدته غير مرّة .

الله – فألفيت هناك جماعة من معارفي ، بالبصرة وواسط ، خائفين على نفوسهم ، قد هربوا من ابن بقيّة[3] ، الذي كان في ذلك الوقت وزيراً ، ولجأوا إلى البطيحة ، فكنّا نجتمع في المسجد الجامع بشقشى الذي بناه معزّ الدولة أبو الحسين ، فنتشاكى أحوالنا ، ونتمنّى الفرج ممّا نحن فيه من الخوف والشدّة والشقاء .

فقال لي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن جيشان[4] الصلحي التاجر ، وكان هذا في يوم الجمعة لتسع ليال خلون من جمادى الأولى سنة خمس وستّين وثلثمائة : حدّثني في هذا اليوم أبو محمد الحسن بن محمد بن عثمان بن قنيف ، وكان أحد خلفاء الحجّاب في دار المقتدر بالله ، وهو شيخ مشهور ، ملازم الآن خدمة معين الدولة [٣٢ غ] ، قال : حدّثنا أبو القاسم بن بنت منيع ، قال : حدّثنا أبو نصر التمّار ، قال : حدّثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني[5] ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لو دخل العسر كوّة ، جاء يسران فأخرجاه .

فلمّا سمعت ذلك ، قلت بديهاً :

إنّا روينا عن النبيّ رسول الـ ... ـله فيما أفيد من أدبه
لو دخل العسر كوّة لأتى يسـ ... ـران ، فاستخرجاه من ثقبه

---

٣ أبو طاهر محمّد بن محمّد بن بقيّة بن عليّ (٣١٤ – ٣٦٧) : الوزير النّاصح ، نصير الدّولة ، خدم معزّ الدّولة ، ولمّا خلفه ولده عزّ الدّولة بختيار ، استوزره في السنة ٣٦٢ ، ثمّ نقم عليه فاعتقله في السنة ٣٦٦ ، وسمله ، وسلّمه لعضد الدّولة ، فطرحه تحت أرجل الفيلة ، ثم صلبه ، وكان ابن بقيّة جوّاداً ممدّحاً ، ورثاه ابن الأنباري بقصيدته المشهورة :

علوّ في الحياة وفي الممـات ... لحقّ أنت إحدى المعجزات

(الأعلام ٧ / ٢٤٤) .

٤ في غ : خيشان .

٥ أبو محمّد ثابت بن أسلم البناني البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٤٧ و٤٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٢٧ عن ٨٦ سنة .

فما مضى على هذا المجلس ، إلاّ أربعة أشهر ، حتى فرّج الله تعالى عنّي ، وعن كثير ممن حضر ذلك المجلس ، من الممتحنين[6] ، وردّنا إلى عوائده عندنا ، فله الحمد والشكر .

وجدت هذا الخبر على غير هذا ، فقد حدّثنا به — من أصل كتابه — جعفر بن أبي طالب ابن البهلول ، قال : حدّثنا أبو القاسم عبد الله بن محمّد البغوي[7] ، قال : حدّثني علي بن الجعد ، قال : أنبأنا شعبة ، عن معاوية بن قرة[8] ، عمّن حدّثه عن عبد الله بن مسعود ، قال :

لو أنّ العسر دخل في جحرٍ ، لجاء اليسر حتى يدخل معه ، قال الله تعالى : ﴿ [فإنّ مع العسر يسراً][9] إنّ مع العسر يسراً ﴾[10] .

وحدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا علي بن الجعد ، فذكر نحوه بإسناده .

وأخبرني أبي : قال : قال جعفر بن محمد بن عيينة ، حدّثنا محمد بن معمر[11] ، قال : حدّثنا حميد بن حماد[12] ، قال : حدّثنا عائذ بن شريح[13] ،

---

٦ في تجارب الأمم ٢ / ٣٧٤ إنّ بختيار قبض على وزيره ابن بقيّة في ذي الحجّة سنة ٣٦٦ أي بعد المجلس الّذي أشار إليه المؤلّف في هذه القصّة بسبعة أشهر .

٧ أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز المعروف بابن بنت منيع : ترجمته في حاشية القصّة ٢٥ من الكتاب .

٨ أبو إياس معاوية بن قرّة بن إياس المزني البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٧ وقال : إنّه ولد يوم الجمل ، وتوفّي سنة ١١٣ .

٩ الزيادة من غ .

١٠ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٧ .

١١ أبو عبد الله محمّد بن معمر بن ربعي القيسي البحراني : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٧ وقال إنّه توفّي بعد ٢٥٠ .

١٢ أبو الجهم حميد بن حمّاد بن الخُوار التّميمي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٨٠ .

١٣ عائذ بن شريح : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٣٦٢ .

قال : سمعت أنس بن مالك ، قال :

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ينظر إلى حجر بحيال وجهه ، فقال : لو جاءت العسرة حتى تدخل تحت هذا الحجر ، لجاءت اليسرة حتّى تخرجها . فأنزل الله تعالى : ﴿ فإنّ مع العسر يسراً ، إنّ مع العسر يسراً ﴾ [14] .

---

١٤ أليسر : اللّين والانقياد ، قال الشاعر :

قوم إذا شومسوا جدّ الشماس بهم ذات العناد وإن ياسرتهم يسروا

والعسر : الضيق والشدّة والصعوبة ، قال الشاعر :

بشر أبو مروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسور

ولقّب البغداديّون خليفتهم المعتمد العبّاسي : القفل العَيِر ، والعامة ببغداد مشتهرون بتلقيب حكّامهم ألقاباً تظلّ لاصقة بهم (لطائف المعارف ٥٣ و ٥٤) ، وقد لقّبوا المنصور العباسي ، لبخله : أبا الدوانيق (تاريخ الخلفاء ٢٥٩) ، ولقّبوا عضد الدولة البويهي : زريق الشارب ، وأبا بكر العذري ، راجع سبب تلقيبه بهذين اللقبين في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، القصة رقم ١٢٧/٥ وراجع كذلك وفيات الأعيان ١١٩/٥ ، والتكملة ٢٢٩ ، ومعجم الأدباء ٣٤٩/٥ و ٣٥٥ ، ولقبوا العباس بن الحسن ، وزير المكتفي : كرب الدواء ، والحسين الخادم : عرق الموت (لطائف المعارف ٤٥ ، القصة ١٦٥ من هذا الكتاب) ، ولقّبوا الوزير حامد بن العبّاس ، وزير المقتدر : الوزير بداية ، لما نصب علي بن عيسى معيناً له في الوزارة (التكملة ٢٠) ، ولقّبوا الوزير الخاقانيّ : دقّ صدره (تجارب الامم ٢٤/١) ، ولقّبوا وزيراً آخر : الوزير الزبيبيّ ، ولقّبوا أحد الكتّاب : نطّاحة (القصة ٧٩ من هذا الكتاب) ، وكاتباً آخر : جرادة (لطائف المعارف ٤٥) ، ولقّبوا أحد كبار العمّال ، وهو محمد بن الحسن الكرخي : الجرو (وزراء ٣٣٨ ، والقصة ١٢٤/٤ من كتاب نشوار المحاضرة) ، راجع بحث الألقاب في لطائف المعارف ص ٣٥ — ٥٤ .

٦٠

كلمات في انفراج المحن

وذكر القاضي أبو الحسين ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » ، بغير إسناد : أنّ علياً عليه السلام ، قال :

عند تناهي الشدّة ، تكون الفرجة ، وعند تضايق البلاء ، يكون الرخاء ، ومع العسر ، يكون اليسر .

وذكر عنه عليه السلام ، أنّه قال : ما أبالي بالعسر رميت ، أو باليسر ، لأنّ حقّ الله تعالى في العسر الرضا والصبر ، وفي اليسر الحمد والشكر .

قال مؤلّف هذا الكتاب : حدّثني بعض الشيعة ، بغير إسناد ، قال :

قصد أعرابيّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ، فقال : إنّي ممتحن ، فعلّمني شيئاً أنتفع به .

فقال : يا أعرابيّ إنّ للمحن أوقاتاً ، ولها غايات ، فاجتهاد العبد في محنته ، قبل إزالة الله تعالى إيّاها ، زيادة فيها ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إن أرادني الله بضرّ ، هل هنّ كاشفات ضرّه ، أو أرادني برحمة ، هل هنّ [٢٥ م] ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكّل المتوكّلون ﴾[١] ، ولكن ، استعن بالله ، واصبر ، وأكثر من الاستغفار ، فإنّ الله عزّ وجلّ وعد الصابرين خيراً ، وقال : ﴿ استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنّات ، ويجعل لكم أنهاراً ﴾ ، فانصرف الرجل .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام [٣٣ غ] :

إذا لم يكن عون من الله للفتى　　　فأوّل ما يجني عليه اجتهاده

---

١ ٣٨ ك الزمر ٣٩ .

٦١

الوزير المهلبيّ يجيئه الغياث من الله تعالى

حدّثنا أبو محمد الحسن بن محمد المهلّبيّ[١] ، في وزارته ، قال :

كنت في وقت من الأوقات – يعني في أوّل أمره – قد دفعت إلى شدّة شديدة ، وخوف عظيم ، لا حيلة لي فيهما ، فأقمت يومي قلقاً ، وهجم [٢٨ ظ] الليل ، فلم أعرف الغمض ، فلجأت إلى الصلاة والدعاء ، وأقبلت على البكاء في سجودي ، والتضرّع [١٨ ر] ، ومسألة الله عزّ وجلّ ، تعجيل الفرج لي ، وأصبحت من غدٍ ، على قريب من حالي ، إلاّ أنّي قد سكنت قليلاً ، فلم ينسلخ اليوم حتى جاءني الغياث من الله تعالى ، وفرّج عنّي ما كنت فيه ، على أفضل ما أردت ، فقلت :

بعثت إلى رب العطايا رسالـــة ... توسّل لي فيهـا دعاءٌ مناصـحُ
فجاء جوابٌ بالإجابـة وانجلت ... بها كرب ضاقت بهنّ الجوانح

---

١ أبو محمّد الحسن بن محمّد بن عبد الله بن هارون المهلّبي (٢٩١ – ٣٥٢) : من أولاد المهلّب بن أبي صفرة ، وزّر لمعزّ الدّولة سنة ٣٣٩ واشتهر بالكفاية ، والأمانة ، والمعرفة بمصالح الدّولة ، وحسن السيرة ، وأزال كثيراً من المظالم ، وقرّب أهل العلم والأدب ، وكان أديباً ، شاعراً ، كريماً ، فاضلاً ، ذا عقل ومروءة ، ومات بموته الكرم ، دامت وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، راجع أخباره في الكامل لابن الأثير ٨ / ٤٤٩ – ٥٤٦ وفي تجارب الأمم ٢ / ٣٤ – ١٩٧ ومعجم الأدباء ٣ / ١٨٣ – ٢٠٠ وفي نشوار المحاضرة في القصص ١ / ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، و ٢ / ٨١ ، ١٠٤ و ٣ / ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٧ و ٤ / ١٤ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٥٨ ، و ٧ / ٦٩ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٤٦ .

٦٢

عند تناهي الشدّة تكون الفرجة

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى[١] ، قال : حدّثنا ابن دريد[٢] ، [قال : أخبرنا السكن بن سعيد[٣] عن محمّد بن عبّاد[٤] عن ابن الكلبيّ[٥] عن أبيه[٦]][٧] قال : كان عمرو بن أحيحة الأوسي[٨] يقول :

عند تناهي الشدّة ، تكون الفرجة ، وعند تضايق البلاء ، يكون الرخاء ، ولا أبالي أي الأمرين نزل بي عسر أم يسر ، لأنّ كل واحد منهما يزول بصاحبه .

---

١ أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى بن عبيد الكاتب المعروف بالمرزباني (٢٩٦ – ٣٨٤) : عالم ، أديب ، صاحب أخبار ورواية ، كان في داره خمسون ما بين لحاف ودوّاج ، معدّة لأهل العلم الذين يبيتون عنده ، وكان عضد الدّولة يقف ببابه حتّى يخرج إليه فيسلّم عليه ، وقال عنه أبو علي الفارسيّ : إنّه من محاسن الدّنيا (تاريخ بغداد للخطيب ٣ / ١٣٥) .

٢ أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ – ٣٢١) : من أئمة اللغة والأدب ، صاحب المقصورة الشهيرة ، تقلّد ديوان فارس ، ثم اتّصل بالمقتدر العبّاسي وأجرى عليه رزقاً قدره ٥٠ ديناراً في الشهر ، فأقام ببغداد ، وتوفّي بها (الأعلام ٦ / ٣١٠) .

٣ في م : السكن بن سعيد : وأحسبه ابن السكن ، وهو أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد البغدادي : من حفّاظ الحديث ، ترجم له صاحب الأعلام ٣ / ١٥٢ .

٤ أبو جعفر محمّد بن عبّاد بن موسى العكلي البغدادي : راجع ترجمته في حاشية القصّة ٣١ .

٥ أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي : الأخباري ، النسّابة ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٠٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٤ .

٦ أبو النّضر محمّد بن السائب الكلبي الكوفي : المفسّر ، النسّابة ، الأخباري ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٥٥٦ .

٧ الزيادة من غ .

٨ عمرو بن أحيحة بن الجُلاح الأوسي : صحابي ، ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٣ .

٦٣

المنصور العبّاسي يحول بين الإمام الصادق وبين الحجّ

أخبرني أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، خليفة أبي على القضاء بها ، قال : حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي[1] ، قال : حدّثني عمّي الفضل بن محمد اليزيدي[2] ، قال :

أراد جعفر بن محمد الحجّ ، فمنعه المنصور[3] ، فقال : الحمد لله الكافي ، سبحان الله الأعلى ، حسبي الله وكفى ، ليس من الله منجى ، ما شاء الله قضى ، ليس وراء الله منتهى ، توكّلت على الله ربّي وربّكم ، ما من دابة إلاّ وهو آخذ بناصيتها ، إنّ ربّي على سراط مستقيم ، اللهم إنّ هذا عبد من عبيدك ، خلقته كما خلقتني ، ليس له عليّ فضل ، إلاّ ما فضلته عليّ به ، فاكفني شرّه ، وارزقني خيره ، واقدح لي في قلبه المحبّة ، واصرف عنّي أذاه ، لا إله إلاّ أنت ، سبحان الله ربّ العرش العظيم ، وصلّى الله على محمد النبي وعلى آله وسلّم كثيراً .

قال : فأذن له المنصور في الحجّ .

---

١ أبو عبد الله محمّد بن العبّاس بن محمّد بن يحيى بن المبارك اليزيدي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٣ / ١١٣ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٠ عن ٨٢ سنة .

٢ أبو العبّاس الفضل بن محمّد بن يحيى بن المبارك اليزيدي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢ / ٣٧٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٧٨ .

٣ أبو جعفر عبد الله بن محمّد بن عليّ بن العبّاس (٩٥ – ١٥٨) : ثاني خلفاء بني العبّاس ، كان عارفاً بالفقه والأدب ، ولّي الخلافة سنة ١٣٦ ، وبنى بغداد سنة ١٤٥ ، وكان فاتكاً ، قتل خلقاً كثيراً ، وأسرف في سفك دماء بني الحسن وتعذيبهم ، إذ حبسهم ، وقتلهم في حبسه ، وقيل إنهم وجدوا مسمّرين في الحيطان . مدّة خلافته ٢٢ عاماً ، أمه بربريّة تدعى سلامة ، وهذا هو سبب تقدّم أخيه السفّاح عليه في الحكم ، لأنّ أمّه عربيّة ، والمنصور والد الخلفاء العبّاسيين جميعهم ، راجع اليعقوبي ٢ / ٣٧٠ ومقاتل الطالبيّن ١٧٨ – ٣٩٩ والأعلام ٤ / ٢٥٩ والقصص ١١٤ و١١٥ و٢٤١ و٣١٨ من هذا الكتـــاب .

البابُ الثالث

من بشّر بفرج من نطق فال ، ونجا من محنة بقولٍ أو دعاء أو ابتهال

٦٤

أعرابيّة ذهب البَرَدُ بزرعها فعوِّضت خيراً

أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي[١] [بالبصرة سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، قراءة عليه وأنا أسمع ،][٢] عن البرقي[٣] ، قال :

رأيت امرأة بالبادية ، وقد جاء البَرَدُ[٤] فذهب بزرع كان لها ، فجاء الناس يعزّونها ، فرفعت طرفها الى السماء ، وقالت : اللّهم أنت المأمول لأحسن الخلف ، وبيدك التعويض عمّا تلف ، فافعل بنا ما أنت [٣٤ غ] أهله ، فإنّ أرزاقنا عليك ، وآمالنا مصروفة إليك .

قال : فلم أبرح ، حتى جاء رجل من الأجلّاء[٥] ، فحدّث بما كان ، فوهب لها خمسمائة دينار .

---

١ أبو بكر محمّد بن يحيي بن عبد الله بن العبّاس بن محمّد بن صول المعروف بالصّولي : ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ .

٢ الزيادة من م .

٣ أبو عبد الله أحمد بن جعفر بن عبد ربّه بن حسّان الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٣٢٩ .

٤ البَرَد ، بفتح الباء والراء : ماء الغمام يتجمّد في الهواء ، ويسقط على الأرض حبوباً ، ويسمّيه البغداديون : الحالوب ، فإذا أصيب الزرع بالبرد قالوا : تحولب ، فهو محولب .

٥ في م : من مياسير أهل البلد .

المعتضدّ يتخلّص من سجنه ويبطش بالوزير إسماعيل بن بلبل

وحدّثني أبي[1] في المذاكرة ، من لفظه وحفظه ، ولم أكتبه عنه في الحال ، وعلق بحفظي ، والمعنى واحد ، ولعلّ اللّفظ يزيد او ينقص ، عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون[2] ، [لا أظن إلّا أنّه هو سمعه منه ، أو حدّثه من سمعه من عبد الله بن أحمد بن حمدون][3] نديم المعتضد بالله ، عن المعتضد[4] ، أنّه قال[5] :

---

١ القاضي أبو القاسم عليّ بن محمّد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم التنوخي (٢٧٨ – ٣٤٢) : والد المؤلّف ، ترجمته في حاشية القصّة ٢٠ من الكتاب .

٢ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الملقّب حمدون بن إسماعيل بن داود : كان أبوه أحمد من ندماء المتوكّل (معجم الأدباء ١ / ٣٦٥) وكذلك جدّه إبراهيم (المفوات النادرة رقم ٢١٨ ص ٢٣٠) واختاره المتوكّل نديماً مع والده (القصّة ١ / ١٤٢ من نشوار المحاضرة) ثم نادم المعتضد ، وكان يؤاكله (القصّة ١ / ١٧٨ من النشوار) ويلاعبه بالنّرد (القصّة ١ / ١٤٣ من النشوار) وقد سدّد دينه عنه أكثر من مرّة (القصّة ١ / ١٤٤ من النشوار) ، وقد نقل القاضي التنوخي عنه في نشوار المحاضرة قصصاً عن تيقّظ المعتضد وعلوّ همّتـه وعن ضبطه لعسكره ومنعهم من التعدّي على الرعيّة (القصص ١ / ١٧٣ و ١ / ١٧٧ من النشوار) .

٣ الزيادة من غ .

٤ المعتضد بالله أبو العبّاس أحمد بن الأمير الموفّق طلحة بن المتوكّل جعفر (٢٤٢ – ٢٨٩) : من دهاة الخلفاء العبّاسيّين ، ولد ونشأ ومات ببغداد ، كان عون أبيه في حياته أيّام خلافة المعتمد ، وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج ، بويع له بالخلافة بعد وفاة عمّه المعتمد سنة ٢٧٩ فأقام العدل ، وأصلح الحال ، وكانت مدّة خلافته ١٠ سنين إلاّ قليلاً (الأعلام ١ / ١٣٦) .

٥ في غ : قال : حدّثني المعتضد بالله وهو خليفة ، قال : ... الخ .

لما ضرّب إسماعيل بن بلبل[6] بيني وبين أبي الموفّق[7] ، فأوحشه منّي ، حتّى حبسني الحبسة المشهورة[8] ، وكنت أتخوّف القتل صباحاً ومساءً ، ولا آمن أن يرفع إسماعيل عنّي ، ما يزيد في غيظ الموفق عليّ ، فيأمر بقتلي .

فكنت كذلك ، حتى خرج الموفّق الى الجبل[9] ، فازداد خوفي [٢٦ م] ، وأشفقت أن يحدّثه عنّي إسماعيل[10] بكذب ، فيجعل غيبته طريقاً إليه ، فلا يكشفه ، ويأمر بقتلي ، فأقبلت على الدعاء ، والتضرّع إلى الله ، والابتهال في تخليصي .

وكان إسماعيل يجيئني في كلّ يوم ، مراعياً خبري ، ويريني أنّ ذلك خدمة لي .

---

٦ أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيبانيّ : كاتب ، أديب ، استوزره الموفّق لأخيه المعتمد ، وجمع له السيف والقلم ، وبلغ مبلغاً عظيماً ، حبسه المعتضد لمّا ولّي الخلافة ، وعذّبه ، ثم قتله واستصفى أمواله (الفخري ٢٥٢) راجع في القصّة ١ / ٧٦ من نشوار المحاضرة كيفيّة قتل المعتضد إيّاه .

٧ أبو أحمد طلحة الموفّق بن جعفر المتوكّل (٢٣٠ – ٢٧٨) : له لقب آخر ، وهو النّاصر ، أمير عبّاسي ، شجاع ، سياسي ، إداري ، حازم ، كان القائم بأعباء الدّولة في عهد أخيه المعتمد ، وآلت إليه ولاية عهده ، ولكنّه توفّي قبل المعتمد وهو ابن ٤٨ سنة (الأعلام ٣ / ٣٣٠ والمنتظم ٥ / ١٢١) .

٨ كان سبب حبس الموفّق لابنه ، أنّه أمره أن يسير إلى بعض الوجوه ، فقال : لا أخرج إلاّ إلى الشام ، لأنّها الولاية التي ولاّنيها أمير المؤمنين ، فلمّا امتنع عليه ، أمر بإحضاره ، فلمّا حضر ، أمر بعض خدمه أن يحبسه في حجرة من داره ، فلمّا حبس ، ثار القوّاد من أصحابه ومن تبعهم ، وركبوا ، واضطربت بغداد ، فركب الموفّق إلى الميدان ، وقال لهم : ما شأنكم ؟ أترون أنّكم أشفق منّي على ولدي ، وقد احتجت إلى تقويمه ، فانصرفوا (ابن الأثير ٧ / ٤٣٣) .

٩ الجبـل : اسم شامل لإقليم عراق العجم ، ومن مدنه همدان والريّ وأصبهان وقزوين ، وما بين ذلك (المشترك صقعـاً ٩٥) أقول : أدركت الناس ببغداد ، وهم إذا ذكروا الجبل ، فهم يريدون جبل بشت كوه في بلاد إيران ، ممّا يلي بدرة وجصّان في محافظة الكوت ، وكان يحكمه إذ ذاك أمير كردي اسمه حسين قلي خان .

١٠ في غ : أن يكاتبه إسماعيل عنّي .

[فدخل إليّ يوماً : وبيدي المصحف ، وأنا أقرأ ، فتركته ، وأخذت أحادثه .][11]

فقال : أيّها الأمير ، أعطني المصحف لأتفاءل لك به ، فلم أجبه بشيء .

فأخذ المصحف ، ففتحه ، فكان في أوّل سطرٍ منه : ﴿ عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ، ويستخلفكم في الأرض ، فينظر كيف تعملون ﴾[12] ، فاسودّ وجهه ، واربدّ ، وخلط الورق .

وفتحه الثانية ، فخرج ﴿ ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الارض ، ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين ﴾ .. إلى قوله : يحذرون[13] ، فازداد قلقاً واضطراباً .

وفتحه الثالثة ، فخرج ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم ﴾[14] .

فوضع المصحف من يده ، وقال : أيّها الأمير ، أنت والله الخليفة ، بغير شكٍّ ، فما حقّ بشارتي ؟

فقلت : اللهَ ، اللهَ ، في أمري ، احقن دمي ، أسأل الله أن يبقي أمير المؤمنين[15] ، والأمير الناصر ، وما أنا وهذا ؟ ومثلك في عقلك ، لا يطلق مثل هذا القول [بمثل هذا الاتّفاق][16] ، فأمسك عني .

---

١١ الزيادة من م .

١٢ ١٢٩ ك الأعراف ٧ .

١٣ تمام الآية : ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمّة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكّن لهم في الأرض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، ٥ و٦ ك القصص ٢٨ .

١٤ ٥٥ م النور ٢٤ .

١٥ أبو العبّاس أحمد المعتمد بن أبي الفضل جعفر المتوكّل (٢٢٩ – ٢٧٩) : ولد بسامراء ، وولّي الخلافة سنة ٢٥٦ ، وكان الأمر مدّة خلافته إلى أخيه الموفّق الملقّب بالنّاصر أيضاً ، ولم يكن له من الخلافة إلاّ الاسم (الأعلام ١ / ١٠٢) ، وقد حاول أن يفارق أخاه ، وأن يرحل إلى مصر ، فلم يوفّق ، راجع تفصيل ذلك في حاشية القصّة ٤ / ١٠١ من نشوار المحاضرة .

١٦ الزيادة من غ .

وما زال يحدّثني ، ويخرجني من حديث ، ويدخلني في غيره ، إلى أن جرى حديث ما بيني وبين أبي ، فأقبل يحلف لي بأيمان غليظة ، انّه لم يكن له في أمري صنع ، ولا سعاية بمكروه ، فصدّقته ، ولم أزل أخاطبه بما [٢٩ ظ] تطيب به نفسه ، خوفاً من أن تزيد وحشته ، فيسرع في التدبير لتلفي ، إلى أن انصرف .

ثم صار إليّ بعد ذلك ، وأخذ في التنصّل والاعتذار ، وأنا أظهر له التصديق والقبول [١٩ ر] ، حتى سكن ، ولم يشك أنّي معترف[١٧] ببراءة ساحته .

فما كان بأسرع من أن جاء الموفّق من الجبل[١٨] ، وقد اشتدّت علّته ، ومات[١٩] ، فأخرجني الغلمان من الحبس[٢٠] ، فصيّروني مكانه ، وفرّج الله عنّي ، وقاد الخلافة إليّ ، ومكّنني من عدوّي إسماعيل بن بلبل ، فأنفذت حكم الله فيه[٢١] .

---

١٧ في غ : معتقد .

١٨ عاد أبو أحمد من الجبل إلى العراق في السنة ٢٧٨ ، وكان مريضاً لا يقدر على الركوب ، فاتّخذ له سرير عليه قبّة ، يحمله أربعون حمّالاً ، يتناوب عليه عشرون عشرون ، ولمّا بلغ النهروان ، ركب الماء فيه ، ثمّ في نهر ديالي ، ثم في دجلة إلى الزعفرانيّة ، وصار ليلة الجمعة إلى الفرك وهي قرية قرب كلواذى ، أقرب منها إلى بغداد ، راجع تفاصيل ذلك في تاريخ الطبري ١٠ / ٢٠ والكامل لابن الأثير ٧ / ٤٤١ – ٤٤٣ .

١٩ توفّي في يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٧٨ (الطبري ١٠ / ٢٢) .

٢٠ الطبري ١٠ / ٢٠ و٢١ وابن الأثير ٧ / ٤٤١ – ٤٤٣ .

٢١ راجع في القصّة ١ / ٧٦ من نشوار المحاضرة ، كيفيّة قتل المعتضد ، وزيره إسماعيل بن بلبل ، نقل الخبر باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٣ .

٦٦

قال الواثق : لا أترك الفرج يموت في حبسي

وحدّثني عليّ بن هشام الكاتب[١] ، قال : سمعت أبا عبد الله الباقطاني[٢] ، يقول : سمعت عبيد الله بن سليمان[٣] ، يقول في وزارته[٤] : قال لي أبي[٥] :

كنت[٦] يوماً في حبس محمّد بن عبد الملك الزيّات[٧] ، في [٣٥ غ]

---

١ أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : كان كاتب الوزير أبي الحسن عليّ بن الفرات على بيت المال (وزراء ١٥٨) ، وكان هو وأبوه أبو القاسم هشام بن عبد الله أثيرين عند الوزير ابن الفرات ، وكانا مصدر أخباره ، ونقل القاضي التنوخي عن ابن أبي قيراط أخباراً كثيرة في نشواره .

٢ أبو عبد الله الحسن بن عليّ الباقطاني ، نسبته إلى باقطايا ، من قرى بغداد على ثلاثة فراسخ من ناحية قطربّل ، كان من رجال الديوان في أيّام المقتدر ، وذكره صاحب معجم البلدان في كلمة (باقطايا) وقال : إنّه ترجمه في معجم الأدباء ، وترجمته في القسم الضائع من المعجم ، وكان من خصوم الوزير ابن الفرات ، والساعين عليه ، وقد توفّي قبل أن يوزّر ابن الفرات ، الوزارة الثالثة (معجم البلدان ١ / ٤٧٦ ، الوزراء ٢٨٨ ، ٣٦٦ ، والقصّة ١١٧ من هذا الكتاب) .

٣ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي (٢٢٦ – ٢٨٨) : من كبار الكتّاب ، وزّر للمعتمد العبّاسي ، ودامت وزارته عشر سنين وتوفّي وهو وزير ، ورثاه ابن المعتزّ فقال : (الأعلام ٤ / ٣٤٩) .

هـذا أبـو القاسم في نعشـه قومـوا انظروا كيف تـسير الجبـال

٤ وزّر أبو القاسم عبيد الله بن سليمان للمعتمد ، وخلع عليه ، في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر سنة ٢٧٨ (الطبري ١٠ / ٢٢) ، وتوفّي سنة ٢٨٨ وعمره ٦٢ سنة ، ووزارته عشر سنين وخمسون يوماً (وفيات الأعيان ٣ / ١٢٢) .

٥ أبو أيّوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي : من كبار الكتّاب ، ولّي الوزارة للمهتدي ، ثمّ للمعتمد ، ونقم عليه الموفّق ، فحبسه ، ومـات في حبسه سنة ٢٧٢ (الأعـلام ٣ / ٢٠١) ، راجع أخبار سليمان بن وهب في نشوار المحاضرة القصص ٨ / ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٣ .

٦ في غ : أصبحت .

٧ أبو جعفر محمّد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، المعروف بابن الزيّات ، (١٧٣ – ٢٣٣) : وزير

خلافة الواثق ، آيس ما كنت من الفرج ، وأشدّ محنة وغمّاً ، حتّى وردت عليّ رقعة أخي الحسن بن وهب[8] ، وفيها شعر له[9] :

مِحَنٌ[10] أبا أيّوب أنت محلّها ... فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
إنّ الّذي عقد الّذي انعقدت به ... عُقَد المكاره فيك يحسن حلّها
فاصبر فإنّ الله يعقب فرجة ... ولعلّها أن تنجلي ولعلّها
وعسى تكون قريبة من حيث لا ... ترجو وتمحو عن جديدك ذلّها[11]

قال : فتفاءلت بذلك ، وقويت نفسي ، فكتبت إليه :

صبّرتني ووعظتني وأنالها ... وستنجلي ، بل لا أقول : لعلّها
ويحلّها من كان صاحب عقدها ... ثقة به إذ كان يملك حلّها

قال : [فلم أصلّ العتمة ذلك اليوم ، حتّى أطلقت ، فصلّيتها في داري.][12] ولم يمض يومي ذاك ، حتّى فرّج الله عنّي ، وأطلقت من حبسي .

وروي أنّ هاتين الرقعتين وقعتا بيد الواثق ، الرّسالة والجواب ، فأمر بإطلاق

المعتصم والواثق ، كان المتوكّل يحقد عليه أموراً ، فلمّا ولّي الخلافة قبض عليه وعذّبه بأن حبسه في تنّور في باطنه مسامير من الحديد ، أطرافها إلى داخل التنّور ، وكان التنّور ضيّقاً بحيث إنّ الإنسان كان يمدّ يديه إلى فوق رأسه ليدخله ، ولا يقدر من يكون فيه أن يجلس ، راجع القصّة ١ / ٢ من نشوار المحاضرة ، (الأعلام ٧ / ١٢٦ والكامل لابن الأثير ٦ / ٤٥٤ – ٥٢٥ و٧ / ٢٩ – ٤٣) .

٨ أبو علي الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي : كاتب ، مترسّل ، فصيح ، شاعر ، كان يكتب لمحمّد بن عبد الملك الزيّات الوزير ، وولّي ديوان الرسائل ، (الفهرست ١٣٦) راجع أخباره في الملح والنوادر ١٦٢ – ١٦٤ .

٩ في ظ : هذان البيتان .

١٠ في م : خطب .

١١ اقتصرت ظ على البيتين الأول والثالث ، والزيادة من غ وم . وفي م ، ورد الشّطر الأخير : ويمحو عن جديدك هزلها .

١٢ الزيادة من غ وم .

سليمان ، وقال : والله ، لا تركت في حبسي من يرجو الفرج[13] ، ولا سيّما من خدمني ، فأطلقه على [٢٧ م] كره من ابن الزيّات لذلك[14] .

١٣ في هـ : والله ، لا تركت الفرج يموت في حبسي .

١٤ في غ : ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب بغير إسناد ، وفيه : أنّ هذه الرقعة ، وقعت في يدي الواثق بالله ، من الابتداء والجواب ، فأمر بإطلاق سليمان ، وقال : والله ، لا تركت من يرجو الفرج في حبسي ، لا سيّما من خدمني ، فأطلقه ، وابن الزيّات كاره .

٦٧

بين الحسن البصريّ والحجّاج بن يوسف الثقفي

[وحدّثني بعض شيوخنا ، بإسناد ذهب عنّي حفظه ، وبلغني عن صالح بن مسمار[١] ، فجمعت بين الخبرين][٢] :

أنّ الحسن البصري دخل على الحجّاج[٣] بواسط ، فلمّا رأى بناءه قال : الحمد لله ، أنّ هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبراً ، وأنّا لنرى فيهم عبراً ، يعمد أحدهم إلى قصرٍ فيشيّده ، وإلى فرش فيتّخذه ، وقد حفّ به ذباب طمع ، وفراش نار[٤] ، ثم يقول : ألا فانظروا ما صنعت ، [فقد رأينا - يا عدوّ الله - ما صنعت][٥] ، فماذا يا أفسق الفسقة ، ويا أفجر الفجرة ، أما أهل السماء فلعنوك ، وأما أهل الأرض فمقتوك .

ثم خرج وهو يقول : إنّما أخذ الله الميثاق على العلماء ، ليبيّننّه للنّاس ، ولا يكتمونه .

فاغتاظ الحجّاج غيظاً شديداً ، ثم قال : يا أهل الشّام ، هذا عُبَيد أهل البصرة يشتمني في وجهي فلا ينكر عليه أحد ، عليّ به ، والله لأقتلنّه .

فمضى أهل الشام ، فأحضروه ، وقد أعلم بما قال ، فكان في طريقه يحرّك شفتيه بما لا يسمع .

---

١ أبو الفضل صالح بن مسمار السّلمي المروزي الكشميهني : ترجم له صاحب الخلاصة ١٤٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٦ ، نسبته إلى كشميهن قرية من قرى مرو (اللباب ٣ / ٤٢) .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو محمّد الحجّاج بن يوسف الثّقفي : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

٤ في ظ وم : وقد حفّ به غلمانه .

٥ الزيادة من غ وم .

فلمّا دخل على الحجّاج ، رأى السّيف والنطع بين يديه وهو متغيّظ ، فلمّا وقعت عليه عين الحجّاج ، كلّمه بكلام غليظ ، ورفق به الحسن ، ووعظه .

فأمر الحجّاج بالسيف والنطع فرفعا ، ثمّ لم يزل الحسن يمر في كلامه ، إلى أن دعا الحجاج بالطعام ، فأكلا ، وبالوضوء فتوضّأ ، وبالغالية[6] فغلّفه بيده ، ثم صرفه مكرّماً .

وقال صالح بن مسمار : قيل للحسن بن أبي الحسن : بم كنت تحرّك شفتيك ؟

قال : قلت : [يا غياثي عند دعوتي ، ويا عدّتي في ملمّتي ، ويا ربّي عند كربتي][2] ويا صاحبي في شدّتي ، ويا وليّي في نعمتي ، ويا إلهي ، وإله إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ، وموسى ، وعيسى ، [ويا ربّ النبيّين كلّهم أجمعين ، ويا ربّ كهيعص ، وطه ، وطس ، ويس ، وربّ القرآن الحكيم][7] يا كافي موسى فرعون ، ويا كافي محمّد الأحزاب ، صلّ على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين الأخيار ، وارزقني مودّة عبدك الحجّاج ، وخيره ، ومعروفه ، واصرف عنّي أذاه ، وشرّه ، ومكروهه ، ومعرّته [٣٦ غ] .

فكفاه الله [تعالى شرّه بمنّه وكرمه][8].

[قال صالح : فما دعونا بها في شدّة إلّا فرج عنّا][9].

---

٦ الغالية : أخلاط من الطيب ، تجمع وتعتّق ، قيل إنّها سمّيت الغالية ، لارتفاع ثمنها .

٧ الزيادة من غ .

٨ الزيادة من ر .

٩ الزيادة من غ وم .

الحجّـاج

أبو محمّد الحجّاج بن يوسف الثقفي (٤٠ – ٩٥) : والي العراقين لعبد الملك بن مروان ، وهو الّذي يُضرب به المثل في الظلم والجور ، ثقفي من نسل أبي رغال (اليعقوبي ٢ / ٢٧٤) وأبو رغال ، بقيّة من قوم ثمود ، كان قائد الفيل ، ودليل الحبشة ، لمّا غزوا الكعبة ، فهلك فيمن هلك منهم ، ودفن بين مكّة والطائف ، ومرّ النبيّ صلوات الله عليه ، بقبره ، فأمر برجمه ، فرُجم (الأغاني ٤ / ٣٠٣) .

وكانت ثقيف ، عشيرة الحجّاج ، من أشدّ القبائل على رسول الله ، فقد تهزّأوا به ، وقعدوا له صفّين ، فلمّا مرّ بهم رجموه بالحجارة ، حتّى أدموا رجله ، وقال رسول الله : ما كنت أرفع قدماً ، ولا أضعها ، إلاّ على حجر (اليعقوبي ٢ / ٣٦) ، وقال الإمام عليّ ، في إحدى خطبه : لقد هممت أن أضع الجزية على ثقيف (الأغاني ٤ / ٣٠٦) .

كلّ ذلك ، كان من جملة أسباب حقد الحجّاج ، على النبيّ صلوات الله عليه ، وعلى أولاده ، وبغضه إيّاهم ، حتّى ضرب بذلك المثل ، قال الشاعر : [معجم البلدان ٢ / ٣٢٣]

أنا في الحلّـة الغـداة كأنّـي علـويّ في قبضـة الحجّـاج

وبلغ من حقده على النبيّ ، أنّه لمّا دخل المدينة ، سمّاها : نتنة ، وقد سمّاها رسول الله : طيّبة ، ولمّا رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله ومنبره ، قال : إنّما يطوفون برمّة وأعواد (العقد الفريد ٥ / ٤٩) يريد بالأعواد : منبر النبيّ ، وبالرمّة : جسده الشريف ،

وتبع حقده على النبيّ ، حقده على الذين نصروه وآزروه ، وهم الأنصار ، فكان يسمّيهم : الأشرار (العقد الفريد ٥ / ٣٩) وختم أعناق بعض الصحابة منهم بقصد إذلالهم (الطبري ٦ / ١٩٥) وكان يقول : ويحكم ، أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ، أم رسوله إليهم ؟ يشير بذلك إلى أنّ عبد الملك بن مروان ، أكرم على الله من النبيّ صلوات الله عليه (العقد الفريد ٥ / ٥٢) .

ولد الحجّاج بالطّائف ، وكان والده يؤدّب الصبيان (العقد الفريد ٥ / ١٣) ، وجاء مشوّهاً ، واحتيج إلى إجراء جراحة له ، لكي يكون في حالة طبيعيّة (مروج الذهب ٢ / ٩٧) ، ونشأ أخفش العينين ، دقيق الصّوت ، (شذرات الذهب ١ / ١٠٦ والعيون والحدائق ٣ / ١١) فكان لتشويه بدنه ، وخفش عينيه ، ودقّة صوته ، ووضاعة نشأته ، أصل قويّ فيما ابتلي

به من ساديّة عجيبة ، فكان يخبر عن نفسه أنّ أكبر لذّاته في سفك الدّماء (وفيات الأعيان ٢ / ٣٠) وكان يقول : إنّي – والله – لا أعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجرأ على دم منّي (العقد الفريد ٢ / ١٧٦) ، وكان له في القتل وسفك الدّماء غرائب لم يسمع بمثلها (وفيات الأعيان ٢ / ٣١) ، وهو أحد أربعة في الإسلام ، قتل كلّ واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل (لطائف المعارف ١٤١) ، راجع بعض غرائبه في التّعذيب وسفك الدّماء ، في آخر القصّة ١٤٩ من هذا الكتاب .

وكانت سياسة الحجّاج الّتي سلكها في العراق ، من أهمّ الأسباب الّتي أدّت إلى سقوط الدّولة الأمويّة (السيادة العربيّة ٤٤) ولمّا مات ، خلّف في حبسه ثمانين ألفاً ، حبسوا بغير جرم ، منهم خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، وكان يحبس الرجال والنّساء في موضع واحد ، ولم يكن لحبسه ستر يستر النّاس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء (مروج الذهب ٢ / ١٢٨ والعيون والحدائق ٣ / ١٠) ، وجاء في محاضرات الأدباء ٣ / ١٩٥ أنّه أحصي من قتلهم الحجّاج ، سوى من قتل في بعوثه وعساكره وحروبه ، فوجدوا مائة وعشرين ألفاً ، ووجد في حبسه مائة ألف وأربعة عشر ألف رجل ، وعشرون ألف امرأة ، منهنّ عشرة آلاف امرأة مخدّرة ، وكان حبس الرّجال والنّساء في مكان واحد ، ولم يكن في حبسه سقف ولا ظلّ ، وربما كان الرّجل يستتر بيده من الشّمس ، فيرميه الحرس بالحجارة ، وكان أكثرهم مقرّنين بالسلاسل ، وكانوا يسقون الزعاف ، ويطعمون الشعير المخلوط بالرّماد ، وكان المسجونون في سجن الحجّاج يقرّنون بالسلاسل ، فإذا قاموا ، قاموا معاً ، وإذا قعدوا قعدوا معاً (الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ، مخطوط ص ١١) ، ولا يجد المسجون المقيّد منهم ، إلاّ مجلسه ، فيه يأكلون ، وفيه يتغوطون ، وفيه يصلّون (القصّة ٨٧ من هذا الكتاب) .

وبلغ من شنيع سمعة الحجّاج ، وشهرته بالظّلم ، أنّ أبا مسلم الخراساني ، الذي اشتهر بقسوته وضراوته على الدم الحرام ، حتّى قيل إنّه قتل أكثر من ألف ألف رجل (لطائف المعارف ١٤١ و١٤٢) ، قيل في حقّه : إنّه حجّاج زمانه (مرآة الجنان ١ / ٢٨٥) .

قال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : لعن الله الحجّاج ، فإنّه ما كان يصلح للدّنيا ولا للآخرة (معجم البلدان ٣ / ١٧٨) وقال فيه : لو جاءت كلّ أمّة بمنافقيها ، وجئنا بالحجّاج ، لفضلناهم (العقد الفريد ٥ / ٤٩) ، وقيل للشّعبي : أكان الحجّاج مؤمناً ؟ قال : نعم ، بالطاغوت ، كافراً بالله (البصائر والذخائر م٢ ق١ ص ٧٣ ، والعقد الفريد

٥ / ٤٩) ، وقيل لعبد الله بن المبارك : أبو مسلم كان خيراً أو الحجّاج ؟ فقال : لا أقول إنّ أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكنّ الحجّاج كان شرًّا منه (ابن الأثير ٥ / ٤٧٩) ، وكان الحسن البصري ، يسمّيه : فاسق ثقيف (وفيات الأعيان ٢ / ٣٧٤) ، وقال القاسم ابن محمّد بن أبي بكر : كان الحجّاج ينقض عرى الإسلام ، عروة ، عروة (العقد الفريد ٥ / ٤٩) ، وقال ابن سيرين : إنّه لم ير أغشم من الحجّاج (شذرات الذهب ١ / ١٠٦) .

ووصف الحجّاج نفسه بأنّه : حقود ، حسود ، كنود ، فقال له سيّده عبد الملك بن مروان : ما في إبليس شرّ من هذه الخلال (نهاية الأرب ٣ / ٢٦٧) .

ولعلّ أصدق ما وصف به الحجّاج ، ما وصفه به سيّده عبد الملك بن مروان ، فقد كتب إليه يقول : إنّك عبد ، طَمَتْ بك الأمور ، فغلوت فيها ، حتّى عدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، أنسيت حال آبائك في اللؤم ، والدناءة في المروءة والخلق ؟ فعليك لعنة الله من عبدٍ أخفش العينين ، أصكّ الرجلين ، ممسوح الجاعرتين (ابن الأثير ٤ / ٣٨٦) .

أمّا بشأن ما ارتكبه الحجّاج من تخريب ، بحيث نزلت جباية العراق من مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، في عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ، إلى ثمانية عشر ألف ألف درهم فقط ، فراجع في ذلك حاشية القصّة ١٨٢ من هذا الكتاب .

وعمّ شؤم الحجّاج ، أفراد عائلته من آل أبي عقيل جميعهم ، فإنّهم بعد هلاكه ، أمر سليمان بن عبد الملك باعتقالهم ، وسيّرهم إلى العراق ، حيث حبسهم صالح بن عبد الرحمن بواسط ، وعذّبهم حتّى قتلهم (ابن الأثير ٤ / ٥٨٨ و ٥٨٩) .

ولمّا استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، سيّر الباقين من آل أبي عقيل إلى البلقاء ، وكتب إلى الحارث بن عمر الطّائي ، عامله عليها : أمّا بعد ، فقد بعثت إليك بآل أبي عقيل ، وبئس – والله – أهل البيت في دين الله ، وهلاك المسلمين ، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله تعالى ، وعلى أمير المؤمنين (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٥٨٦) .

٦٨

دعاء دعا به الحسن بن الحسن ففرّج الله عنه

وجدت في بعض الكتب ، بغير إسناد : كتب الوليد بن عبد الملك بن مروان[١] إلى صالح بن عبد الله المزني[٢] ، عامله على المدينة ، أن أنزل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[٣] ، فاضربه في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، خمسمائة سوط .

قال : فأخرجه صالح إلى المسجد ، ليقرأ عليهم كتاب الوليد بن عبد الملك ، ثم ينزل فيضرب الحسن ، فبينما هو يقرأ الكتاب ، إذ جاء علي بن الحسين عليهما السّلام ، مبادراً يريد الحسن ، فدخل والنّاس معه الى المسجد ، واجتمع النّاس ، حتّى انتهى إلى الحسن فقال له : يا ابن عمّ ، ادع بدعاء الكرب .

فقال : وما هو يا ابن عمّ ؟

قال : قل : لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم ،

---

١ أبو العبّاس الوليد بن عبد الملك بن مروان (٤٨ - ٩٦) : ولّي الخلافة سنة ٨٦ ، بنى الجامع الأمويّ بالشام ، وعمّر المسجد النبويّ ووسّعه ، وختن الأيتام ، ورتّب لهم المؤدّبين ، ورتّب للزمنى من يخدمهم ، وللأضرّاء من يقودهم ، ورزق الفقهاء ، والضعفاء ، والفقراء ، وحرّم عليهم سؤال النّاس (تاريخ الخلفاء ٢٢٣ - ٢٢٤) وكان لحّاناً ، جباراً ، قاسياً (تاريخ الخلفاء ٢٢٣ ، العقد الفريد ١ / ٥٣ واسطة السلوك ١٢١) وكان ولاته في الأمصار من شرار الخلق ، الحجّاج بن يوسف بالعراق ، وأخوه محمّد باليمن ، وعثمان بن حيّان بالحجاز ، وقرّة بن شريك بمصر ، فامتلأت الأرض بهم جوراً (واسطة السلوك ١٢١ والكامل لابن الأثير ٥ / ٥٤٧) .

٢ في غ : المرّي ، ولم أعثر بين عمّال الوليد على المدينة على عامل اسمه صالح .

٣ أبو محمّد الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب : ويسمّى : الحسن المثنّى ، كبير الطالبيّين في عهده ، كانت إقامته بالمدينة ، وتوفّي فيها سنة ٩٠ ، وكان الأمويون يتّهمونه بمكاتبة أهل العراق (الأعلام ٢ / ٢٠١) .

سبحان الله ربّ السماوات السبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

قال : وانصرف عليّ ، وأقبل الحسن يكرّرها دفعات كثيرة .

فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل عن المنبر ، قال للنّاس : أرى سحنة رجل مظلوم ، أخّروا أمره حتّى أراجع أمير المؤمنين ، وأكتب في أمره.

ففعل ذلك ، ولم يزل يكاتب ، حتى أطلق .

قال : وكان النّاس يدعون ، ويكرّرون هذا الدّعاء ، وحفظوه .

قال : فما دعونا بهذا الدّعاء في شدّة إلّا فرجها الله عنّا بمنّه .

[حدّثنا علي بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا قال : حدّثني محمد بن الحسين قال : حدّثني محمد بن سعيد ، قال : حدّثنا شريك ، عن عبد الملك بن عمير ، قال :

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيّان المريّ : خذ الحسن بن الحسن ، فاجلده مائة جلدة ، وقفه للنّاس يوماً ، ولا أراني إلّا قاتله .

قال : فبعث إليه فجيء به وبالخصوم بين يديه .

فقام إليه علي بن الحسين عليه السّلام ، فقال : يا أخي تكلّم بكلمات الفرج يفرّج الله عنك .

قال : ما هنّ ؟

قال : قل : لا إله إلّا الله الحكيم الكريم ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، سبحان الله ربّ السموات السبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

قال : فقالها ، فأنفذ ، فردّه ، وقال : أنا أكاتب أمير المؤمنين بعذره ، فإنّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب [4] .

ووجدت هذا الخبر ، بأعلى وأثبت من هذين الطريقين ، حدّثنا أبو العبّاس

---

٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) جزء منه في ص ١٥٣ وتتمّته في ص ١٦٥ .

محمّد بن أحمد الأثرم المقرئ ، قال : حدّثنا أحمد بن الربيع اللّجمي الجرّار الكوفي[5] ، قال : حدّثنا الحسين بن علي ، يعني الجعفي[6] ، عن والده ، عن قدامة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : حدّثني أبو مصعب ، قال :

كتب عبد الملك إلى عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل[7] : أنّ حسن بن حسن ، كاتب أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فابعث إليه الشرط ، فليأتوا به .

قال : فأتي به ، فسأله عن شيء .

فقام إليه علي بن الحسين عليهما السلام ، فقال : يا ابن عمّ ، قل كلمات الفرج ، لا إله إلّا الله ربّ السّموات السّبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، قال : فقالها .

ثم إنّ الأمير نظر إلى وجهه ، فقال : أرى وجهاً قد قرف بكذبة ، خلّوا سبيله فلأراجعنّ أمير المؤمنين [٣٧ غ] فيه[8] .

---

٥ كذا في الأصل ، والصّحيح : الخزّاز ، وهو أبو الحسن حميد بن الربيع بن حميد بن مالك بن سحيم الخزّاز الكوفي اللّخمي ، نسبته إلى لخم من قبائل اليمن القحطانيّة (اللباب ٣ / ٦٨) ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ١٦٢ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٨ .

٦ أبو محمّد وأبو عبد الله الحسين بن عليّ بن الوليد الجعفي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٧١ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٣ .

٧ أقول : أنا إلى اعتبار ما ورد في هذا الخبر أميَل ، إذ لم أعثر على اسم صالح بن عبد الله المزني بين عمّال الوليد ، أمّا هشام بن إسماعيل المخزومي فهو عامل عبد الملك على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيّب ضرباً مبرّحاً لأنّه امتنع عن البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك ، كما أنّه كان شديد الإيذاء للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ، راجع تاريخ الطبري ٦ / ٣٥٥ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ .

٨ الزيادة من غ ، والقصّة ساقطة من م .

٦٩

دعاء ينجي من المحنة

حدّثني علي بن أبي الطّيب ، قال : حدّثني ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، عن الفضل بن يعقوب[١] [٢٠ ر] ، قال : [حدّثنا الفريابي][٢] ، قال :

لما أخذ أبو جعفر[٣] إسماعيل بن أميّة[٤] ، أمر به إلى الحبس ، فرأى في طريقه على حائط مكتوباً : يا وليّي في نعمتي ، ويا صاحبي في وحدتي ، ويا عدّتي في كربتي ، قال : فلم يزل يكرّرها حتى خلّى سبيله ، فاجتاز بذلك الحائط فإذا ليس عليه شيء مكتوب[٥] .

---

١ أبو العبّاس الفضل بن يعقوب بن إبراهيم بن موسى الرخامي : ترجم له الخطيب ١٢ / ٣٦٦ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٨ .

٢ أبو عبد الله محمّد بن يوسف الفريابي : ترجم له صاحب اللباب ٢ / ٢١١ والفرياب بلدة بنواحي بلخ ، النسبة إليها : الفريابي ، والفاريابي ، والفيريابي .

٣ أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس .

٤ إسماعيل بن أميّة بن عمرو بن سعيد بن العاص الأمويّ المكّي ، من فقهاء أهل مكّة وقرّائهم ، توفّي سنة ١٣٩ (على قول مشاهير علماء الأمصار ١٤٥) وسنة ١٤٤ (على قول الخلاصة ٣٨) .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) جزء منه في ص ١٦٦ وتتمّته في ص ١٥٤ سطر ٥ .

٧٠

أجارَ حيّةً فأرادت قتله ، فخلّصه جميل صنعه

ويروى : أنّ حيّة استجارت برجل من العبّاد ، من رجل يريد قتلها ، [قال : فرفع ذيله ، وقال : ادخلي ، فتطوّقت على بطنه .

وجاء رجل بسيف ، وقال له : يا رجل ، حيّة هربت منّي الساعة ، أردت قتلها ، فهل رأيتها ؟

قال : ما أرى شيئاً][1].

فلمّا أجارها ، وانصرف من يريد قتلها ، قالت له الحيّة : لا بدّ من قتلك .

[فقال لها الرجل : ليس غنى عن هذا ؟

قالت : لا][1].

قال : فأمهليني ، حتى آتي سفح جبل ، فأصلّي ركعتين ، وأدعو الله تعالى ، وأحفر لنفسي قبراً ، فإذا نزلته ، فافعلي ما بدا لك .

قالت : افعل .

فلمّا صلّى ، ودعا ، أوحى الله إليه : إنّي قد رحمتك ، فاقبض على الحيّة ، فإنّها تموت في يدك ، ولا تضرّك .

ففعل ذلك ، وعاد إلى موضعه ، وتشاغل بعبادة ربّه [٣٠ ظ].

[وروى هذا الخبر ، جعفر العابد ، برامهرمز [2] ، على غير هذه السياقة ، إلّا أنّ المعنى متقارب ، فأوردت ما بلغني من ذلك ، فقال :

---

١ الزيادة من م .

٢ رامهرمز : مدينة من نواحي خوزستان ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٧٣٨ وقال : إنّها يجتمع فيها النّخل والجوز والأترج ، وليس يجتمع في غيرها ، قال الشّاعر :

أمغترباً أصبحت في رام هرمز ألا كلّ كعبيّ هناك غريب

قرأت في كتب الأوائل ، أنّ حيّة أفلتت من يد طالب لها ليقتلها ، وأنّها سألت الرجل أن يخبأها ، فخبأها في فمه ، وأنكرها للطّالب لها][3] .

وحدّثني عبد الله بن الحارث بن السراج الواسطي ، قال : حدّثني بعض أصحاب أبي محمد سهل بن عبد الله التستري[4] ، عنه ، قال :

كان في بني إسرائيل ، رجلٌ في صحراء قريبة من جبل ، يعبد الله تعالى ، إذ مثلت له حيّة ، فقالت له : قد أرهقني من يريد قتلي ، فأجرني ، أجارك الله في ظلّه ، يوم لا ظلّ إلّا ظلّه .

قال لها : وممّن أجيرك ؟

قالت : من عدوّ يريد [٢٨ م] قتلي .

قال : وممّن أنت ؟

قالت : من أهل لا إله إلّا الله .

قال : فأين أخبّيك ؟

قالت : في جوفك ، إن كنت تريد المعروف .

ففتح فاه ، وقال : ادخلي ، ففعلت .

فلمّا جاء الطالب ، قال له : رأيتَ حيّةً تسعى ؟

فقال العابد : ما أرى شيئاً ، وصدق في ذلك .

فقال له الطالب : اللهَ .

فقال : اللهَ .

فتركه ، ومضى ، ثمّ قال لها : اخرجي الآن .

فقالت : إنّي من قوم لا يكافئون على الجميل إلّا بقبيح .

ثم ساق الحديث على قريب ممّا تقدّم .

---

٣ لا توجد في غ .

٤ أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس التستري : ترجمته في حاشية القصّة ٧٥ .

[ووقع اليّ الخبر بقريب من هذا المعنى ، على خلاف هذه السياقة :

قرئ عليَ أبي العبّاس الأثرم ، المقرئ البغدادي ، وهو محمّد بن أحمد بن حمّاد بن إبراهيم بن ثعلب ، في منزله بالبصرة ، في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، وأنا حاضر أسمع ، حدّثكم علي بن حرب الطائي الموصلي [٥] ، قال : حدّثنا جعفر بن المنذر الطائي العابد بمهروبان] [٦] ، قال :

كنت عند سفيان بن عيينة ، فالتفت إلى شيخ حاضر ، فقال له : حدّث القوم بحديث الحيّة .

فقال الرجل : حدّثني عبد الجبّار ، أنّ حميد بن عبد الله خرج إلى متعبّده [٧] ، فمثلت بين يديه حيّة ، وقالت له : أجرني أجارك الله في ظلّه .

قال : وممّن أجيرك ؟

قالت : من عدوٍّ يريد قتلي .

قال : فأين أخبئك ؟

قالت : في جوفك .

ففتح فاه ، فما استقرّت ، حتى وافاه رجل بسيف مجرّد ، فقال له : يا حميد أين الحيّة ؟

قال : ما أرى شيئاً .

فذهب الرجل ، فأطلعت الحيّة رأسها ، وقالت : يا حميد أتحسّ الرجل ؟

---

٥ أبو الحسن عليّ بن حرب بن محمّد الطّائي الموصلي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٣٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٥ .

٦ كذا ورد في غ ، وفي بقية النسخ : وورد عن بعض العبّاد ، قال ... الخ ، أقول : أحسبه هو جعفر العابد الذي ورد ذكره في الخبر الذي قبله ، ومهروبان : بليدة صغيرة على ساحل البحر بين عبادان وسيراف (مراصد الاطلاع ٣ / ١٣٣٩) .

٧ في الأصل : متصيّده ، وهو تصحيف .

فقال : لا ، قد ذهب ، فاخرجي .

قالت : اختر منّي إحدى خصلتين ، إمّا أن أنكتك نكتةً فأقتلك ، أو أفرث كبدك ، فترميه من دبرك قطعاً .

فقال : والله ، ما كافيتني .

فقالت : قد عرفت العداوة التي بيني وبين [٣١ ظ] أبيك آدم قديماً ، وليس معي مال فأعطيك [ولا دابّة فأحملك عليها][8] .

فقال : امهليني ، حتّى آتي سفح الجبل ، وأحفر لنفسي قبراً .

قالت له : افعل .

فبينا هو يسير إذ لقيه فتى حسن الوجه ، طيّب الرّيح ، حسن الثياب ، فقال له : يا شيخ ، [٢٩ م] ما لي أراك مستسلماً للموت ، آيساً من الحياة ؟

قال : من عدوّ في جوفي يريد هلاكي .

فاستخرج من كمّه شيئاً فدفعه إليه وقال : كُلْهُ .

قال : ففعلت ذلك ، فوجدت مغصاً شديداً ، ثم ناولني شيئاً آخر ، فإذا بالحيّة سقطت من جوفي قطعاً .

فقلت له : من أنت يرحمك الله ؟ [فما أحد أعظم عليّ [٣٨ غ] منّة منك]

فقال : أنا المعروف ، إنّ أهل السماء رأوا غدر هذه الحيّة بك ، فسألوا الله عزّ وجلّ ، أن يعيذك ، فقال لي الله تعالى : يا معروف ، أدرك عبدي ، فإيّاي أراد بما صنع .

---

٨ الزيادة من غ .

٧١

أهدر عبد الملك دمه ، فدعا ، فأمّنه وأحسن إليه

بلغني أنّه جنى رجل جناية على عهد عبد الملك بن مروان[١] ، فأهدر دمه[٢] ودم من يؤويه ، وأمر بطلبه ، فتحاماه النّاس كلّهم .

فكان يسيح في الجبال والبراري[٣] ، ولا يذكر اسمه ، فيضاف اليوم واليومين ، فإذا عُرف طرد [ولم يدع أن يستقر][٤] .

قال الرّجل : فكنت أسيح يوماً في بطن واد ، فإذا بشيخ أبيض الرأس واللحية ، عليه ثياب بياض ، وهو قائمٌ يصلّي ، فقمت إلى جنبه[٥] .

فلمّا سلّم [انفتل إليّ][٤] ، وقال لي : من أنت ؟

قلت : رجل أخافني السلطان ، وقد تحاماني الناس ، فلم يجرني أحد [من خلق الله تعالى][٦] ، فأنا أسيح في هذه البراري ، خائفاً على نفسي .

قال : فأين أنت عن السَّبع ؟

قلت : وأيّ سبع ؟

قال : تقول : سبحان الله الإله الواحد ، الّذي ليس غيره أحد ، سبحان الدّائم الّذي ليس يعادله شيء ، سبحان الدّائم القديم ، الّذي لا ندّ له ولا عديل ، سبحان الّذي يحيي ويميت ، سبحان الّذي هو كلّ يوم في شأن ، سبحان الّذي خلق ما يرى ، وما لا يرى ، سبحان الّذي علم كلّ شيء بغير تعليم ، أللّهم

---

١ أبو الوليد عبد الملك بن مروان : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

٢ هدر ، وأهدر دمه : أباح قتله .

٣ في غ : في الجبال والصحاري والمفاوز ، وفي م : في الجبال والبراري والمفاوز .

٤ الزيادة من غ .

٥ في غ : فجئت حتّى قمت فصلّيت إلى جنبه .

٦ الزيادة من غ .

إنّي أسألك بحقّ هذه الكلمات وحرمتهنّ ، أن تفعل بي كذا وكذا ، وأعادهنّ عليّ ، فحفظتهنّ .

قال الرّجل : وفقدت صاحبي ، فألقى الله تعالى الأمن في قلبي ، وخرجت من وقتي متوجّهاً إلى عبد الملك ، فوقفت ببابه ، واستأذنت عليه [٢١ ر] ، فلمّا دخلت عليه ، قال : أتعلّمت السّحر[٧] ؟

قلت : لا ، يا أمير المؤمنين ، ولكن كان من شأني كذا وكذا ، وقصصت عليه القصّة .

فأمّنني ، وأحسن إليّ .

---

٧ السِّحْر ، في اللغة : أُخذ تأخذ العين حتى ترى ما لا أصل له في الحقيقة ، ثم شملت الكلمة كلّ ما يصرف الشيء عن حقيقته ، قال النبي صلوات الله عليه : إنّ من البيان لسحراً ، أي أنَّ الجيان يبلغ من الثناء بحيث يمدح الإنسان ، فيصدق فيه ، حتى يصرف القلوب إلى قوله ، ثم يذمّه ، فيصدق فيه ، حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكأنّه قد سحر السامعين بذلك ، راجع لسان العرب ، مادة : سحر ، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر السحر والسحرة في ثلاثة وستّين موضعاً ، وأفرد صاحب الفهرست ، في المقالة الثامنة ، بحثاً في أخبار المعزّمين والمشعبذين والسحرة وأصحاب النيرنجيّات والحيل والطلسمات ص ٣٦٩ – ٣٧٣ ، للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ١١ / ٣٠٣ – ٣٢٨ .

أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي

(٢٦ – ٨٦)

استعمله معاوية على المدينة ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وكان أحد فقهاء المدينة المعدودين ، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه ، وقد ناهز الأربعين ، فلمّا بشّر بها ، أطبق المصحف ، وقال : هذا فراق بيني وبينك (تاريخ الخلفاء ٢١٧ ، الفخري ١٢٢ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٢) . من محاسنه أنّه نقل الدواوين من الفارسيّة ، والروميّة ، إلى العربيّة ، وسكّ الدنانير في الإسلام ، ومن سيّئاته أنّه سلّط الحجّاج بن يوسف الثّقفي ، الظالم السيء الصيت ، على النّاس ، فولاّه الحجاز أوّلاً ، ثمّ العراق ، فقتل العباد ، وخرّب البلاد (أحسن التقاسيم ١٣٣ وواسطة السلوك ٢٩ ، والسيادة العربيّة ٤٤) ، وهو أوّل من غدر في الإسلام ، آمن عمرو بن سعيد الأشدق ، ثمّ قتله (العقد الفريد ١ / ٧٩ و٤ / ٤٠٩) ، وأوّل من نهى عن الأمر بالمعروف في الإسلام ، قال في إحدى خطبه : والله ، لا يأمرني أحد بتقوى الله ، إلاّ ضربت عنقه (فوات الوفيات ٢ / ٣٣ وتاريخ الخلفاء ٢١٩) ، ومنع أهل الشام من الحجّ إلى مكّة ، وبنى قبّة الصخرة في بيت المقدس ، وعلّق عليها ستور الدّيباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ النّاس بأن يطوفوا حولها ، بدلاً من الكعبة ، وأقام النّاس على ذلك أيّام بني أميّة (اليعقوبي ٢ / ٢٦١) ، وقد لخّص عبد الملك سياسته ، في خطبة له ، قال : إنّ من كان قبلي من الخلفاء ، كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ، ألا وإنّي لا أداوي أدواء هذه الأمّة إلاّ بالسّيف (تاريخ الخلفاء ٢١٨) ولـمّا حضره الموت جعل يضرب على رأسه بيده ، ويقول : وددت أنّي كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حمّالاً (تاريخ الخلفاء ٢٢٠ وابن الأثير ٤/٥٢١) ، راجع أخباره في تاريخ الخلفاء ٢١٦ – ٢٢٠ والعقد الفريد ٤ / ٢٥ و٣٩٩ ، و٥ / ١٠٣ و٦ / ٩٩ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧٣ والهفوات النّادرة ٤٢ .

٧٢

يا كاشف الضَّرّ ، بك استغاث من اضطرّ

وأخبرني صديق لي : أنّ بعض أصحابنا من الكتّاب ، دفع إلى محنة صعبة ، فكان من دعائه : يا كاشف الضّر ، بك استغاث من اضطرّ .

قال : وقد رأيته نَقَشَ ذلك على خاتمه[1] ، وكان يردّد الدعاء به ، فكشف الله محنته عن قريب .

---

١ الختم ، في اللغة : السدّ والإغلاق ، قال تعالى : ختم الله على قلوبهم (٧ م البقرة ٢) ، أي أغلقها فلا تفقه شيئاً ، ثم صرفت الكلمة إلى نهاية الشيء ، باعتبار أنّ سدّه وإغلاقه ينهيه ، قال تعالى : خاتم النبيّين (٤٠ م الاحزاب ٣٣) أي إنّه لا نبيّ بعده ، كما يقال : ختم القرآن ، أي إنّه قرأه إلى آخره ، ثم صرفت الكلمة إلى الطين الذي يسدّ به المزود أو الكتاب عند الانتهاء منه ، ثم صرفت إلى الطبعة التي توضع على الطين للاستيثاق من السدّ والإغلاق ، ثم صرفت إلى الفصّ الذي يطبع به الطين ، ثم صرفت إلى الحلقة التي ألصق بها الفصّ ، ثم شملت كلّ حلقة توضع في الإصبع .

٧٣

سليمان بن وهب يتخلّص من حبسه
بدعاء صادف استجابة

[حدّثني عليّ بن هشام[١] ، قال : سمعت أبا عبد الله حمد بن محمد القنّائي[٢] ، ابن أخت الحسن بن مخلد .

قال مؤلّف هذا الكتاب : قال لي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى[٣] ، في كلام جرى بيننا – غير هذا – طويل : كان حمد بن محمّد هذا ، ابن عمّة الحسن بن مخلد ، وكان أبي عرّفني أنّه أشار على المقتدر بالله[٤] ، وقد استشاره

---

١ أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من هذا الكتاب .

٢ أبو عبد الله حمد بن محمّد القنّائي الكاتب : نسبته إلى دير قنّى ، قرية كبيرة من نواحي النهروان قرب الصافية ، خرج منها عدد من المشاهير ، منهم أبو الحسن عليّ بن عيسى بن الجرّاح ، ومحمّد بن داود الجرّاح ، والحسن بن مخلد ، وكان أبو عبد الله يخلف ابن خالته الحسن بن مخلد على ديوان الخراج وعلى ديوان الضياع ، وولّي أعمالاً ودواوين أخرى ، منها ديوان المغرب ، ومات وهو يتقلّد ديوان الخراج والضياع العامّة بالسواد ، راجع نشوار المحاضرة القصّة ٢ / ٩٢ و٨ / ١٠ .

٣ أبو القاسم عيسى بن عليّ بن عيسى بن الجرّاح (٣٠٢ – ٣٩١) : كان عارفاً بالمنطق ، ورمي بشيء من مذهب الفلاسفة ، كتب للطائع ، وأملى الحديث (المنتظم ٧ / ٢١٨) .

٤ أبو الفضل جعفر المقتدر بن أبي العبّاس أحمد المعتضد بن أبي أحمد طلحة الموفّق بن أبي الفضل جعفر المتوكّل (٢٨٢ – ٣٢٠) : بويع بالخلافة في السنة ٢٩٥ وهو صبيّ ، فاستصغروه ، فخلعوه في السنة ٢٩٦ ، ونصبوا عبد الله بن المعتز ، وانتقض أمر ابن المعتز بعد يومين ، فأعيد المقتدر ، وفي السنة ٣١٧ خلعوه ثانية ، وبايعوا أخاه القاهر ، فأقام يومين ، ثمّ انتقض أمره ، وعاد المقتدر . ثمّ حاربه خادمه القائد مؤنس ، فقتل في المعركة (الأعلام ٢ / ١١٤) ، وكان الحكم في أيّامه لأمّه وخالته . وفي أيّامه اضمحلّت الدّولة ، وصغرت رقعتها ، وتسمّى عبد الرّحمن النّاصر ، بأمير المؤمنين في الأندلس ، وكان عظيم الإسراف ، قيل إنّه بذر من الذهب ثمانين ألف ألف دينار (شذرات الذهب ٢ / ٢٨٤) ،

فيمن يقلّده الوزارة[5] ، قال : فأسميت له حمد بن محمد هذا ، وأبا عيسى أخا أبي صخرة[6] ، وأبا زنبور[7] ، ومحمد بن علي المادرائيّين[8] .

قتل المقتدر في يوم الأربعاء ٢٧ شوال سنة ٣٢٠ (المنتظم ٦ / ٢٤٣ ومروج الذهب ٢ / ٥٤٧) وقتل قاتله في نفس اليوم بعد ساعات (تجارب الأمم ١ / ٢٣٧) وتوفّيت السيدة والدته بعد قتله بسبعة أشهر وثمانية أيّام ، على قول المنتظم ٦ / ٢٤٣ ، وفي جمادى الثّانية ، على قول الكامل لابن الأثير ٨ / ٢٥١ .

٥ سئل عليّ بن عيسى ، وهو معتقل في دار الخلافة عمّن يصلح للوزارة ، فأشار بالمادرائيّين بمصر ، وهما أبو زنبور ، وأبو بكر ، وباثنين ببغداد ، وهما أبو عيسى أحمد بن محمّد بن خالد ، أخوَ أبي صخرة ، وأبو عبد الله حمد بن محمّد القنّائي (الوزراء ٣٧٥) وفي صلة الطبري ٣٨ : إنّ أبا الحسن عليّ بن عيسى كان في السنة ٣٠٦ محبوساً عند المقتدر فوجّه إليه رقعة أثبت فيها أسماء أشخاص رغب في استيزارهم ، فوقّع تحت اسم إبراهيم بن عيسى : شره لا يصلح ، وتحت اسم ابن بسطام : كاتب سفّاك للدماء ، وتحت اسم ابن أبي البغل : ظالم لا دين له ، وتحت اسم حامد بن العبّاس : عامل موسر عفيف قد كبر ، وتحت اسم الحسين بن أحمد المادرائي : لا علم لي به ، وقد كفى ما في ناحيته ، وتحت اسم أحمد بن عبيد الله بن خاقان : أحمق متهوّر ، وتحت اسم سليمان بن الحسن بن مخلد : كاتب حدث ، وتحت اسم ابن الحواري : لا إله إلا الله .

٦ أبو عيسى أحمد بن محمّد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة : من شيوخ الكتّاب تقلّد كبار الأعمال ، وخلف إسماعيل بن بلبل على الوزارة (وزراء ٣٥٠) ، ولمّا وزر علي بن عيسى للمقتدر ، كان أبو عيسى على ديوان السواد (القصّة ١ / ١٤ من نشوار المحاضرة) توفّي أبو عيسى سنة ٣١١ وخلّف أموالاً وأملاكاً ، ولم يخلّف ولداً ، فتعرّض أصحاب المواريث لتركته فمنعهم الوزير أبو الحسن بن الفرات ، وكتب بذلك منشوراً (وزراء ٢٦٨) وبعد ذلك وجّه المحسّن بن الفرات ، إلى الورثة فأخذ جميع مالهم وحبسهم وأخافهم (صلة الطبري ٦٠) .

٧ أبو عليّ الحسين بن أحمد بن رستم المادرائي المعروف بأبي زنبور : من كبار العمّال في الدولة العبّاسية ، قلّده المكتفي خراج مصر ، وأقرّه المقتدر ، ورشّحه الوزير عليّ بن عيسى لوزارة المقتدر ، ولمّا وزر ابن الفرات وزارته الثّالثة صادره ومحمّد بن عليّ المادرائي على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، توفّي بالشام سنة ٣١٤ (الأعلام ٢ / ٢٤٨ والوزراء ٥١ – ٣٧٥) وهو منسوب إلى ماذرايا قرية فوق واسط ، من أعمال فم الصلح مقابل نهر سابس (معجم البلدان ٤ / ٣٨١) راجع في القصّة ٢ / ١٢ من كتاب نشوار المحاضرة موقفه من الوزير ابن الفرات ، أقول : ورد اسم ماذرايا ، بالذال ، في معجم البلدان ٤ / ٣٨١ وفي مراصد الاطّلاع ٣ / ١٢١٨ ، أمّا في كتاب الأنساب للسمعاني ص ٥٠٠ فقد وردت :

قال : سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب ، يقول : كان المتوكّل[9] ، أغيظ النّاس على إيتاخ[10] ، وذكر حديثاً طويلاً ، وصف فيه كيف قبض المتوكّل على إيتاخ وابنيه[11] ببغداد ، لما رجع من الحجّ ، بيد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، قال فيه][12] : قال سليمان بن وهب : [ساعة][12] قبض على إيتاخ ببغداد[13] ،

مادرايا ، بالدال ، وكذلك في اللباب ٣ / ٧٨ ، وكذلك وردت بالدال في تجارب الأمم ١ / ٢٤ و٦١ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، وكذلك وردت في كتاب الوزراء للصابي ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٩٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٧٥ ، وكذلك في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ١ / ٥٧ و٢ / ٦٣ و٥ / ٧٢ و٦ / ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، و٨ / ٢٦٢ وكذلك وردت بالدال في هذا الكتاب .

٨ أبو بكر محمّد بن عليّ بن أحمد بن رستم المادراني (٢٥٨ – ٣٤٥) : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب .

٩ أبو الفضل جعفر المتوكّل : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

١٠ أبو منصور ايتاخ ، القائد الخزري : كان غلاماً طبّاخاً خزريًّا ، اشتراه المعتصم ، ورفعه ، وقوّده ، وولّي الأعمال الكبار في خلافته ، وخلافة الواثق ، ولمّا توفّي الواثق ، كان إيتاخ ممن سعى لتولية محمّد ابن الواثق ، ثم تركوه لصغره ، فحقدها المتوكّل على إيتاخ ، ولمّا ولّي المتوكّل ، كان إلى إيتاخ : الحبس ، والمغاربة ، والأتراك ، والبريد ، والحجابة ، ودار الخلافة ، واستأذن المتوكّل في الحجّ ، فأذن له ، وأوعز إلى أمير بغداد ، فاعتقله عند عودته ، وقطع عنه الماء ، فمات عطشاً في السنة ٢٣٥ ، أنظر تفصيل ذلك في كتاب تجارب الأمم ٦ / ٥٣٢ ، ٥٤٢ – ٥٤٥ ، وجاء في لطائف المعارف للثعالبي ص ١٤٣ : إنّ المعتصم بعث إيتاخ إلى الأفشين ، وقال : قل له : يا عدوّ الله ، فعلتَ ، وصنعتَ فكيف رأيت صنع الله بك ؟ فقال الأفشين لإيتاخ : يا أبا منصور ، قد ذهبتُ بمثل هذه الرسالة ، إلى عجيف بن عنبسة ، فقال : يا أبا الحسن ، انظر من يأتيك بها ، فإني قد قد ذهبت بمثل هذه الرسالة إلى عليّ بن هشام ، فقال : انظر من يأتيك بها ، وأنا أقول لك الآن أيضاً : أنظر من يأتيك بها .

١١ في السنة ٢٣٥ اعتقل إيتاخ واعتقل معه ولداه منصور ومظفّر (ابن الأثير ٧ / ٤٦) .

١٢ الزيادة من غ .

١٣ راجع تفاصيل ذلك في الطبري ٩ / ١٦٦ – ١٧٠ وفي تجارب الأمم ٦ / ٥٤٢ – ٥٤٥ .

قبض عليّ بسرّ من رأى ، وسلّمت الى عبيد الله بن يحيى[14] .

وكتب المتوكّل إلى إسحاق بن إبراهيم[15] ، بدخول سرّ من رأى ، ليتقوّى به على الأتراك ، لأنّه كان معه بضعة عشر ألفاً ، ولكثرة الطاهريّة[16] ، بخراسان ، وشدّة شوكتهم .

فلما دخل [٣٩ غ] إسحاق سامراء ، أمر المتوكّل بتسليمي إليه ، وقال : هذا عدوّي ، ففصّل لحمه عن عظمه ، هذا كان يلقاني في أيّام المعتصم ، فلا يبدأني بالسلام [٣٠ م] فأبدأه به لحاجتي إليه ، فيردّ عليّ كما يردّ المولى على عبده ، وكلّ ما دبّره إيتاخ ، فعن رأيه .

فأخذني إسحاق ، وقيّدني بقيد ثقيل ، وألبسني جبّة صوف ، وحبسني في

---

١٤ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٢٠٩ – ٢٦٣) : كان أبوه يحيى بن خاقان من مشايخ الكتّاب (الديارات ١٥٤ و١٥٥) ، ولّاه المتوكّل في السنة ٢٣٤ ديوان الخراج (الديارات ١٥٥) ، وعمّه الفتح بن خاقان ، الذي قتل مع المتوكّل (المُلح والنوادر ٣٣٢) ، وعمّه عبد الرّحمن بن خاقان كان يلي البصرة ، ولمّا توفّي يحيى بن خاقان في السنة ٢٤٠ كتب المتوكّل إلى عبد الرّحمن بن خاقان ، يعزّيه بأخيه ، ويطلب منه أن يشخص إلى سرّ من رأى على أن يخلّف في عمله من يقوم مقامه (البصائر والذّخائر م ١ ص ٣٥٩) . استكتب المتوكّل عبيد الله بن يحيى بن خاقان في السنة ٢٣٦ وهو ابن ٢٧ سنة ، ثم استوزره (راجع تفصيل ذلك في القصّة ٨ / ٣ من نشوار المحاضرة) ، وكان عبيد الله حسن الخطّ ، عارفاً بالحساب والاستيفاء ، كريماً ، حسن الأخلاق ، عفيفاً ، (الفخري ٢٣٨ و٢٥١) إلاّ أنّه كان فيه وفي ولده نصب شديد (الأغاني ١٦ / ٣٦٨) وكان يلثغ كثيراً في الحروف (الهفوات النّادرة ٢٧٢) وقتل المتوكّل وهو وزيره ، واستوزره المعتمد ، ومات في السنة ٢٦٣ ، في الميدان (ميدان لعب الكرة) إذ صدمه خادم له اسمه رشيق ، فسقط عن دابّته وسال من منخره وأذنه دم ، ومات بعد ثلاث ساعات (المنتظم ٥ / ٤٥) .

١٥ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبيّ : صاحب الشرطة ببغداد ، أيّام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكّل ، كان قائداً شجاعاً ، وجيهاً ، مقرّباً من الخلفاء ، توفّي ببغداد سنة ٢٣٥ (الأعلام ١ / ٢٨٣) .

١٦ الطاهريّة : الجنود الخراسانيّة ، أتباع آل طاهر بن الحسين المصعبيّ .

كنيف ، وأغلق عليّ خمسة أبواب ، فكنت لا أعرف الليل من النهار .

فأقمت على ذلك عشرين يوماً ، لا يفتح عليّ الباب إلّا دفعة واحدة في كلّ يوم وليلة ، يدفع إليّ فيها خبز وملح جريش ، وماء حار ، فكنت آنس بالخنافس ، وبنات وردان[17] ، وأتمنّى الموت من شدّة ما أنا فيه .

فعرض لي ليلة من اللّيالي ، أن أطلت الصلاة [٣٢ ظ] ، وسجدت ، فتضرّعت إلى الله تعالى ، ودعوته بالفرج ، وقلت في دعائي : أللّهم ، إن كنت تعلم [أنّه كان لي في دم نجاح بن سلمة[18] صنع ، فلا تخلّصني مما أنا فيه ، وإن كنت تعلم][19] أنّه لا صنع لي فيه[20] ، ولا في الدّماء الّتي سفكت ، ففرّج عني .

فما استتممت الدّعاء ، حتى سمعت صوت الأقفال تفتح ، فلم أشكّ أنّه القتل ، ففتحت الأبواب ، وجيء بالشّمع ، وحملني الفرّاشون ، لثقل حديدي .

فقلت لحاجبه[21] : [سألتك][19] بالله ، اصدقني عن أمري .

فقال : ما أكل الأمير اليوم شيئاً ، لأنّه أغلظ عليه في أمرك ، وذلك أنّ

---

١٧ بنت وردان : دويبة كريهة الرّائحة ، تألف الأماكن القذرة في البيوت ، أقول : وتسمّى الآن ببغداد : مُردانة ، وجمعها مردان . وما أحسن ما وصفها به الشّاعر (نهاية الأرب ١٠ / ١٥٣) :

كمثـل أنصاف بسـر أحمر تركت ... من بعد تشقيقه أقمـاعه فيـه

١٨ أبو الفضل نجاح بن سلمة الكاتب : كان إليه في السنة ٢٤٥ في دولة المتوكّل ، ديوان التوقيع والتتبّع على العمّال ، فسعى عند المتوكّل بالكتّاب ، وكان الوزير عبيد الله بن يحيي بن خاقان يعنى بهم ، فأوعز إليهمْ ، فسعوا بنجاح عند المتوكّل ، وضمنوه بألفي ألف دينار ، فأسلمه المتوكّل إليهم ، فضربوه بالمقارع مراراً ، وعذّبوه ، وخنقوه ، فمات (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٢ – ٥٥٤) راجع في الطبري ٩ / ٢١٦ و٢١٧ كيفيّة تعذيبه وموته .

١٩ الزيادة من غ .

٢٠ لاحظ أنّ اعتقال إيتاخ وسليمان بن وهب كاتبه ، جرى في السنة ٢٣٥ ، وأنّ إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ توفّي في نفس السنة ، وأنّ مقتل نجاح بن سلمة كان في السنة ٢٤٥ .

٢١ حاجب الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ .

أمير المؤمنين وبّخه بسببك ، وقال : سلّمت إليك سليمان بن وهب تسمنه أو تستخرج ماله ؟

فقال الأمير : أنا صاحب سيف ، ولا أعرف المناظرة على الأموال ووجوهها ، ولو قرّر أمره على شيء لطالبته به .

فأمر أمير المؤمنين الكتّاب بالاجتماع عند الأمير لمناظرتك ، وإلزامك مالاً يؤخذ به خطّك ، [وتطالب به ، وقد اجتمعوا][19] ، واستدعيت لهذا .

قال : فحملت إلى المجلس ، فإذا فيه موسى بن عبد الملك ، صاحب ديوان الخراج ، والحسن بن مخلد ، صاحب ديوان الضياع[22] ، وأحمد بن إسرائيل الكاتب[23] ، وأبو نوح عيسى بن إبراهيم ، كاتب الفتح بن خاقان[24] ،

---

٢٢ أبو محمّد الحسن بن مخلد بن الجرّاح (٢٠٩ – ٢٦٩) : بغداديّ ، كاتب ، أديب ، وزير ، كان يتولّى ديوان الضياع في دولة المتوكل ، واستوزره المعتمد سنة ٢٦٣ ، وعزل ، ثم أعيد ، ثم عزل سنة ٢٦٥ ، ثم استقرّ بمصر عند أحمد بن طولون ، فحبسه بأنطاكية ، ومات فيها (الأعلام ٢ / ٢٣٧) .

٢٣ أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري : كاتب ، حاذق ، حادّ الذهن (الفخري ٢٤٤) خاصم القائد التركي صالح بن وصيف في حضرة المعتزّ ، فهجم أصحابه ، واعتقلوا أبا جعفر ، وضربوه فكسروا أسنانه ، وتسلّمه صالح فاستصفى أمواله ، وعذّبه بالضرب والقيد ، وقرّب إلى كوانين الفحم في شدّة الحرّ ، ثم أخرج إلى باب العامّة ، وضرب خمسمائة سوط ، ضرب التلف ، ثم حمل على بطنه ، منكّس الرأس ، مكشوف الظّهر ، على بغل من بغال السقّائين ، فحين بلغ خشبة بابك ، مات . (الطبري ٩ / ٣٨٧ ، ٣٩٦ – ٣٩٨) .

٢٤ أبو نوح عيسى بن إبراهيم : كان في السنة ٢٤٧ يكتب للفتح بن خاقان وزير المتوكل ، ولمّا قتل المتوكّل احتال أبو نوح في الهرب من ليلته (الطبري ٩ / ٢٢٨) ولمّا اختلف المستعين والمعتزّ في السنة ٢٥١ انحاز إلى جانب المعتزّ الذي تعهّد له أن يولّيه ديوان الخاتم والتّوقيع (الطبري ٩ / ٣٤٤) وعندما ولّي المعتزّ ولّاه ديوان الضياع (القصّة ٨ / ٣٤ من النشوار) ، واعتقله أصحاب صالح بن وصيف ، القائد التركي ، في حضرة المعتزّ ، فضربوا أبا نوح حتّى جرت دماؤه ، وتسلّمه صالح بن وصيف ، فاستصفى أمواله ، وعذّبه بالضرب والقيد ، وتقريبه من كوانين الفحم في شدّة الحرّ ، ثم أخرج إلى باب العامّة ، وضرب خمسمائة سوط ضرب التلف ، ثم حمل على بطنه منكّس الرأس ، مكشوف الظهر ، على بغل من بغال السقّائين ، فمات من يومه (الطبري ٩ / ٣٩٦ – ٣٩٨) .

وداود بن الجرّاح [٢٥] ، صاحب الزمام [٢٦] ، فطرحت في آخر المجلس .

فشتمني إسحاق [٢٧] أقبح شتم ، وقال : يا فاعل ، [يا صانع] [٢٨] ، تعرّضني لاستبطاء أمير المؤمنين [٢٩] ، والله ، لأفرّقنّ بين لحمك وعظمك ، ولأجعلنّ بطن الأرض أحبّ إليك من ظهرها ، أين الأموال ؟ .

فاحتججت بنكبة ابن الزيّات لي .

فبدرني الحسن بن مخلد ، فقال : أخذت من النّاس أضعاف ما أدّيت ، وعادت يدك إلى كتبة إيتاخ ، فأخذت ضياع السلطان ، واقتطعتها لنفسك ، وحزتها سرقة إليك ، وأنت تغلّها ألفي ألف درهم ، وتتزيّا بزيّ الوزراء ، وقد بقيت عليك من تلك المصادرة [٢٢ ر] جملة لم تؤدّها ، وأخذت الجماعة تواجهني بكلّ قبيح ، إلّا موسى بن عبد الملك ، فإنّه كان ساكتاً لصداقة كانت بيني وبينه .

فأقبل من بينهم على إسحاق ، وقال : يا سيّدي ، أتأذن لي في الخلوة به لأفصل أمره ؟ قال : افعل .

فاستدناني ، فحملت إليه ، فسارّني ، وقال : عزيز عليّ [يا أخي] [٢٨] ، حالك ، وبالله لو كان خلاصك بنصف ما أملكه لفديتك به ، ولكن صورتك [قبيحة] [٣٠] ، وما أملك إلّا الرأي ، فإن قبلت منّي ، رجوتُ خلاصك ، وإن

---

٢٥ داود بن الجرّاح : كان يلي ديوان الزمام في عهد المتوكّل ، وهو والد محمّد بن داود صاحب كتاب الورقة الّذي قتل على أثر فشل المؤامرة التي دبّرها لاستخلاف ابن المعتزّ وعزل المقتدر (فوات الوفيات ٢ / ٤٠٥) وهو كذلك جدّ الوزير أبي الحسين علي بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، وزير المقتدر .

٢٦ الديوان : راجع التفصيل في آخر هذه القصّة .

٢٧ يريد الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ .

٢٨ الزيادة من غ .

٢٩ في غ : تعرّضني لموجدة أمير المؤمنين .

٣٠ الزيادة من غ وم .

خالفتني ، فأنت – والله – هالك .

قال : فقلت : لا أخالفك .

فقال : الرأي أن تكتب خطّك بعشرة آلاف ألف درهم[31] ، تؤدّيها في عشرة أشهر ، عند انقضاء كلّ شهر [٤٠ غ] ألف ألف درهم ، وتترفّه عاجلاً مما أنت فيه .

[فسكتُّ سكوت مبهوت ، فقال لي : ما لك ؟][30]

فقلت له : والله ، ما أرجع إلى ربعها ، إلّا بعد [٣١ م] بيع عقاري ، ومن يشتري منّي وأنا منكوب ، وكيف يتوفّر لي الثمن [وأنا على هذه الحالة ؟][30] .

فقال : أنا أعلم أنّك صادق ، ولكن احرس نفسك عاجلاً بعظم ما تبذله ، ويطمع فيه من جهتك ، وأنا من وراء الحيلة لك في شيء أميل به رأي الخليفة من جهتك ، يعود إلى صلاحك ، والله المعين ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، ولا تتعجّل الموت ، ولو لم تستفد إلّا الرّاحة مما أنت فيه يوماً واحداً ، لكفى .

قال : فقلت : لست أتّهم [ودّك ولا][30] رأيك ، وأنا أفعل ما تقول .

فأقبل على الجماعة ، وقال : يا سادتي ، إنّي قد أشرت عليه أن يكتب خطّه بشيء لا يطيقه ، فضلاً عما هو أكثر منه[32] ، ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ، ليمشي أمره ، وقد وافقته ليكتب بكذا وكذا .

فقالوا : الصواب له أن يفعل هذا .

فدعا لي بدواة وقرطاس ، وأخذ خطّي بالمال على نجومه[33] ، فلمّا أخذه ، قام قائماً ، وقال لإسحاق : يا سيّدي ، هذا رجل قد صار عليه للسلطان – أعزّه الله – مال ، وسبيله أن يرفّه ، وتحرس نفسه ، وينقل من هذه الحال [٣٣ ظ]

---

٣١ في غ : أن تكتب خطّك بالتزام عشرة آلاف ألف درهم .

٣٢ في غ : أن يكتب بشيء لا طاقة له بأكثر منه .

٣٣ نجّم الدين : أدّاه نجوماً أي أقساطاً في أوقات معيّنة .

ويغيّر زيّه ، ويردّ جاهه ، بإنزاله داراً كبيرة ، وإخدامه بفرش وآلة حسنة ، [وإخدامه خدّاماً بين يديه] [٣٤] ، ويمكّن من لقاء من يؤثر لقاءه من معامليه ، ومن يحبّ لقاءه من أهله وولده وحاشيته ، ليجدّ في حمل المال [٣٥] الحالّ عليه ، قبل محلّه [٣٦] ، ونعينه نحن ، ويبيع أملاكه ، ويرتجع ودائعه ممّن هي عنده .

فقال إسحاق : السّاعة أفعل ذلك ، وأبلغه جميع ما ذكرت ، وأمكّنه منه ، ونهضت الجماعة .

فأمر إسحاق بفكّ حديدي [٣٧] ، وإدخالي الحمّام ، وجاءني بخلعة حسنة ، وطيب ، وبخور ، فاستعملته ، واستدعاني ، فلمّا دخلت عليه ، نهض إليّ ، ولم يكن في مجلسه أحد ، واعتذر إليّ مما خاطبني به ، وقال : أنا صاحب سيف ، ومأمور ، وقد لحقني اليوم من أجلك سماع كلّ مكروه ، حتى امتنعت عن الطعام غمًّا بأن أبتلى بقتلك ، أو يعتب الخليفة عليّ من أجلك ، وإنّما خاطبتك بذلك ، إقامة عذر عند هؤلاء الأشرار [٣٨] ، ليبلغوا الخليفة ذلك ، وجعلته وقاية لك من الضرب والعذاب ، فشكرته ، وقلت ما حضرني من الكلام .

فلما كان من الغد ، حوّلني إلى دار كبيرة ، واسعة ، حسنة ، مفروشة ، ووكّل بي فيها ، على إحسان عشرة وإجلال ، فاستدعيت كلّ من أريده ، وتسامع بي أصحابي [٣٩] ، فجاؤوني وفرّج الله عنّي .

ومضت سبعة وعشرون يوماً ، وقد أعددت ألف ألف درهم ، مال النجم

---

٣٤ الزيادة من غ

٣٥ في غ : يجدّ في تمحّل المال

٣٦ محلّ الدين : أجله

٣٧ في غ : فأمر إسحاق بأخذ حديدي في الحال .

٣٨ كذا وردت في جميع النسخ المخطوطة ، وفي هـ : الاشراف .

٣٩ في غ : وتسامع بي الناس .

الأوّل[40] ، وأنا أتوقّع أن يحلّ ، فأطالب ، فأؤدّيه ، فإذا بموسى بن عبد الملك قد دخل إليّ ، فقمت إليه ، فقال : أبشر .

فقلت : ما الخبر يا سيّدي ؟ .

فقال : ورد كتاب عامل مصر[41] ، بمبلغ مال مصر لهذه السنة مجملاً في مبلغ الحمل[42] والنفقات ، إلى أن ينفذ حسابه مفصّلاً ، فقرأ عبيد الله ذلك على المتوكّل ، فوقّع إلى ديواني بإخراج العبرة[43] لمصر ، ليعرف أثر العامل ، فأخرجت ذلك من ديوان الخراج والضياع ، لأنّ [مصر تجري في ديوان الخراج والضياع][44] [٢٣ ر] وينفذ حسابها إلى الديوانين ، كما قد علمت ، وجعلت سنتك الّتي تولّيت فيها عمالة مصر ، مصدّرة[45] ، وأوردت [٤١ غ] بعدها السنين النّاقصة عن سنتك ، تلطّفاً في خلاصك ، وجعلت أقول : النقصان [في سنة كذا][46] عن سنة كذا وكذا الّتي صدّرناها ، كذا وكذا ألفاً .

فلمّا قرأ عبيد الله العمل على المتوكل ، قال : فهذه السنة الوافرة ، من كان يتولّى عمالتها ؟ .

فقلت أنا : سليمان بن وهب [٣٢ م] يا أمير المؤمنين .

فقال المتوكّل : فلِمَ لا يردّ إليها ؟

---

٤٠ النّجم الأوّل : القسط الأوّل .

٤١ العامل : الموظّف المالي الّذي يناط به جمع الارتفاعات وصرف ما يقتضي صرفه ، أمّا الموظّف الإداري ، فهو الأمير ، وتناط به الخطبة والصّلاة ، ويكون مسؤولاً عن الأمن والإدارة .

٤٢ مبلغ الحمل : المال الذي يحمله العامل إلى الحضرة ، خالصاً بعد سداد جميع ما يحتاج إليه العمل من النفقات .

٤٣ العبرة : ثبت ارتفاعات الكورة ، وعبرة سائر الارتفاعات : المعدّل الوسط بين أعلى الارتفاعات وأدناها .

٤٤ الزيادة من غ وم .

٤٥ راجع القصّة ٨ / ٢٤ من نشوار المحاضرة .

٤٦ الزيادة من غ .

فقلت : وأين سليمان بن وهب ؟ ذاك مقتول بالمطالبة ، قد استصفي وافتقر .

فقال : تزال عنه المطالبة ، ويعان بمائة ألف درهم ، ويعجّل إخراجه .

فقلت : وتردّ ضياعه يا أمير المؤمنين ، ليرجع جاهه .

قال : ويفعل ذلك ، وقد تقدّم إلى عبيد الله بهذا ، واستأذنته في إخراجك ، فأذن لي ، فقم بنا إلى الوزير ، وقد كان دخل إلى اسحاق برسالة الخليفة بإطلاقي .

فخرجتُ من وقتي ، ولم أؤدّ من مال النّجم الأوّل حبّة واحدة ، ورددته إلى موضعه .

وجئت إلى عبيد الله ، فوقّع لي بمائة ألف درهم معونة على سفري ، ودفع إليّ عهدي على مصر ، فخرجت إليها[٤٧] .

٤٧ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٢ .

المتوكّـــل

أبو الفضل جعفر المتوكّل بن أبي إسحاق محمد المعتصم (٢٠٧ – ٢٤٧) : لم يكن المتوكّل أكبر أولاد المعتصم ، ولذلك فإنّه لم يعدّ في نشأته إعداداً يؤهّله للموضع الّذي وضعته الظروف فيه .

وعندما توفّي الواثق ، واجتمع رجال الدّولة يتذاكرون فيمن يرشّح للحكم ، كان المتوكّل – إذ ذاك – في قميص وسراويل قاعداً مع أبناء الأتراك ، يتساءل ما الخبر ؟ (الطبري ٩ / ١٥٤) .

وكان وهو شاب له شعر قفا في زيّ المخنثين (الطبرى ٩ / ١٥٧) ، غير أنّ وفاة أخيه الواثق ، وعدم وجود خلف له في سنّ تؤهّله للحكم ، اضطرّ رجال الدّولة إلى اختيار المتوكّل خلفاً لأخيه ، وأصرَّ القاضي النبيل أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد على مبايعته ، وألبسه الطويلة ، وعمّمه بيده (الطبري ٩ / ١٥٤) ، وكان جزاؤه منه على ذلك أن قبض ضياعه وضياع أولاده ، وأجبرهم على الإقرار والإشهاد ببيعها ، وحبس أولاده ، ثمّ نفاهم عن سامراء ، ولم يحبس القاضي لأنّه كان مشلولاً طريح الفراش (الطبري ٩ / ١٨٩) .

ولمّا تولّى الحكم ساس المملكة سياسة صبيانية خرقاء ، قوامها التعصّب والنزق ، وهو أوّل من أظهر من بني العبّاس الانهماك على الشهوات ، وكان أصحابه يسخفون ويسفّون بحضرته ، وكان يهاتر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء (زهر الآداب ١ / ٢٥٢) وكان أوّل خليفة ظهر في مجلسه اللعب والمضاحيك (مروج الذهب ٢ / ٣٩١) وكان له مضحكان ، اسم أوّلهما شعرة ، واسم الثاني : بعرة (البصائر والذخائر م١ ص ٢٥) وكان يستطيب معاشرة المخنّثين ومجالستهم (الملح والنوادر ٢٨٢) وكان قد بسط نديمه عبادة المخنّث ، الّذي كان مجاهراً بالعهر والبغاء (البصائر والذخائر م٤ ص ٦٥) ، بحيث أباح له أن يدخل عليه وهو نائم مع نسائه (الملح والنوادر ١٤٨) ، وكان أبو الشبل البرجمي قد نفق عليه بإيثاره العبث (الأغاني ١٤ / ١٩٣) (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٦) وغضب على نديمه أحمد بن إبراهيم بن حمدون ، فنفاه إلى تكريت ، ثمّ قطع أذنيه (معجم الأدباء ١ / ٣٦٥) ، وكان قد غضب على إبراهيم بن حمدون ، والد أحمد ، إذ اتّهمه بأنّه قد حزن لموت الواثق ، فأمر بنفيه إلى السند ، وأن يضرب ثلثمائة سوط (معجم الأدباء ١ / ٣٦٨) ولاطف أحد ندمائه ، فأمر بأن تدخل في أسته فجلة (الهفوات النادرة رقم ٢١٨ ص ٢٣٠) .

وكان شديد البغض للإمام عليّ وأهل بيته ، يقصد من يتولّى علياً وأهله ، بالقتل والمصادرة ، بحيث كان اتّهام الإنسان بالتشيّع لآل عليّ ، في أيّامه ، كافياً لقتله (وفيات الأعيان ٥ / ٣٤٠) وكرب قبر الحسين الشهيد ، وعفّى آثاره ، ووضع على سائر الطريق مسالح ، لا يجدون أحداً زاره إلاّ أتوه به ، فقتله ، أو أنهكه عقوبة (مقاتل الطالبيّين ٥٩٧ ، وفوات الوفيات ١ / ٢٠٣ وتاريخ الخلفاء ٣٤٧ والطبري ٩ / ١٨٥) وذكر أنّه كان يكره من تقدّمه من الخلفاء : المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، لمحبتهم علياً وأهل بيته (ابن الأثير ٧ / ٥٦) .

وكان يظهر من سبّ الإمام عليّ ، والاستهزاء بذكره كثيراً (خلاصة الذهب المسبوك ٢٢٦) وكان نديمه عبادة المخنّث ، يرقص بين يديه ، والمغنّون يغنّون : أقبل الأصلع البطين ، خليفة المسلمين (ابن الأثير ٧ / ٥٥) وبلغه أنّ أمير مصر ، ضرب رجلاً عشر درر ، فاستحلفه بحقّ الحسن والحسين أن يكفّ عنه ، فكتب إلى الأمير أن يجلده مائة جلدة (الولاة والقضاة للكندي ٢٠٣) وبلغه أنّ أبا عمر الجهضمي ، روى حديثاً عن النبيّ صلوات الله عليه أثنى فيه على الحسن والحسين وأبيهما وأمّهما ، فأمر بضربه ألف سوط (تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ٢٨٧ و٢٨٨) وغضب ولده المنتصر ، يوماً ، من استهزاء عبادة المخنّث بعليّ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ الّذي يحكيه هذا الكلب ، ويضحك منه النّاس ، هو ابن عمّك ، وشيخ أهل بيتك ، وبه فخرك ، فكل أنت لحمه ، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه ، فقال المتوكّل للمغنّين : غنّوا جميعاً : (ابن الأثير ٧ / ٥٥)

غـــار الفتى لابـن عمّـه رأس الفـتى في حر أمّـه

وقتل ابن السكّيت إمام اللّغة والأدب ، لأنّه أثنى على الحسن والحسين (ابن الأثير ٧ / ٩١) وغضب على قاضي القضاة بمصر ، فأمر بأن تحلق لحيته ، وأن يطاف به على حمار وأن يضرب في كلّ يوم عشرين سوطاً (تاريخ الخلفاء ٣٤٧) .

واستعمل على المدينة ومكّة ، عمر بن فرج الرخجي ، لمعرفته بنصبه وبغضه علياً (ابن الأثير ٧ / ٥٦) ، فمنع آل أبي طالب من التعرّض لمسألة النّاس ، ومنع النّاس من البرّ بهم ، وكان لا يبلغه أنّ أحداً برّ أحداً منهم بشيء – وإن قلّ – إلاّ أنهكه عقوبة ، وأثقله غرماً ، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات ، يصلّين فيه ، واحدة بعد واحدة ، ثمّ يرفعنه ويجلسن إلى مغازلهن ، عواري ، حواسر ، إلى أن قتل المتوكّل ، فعطف عليهم المنتصر ،

وأحسن إليهم (مقاتل الطالبيّين ٥٩٩) ووصفت للمتوكّل عائشة بنت عمر بن فرج الرخجي ، فوجّه في جوف اللّيل ، والسّماء تهطل ، إلى عمر ، أن احمل إليّ عائشة ، فسأله أن يصفح عنها ، فأبى ، وحملها إليه في اللّيل ، فوطئها ، ثمّ ردّها إلى منزل أبيها (المحاسن والأضداد ١١٨) .

وأنفق على بناء قصوره في سامراء ، أربعة وعشرين ألف ألف دينار (الديارات ٣٦٤ – ٣٧١) ، وكان المصروف على ثلاثة منها مائة ألف ألف درهم (مروج الذهب ٢ / ٤١٨) ، وصرف في حفلة ختان ولده المعتزّ ستة وثمانين ألف ألف درهم (الديارات ١٥٠ – ١٥٧) وبلغ ما نثره في تلك الحفلة على المغنّين والمغنّيات ، عشرين ألف ألف درهم ، وحصل في ذلك اليوم للمزيّن الّذي ختن المعتزّ ، نيّف وثمانون ألف دينار ، سوى الصياغات والخواتم والجواهر والعدات (الديارات ١٥٥ و١٥٦) . ورغب يوماً أن يعمل الشاذكلاه ، بأن يشرب على الورد ، ولم يكن موسم ورد ، فأمر فسكّ له خمسة آلاف ألف درهم ، وأن تلوّن ، وتنثر مكان الورد ، لكي يشرب عليها .

وكان قد بايع لولده المنتصر ، ثمّ المعتز ، ثم المؤيّد (ابن الأثير ٧ / ٤٩) ثمّ رغب في تقديم المعتز ، لمحبته لأمّه ، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد ، فأبى ، فكان يحضره مجلس العامّة ، ويحطّ منزلته ، ويتهدّده ويشتمه (تاريخ الخلفاء ٣٥٠) ويطلب من الفتح أن يلطمه (الطبري ٩ / ٢٢٥ وتجارب الأمم ٦ / ٥٥٥ ، وابن الأثير ٧ / ٩٧) وأمر المتوكّل بقبض ضياع وصيف ، وإقطاعها الفتح بن خاقان (الطبري ٩ / ٢٢٢ ، وتجارب الأمم ٦ / ٥٥٤) كما أنّه وافق الفتح بن خاقان على الفتك بوصيف ، وبغا ، وبابنه المنتصر ، (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٤) ، واشتدّ عبثه ، قبل قتله بيومين ، بابنه المنتصر ، مرّة يشتمه ، ومرّة يسقيه فوق طاقته ، ومرّة يأمر بصفعه ، ومرّة يتهدّده بالقتل (الطبري ٩ / ٢٢٥) فاضطر المنتصر أن يشاور بعض الفقهاء وأن يعلمهم بمذاهب أبيه ، وحكى عنه أموراً قبيحة ، فأفتوه بقتله ، فاتّفق مع الأتراك ، وقتلوه (تاريخ الخلفاء ٣٥٠) .

وقد كان تصرّف المتوكّل مع أولاده ، ومع قوّاده ، ومع حاشيته ، ومع رعيّته ، لا بدّ أن يؤدّي به إلى النهاية الّتي انتهى إليها ، ففتح بذلك على من خلفه من الخلفاء ، وعلى من يلوذ بهم من رجال الدّولة ، باباً استحال سدّه ، وكان فاتحة لما أصيب به الخلفاء من بعده ، والوزراء ، وسائر رجال الدّولة ، من قتل ، وسمل ، وتشريد ، وامتهان .

الديـــوان

الديوان ، كلمة كانت في الأصل تطلق على جريدة الحساب ، ثمّ أطلقت على الحساب ، ثمّ على الموضع الذي يجري فيه الحساب (المنجد) .

وأوّل من دوّن الدواوين في الإسلام ، الخليفة أبو حفص عمر بن الخطاب (الطبري ٤ / ٢٠٩ والفخري ٨٣ والأعلام ٥ / ٢٠٤ والمنجد) وكتب فيه النّاس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء (الطبري ٤ / ٢٠٩) ، وكان يحمل دواوين القبائل بين مكّة والمدينة ، فيوزّع بيده العطاء على الصغير والكبير (الطبري ٤ / ٢١٠) .

ثمّ اتّسعت رقعة الدّولة ، ومصّرت الأمصار ، فأصبح للمدينة ديوان (الطبري ٦ / ١٨٠) وللكوفة ديوان ، وللبصرة ديوان (الطبري ٦ / ١٧٩) ، وأحدث معاوية بن أبي سفيان (٣٥ – ٦٠) ديوان الخاتم ، وأمر أن تثبت فيه نسخة من كلّ توقيع يصدره ، كما رتّب البريد الّذي أصبح من بعد ذلك ديواناً مهمّاً من دواوين الدّولة (الفخري ١٠٧ و١٠٨) وقلّد الدواوين الأخرى كتّاباً منهم سرجون الرّومي ، قلّده ديوان الخراج (الطبري ٦ / ١٨٠).

وفي أيّام عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦) ، نقلت الدواوين من الروميّة والفارسيّة ، إلى العربيّة (الأعلام ٤ / ٣١٢ والفخري ١٢٢) واستعان أولاده بمواليهم ، فنصبوهم كتّاباً على الدواوين (الطبري ٦ / ١٨٠) ، وكانت الدواوين في أيّام بني أميّة ، مقتصرة على دواوين الأصول ، ولم تكن في أيّامهم دواوين أزمّة (الطبري ٨ / ١٦٧) .

وفي أيّام الخلافة العبّاسيّة ، اتّسعت الدواوين ، وتشعّبت ، ولما استقرّت الأمور في أيّام المهدي ، قلّد الدواوين عمر بن بزيع ، وتفكّر ، فوجد أنّه لا يمكن أن يضبطها ، لتعدّدها ، واتّساع أعمالها ، فاتّخذ دواوين الأزمّة ، وولّى كلّ ديوان رجلاً (الطبري ٨ / ١٦٧) فأصبح لكل ديوان من دواوين الأصول ، ديوان زمام يراقبه ، ويشرف على أعماله (وزراء ٢٩٤) ، ثم اتّخذ المهدي ديواناً ، أسماه : ديوان زمام الأزمّة (الطبري ٨ / ١٦٧) يظهر من اسمه ، أنّه كان يراقب ويشرف على دواوين الأزمّة .

وكان توقيع الخليفة ينقل إلى ديوان التّوقيع ، وبعد التحقّق من صحّة التّوقيع ، وتخليد نسخته في الديوان ، ينقل إلى ديوان الزمام (وزراء ٢٠٣) ، ويقابله الآن في العراق ، ديوان مراقب الحسابات العام ، فإن أقرّه صاحب الديوان ، نقل إلى حيث يجري تنفيذه ، وإذا كان التّوقيع أمراً بصرف مال ، نقل إلى ديوان بيت المال ، ويقابله الآن في العراق ، مديرية الخزينة المركزيّة ، حيث يتمّ تسليم التّوقيع ، وتسلّم المال .

ثمّ انقسم ديوان بيت المال إلى ديوانين ، واحد للعامّة (وزراء ٢٠٨) وآخر للخاصّة (وزراء ١٤١) ، وانقسم ديوان الضياع إلى ديوانين ، واحد للضياع العامّة ، وآخر للضياع الخاصّة (وزراء ٣٣) ، وهي الضياع العائدة للخليفة والأمراء من أهل بيته ، وعليه ديوان زمام خاص (وزراء ٢٨٤) ثمّ أضيفت إلى ديوان الضياع الخاصة ، الضياع المستحدثة (وزراء ٣٤٠) ، ورتب لديوان الإعطاء ، وهو ديوان الجيش (وزراء ١٦٤) مجالس للتّفرقة ، يقوم فيها بتفريق الأموال ، وكلاء عن صاحب الديوان (وزراء ٢٦) وعليه ديوان زمام الجيش (القصّة ٨ / ٣٤ من نشوار المحاضرة) وللنفقات ديوان (وزراء ١٤٠) وعليه ديوان زمام النّفقات (وزراء ٣٨٠) وكان أبو العبّاس بن الفرات أحدث ديواناً اسمه : ديوان الدار (وزراء ١٤٨) فانتزع الوزير عبيدُ الله بن سليمان من ذلك الديوان ، مجلس المشرق ، وجعله ديواناً منفرداً ، سمّاه : ديوان المشرق (وزراء ١٤٩) وكذلك الوزير القاسم بن عبيد الله ، فقد انتزع من ديوان الدار ، مجلس المغرب ، وجعله ديواناً منفرداً ، سمّاه : ديوان المغرب (وزراء ١٤٩) .

وأحدثت دواوين اقتضت الظروف إحداثها ، مثل ديوان البرّ (وزراء ٣١٠) وقد أحدثه الوزير أبو الحسن عليّ بن عيسى بن الجرّاح ، عندما أقنع المقتدر ، فوقف على الحرمين والثغور ، المستغلّات الّتي يملكها بمدينة السّلام ، وغلّتها ثلاثة عشر ألف دينار ، والضياع الموروثة بالسّواد ، الجارية في ديوان الخاصّة ، وارتفاعها نيّف وثمانون ألف دينار ، وديوان المرافق ، أي ديوان الرشى ، وكان سبب إحداثه أنّ من سبق من الوزراء ، تساهلوا في الجباية ، وأنزلوا من بدلات ضمانات الأمصار ، مبالغ عظيمة ، لقاء مبالغ ارتفاق ، يؤدّيها إليهم العمّال سرًّا (وزراء ٣٨) فأصبح الارتفاع لا يفي بالنفقات ، فأنشأ الوزير ديوان الارتفاق ، وأمر العمّال أن يبعثوا إليه بالمبالغ الّتي اتّفقوا على إرفاق الوزراء السّابقين بها ، ليصرفها في أمور الدّولة .

وفي السنة ٣٢٤ لمّا ضعف أمر الدّولة في أيّام الراضي ، نصب أبا بكر محمّد بن رائق ، أميراً للأمراء ، وقلّده إمارة الجيش والخراج والمعاون ، وجميع الدواوين ، وكان ابن رائق بواسط ، فانحدر إليه الكتّاب ، والحجّاب ، وأصحاب الدواوين ، فبطلت الدواوين من ذلك الحين ، وبطلت الوزارة ، وأصبح أمير الأمراء هو النّاظر في جميع الأمور ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنه ، وهو يطلق للخليفة ما يقوم بأوده (ابن الأثير ٨ / ٣٢٢ و٣٢٣) .

٧٤

دعوة مستجابة

حدّثني أبو بكر محمد بن إسحاق الأهوازي[١] [أحد شهود أبي بها][٢] . عن مسرور بن عبد الله الاستادي[٣] ، قال :

حزبني[٤] أمر ضقت به ذرعاً ، فأتيت يحيى بن خالد الأزرق ، وكان مستجاب الدعوة ، فرآني مكروباً قلقاً ، فقال لي : ما شأنك ؟

فقلت : دفعت إلى كيت وكيت .

فقال لي : استعن بالصبر ، فإنّ الله وعد الصابرين خيراً[٥] .

فقلت له : ادع لي ، فحرّك شفتيه بشيء لا أعلم ما هو ، فانصرفت على جملتي من القلق ، فلمّا أصبحت أتاني الفرج بإذن الله تعالى .

[قال مؤلّف هذا الكتاب : ويحيى بن خالد هذا ، هو جدّ عبد الله بن محمّد بن يحيى الأهوازي الكاتب ، وعبد الله هذا جدّي لأمّي][٦] .

---

١ أحسبه أبا بكر محمّد بن إسحاق بن عبد الرحيم السوسي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١ / ٢٥٨ .

٢ الزيادة من غ .

٣ لعلّه أبو شاكر مسرّة بن عبد الله الخادم ، مولى المتوكّل ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١٣ / ٢٧١ ، وأحسب أن قوله الأستادي محرّفة عن الاستاذ ، لقب يلقّب به الخدم المجابيب .

٤ في ظ : أحزنني ، وفي غ : حدث بي .

٥ في غ : فإنّ الله عزّ وجلّ وعد الصابرين أجراً عظيماً .

٦ انفردت بها غ .

٧٥

دعاء لشفاء العلل

حدّثني عبد الله بن أحمد بن داسه البصري[1] ، قال : اعتللت علّة شديدة ، أيست فيها من نفسي ، على [٣٤ ظ] شدّة كنت فيها ، فعادني بعض أصحاب أبي محمد سهل بن عبد الله التستري[2] ، فقال : كان أبو محمّد سهل ، يدعو الله في علله ، بدعاء ما دعا به أحد إلّا عوفي .

فقلت : وما هو ؟

فقال : قل : أللّهم اشفني بشفائك ، وداوني بدوائك ، وعافني من بلائك .

قال : فواصلت الدعاء بذلك ، فعوفيت .

---

١ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن بكر بن محمّد بن عبد الرزّاق بن داسه البصري : ذكره السمعاني في كتاب الأنساب ٢١٩ ، وروى عنه التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة ، أخباراً عدّة ، راجع القصص ١ / ١٠ و٢٠ و١٠٨ و٣ / ٢٦ و٢٧ و٢٨ ، و٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ و٤ / ١٠٦ و٧ / ٦١ .

٢ أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس التستري (٢٠٠ – ٢٨٣) : أحد أئمة الصوفيّة ، وعلمائهم ، ومتكلّميهم (الأعلام ٣ / ٢١٠) ، كان متعبّده بين البصرة والأبلّة (مهذب رحلة ابن بطّوطة ١ / ١٤٣) .

٧٦

غلامُ نازوك وكتاب العطف

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق[١] ، [بن يعقوب بن إسحاق ابن البهلول التنوخي][٢] ، عن أبي الحسين بن البوّاب المقرئ[٣] ، قال :

كان يصحبنا [على القرآن][٢] ، رجل مستور صالح ، يكنى أبا أحمد ، وكان يكتب كتب العطف للناس ، فحدّثني يوماً ، قال :

بقيت يوماً بلا شيء ، وأنا جالس في دكّاني ، وقد دعوت الله أن يسهّل قوتي[٤] ، فما استتممت الدعاء ، حتى فتح باب دكّاني غلام أمرد ، حسن الوجه جدًّا ، فسلّم عليّ وجلس .

فقلت له : ما حاجتك ؟

فقال : أنا عبد مملوك ، وقد طردني مولاي ، وغضب عليّ ، وقال : انصرف عنّي إلى حيث شئت ، وما أعددت لنفسي من أطرحها عليه في مثل هذا الوقت ، ولا أعرف من أقصده ، وقد بقيت متحيّراً في أمري ، وقيل لي إنّك تكتب كتب العطف ، فاكتب لي كتاباً .

فكتبت له الكتاب الذي كنت أكتبه ، وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم ،

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي (٢٩٧ – ٣٧٧) : ولد ببغداد ، وحمل عن جماعة من أهل الأدب ، وكان حافظاً للقرآن ، وحمل قطعة من اللّغة والنّحو ، وقرأ الكلام والأصول ، ودرس الفقه ، وكان منزله بالجانب الشّرقي من مدينة السلام (نشوار المحاضرة القصّة ٥ / ١٢٤) ، وأبوه أبو بكر يوسف لقّب بالأزرق لزرقة عينيه (نشوار المحاضرة القصّة ٧ / ٦) .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن يعقوب بن أحمد بن عبد الله بن البوّاب المصري المقرئ : ترجم له صاحب اللباب ١ / ١٤٩ ، وقال : إنّه توفّي سنة ٣٧٦ .

٤ في غ : دعوت الله أن يسهّل لي شيئاً .

الحمد لله ربّ العالمين [٤٢ غ] إلى آخر السورة[٥] ، والمعوّذتين[٦] ، وسورة الإخلاص[٧] ، وآية الكرسي[٨] ، ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل ، لرأيته خاشعاً [متصدّعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للنّاس ، لعلّهم يتفكّرون][٢] ... إلى آخر السورة[٩] ، وكتبت آيات العطف ، وهي : لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ، ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألّف بينهم .... الآية[١٠] ، ومن آياته أنّه خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودّة ورحمة إلى آخر الآية[١١] ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ... إلى آخر الآية[١٢] .

وقلت له : خذ هذه الرقعة ، فشدّها على عضدك الأيمن ، ولا تعلّقها عليك إلّا وأنت طاهر .

فأخذها وقام [وهو يبكي][٢] ، وطرح بين يديّ ديناراً عيناً ، فداخلتني له رحمة ، فصلّيت ركعتين ، ودعوت له أن ينفعه الله بالكتاب ، ويردّ عليه قلب

---

٥ سورة الفاتحة ك ١ .

٦ سورة الفلق ك ١١٣ وسورة النّاس ك ١١٤ سمّيتا بالمعوّذتين لأنّ مبدأ كلّ واحدة منهما (قل أعوذ) .

٧ سورة الاخلاص ، هي قل هو الله أحد .

٨ ٢٥٥ – ٢٥٧ م البقرة ٢ .

٩ ٢١ م الحشر ٥٩ ، وتمام الآية : لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للنّاس ، لعلّهم يتفكّرون .

١٠ ٦٣ م الأنفال ٨ ، وتمام الآية : لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكنّ الله ألّف بينهم ، إنّه عزيز حكيم .

١١ ٢١ ك الروم ٣٠ ، وتمام الآية : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودّة ورحمة ، إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون .

١٢ ١٠٣ م آل عمران ٣ ، وتمام الآية : واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرّقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها ، كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون .

مولاه ، وجلست .

فما مضت [٣٣ م] إلاّ ساعتان ، وإذا بأبي الجود[١٣] ، خليفة عجيب[١٤] ، غلام نازوك ، وكان خليفته على الشرطة ، قد جاءني ، فقال لي : أجب الأمير نازوك[١٥] ، فارتعت .

فقال : لا بأس عليك ، وأركبني بغلاً ، وجاء بي إلى دار نازوك ، [فتركني في الدهليز ودخل][١٦] .

---

١٣ أبو الجود : خليفة عجيب غلام نازوك ، وكان يقوم بأعمال الشرطة ببغداد ، ويشرف على المحبوسين المودعين في حبس الجرائم (تجارب الأمم ١ / ١٨٧) .

١٤ عجيب ، غلام نازوك : كان يقوم بأعمال الشرطة ببغداد تحت إشراف سيّده نازوك صاحب الشرطة ، وهو الذي ضرب عنق المحسّن بن الفرات في السنة ٣١٢ بأمر المقتدر ، وصار بالرأس إلى سيّده نازوك ، فأخذاه ودخلا معاً على أبيه الوزير أبي الحسن بن الفرات ، ووضعا الرأس أمامه ، فارتاع ، ثم أمر نازوك عجيباً ، فضرب عنق الوزير ابن الفرات وحمل نازوك الرأسين إلى المقتدر ، فأمره بتغريقهما (تجارب الأمم ١ / ١٣٨) وقتل عجيب مع سيّده نازوك في السنة ٣١٧ لمّا هجم الجند على قصر الخلافة وخلعوا القاهر ، وأعادوا المقتدر للخلافة (الكامل ٨ / ٢٠٤ وتجارب الأمم ١ / ١٩٦) .

١٥ أبو منصور نازوك : من كبار القوّاد الأتراك في دولة المقتدر ، ولّي الشرطة ببغداد في السنة ٣١٠ (الكامل ٨ / ١٣٧ وتجارب الأمم ١ / ٨٣) وكان يتعصّب للوزير أبي الحسن عليّ بن عيسى (تجارب الأمم ١ / ١١٠) منحرفاً عن الوزير أبي الحسن بن الفرات (تجارب الأمم ١ / ١٢٠) ، وهو الّذي قبض على الوزير ابن الفرات في السنة ٣١٢ وأعتقله في داره (تجارب الأمم ١ / ١٢٦) كما قبض على ولده المحسّن (تجارب الأمم ١ / ١٣٢) وقتلهما بأمر المقتدر (تجارب الأمم ١ / ١٣٨) وكان شديداً حازماً ، خلّص البلد أكثر من مرّة من نهب العيّارين (الكامل ٨ / ١٧٣ وتجارب الأمم ١ / ١٧٩) ، وفي السنة ٣١٦ وقعت فتنة بينه وبين القائد هارون بن غريب الخال (انظر سبب الفتنة في الكامل ٨ / ١٨٧ وتجارب الأمم ١ / ١٨٧) ، فشكا إلى المقتدر ، فلم يشكه ، فاستوحش ، وانضاف إلى مؤنس مع أكثر الجند ، وخلعوا المقتدر ، ونصبوا أخاه القاهر (الكامل ٨ / ٢٠٠ - ٢٠٢) فولّي نازوك الحجبة ، إضافة للشرطة (تجارب الأمم ١ / ١٩٣) ، وبعد يومين شغب الجند ، وهجموا على قصر الخلافة ، فتصدّى لهم نازوك ، وقتلوه (الكامل ٨ / ٢٠٤) .

١٦ الزيادة من غ وم .

فلما كان بعد ساعة ، أُدخلت ، فإذا نازوك جالس في دست عظيم ، وبين يديه الغلمان قياماً سماطين ، نحو ثلثمائة غلام وأكثر ، وكاتبه الحسين[١٧] جالس بين يديه ، ورجل آخر لا أعرفه .

فارتعت ، وأهويت لأقبّل الأرض ، فقال : مه ، عافاك الله ، لا تفعل ، هذا من سنن الجبّارين ، وما نريد نحن هذا ، اجلس يا شيخ ، ولا تخف ، فجلست .

فقال لي : جاءك اليوم غلام أمرد ، فكتبت له كتاباً للعطف ؟

قلت : نعم .

قال : اصدقني عمّا جرى بينكما ، حرفاً ، حرفاً .

فأعدته عليه ، حتّى لم أدع كلمة[١٨] ، وتلوت عليه الآيات الّتي كتبتها .

فلمّا بلغت إلى قول الغلام : أنا عبد مملوك ، وما أعددت لنفسي من أقصده في هذه الحال ، ولا أعرف أحداً ألجأ إليه ، وقد طردني مولاي ، بكيت لما تداخلني من رحمة له ، وأريته الدينار الذي أعطانيه ، فدمعت عينا نازوك [٢٤ ر] وتجلّد ، واستوفى الحديث .

وقال : قم يا شيخ ، بارك الله عليك ، ومهما عرضت لك من حاجة ، [أو لجار لك ، أو صديق][١٦] ، فسلنا إيّاها ، فإنّا نقضيها ، [وأكثر عندنا وانبسط في هذه الدار ، فإنّك غير محجوب عنها][١٦] ، فدعوت له وخرجت .

[فلمّا صرت خارج باب المجلس ، إذا بغلام قد أعطاني قرطاساً فيه ثلثمائة درهم ، فأخذته وخرجت][١٦] .

فلمّا صرت في الدهليز[١٩] ، إذا بالفتى ، فعدل بي إلى موضع وأجلسني .

---

١٧ في غ : أبو القاسم ، وفي م : أبو الحسن .

١٨ في غ : حتّى لم أخرم منه حرفاً .

١٩ الدهليز : راجع التفصيل في آخر القصّة .

فقلت : ما خبرك ؟

فقال : أنا غلام الأمير ، وكان قد طردني ، وغضب عليّ ، فلمّا أن جئتك ، واحتبست عندك ، طلبني ، فرجعت مع رسله .

فقال لي : أين كنت ؟

فصدقته الحديث ، فلم يصدّقني ، وأمر بإحضارك ، فلمّا اتّفقنا في الحديث ، وخرجت الساعة ، [أحضرني ، وقال : يا بنيّ][20] ، أنت الساعة من أجلّ غلماني [٣٥ ظ] عندي ، وأمكنهم من قلبي ، وأخصّهم بي ، إذ كنتَ لمّا غضبتُ عليك[21] ما غيّرك ذلك عن محبّتي ، والرغبة في خدمتي ، وطلب الحيل في الرجوع إليّ [٤٣ غ] وانكشف لي أنّك ما أعددت لنفسك – بعد الله – سواي ، [ولا عرفت وجهاً تلجأ إليه في الدّنيا غيري ، فما ترى بعد هذا إلاّ كل ما تحبّ][16] ، وسأعلي منزلتك ، وأبلغ بك أعلى مراتب نظرائك ، ولعلّ الله سبحانه استجاب فيك دعاء هذا الرجل الصالح ، ونفعك بالآيات ، فبأيّ شيء كافأت الرجل ؟.

فقلت : ما أعطيته غير ذلك الدينار .

فقال : سبحان الله ، قم إلى الخزانة ، فخذ منها ما تريد ، وأعطه .

فأخذت منها هذا القرطاس ، وجئتك به ، فخذه ، وأعطاني أيضاً خمسمائة درهم ، وقال لي : الزمني ، فإنّي أحسن إليك .

فجئته بعد مديدة ، فإذا هو قائد جليل ، وقد بلغ به نازوك تلك المنزلة ، فوصلني بصلة جليلة ، وصار لي عدّةً على الدهر وذخيرة[22] .

---

٢٠ في ظ : قال لي ، والزيادة من غ .

٢١ في غ : لما عاملتك بهذا .

٢٢ في غ : وصار لي عدّة على الزمان .

الدهليز

الدهليز : الممرّ الذي بين باب الدار ووسطها ، ويسمّى الآن ببغداد : المجاز ، والكلمة فصيحة ، لأنّه موضع الجواز إلى داخل الدّار ، وجمعه دهاليز ، قال يحيى بن خالد : ينبغي للإنسان أن يتأنّق في دهليزه لأنّه وجه الدار ، ومنزل الضّيف ، وموقف الصديق حتّى يؤذن له ، وموضع المعلّم ، ومقيل الخدم ، ومنتهى حدّ المستأذن .

ومن لطيف الكلام : القبر دهليز الآخرة .

وقال ابن سكّرة :

قلت للنزلة لمّا أن ألمّت بلهاتي
بحياتي خلّ حلقي فهو دهليز حياتي

(وفيات الأعيان ٧ / ٩٢ والغيث المسجم للصفدي ١ / ١٨٥ وشفاء الغليل ٨٦) .

وكانت دهاليز دور الوزراء ، والقادة ، والأمراء ، تشتمل على حجر عدّة ، برسم الخدم ، والأتباع ، والوكلاء ، والحرّاس ، والرجّالة ، وفيها مواضع للجلوس والطعام ، راجع القصّة ١ / ٥ و٢ / ١٦٤ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي . ويحدّثنا أبو جعفر بن شيرزاد عن دهليز داره ، أنّه كان محصّناً ببابين ، باب على الطريق العام ، وباب على صحن الدار ، فإذا دخل الداخلون من الباب الأوّل ، ظلّ الثاني مغلقاً ، حتّى إذا استتمّ دخولهم ، واستقرّوا في الدهليز ، أغلق الأوّل ، وفتح الثّاني ، لينفذوا منه إلى داخل الدّار ، راجع القصّة ٣٧٨ من هذا الكتاب .

ولمّا عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة ، خرج إلى الجامع يوم الجمعة ، فانثالت العامّة عليه تصافحه وتدعو له ، فأنكر الخليفة ذلك ، فبنى في دهليز داره مسجداً ، وكان يؤذّن ويصلّي فيه (المنتظم ٩ / ٩٣) .

وكان بيت الطاحون في كلّ دار يقع في الدهليز ، راجع في المُلح والنوادر ص ٢٨٣ قصّة العاشق الذي حلّ محلّ الحمار في الطاحون .

٧٧

جور أبي عبد الله الكوفي

حدّثني محمّد بن محمّد المهندس[١] ، قال : حدّثني أبو مروان الجامدي[٢] ، قال :

ظلمني أحمد بن علي [بن سعيد][٣] الكوفي[٤] ، وهو يتقلّد واسط[٥] لناصر الدولة[٦] ، وقد تقلّد إمرة الأمراء ببغداد[٧] ، [وكنت أحد من ظلم][٣] ، فظلمني ، وأخذ من ضيعتي بالجامدة نيّفاً وأربعين كرًّا أرزًّا ، بالنصف من حقّ الرقبة ، بغير

---

١ أورد التنوخي هذه القصّة في نشوار المحاضرة ٨ / ٦٩ وقال : حدّثنا أبو الحسن محمّد بن محمّد بن عثمان الأهوازي الكاتب ، المعروف بابن المهندس .

٢ في نشوار المحاضرة ٨ / ٦٩ ذكر أنّه (ابن مروان) ، وقد ورد الآن في ظ وغ (أبو مروان) ، وفي م (ابن مروان) ، والجامدي : نسبة إلى الجامدة ، قرية كبيرة بين واسط والبصرة ، من أعمال واسط (معجم البلدان ٢ / ١٠) .

٣ الزيادة من غ وم .

٤ أبو عبد الله أحمد بن عليّ الكوفي : كان يخدم الوزير ابن مقلة ، ثم اتّصل بالبريدي ، وعاد إلى بغداد فكتب لبجكم ، ومن بعده لابن رائق ، ثمّ لناصر الدّولة ، وكان ظالماً عاتياً (تجارب الأمم ١ / ٢١٧ – ٤١٦ و٢ / ٢ – ٤٤ والكامل ٨ / ٣٦٤ – ٤٠٤) ، توفّي بحلب في السنة ٣٣٤ (التكملة ١٤٨) .

٥ واسط : بناها الحجّاج ، وسمّيت كذلك لأنّها متوسّطة بين البصرة والكوفة ، وتشمل الآن في العراق سقي الغرّاف (معجم البلدان ٤ / ٨٨١) أقول : آثار واسط موجودة قرب مدينة الحيّ ، وقد أبصرتها أكثر من مرّة عندما كنت في السنة ١٩٣٤ حاكما في قلعة سكر على نهر الغرّاف .

٦ ناصر الدّولة أبو محمّد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التّغلبي الحمداني : من ملوك الدّولة الحمدانيّة ، كان صاحب الموصل وما يليها ، لقّبه المتّقي العبّاسي بناصر الدّولة ، ونصبه أمير الأمراء ، ولـمّا توفّي أخوه الأمير سيف الدّولة ، تغيّرت أحواله ، وساءت أخلاقه ، فحجر عليه ولده أبو تغلب ، ونقله إلى قلعة من القلاع ، وتوفّي سنة ٣٥٨ (الأعلام ٢ / ٢١٠) .

٧ كان ذلك في السنة ٣٣٠ (تجارب الأمم ٢ / ٢٨) .

تأويل ولا شبهة ، سوى ما أخذه بحقّ بيت المال ، وظلم فيه أيضاً ، فتظلّمت إليه ، وكلّمته ، فلم ينفعني معه شيء ، وكان الكرّ الأرز بالنصف – إذ ذاك – بثلاثين ديناراً .

فقلت [٣٤ م] له : قد أخذ منّي سيّدي ما أخذ ، ووالله ، ما أهتدي أنا وعيالي ، إلى ما سوى ذلك ، وما لي ما أقوتهم به باقي سنتي ، ولا ما أعمّر به ضيعتي ، وقد طابت نفسي أن تطلق لي من جملته عشرة أكرار ، وجعلتك من الباقي في حلّ .

فقال : ما إلى هذا سبيل .

فقلت : فخمسة أكرار .

فقال : لا أفعل .

فبكيت ، وقبّلت يده ، [ورقّقته][8] ، وقلت : هب لي ثلاثة أكرار ، وتصدّق عليّ بها ، وأنت من الجميع في حلّ .

فقال : لا والله ، ولا أرزة واحدة .

فتحيّرت ، وقلت : فإنّي أتظلّم منك إلى الله تعالى .

فقال لي : كن على الظلامة ، [يكرّرها دفعات ، ويكسر الميم ، بلسان أهل الكوفة][9] .

فانصرفت منكسر القلب[10] ، منقطع الرجاء ، فجمعت عيالي ، وما زلنا ندعو عليه ليالي كثيرة ، فهرب من واسط في اللّيلة الحادية عشرة من أخذه الأرز ، فجئت إلى البيدر ، والأرز مطروح ، فأخذته ، وحملته إلى منزلي ، وما عاد الكوفي بعدها إلى واسط ، ولا أفلح .

---

٨ الزيادة من غ .

٩ الزيادة من غ ، أقول : لا أثر لهذه اللغة الآن في الكوفة ، ولا في بغداد ، وهي الآن مقصورة على أهل الموصل في العراق ، وعلى أهل بلاد الشام ، أي سوريا ولبنان ، فهم يقولون : ظلامي ، وسلامي ، وكرامي ، في ظلامة ، وسلامة ، وكرامة . * ١٠ في غ : محترق القلب .

٧٨

من طريف ما اتّفق لابن مقلة في نكبته
الّتي أدّته إلى الوزارة

وحدّثني غير واحد من الكتّاب ، عمّن سمع أبا علي بن مقلة[1] ، لما عاد من فارس[2] وزيراً ، يحدّث ، قال :

من طريف ما اتّفق لي في نكبتي هذه الّتي أدّتني إلى الوزارة ، أنّني أصبحت

---

١ أبو علي محمّد بن عليّ المعروف بابن مقلة (٢٧٢ – ٣٢٦) : كان يعمل محرراً لأبي الحسن بن الفرات أيّام خلافته أبا العبّاس أخاه على ديوان السواد ، ثم تقدّمت حاله فزاد جاريه إلى ثلاثين ديناراً في الشهر (وزراء ١٣٥) وعرف بانحيازه إلى آل الفرات ، فلمّا تقلّد أبو الحسن بن الفرات الوزارة ، جعل رزق ابن مقلة خمسمائة دينار في الشهر ، (وزراء ١٣٥) ، ولمّا عزل أبو الحسن عن الوزارة في السنة ٢٩٩ استتر ابن مقلة (تجارب الأمم ١ / ٢١) ، وبقي متعطّلا مدّة وزارة الخاقاني ، ووزارة عليّ بن عيسى ، فشكر له ابن الفرات ذلك ، وزاد اختصاصه به (١ / ٤٤) ثم طمع في الوزارة ، فجاهر أبا الحسن بن الفرات بالخصومة ، وسعى به (١ / ٥٢) فقبض عليه وصادره (١ / ١١٣) ثمّ أبعده وسليمان بن الحسن بن مخلد إلى شيراز (١ / ١٤٠) ولمّا عزل ابن الفرات عاد إلى بغداد (١ / ١٤٠) وتقلّد في السنة ٣١٦ وزارة المقتدر (١ / ١٨٥) ، ولمّا خلع ونصب القاهر ، أبقاه وزيراً (١ / ١٩٣) ، ولما عاد المقتدر للخلافة أقرّه على الوزارة (١ / ١٩٩) ثم اتّهمه بممايلة مؤنس ، فاعتقله (١ / ٢٠٣) واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد فنفاه إلى شيراز (١ / ٢٢٩) ولمّا قتل المقتدر وولّي القاهر ، استوزره وكتب إلى ياقوت عامل فارس بحمله وتعجيله (١ / ٢٤٢) ثمّ استوحش من القاهر ، فأخذ يدبّر ضدّه (١ / ٢٥٩) وأحسّ به القاهر فأراد اعتقاله ، فاستتر (١ / ٢٦٤) وحرّض عليه الغلمان الحجريّة والساجيّة (١ / ٢٨٦) فهاجموه واعتقلوه ، ونصبوا الرّاضي خليفة (١ / ٢٨٩) فاستوزره (١ / ٢٩٣) ثم اعتقله الغلمان الحجريّة في السنة ٣٢٤ (١ / ٣٣٣) ، ثم أخذ يدبّر ضدّ أمير الأمراء ابن رائق ، فالحّ ابن رائق على الراضي حتّى قبض عليه وقطع يده (١ / ٣٨٦) ثمّ قطع لسانه ، وقطع عنه الطّعام ، فمات سنة ٣٢٦ (١ / ٣٩٠ – ٣٩٢) .

٢ فارس : إقليم فسيح ، وولاية واسعة ، قصبتها شيراز ، وهي خمس كور (معجم البلدان ٣ / ٨٣٥) .

وأنا محبوس مقيّد في حجرة من دار ياقوت[3] ، أمير فارس ، وقد لحقني من اليأس من الفرج وضيق الصدر ما أقنطني وكاد يذهب بعقلي ، وكنّا ، أنا وفلان[4] محبوسين ، مقيّدين ، في بيت واحد من الحجرة ، إلّا أنّا على سبيل ترفيه وإكرام .

فدخل علينا [٢٥ ر] كاتبٌ لياقوت ، وكان كثيراً ما يجيئنا برسالته ، فقال : الأمير يقرئكما السّلام ، ويتعرّف أخباركما ، ويعرض عليكما قضاء حاجة إن كانت لكما .

فقلت له : تقرأ عليه السّلام ، وتقول له : قد - والله - ضاق صدري ، واشتهيت أن أشرب على غناءٍ طيّب ، فإن جاز أن يسامحنا بذلك سرًّا ، ويتّخذ به منّة عليّ ويداً ، تفضّل بذلك [٤٤ غ] .

فقال لي المحبوس الّذي كان معي : يا هذا ، ما في قلوبنا فضلٌ لذلك .

فقلت للكاتب : أدِّ عنّي ما قلت لك .

---

٣ أبو المظفر ياقوت ، القائد التركي : كان من كبار القادة في دولة المقتدر ، ومقامه مماثل لمقام أحمد ابن بدر ، ابن عمّ السيّدة والدة المقتدر ، وهارون بن غريب الخال ، ابن خال المقتدر ، ومفلح الأسود الخادم (الوزراء ١٧٣) وله ولدان قائدان ، هما المظفّر ، ومحمّد (تجارب الأمم (١ / ١٢٢) وقد انتدب ياقوت في السنة ٣١٢ لدفع القرامطة عن بغداد (وزراء / ٥٨ وتجارب الأمم ١ / ١٢٢) واستخلفه مؤنس على الكوفة في السنة ٣١٣ حفظاً لها من هجمات القرامطة (١ / ١٤٦) وقلّد في السنة ٣١٥ أعمال الحرب والمعاون بفارس (١ / ١٥٧) ثم ولّي حجبة الخليفة المقتدر (١ / ٢٠٩) وكان منحرفاً عن مؤنس (١ / ٢٠٣) فاستوحش مؤنس منه ، وحشد الجيش ، وطالب بصرفه من الحجبة ، وإبعاده عن الحضرة (١ / ٢١٠) فقلّده المقتدر أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان (١ / ٢١١) ووقعت الحرب بينه وبين عماد الدّولة بن بويه ، فانتصر عليه عماد الدّولة في ثلاث معارك (١ / ٢٨١ - ٢٨٣ و١ / ١٩٧ و١ / ٣٠٣) ، وكان قد تقلّد أعمال الحرب والمعاون بالأهواز (١ / ٣٠١) فابتلي بالبريدي ، وواقعه البريدي في السنة ٣٢٤ ، فقتل في المعركة (تجارب الأمم ١ / ٣٤٧) .

٤ نفي الوزير ابن مقلة إلى فارس مرّتين ، الأولى بأمر الوزير أبي الحسن بن الفرات ، وكان رفيقه في النّفي سليمان بن الحسن بن مخلد ، أمّا في المرّة الثّانية فإن سليمان بن الحسن بن مخلد ، هو الّذي نفاه (تجارب الأمم ١ / ١٤٠ ، ٢٢٩) .

[قال : السمع والطاعة][5] ومضى ، وعاد فقال : الأمير يقول لك : نعم ، وكرامة وعزازة ، أيّ وقت شئت .

فقلت : الساعة .

فلم تمض إلّا ساعة ، حتّى جاءوا بالطعام ، فأكلنا ، وبالمشامّ والفواكه والنبيذ ، وصفّ المجلس ، فجلست أنا والمحبوس الّذي معي في القيدين .

وقلت له : تعال ، حتّى نشرب ، ونتفاءل بأوّل صوت تغنّيه المغنّية ، في سرعة الفرج ممّا نحن فيه [فلعلّه يصحّ الفأل][6] .

فقال : أمّا أنا فلا أشرب ، فلم أزل أرفق به حتّى شرب ، فكان أوّل صوت غنّته المغنّية : [٣٦ ظ] .

تواعـد للبين الخليـط لينبتّـوا ... وقالوا لراعي الذّود موعدك السّبت
ولكنّهم بانوا – ولم أدر – بغتةً ... وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

[قال أبو علي : ذكر المبرّد في كتابه المعروف بالكامل ، البيت الأوّل ، ورواه لمحمّد بن يسير][7] .

فقال لي : ما هذا ممّا يتفاءل به ، [وأيّ مغنى فيه ، ممّا يدلّ على فرجنا ؟][6]

فقلت : ما هو إلّا فأل مبارك ، وأنا أرجو أن يفرّق الله بيننا وبين هذه الحالة الّتي نحن عليها ، ويبين الفرج والصلاح ، يوم السبت .

قال : وأخذنا في شربنا يومنا ، وسكرنا ، وانصرفت المغنّية ، ومضت الأيّام .

فلمّا كان يوم السبت ، وقد مضى من النّهار ساعتان ، إذا بياقوت قد دخل علينا ، فارتعنا ، وقمت إليه ، فقال : أيّها الوزير ، الله ، الله ، في أمري ،

---

٥ الزيادة من غ .
٦ الزيادة من غ وم .
٧ الزيادة من غ .

وأقبل إليّ مسرعاً ، وعانقني ، وأجلسني ، وأخذ يهنّيني بالوزارة ، [فبهتُّ][8] ، ولم يكن عندي علم بشيء من الأمر ، ولا مقدّمة له .

فأخرج إليّ كتاباً ورد عليه من القاهر بالله[9] ، يعلمه فيه [بما جرى على المقتدر ، ومبايعة النّاس له بالخلافة ، ويأمره [٣٥ م] بأخذ البيعة على من بفارس من الأولياء ، وفيه][8] تقليده إيّاي الوزارة ، ويأمره بطاعتي ، وسلّم إليّ أيضاً ، كتاباً من القاهر ، يأمرني فيه بالنّظر في أموال فارس ، والأولياء بها ، واستصحاب ما يمكنني من المال ، وتدبير أمر البلد بما أراه ، والبدار إلى حضرته ، وأنّه استخلف لي – إلى أن أحضر – الكلوذاني[10] .

فحمدت الله كثيراً ، وشكرته ، وإذا الحدّاد واقف ، فتقدّمت إليه بفكّ قيودي وقيود الرّجل ، ودخلت الحمّام ، وأصلحت أمري وأمر الرّجل ، وخرجت ،

---

٨ الزيادة من م .

٩ أبو منصور محمّد القاهر بن أبي العبّاس أحمد المعتضد (٢٨٧ – ٣٣٩) : بويع بالخلافة سنة ٣١٧ لمّا خلع أخوه المقتدر (تجارب الأمم ١ / ١٩٣) ولمّا عاد المقتدر للخلافة ، أحضره المقتدر وأمنه ، (١ / ١٩٩) واعتقل في دار الخلافة ، فعنيت به السيّدة أمّ المقتدر ، ورفّهته ، وأهدت إليه عدّة من الجواري (١ / ٢٢٦) ، ولمّا قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ نصب القاهر خليفة (١ / ٢٤١) وكان أوّل ما فعله أن أحضر السيّدة أمّ المقتدر فضربها بيده ، وعلّقها بفرد رجل ، وأسرف في ضربها على المواضع الغامضة من بدنها (١ / ٢٤٣) ، وقبض على أبي أحمد بن المكتفي ، فأقامه في فتح باب وسدّ عليه بالجصّ والآجر ، وهو حيّ (١ / ٢٦٦) ودفن أبا السرايا نصر بن حمدان ، وإسحاق بن إسماعيل ، حيّين ، لأنّ كل واحد منهما زايده قبل خلافته على جارية أراد شراءها (١ / ٢٨٥) ثمّ دبّر على القوّاد مؤنس المظفّر ويلبق وولده علي ، فاعتقلهم (١ / ٢٦١) ، وذبح عليّ بن يلبق في حضرته ، ووجّه برأسه إلى أبيه ، ثم ذبح الأب ، ووجّه بالرأسين إلى مؤنس ، ثم أمر بمؤنس فجرّ إلى البالوعة وذبح وهو يراه (١ / ٢٦٧ – ٢٦٨) وتحرّك الجيش على أثر ذبح قوّاده ، فهاجموا قصر الخلافة ، واعتقلوه ، واستخلفوا الرّاضي (١ / ٢٨٩) وسمل القاهر (١ / ٢٩٢) ، وحبس ، ثم أطلق ، فرؤي وهو يتصدّق في السنة ٣٣٠ بسوق الثّلاثاء ، فبلغ ذلك البريديّ ، فأنفذ إليه من أقامه وأجرى له في كلّ يوم خمسة دراهم (التكملة ١٢٧) .

١٠ راجع تجارب الأمم ١ / ٢٤٢ .

فنظرت في الأعمال والأموال ، وجمعت مالاً جليلاً في أيّام يسيرة ، وقرّرت أمور البلد ، وسرت ، واستصحبت الرّجل معي إلى الحضرة ، حتّى جلست هذا المجلس ، وفرّج الله عنّا[11] .

١١ نقلها باختصار صاحب حل العقال ص ٤٢ .

٧٩

أبو أيّوب يرفع شكواه إلى الله تعالى برقعة يعلّقها في المحراب

قال محمّد بن عبدوس ، في كتابه « كتاب الوزراء » : وجدت بخط أبي عليّ أحمد بن إسماعيل الكاتب[١] ، حدّثني أحمد بن أبي الأصبغ[٢] ، قال :

وجّهني عبيد الله بن يحيى ، إلى أبي أيّوب[٣] ، ابن أخت أبي الوزير[٤] ، أيّام تقلّد [أبي صالح عبد الله بن محمد][٥] بن يزداد الوزارة ، وكان ابن يزداد[٦] ،

---

١ ابو علي أحمد بن إسماعيل بن الخطيب الأنباريّ الكاتب : يلقّب « نطّاحة » وهو من كبار الكتّاب المترسّلين ، كان يكتب لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وقتله محمّد بن طاهر ، له عدّة كتب (الأعلام ١ / ٩٣) .

٢ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي الأصبغ : من أقرباء أبي أيّوب سليمان بن وهب ، وكان يتصرّف معه ، وبينهما قرابة من جهة النساء (القصّة ٨ / ٥٥ من كتاب نشوار المحاضرة) وفي أيّام ولده عبيد الله ابن سليمان ، ولّي ديوان الخراج (الوزراء ٨٧) وفي السنة ٣١١ كان عاملاً على البصرة (الوزراء ٥٠ ، ١٢٥) .

٣ أبو أيّوب أحمد بن شجاع : كان خليفة أحمد بن طولون على الخراج بمصر (الولاة للكندي ١٦٣) ، ومدحه البحتري بقصيدتين (ديوان البحتري ص ٦٨٩ – ٦٩١ و٧٠٦ – ٧٠٨) ، وذكره غرس النعمة في كتاب الهفوات النادرة ص ٢٧٥ ، فقال : إنّه كان من الحمقى ، وكان يقول بمخالطته للجنّ ، وتعشّق منهم جارية تسمّى : قرّة العين ، وكان يطرح إلى جانبه مصلّى لتجلس عليه معه ، وبلغ من لهجه بها ، أن غارت جاريته « عزّ » من ذلك وهجرته ، أقول : هذا يدلّ على أنّ الجارية كانت أشدّ حمقاً من سيّدها ، وروى له المرزباني في الموشّح ص ٣٥٧ شعراً في رثاء أمّ سليمان بن وهب ، لا يتأتّى إلاّ بخذلان من الله تعالى .

٤ أبو الوزير أحمد بن خالد الصريفيني الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٥ من الكتاب .

٥ الزيادة من غ .

٦ أبو صالح عبد الله بن محمّد بن يزداد بن سويد : كان أبوه وزير المأمون (الفخري ٢٢٧) أمّا هو

يقصد أبا أيّوب ويعاديه .

فقال لي عبيد الله : الْقه ، وسهّل عليه الأمر ، وقل له : أرجو أن يكفيك الله شرّه .

فوصلت إليه وهو يصلّي ، وقد علّق في محرابه رقعة ، فأنكرتها ، وأدّيت إليه الرسالة .

فقال [٤٥ غ] لي : قل له : جعلت فداك ، لست أغتمّ بشيء ، لأنّ أمره قريب ، وقد رفعت فيه إلى الله تعالى قصّةً إذ أعجزني المخلوقون ، أما تراها معلّقة في القبلة ؟

فكاد يغلبني الضّحك ، فضبطت نفسي ، وانصرفت إلى عبيد الله ، فحدّثته الحديث ، فضحك منه .

قال : فوالله ، ما مضت بابن يزداد إلّا أيّام يسيرة ، حتّى سخط عليه وصرف .

فاتّفق لأبي أيّوب الفرج ، ونزل بابن يزداد المكروه ، في مثل المدّة الّتي تخرج فيها التوقيعات في القصص[7] .

فكان يلي ديوان زمام الضياع في عهد المتوكّل (الطبري ٩ / ٢١٧) ، ثم وزّر للمستعين بعد مقتل أوتامش ، وأدّى اقتصاده في النّفقات إلى غضب القوّاد عليه ، ففرّ منهم إلى بغداد (الطبري ٩ / ٢٦٤ وابن الأثير ٧ / ١٢٣) .

٧ نقلها صاحب كتاب حلّ العقال ص ٤١ .

٨٠

أبو نصر الواسطي يتظلّم إلى الإمام موسى الكاظم برقعة علّقها على قبره

قال مؤلّف الكتاب : وأنا شاهدت مثل هذا ، وذلك أنّ أبا الفرج محمّد ابن العباس بن فسانجس[١] ، لما ولي الوزارة[٢] [٢٦ ر] أظهر من الشرّ على النّاس[٣] ، والظّلم لهم ، بخلاف ما كان يقدّر فيه ، وكنت أحد من ظلمه ، فإنّه أخذ ضيعتي بالأهواز[٤] ، وأقطعها بالحقّين[٥] ، وأخرجها عن يدي[٦] .

---

١ أبو الفرج محمّد بن العبّاس بن فسانجس : كان والده أبو الفضل العبّاس من وجهاء شيراز ، وانضاف إلى عماد الدّولة بن بويه (تجارب الأمم ١ / ٣٠٠ و٣٥٥) ولمّا استقرّ معزّ الدّولة بن بويه ببغداد ، أحضر أبا الفضل ، وقلّده دواوين الزمام (التّكملة ٢٠٥ وتجارب الأمم ٢ / ١٢٠) ولمّا توفّي بالبصرة سنة ٣٤٢ ، تقلّد أبو الفرج ولده الديوان (تجارب الأمم ٢ / ١٤٨) ولمّا توفّي الوزير المهلّبي في السنة ٣٥٢ ، تزاحم أبو الفرج وأبو الفضل الشيرازيّ على الوزارة ، فأمر معزّ الدّولة بأن ينظرا في الأمور مشتركاً ، من دون تسمية أحدهما بالوزارة (٢ / ١٩٨) ولمّا توفّي معزّ الدّولة في السنة ٣٥٦ ، عادا إلى التزاحم على وزارة ولده عزّ الدّولة بختيار (٢ / ٢٣٧) فوزّر أبو الفضل الشّيرازي (٢ / ٢٣٨ و٢٤١) فانقطع أبو الفرج عن الديوان ، فهدّده الوزير ، فعاد إلى العمل (٢ / ٢٤٢) وظلّ يكيد للوزير أبي الفضل حتّى اعتقله بختيار ، وتقلّد أبو الفرج الوزارة في السنة ٣٥٩ (٢ / ٢٦٠ و٢٦٣) فاختلطت عليه الأمور ، وانحدر إلى الأهواز لاستخراج بعض المال ، فأمر بختيار باعتقاله ، وأعيد أبو الفضل للوزارة (٢ / ٢٦٩ والقصّة ٢ / ١١٣ من نشوار المحاضرة) ، وأحضر أبو الفرج إلى بغداد ، فشملته عناية الحاجب سبكتكين ، فأطلق ، وترك التصرّف ، فسلم ، وكان هو وأخوه في أيّام عضد الدّولة ببغداد (٣٦٦ – ٣٧٢) يتقدّمان النّاس جميعاً ، لرئاستهما القديمة ، راجع القصّة ٤ / ٤٤ من نشوار المحاضرة .

٢ ولّي أبو الفرج وزارة عزّ الدّولة بختيار سنة ٣٥٩ ، راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ٢ / ٢٦٠ – ٢٦٤ .

٣ في غ وم : التشدّد على النّاس .

٤ في غ : أخذ ضيعة لي بالأهواز .

فأصعدت الى بغداد متظلّماً إليه من الحال ، فما أنصفني ، على حرمات كانت بيني وبينه[7] ، وكنت أتردّد إلى مجلسه ، فرأيت فيه شيخاً من شيوخ العمّال ، يعرف بأبي نصر محمّد بن محمّد الواسطي ، [أحد من كان يتصرّف في عمالات بنواحي الأهواز][8] ، وكان صديقاً لي ، فسألته عن أمره ، فذكر أنّ الحسن بن بختيار[9] ، أحد قوّاد الدّيلم ، ضمن أعمال الخراج والضياع بنهر تيرى[10] ، وبها منزل أبي نصر هذا ، وأنّه طالبه بظلم لا يلزمه ، فبعد عن البلد ، فكبس داره ، وأخذ جميع ما كان فيها ، وكان فيما أخذ ، عُهَد[11] ضياعه كلّها ، وأنّه حضر للوزير [محمّد بن العبّاس][12] متظلّماً منه ، فلمّا عرف الحسن بن بختيار ذلك ، أنفذ بالعُهَدِ إلى الوزير ، وقال له : قد أهديت إليك هذه الضّياع ، فقبل الوزير منه ذلك ، وكتب إلى وكيله [في ضيعته][12] بالأهواز[13] ، فأدخل يده في ضياعي ، وقد تظلّمت [٣٧ ظ] إليه ، فلم ينصفني .

فلمّا كان بعد أيّام ، دخلت المشهد بمقابر قريش[14] ، فزرت موسى بن

---

٥ قوله : بالحقّين : أي حقّ الرقبة ، وحقّ بيت المال (الوزراء ٦٦) .

٦ ذكر المؤلّف ظلامته هذه في القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .

٧ في غ : كانت لي به .

٨ الزيادة من غ .

٩ الحسن بن أحمد بن بختيار ، القائد الدّيلمي : راجع أخباره في تجارب الأمم ٢ / ٣٥٧ و٣٥٨ وفي القصّة ٣ / ١٥٥ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

١٠ نهر تيرى : بلد من نواحي الأهواز (مراصد الاطّلاع ١٤٠١/٣) .

١١ عهدة الملك ، وجمعها عُهَد : وثيقة الشراء ، أي سند الملكيّة .

١٢ الزيادة من غ .

١٣ الأهواز : اسمها الفارسي : خوزستان ، والأهواز اسم للكورة بأسرها ، أمّا البلد الذي يغلب عليه اسم الأهواز ، فهو سوق الأهواز ، راجع معجم البلدان ١ / ٤١٠ وأحسن التقاسيم للمقدسي ٤٠٢ .

١٤ مقابر قريش : مقبرة ومحلّة فيها خلق كثير ، وعليها سور ، وتقع بين الحريم الطّاهري ومقبرة الإمام

جعفر[١٥] ، وعدلت [إلى موضع الصّلاة][١٢] لأصلّي ، فإذا بقصّة معلّقة ، بخطّ أبي نصر هذا ، وقد كتبها إلى موسى بن جعفر ، يتظلّم فيها من محمّد ابن العبّاس ، ويشرح أمره ، ويتوسّل في القصّة ، بمحمّد ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، وباقي الأئمّة عليهم السّلام[١٦] ، أن يأخذ له بحقّه من محمّد ابن العبّاس ، ويخلّص له ضياعه .

فلمّا قرأت الورقة ، عجبتُ من ذلك عجباً شديداً ، ووقع عليّ الضّحك ، لأنّها قصّة إلى رجل ميّت ، [وقد علّقها عند رأسه][١٢] ، وكنت عرفت أبا نصر بمذهب الإماميّة الاثنى عشرية ، فظننت أنّه مع هذا الاعتقاد كان أكبر قصده أن يشنّع[١٧] على الوزير بالقصّة [٣٦ م] عند قبر موسى بن جعفر عليه السّلام ، وكان كثير الزّيارة له ، أيّام وزارته ، وقبلها ، [وبعدها][١٨] ، ليعلم أنّ الرّجل على مذهبه ، فيتذمّم من ظلمه ، ويرهب الدعاء في ذلك المكان ، فانصرفت .

فلمّا كان بعد أيّام ، كنت في المشهد ، وجاء الوزير ، فرأيته يلاحظ الرّقعة ، فعلمت أنّه قد قرأها ، ومضى على هذا الحديث مدّة ، وما رهب القصّة ،

أحمد بن حنبل ، وبها مشهد الإمامين موسى بن جعفر ومحمّد الجواد عليهما السلام (مراصد الاطلاع ٣ / ١٢٩٥) .

١٥ أبو الحسن الإمام موسى الكاظم بن أبي عبد الله جعفر الصّادق بن أبي جعفر محمّد الباقر بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام (١٢٨ – ١٨٣) : ترجمته في حاشية القصّة ٢١ من الكتـاب .

١٦ في غ : ويسأل الله عزّ وجلّ ، في القصّة ، بمحمّد ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعليّ ابن الحسين ، ومحمّد بن عليّ ، وجعفر بن محمّد ، وموسى بن جعفر ، وعليّ بن موسى ، ومحمّد ابن عليّ ، وعليّ بن محمد ، والحسن بن عليّ ، والمنتظر ، أن يأخذ له بحقّه ... الخ .

١٧ في م : أن يشفع .

١٨ الزيادة من م .

ولا أنصف الرّجل .

وامتدّت محنة الرّجل شهوراً ، ورحل محمّد بن العبّاس إلى الأهواز ، للنّظر في أبواب المال ، وتقرير أمر العمّال [٤٦ غ] ، وأقمت أنا ببغداد ، لأنّه لم يكن أنصفني ، ولا طمعت في إنصافه إيّاي لو صحبته ، وانحدر أبو نصر في جملة من انحدر معه .

فلمّا صار بالمأمونية[١٩] [قرية حيال سوق الأهواز ، وهو يريد دخولها من غد][١٢] ورد من بغداد كتاب إلى بختكين التركي [مولى معزّ الدولة][١٢] ، المعروف بآزاذرويه[٢٠] ، وكان يتقلّد الحرب والخراج ، بالأهواز وكورها ، فقبض عليه[٢١] ، وقبض على أمواله ، وقيّده ، ومضى أبو نصر إلى ضياعه ، فأدخل يده فيها ، وكفي ما كان من أمر الوزير ، واستقرّت ضياعه في يده إلى الآن .

وأقمت أنا سنين أتظلّم من تلك المحنة الّتي ظلمني فيها محمّد بن العبّاس ، فما أنصفني أحد ، وأيست ، وخرجت تلك الضيعة من يدي ، فما عادت إلى الآن .

وصحّ لأبي نصر ، بقصّته ، ما لم يصحّ لي ، وكانت محنته ومحنتي واحدة ، ففاز هو بتعجيل الفرج بها ، من حيث لم يغلب على ظنّي أن أطلب الفرج منه[٢٢] .

---

١٩ المأمونيّة : موضع بإزاء سوق الأهواز (تجارب الأمم ٢ / ٣٦٩) راجع القصّة ١ / ١١٩ من نشوار المحاضرة ص ٢١٣ سطر ٤ .

٢٠ القائد بختكين آزاذرويه : قائد تركي من قوّاد معزّ الدّولة ، كان في أيّام بختيار سنة ٣٥٧ ضامن الأهواز ، وفي السنة ٣٦٠ زوّج ابنته من المرزبان بن بختيار ، وفي نفس السنة ، عقدت عليه واسط ، مضافة إلى الأهواز ، وفي السنة ٣٦٣ اعتقله بختيار ثمّ أطلق سراحه ونصبه حاجب الحجّاب موضع سبكتكين ، وكان في السنة ٣٦٧ يحارب مع بختيار وأبي تغلب فانحاز إلى عضد الدّولة (تجارب الأمم ٢ / ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٨٦) راجع القصّة ٣ / ١٥٤ و٣/ ١٥٥ من نشوار المحاضرة .

٢١ تجارب الأمم ٢ / ٢٨٣ .

٢٢ نقلها صاحب حلّ العقال باختصار ص ٤١ .

٨١

أحمد بن أبي خالد ، يبلغه أنّ جارية له توطئ فراشه غيره

قال محمّد بن عبدوس في كتاب الوزراء : إنّ ابراهيم بن العباس الصولي[١] . قال :

كنت أكتب لأحمد بن أبي خالد[٢] ، فدخلت عليه يوماً ، فرأيته مطرقاً ، مفكّراً ، مغموماً ، فسألته عن الخبر .

فأخرج [٢٧ ر] إليّ رقعة ، فإذا فيها أنّ حظيّة من أعزّ جواريه عنده ، يخالَفُ إليها ، وتوطئ فراشه غيره ، ويستشهد في الرقعة ، بخادمين كانا ثقتين عنده.

وقال لي : دعوت الخادمين ، فسألتهما عن ذلك ، فأنكرا ، فتهدّدتهما ، فأقاما على الإنكار ، فضربتهما ، وأحضرت لهما آلة العذاب ، فاعترفا بكلّ ما في الرقعة على الجارية ، وإنّي لم أذق أمس ولا اليوم طعاماً ، وقد هممت بقتل الجارية .

فوجدت بين يديه مصحفاً ، ففتحته لأتفاءل بما يخرج فيه ، [فكان أوّل ما وقعت عيني عليه][٣] : يا أيّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ..... الآية[٤] ، فشككت في صحّة الحديث ، وأريته ما خرج به الفأل .

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول (١٧٦ - ٢٤٣) : الكاتب ، الشّاعر ، ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ من الكتاب .

٢ أحمد بن أبي خالد الأحول ، وزير المأمون : من عقلاء الرجال ، كان كاتباً ، سديداً ، فصيحاً ، استوزره المأمون ، وظلّ وزيره إلى أن مات سنة ٢١٠ (الفخري ٢٢٤) .

٣ الزيادة من م .

٤ ٦ م الحجرات ٤٩ ، وتمام الآية : يا أيّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .

وقلت : دعني أتلطّف في كشف هذا .

قال : افعل .

فخلوت بالخادمين منفردين ، ورفقت بأحدهما ، فقال : النار ولا العار[٥] ، وذكر أنّ امرأة ابن أبي خالد ، أعطته ألف دينار ، وسألته الشهادة على الجارية ، وأحضرني الكيس مختوماً بخاتم المرأة ، وأَمَرْتُهُ أن لا يذكر شيئاً إلّا بعد أن يوقع به المكروه ، ليكون أثبت للخبر ، ودعوت الآخر ، فاعترف بمثل ذلك أيضاً .

فبادرت إلى أحمد بالبشارة ، فما وصلت إليه ، حتى جاءته رقعة الحرّة[٦] ، تعلمه أنّ الرقعة الأولى كانت من فعلها ، غيرة عليه من الجارية ، وأنّ جميع ما فيها باطل ، وأنّها حملت الخادمين على ذلك ، وأنّها تائبة إلى الله تعالى من هذا الفعل وأمثاله .

فجاءته براءة الجارية من كلّ وجه [٣٨ ظ] فسرّ بذلك ، وزال عنه ما كان فيه ، وأحسن الى الجارية .

---

٥ في غ : العار ولا النّار .

٦ الحرّة : التّفصيل في آخر القصّة .

الحــرّة

الحرّ في اللّغة ، الّذي يملك أن يتصرّف كما يريد من دون أي قيد يحدّ من تصرّفاته ، مادّياً كان القيد أو معنوياً ، واتّسع مفهوم الكلمة ، فأصبحت تدلّ على الشريف الكريم .

والحرّ من كلّ شيء : خياره ، ومنه : الطير الحرّ ، أي الصقر والبازي ، والطين الحرّ ، أي الّذي لا رمل فيه ، ويسمّونه في العراق : الطين الحرّي .

أمّا في الاصطلاح فإنّ كلمة الحرّة ، تعني خلاف الأمة ، وسبب هذه التّسمية غلبة الجواري والإماء ، وقد كان ابن أبي عسرون يعرف بزوج الحرّة ، لأنّه تزوّج بامرأة كانت زوجة المقتدر (القصّة ٥ / ٢ من كتاب نشوار المحاضرة) .

وكان الأمويون يتحرّون أن يكون من تقلّد الخلافة منهم من أمّ عربيّة ، وكان أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك من رجالهم المعدودين ، إلاّ أنّ كونه ابن أمة ، حال بينه وبين الخلافة ، وعرض مسلمة على عمرة بنت الحارس ، أن يتزوّج منها ، فقالت : يا ابن الّتي تعلم ، وإنّك لهنـاك ؟ تعني أن أمّه أمة (بلاغات النساء ١٩٠) ولما تنقّص هشام بن عبد الملك ، الإمام زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، لم يجد ما يعيّره به ، إلاّ قوله : أنت الّذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وأنت ابن أمة (مروج الذهب ٢ / ١٦٢ ، والعقد الفريد ٤ / ٣٢ و٤٨٢) .

ثمّ اختلف الحال في آخر أيّام الأمويين ، فإنّ آخر من تقلّد الخلافة منهم ، إبراهيم ابن الوليد ، ومروان بن محمّد ، كانا من أبناء الإماء (خلاصة الذهب المسبوك ٤٦ و٤٧) .

أمّا الخلفاء في الدّولة العبّاسية ، وعددهم سبعة وثلاثون ، فلم يكن فيهم من هو عربيّ الأم ، إلاّ ثـلاثة ، الأوّل : أبو العبّاس السفّاح ، أمه ريطة بنت عبد المدان الحـارثي (خلاصة الذهب ٥٣) وكان يدعى : ابن الحارثيّة ، وكانت عروبة أمّه ، السبب في تقدّمه على أخيه المنصور الذي كان يكبره في السنّ ، فإنّ أم المنصور بربرية ، اسمها سلامة (خلاصة الذهب المسبوك ٥٩) ، والثّاني : المهدي بن المنصور ، وأمّه أمّ موسى بنت منصور ابن عبد الله الحميري (خلاصة الذهب ٩٠) ، والثّالث : محمّد الأمين بن هارون الرّشيد ، أمّه زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، قالوا : لم يل الخلافة هاشميّ من هاشميّين ، إلاّ ثلاثة : الإمام عليّ بن أبي طالب ، وابنه الحسن ، ومحمّد الأمين (خلاصة الذهب ١٧١) أمّا بقية الخلفاء العبّاسيين ، فكلّهم أبناء أمّهات أولاد ، للتفصيل ومعرفة أسماء أمّهات الخلفاء ، راجع خلاصة الذهب المسبوك ٥٩ ــ ٢٨٩ .

هذا وإنّ غلبة الجواري على الخلفاء والأمراء لم تقتصر على المشرق ، وإنّما تجاوزته إلى المغرب والأندلس ، وقد وجدتُ في قرطبة ، في السنة ١٩٦٠ ، قنطرة على نهرها ، شادتها زوجة أحد الخلفاء الأمويّين، فسمّيت : قنطرة الحرّة ، وكان الدليل أسبانياً ، لم يدرك سبب هذه التّسمية ، فقال : إنّ كلمة الحرّة تعني النّبيلة الشريفة .

٨٢

سبب خروج أحمد بن محمّد بن المدبّر إلى الشّام

[حدّثني أبو القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر[١] ، الشّاهد ، المقرئ ، المعروف بغلام ابن مجاهد ، قال : حدّثني أبو الحسين الخصيبي[٢] ، قال : حدّثني أبو خازم القاضي[٣] ، قال : حدّثني أبو الحسن أحمد بن محمّد بن المدبّر[٤] ، قال][٥] :

كان بدء خروجي إلى الشّام ، أنّ المتوكّل خرج يتنزّه بالمحمّديّة[٦] ، فخلا به

---

١ أبو القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر الشاهد : ترجمته في حاشية القصّة ٢٢٩ من الكتاب .

٢ أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٧ وقال عنه : إنّه صاحب أخبار ، ورواية للآداب ، وذكره صاحب اللباب ١ / ٣٧٧ .

٣ أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي : بصري ، سكن بغداد ، وولي القضاء بالشام والكوفة وبغداد ، توفّي سنة ٢٩٢ (المنتظم ٦ / ٥٥) وكان شديداً في إحقاق الحقّ (القصّة ٤ / ٦٥ من النشوار) عظيم الأناة في إصدار الأحكام (القصّة ٣ / ٣ من النشوار) وكانت أحكامه يتدارسها القضاة ويرجعون إليها (القصّة ٣ / ٩٤ من النشوار) وكان إليه ترشيح القضاة في أيّام المعتضد (القصّة ٣ / ٣١ من النشوار) وكان يغضب إذا وصف أحد القضاة بالعفّة ، ويقول : إنّ القاضي أعلى من ذلك وإنّما يمدح بالعفّة صاحب الشرطة (القصّة ١ / ١٢٦ من النشوار) ، راجع في نهاية الأرب ٤ / ١١ الحكم الذي أصدره على الابن الّذي ادّعى على والده بدين ، وطلب حبسه .

٤ أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبيد الله بن المدبّر الكاتب : تقلّد ديوان الخراج والضياع مجموعين للمتوكّل وتمالأ عليه الكتّاب فأخرجوه للشام ، فكسب بها مالاً عظيماً ، ثم حبسه أحمد بن طولون ، ومات في الحبس ، وقيل إنّه قتله ، وكان فاضلاً ، إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، فرض عليه بأن يصلّي مائة ركعة عقاباً له ، راجع قصّته مع الجمل المصري الشاعر في فوات الوفيات ٨ / ٣٨ .

٥ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : وحدّث أحمد بن محمّد بن المدبّر ، قال ... الخ .

٦ المحمّدية : قرب سامراء ، أحدثها إيتاخ القائد الخزري ، ثمّ سمّاها المتوكّل المحمّدية ، باسم ابنه محمّد المنتصر (معجم البلدان ٤ / ٤٣٠ والمفترق صقعاً ٣٨٧) .

الكتّاب هناك ، فأحكموا عليّ القصّة وأنا لا أعلم ، ثمّ بعثوا إليّ ، وأنا لا أدري ، فحضرت وهم مجتمعون [٣٧ م] فقالوا لي : وكان المخاطب لي موسى بن عبد الملك[7] .

فقال لي : قد جرت أسباب أوجبت أنّ أمير المؤمنين أمر أن تخرج إلى الرّقّة[8] ، فكم تحتاج لنفقتك ؟

فقلت : [٤٧ غ] أمّا خروجي ، فالسمع والطّاعة لأمير المؤمنين ، وأما الّذي أحتاج إليه للنّفقة ، فهو ثلاثون ألف درهم .

فما برحت ، حتّى دفعت إليّ ، وقالوا : اخرج السّاعة .

فقلت : أودّع أمير المؤمنين .

فقالوا : ما إلى ذلك سبيل .

فقلت : أصلح من شأني .

فقالوا : ولا هذا ، وأخذ موسى يعرّض لي ، أنّ السلطان قد سخط عليّ ، وأنّ الصّواب الخروج ، وترك الخلاف .

وأقبل يقول : إنّ السلطان إذا سخط على الرّجل ، فالصّواب لذلك الرّجل أن ينتهي إلى أمره كلّه ، وأن لا يراجعه في شيء ، وينبغي أن يعلم أنّ التباعد عن السلطان ، له فيه الحظّ .

فقلت : يكفي الله ويلطف .

---

٧ أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهانيّ ، صاحب ديوان الخراج في عهد المتوكّل .

٨ الرقّة : كلّ أرض يغطّيها الماء ثمّ ينحسر عنها ، وتكون عادة من أخصب الأراضي ، وأكثرها ريًّا ، وتفضّل الفواكه والخضر الّتي تزرع فيها على غيرها ، ولذلك سمّي البطّيخ في بغداد : الرقّي ، يعني أنّه من نتاج الرقّة ، وتوجد ستّ مدن باسم الرقّة (المفترق صقعاً ٢٠٨) والمقصودة في هذه القصّة المدينة المسمّاة رقّة واسط وتقع على الجانب الغربي من الفرات ، كان بها قصران لهشام بن عبد الملك (معجم البلدان ٢ / ٨٠٢) .

فوكّلوا بي جماعة ، حتى خرجت من البلد ، وأنا في حالةٍ ، الأسرُ عندي أحسن منها وأطيب ، وحثّوا بي السير .

فلمّا قاربت الرقّة ، وأردت الدّخول إليها ، أدركنا اللّيل ، فإذا بأعرابيّ في ناحية عنّي ، ومعه إبل يحدوها ، ويقول :

كم مرّة حفّت بك المكاره خار لك الله وأنت كاره

[قال : ولم يزل يكرّر ذلك][9] ، فحفظته ، وتبرّكت بالفأل ، ودخلت الرقّة ، فلم أقم بها إلّا أيّاماً يسيرة ، حتّى ورد كتاب أمير المؤمنين بالخروج إلى الشّام للتعديل[10] ، وأجرى عليّ مائة ألف درهم ، وذكر أنّ هذا عمل جليل ، كان المأمون خرج فيه بنفسه ، لجلالته وعظم خطره ، وأنّه رآني أهلاً له .

فخرجت ، فرأيت كلّ ما أحبّ ، حتّى لو بذلت لي العراق بأسرها ، على فراق تلك النّاحية ، ما سمحت نفساً بذلك ، فللّه الحمد والمنّة[11] .

[وذكر هذا الخبر محمّد بن عبدوس في كتاب الوزراء ، فقال : حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الحصيبي ، قال : حدّثني أبو خازم القاضي ، قال : حدّثني جدّك أحمد بن محمّد بن مدبّر – وكان جدّه لأمّه ، وحدّثني أنّه لم يره قط][12] – أنّ المتوكّل خرج إلى المحمّديّة سنة إحدى وأربعين ومائتين متنزّهاً ، فأتاني رسوله ، وأحضرني ، فحضرت ، فوجدت عبيد الله بن يحيى[13] ،

---

٩ الزيادة من م .

١٠ التّعديل : القسمة بين الشركاء إذا سوّيت على القيم (لسان العرب) ويريد بها هنا : تعيين واستيفاء حصّة السلطان من الحاصلات الزراعيّة .

١١ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ٤١ .

١٢ الزيادة من غ وم ، وفي بقيّة النسخ : قرأت في خبر آخر أنّ المتوكّل خرج إلى المحمّدية ... الخ .

١٣ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الكاتب ، وقد وزّر للتوكّل ، ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

والحسن بن مخلد[14] ، وأحمد بن الخصيب[15] ، وجماعة من الكتّاب حضوراً .

فقال لي عبيد الله بن يحيى : إنّ أمير المؤمنين يقول لك : قد فسد علينا أمر الرقّة ، ثم ذكر نحواً من الحديث الأوّل ، إلّا أنّه لم يكن فيه إطلاق ثلاثين ألف درهم ، بل قال : فخرجت وما أقدر على نفقة ، ففكّرت فيمن أقصده ، وأستعين بماله ، فما ذكرت غير المعلّى بن أيّوب[16] ، وكانت بيني وبينه وحشة ، فكتبت إليه رقعة حملت نفسي على الصّعب فيها ، فوجّه اليّ خمسة آلاف دينار ، فتحمّلت بها[17] ... ثم ذكر باقي الحديث ، على سياقة الخبر الأوّل ، إلّا أنّه قال : إنّ الّذي أجري عليه ، لما أمر بالخروج للتعديل ، في كلّ شهر مائة ألف وعشرين ألف درهم .

قال : فشخصت إليها ، ولو أعطيت الآن بقصري فيها ، سرّ من رأى كلّها ، ما سمحت نفساً بذلك .

[وكان قصره بالرّملة ، وكان جليلاً][18] .

---

١٤ أبو محمّد الحسن بن مخلد بن الجرّاح الكاتب ، وكان إليه ديوان الضياع ، ثم وزّر للمعتمد ، ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

١٥ أحمد بن الخصيب : كان من كتّاب المعتصم (الطبري ٩ / ٧٥) واستوزره المنتصر (٩ / ٢٣٤) ولمّا استخلف المستعين استكتبه ، واستوزر أوتامش (٩ / ٢٥٦) ، ثم غضب عليه القوّاد الأتراك ، فاستصفي ماله ، ونفي إلى إقريطش ، واسمها الآن كريت (الطبري ٩ / ٢٥٩) وكانت فيه مروءة وحدّة وطيش (الفخري ٢٣٩) وكان أبو العيناء يثلبه ويقع فيه ، ولمّا نفي ، كتب في ذمّه رسالة جعلها على لسان الكتّاب ورجال الدّولة ، أتى فيها بكلّ عجيب ، راجع الرسالة في الملح والنوادر ١٦٨ .

١٦ المعلّى بن أيّوب الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٧ من الكتاب .

١٧ في م : فتجمّلت بها .

١٨ الزيادة من غ وم .

٨٣

بين الحسن بن عليّ عليهما السّلام ومعاوية بن أبي سفيان

[أخبرني أبو طالب محمّد بن [أحمد بن] إسحاق بن البهلول[١] ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعد ما سمعته منه من حديث ، قال : حدّثني أبو سعيد أحمد بن الصقر بن ثوبان[٢] ، مستملي بندار[٣] ، وكتبه لنا بخطّه ، ونقلته أنا من أصل أبي طالب ، الّذي ذكر أنّه بخط أبي سعيد ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الله الأنصاري[٤] ، قال : حدّثنا محمد بن [علي بن] الحسين بن علي ، قال :][٥] .

بعث معاوية إلى الحسن بن علي ، أو الحسين بن علي عليهما السّلام ، ودعا بضبارة[٦] سياط ، فوضعها بين يديه ، فلمّا دخل الحسن عليه السّلام أخذ [٤٨ غ] السياط فرمى بها ، ومدّ يده إليه ، وقال : مرحباً بسيّد شباب قريش ودعا بعشرة آلاف دينار ، وقال : استعن [٢٨ ر] بها على زمانك ، فلمّا

---

١ أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري : ابن القاضي أبي جعفر أحمد ابن إسحاق بن البهلول ، وكان يخلف والده على القضاء بمدينة المنصور ، إذا اعتلّ ، وكان أبو طالب جميل الأمر ، حسن المذهب ، شديد التصوّن ، توفّي سنة ٣٤٨ (المنتظم ٦ / ٣٩٢) .

٢ أبو سعيد أحمد بن الصقر بن ثوبان البصري : مستملي بندار ، أصله من طرسوس ، سكن بغداد ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ٢٠٦ .

٣ بندار : هو أبو بكر محمّد بن بشار بن عثمان البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٩ من الكتاب .

٤ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن المثنّى بن أنس بن مالك الأنصاري (١١٨ - ٢١٥) : بصري ، ولّي قضاء البصرة ، ثمّ قضاء بغداد ، ومات بالبصرة عن نيّف وتسعين سنة (تاريخ بغداد للخطيب ٥ / ٤٠٨) .

٥ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : وذكر ابن عبدوس أيضاً ... الخ .

٦ ضبّر الشيء : جمعه ، والضبارة : الجماعة ، وضبارة السياط : المجموعة منها .

خرج تبعه الحاجب ، فقال له : يا ابن رسول الله ، إنّا نخدم هذا السلطان ، ولسنا نأمن بادرته ، وقد رأيتك تحرّك شفتيك بشيء ، فما هو ؟

فقال : أعلّمك ، على أن لا تعلّم أحداً من [٣٨ م] آل معاوية .

قال : نعم .

قال : إذا وقعت في شدّة أو مكروه ، أو خفت من سلطان ، فقل : لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، لا إله إلّا الله الكبير المتعال ، سبحان الله ربّ السماوات [٣٩ ظ] السبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، أللّهم جلّ ثناؤك ، وعزّ جارك ، ولا إله غيرك ، أللّهم إنّي أعوذ بك من شرّ فلان ، وأتباعه ، وأشياعه ، من الجنّ والإنس ، أن يفرطوا عليّ[٧]، أو أن يطغوا[٨].

---

٧ الفرط : الظلم والاعتداء ، يقال : فرط على فلان : آذاه ، والأمر الفرط : المجاوز فيه الحدّ .

٨ الطغيان : الإسراف في الظلم .

٨٤

لا إله إلّا الله الحليم الكريم

[أخبرني القاضي أبو طالب[1] إجازة ، قال : حدّثنا أبو سعيد[2] ، قال : حدّثني سهل بن محمّد[3] ، قال : حدّثنا أبو هشام الرّفاعي[4] ، قال : حدّثنا وكيع[5] ، قال : حدّثنا مسعر[6] ، عن أبي بكر بن حفص][7] عن الحسن بن أبي الحسن :

أنّ عبد الله بن جعفر ، لما أراد أن يهدي ابنته إلى زوجها ، خلا بها ، فقال لها : إذا نزل بك أمر فظيع من أمور الدّنيا ، أو الموت ، فاستقبليه بقول : لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، لا إله إلّا الله ربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

قال الحسن : فبعث إليّ الحجاج ، فقلتهنّ ، فلمّا مثلتُ بين يديه ، قال : لقد بعثت إليك وأنا أريد قتلك ، واليوم ما أحد أكرم عليّ منك ، فسل حوائجك .

---

١ أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباريّ .

٢ أبو سعيد أحمد بن الصقر بن ثوبان ، مستملي بندار .

٣ أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان السجستاني : الإمام المقرئ النحوي البصري ، ترجم له صاحب الخلاصة ١٣٤ . وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٥ .

٤ أبو هشام محمّد بن يزيد بن محمّد بن كثير بن رفاعة بن سماعة ، الرفاعي الكوفي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٣ / ٣٧٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٨ .

٥ أبو سفيان وكيع بن الجرّاح بن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٣٥ .

٦ مسعر بن كدام : ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من الكتاب .

٧ الزيادة من غ .

٨٥

دعاء يعقوب الّذي نال به الفرج

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني المثنّى بن عبد الكريم ، قال : حدّثني زافر بن سليمان[١] ، عن يحيى بن سليم[٢] ، قال][٣] :

بلغني أنّ ملك الموت ، استأذن ربّه عزّ وجلّ ، أن يسلّم على يعقوب ، فأذن له ، فأتاه ، فسلّم عليه .

فقال له يعقوب : بالّذي خلقك ، أقبضت روح يوسف ؟

قال : لا ، ولكنّي أعلّمك كلمات لاتسأل الله بها شيئاً إلّا أعطاك .

قال : ما هي ؟

قال : قل يا ذا المعروف الّذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصيه غيره .

فقالها ، فما طلع الفجر من غده ، حتى أتاه البشير بالقميص[٤] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني الحسين بن عبد الرّحمن[٥] ، قال : حدّثني أبو غسّان مالك ابن ضيغم ، عن إبراهيم بن خلاد الأزدي ، قال :][٦] .

---

١ زافر بن سليمان القوهستاني : نزل الريّ ، ثمّ بغداد ، وكان يجلب الثياب القوهيّة إلى بغداد ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣ .

٢ أبو بلج يحيى بن سليم [بن أبي سليم] ، الفزاري الواسطي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٨٤ .

٣ الزيادة من غ .

٤ في غ وم : بقميص يوسف ، وقد وردت في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

٥ الحسين بن عبد الرّحمن : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٦ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وروي ، وفي م : عن إبراهيم بن خلاد الأزدي ، قال : ...

نزل جبريل على يعقوب عليه السّلام فشكى إليه ما هو عليه من الشّوق إلى يوسف ، فقال : ألا أعلّمك دعاءً ، إن دعوت به فرّج الله عنك ؟

قال : بلى .

قال : قل ، يا من لا يعلم كيف هو ، إلّا هو ، ويا من لا يبلغ قدرته غيره ، فرّج عنّي .

فقالها ، فأتاه البشير بالقميص[7] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا هارون بن عبد الله[8] ، قال : حدّثنا سعيد بن عامر الضبعي[9] ، عن المعمّر بن سليمان[10] ، قال :][11] .

لقي يعقوبَ رجل ، فقال له : يا يعقوب ، ما لي لا أراك كما كنت ؟

قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان .

قال : قل : أللّهم اجعل لي من كلّ هم همّني وكربني من أمري ، في ديني ، ودنياي ، وآخرتي ، فرجاً ومخرجاً ، واغفر لي ذنوبي ، وثبّت رجاءك في قلبي ، واقطعه عمّن سواك ، حتّى لا يكون لي رجاء إلّا إيّاك[12] .

[قال داود بن رُشَيد[13] ، حدّثني الوليد بن مسلم[14] ، عن خليد بن دعلج[15] ،

---

٧ وردت في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

٨ أبو موسى هارون بن عبد الله الحمّال البزّاز : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٩ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٣ .

٩ أبو محمّد سعيد بن عامر الضّبعي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٩ وقال : إنّه توفّي في سنة ١٨٨ .

١٠ أبو عبد الله المعمّر بن سليمان النخعي الرقّي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٩ وقال : إنّه توفّي سنة ١٩١ .

١١ الزيادة من غ .

١٢ وردت في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

١٣ أبو الفضل داود بن رُشَيد (بالتصغير) الخوارزمي : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٣ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٩ .

عن الحسن بن أبي الحسن ، قال][16] :

لو عري من البلاء أحد ، لعري منه آل يعقوب ، مسّهم البلاء ثمانون سنة .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثني ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني مدلج بن عبد العزيز ، عن شيخ من قريش][17] :

أنّ جبريل عليه السّلام هبط على يعقوب صلى الله عليه ، فقال له : يا يعقوب ، تملّق إلى ربّك .

فقال : يا جبريل ، كيف أقول ؟

فقال : قل : يا كثير الخير ، يا دائم المعروف .

فأوحى الله إليه ، لقد دعوتني بدعاء ، لو كان ابناك ميتين ، لأنشرتهما لك[18] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني الحسن بن عمرو بن محمد القرشي ، قال : حدّثني أبي[19] ، قال : حدّثنا زافر بن سليمان ، عن يحي بن عبد الملك[20] ، عن رجل ، عن أنس بن مالك ، عن النّبي صلى الله عليه وسلّم ، قال :][21] .

كان ليعقوب عليه السّلام ، أخ مؤاخٍ في الله عزّ وجلّ ، فقال ليعقوب :

---

١٤ أبو شهاب الوليد بن مسلم بن شهاب التّميمي ، العنبري ، البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٥٨ .

١٥ خليد بن دعلج : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٠ ، وقال إنّه توفّي سنة ١٦٦ .

١٦ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : وقال الحسن بن أبي الحسن : لو عري ... الخ .

١٧ الزيادة من غ .

١٨ أنشر الله الميت : أحياه ، ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٠ .

١٩ أبو سعيد عمرو بن محمّد العنقزي القرشي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٩ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٩ .

٢٠ أبو زكريا يحيي بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنيّة الخزاعي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٦٦ .

٢١ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : روي عن أنس بن مالك ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ... الخ .

ما الّذي أذهب بصرك ، وقوّس ظهرك ؟

فقال : أمّا الّذي قوّس ظهري ، فالحزن على بنيامين ، وأمّا الّذي أذهب بصري ، فالبكاء على يوسف [٢٩ ر] .

فأوحى الله تعالى إليه : أما تستحي ، تشكوني إلى عبدي[٢٢] .

قال : إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله ، ثم قال : يا ربّ ، ارحم الشيخ الكبير ، أذهبت بصري ، وقوّست ظهري ، أردد عليّ ريحانتي يوسف ، أشمّه ، ثم افعل بي ما شئت .

فقال له جبريل عليه السّلام : إنّ ربّك يقرؤك السّلام ، ويقول لك : أبشر ، وليفرح قلبك ، فوعزّتي لو كانا ميتين ، لأنشرتهما لك ، فاصنع طعاماً للمساكين [٣٩ م] وادعهم إليه ، فإنّ أحبّ عبادي إليّ ، الأنبياء والمساكين ، وإنّ الّذي ذهب ببصرك ، وقوّس ظهرك ، [وسبب] صنع إخوة يوسف به ما صنعوا ، أنّكم ذبحتم شاة ، فأتاكم رجل صائم ، فلم تطعموه .

فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء ، أمر مناديه ، فنادى : من كان يريد الغداء من المساكين فليتغدّ مع يعقوب ، [وإن كان صائماً أمر مناديه ، فنادى : من كان صائماً من المساكين فليفطر مع يعقوب][٢٣] .

---

٢٢ في غ : أما تستحي ، تشكوني إلى غيري .

٢٣ الزيادة من غ وم ، ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٠ .

٨٦

كلمات الفرج الّتي دعا بها يوسف

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا القاسم بن هاشم[١] ، قال : حدّثنا الخطّاب بن عثمان[٢] ، قال : حدّثنا محمود بن عمر[٣] ، عن رجل من أهل الكوفة][٤] :

أنّ جبريل عليه السّلام دخل على يوسف السجن ، فقال له : يا طيّب ! ما الّذي أدخلك ها هنا ؟

قال : أنت أعلم .

قال : أفلا أعلّمك كلمات الفرج ؟

قال : بلى .

قال : [٥٠ غ] قُل : اللّهم ، يا شاهداً غير غائب ، ويا قريباً غير بعيد ، ويا غالباً غير مغلوب ، اجعل لي من أمري هذا فرجاً ومخرجاً ، وارزقني [٤٠ ظ] من حيث لا أحتسب[٥] .

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني أزهر بن مروان الرقاشي[٦] ، قال : حدّثني قزعة بن

---

١ القاسم بن هاشم بن سعيد بن سعد بن عبد الله بن سيف بن حبيب السّمسار : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٢٩ و٤٣٠ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٥٩ .

٢ أبو عمر الخطّاب بن عثمان الفوزي الطّائي : ترجمته في حاشية القصّة ٣١ .

٣ أبو سهل محمود بن عمر العكبري : ترجم له صاحب الميزان ٤ / ٧٨ .

٤ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وروي .

٥ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

٦ أزهر بن مروان الرقاشي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٢٢ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٣ .

سويد[7] ، عن أبي سعيد مؤذّن الطّائف :][8] أنّ جبريل عليه السّلام ، أتى يوسف ، فقال : يا يوسف ، اشتدّ عليك الحبس ؟

قال : نعم .

قال : قل : اللّهم اجعل لي من كلّ ما أهمّني ، وحَزَبني ، من أمر دنياي وآخرتي ، فرجاً ومخرجاً ، وارزقني من حيث لا أحتسب ، واغفر لي ذنوبي ، وثبّت رجاءك في قلبي ، واقطعه عمّن سواك ، حتّى لا أرجو أحداً غيرك[9] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني محمّد بن عباد بن موسى[10] ، قال : حدّثني عبد العزيز القرشي[11] ، عن جعفر بن سليمان[12] ، عن غالب القطّان[13]][14] قال :

لّما اشتدّ كرب يوسف ، وطال سجنه ، واتّسخت ثيابه ، وشعث رأسه ، وجفاه النّاس ، دعا عند ذلك ، فقال : اللّهم إنّي أشكو إليك ما لقيت من ودّي وعدوّي ، أمّا ودّي ، فباعوني ، وأمّا عدوّي ، فحبسني [٤٩ غ] ، اللّهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً .

فأعطاه الله عزّ وجلّ ذلك[15] .

---

٧ أبو محمّد قزعة بن سويد الباهلي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٩ .

٨ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : قرأت في بعض الكتب ...

٩ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٠ .

١٠ أبو جعفر محمّد بن عباد بن موسى العكلي البغدادي : ترجمته في حاشية القصّة ٣١ .

١١ عبد العزيز بن أسيد الطّلحي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٢ .

١٢ أبو سليمان جعفر بن سليمان الضّبعي البصري الزاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٤ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٨ .

١٣ غالب القطّان : ذكره صاحب الخلاصة ٢٦١ .

١٤ الزيادة من غ .

١٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٩ و١٤٠ .

٨٧

إبراهيم التيمي الزّاهد في حبس الحجّاج ابن يوسف الثّقفي

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثني [الحسن بن] محبوب ، قال : قال الفيض بن إسحاق ، قال الفضيل بن عياض[١]][٢] ، قال إبراهيم التيمي[٣] :

لما حبستُ الحبسة المشهورة ، أدخلتُ السجن ، فأنزلت على أناس في قيد واحد ، ومكان ضيّق ، لا يجد الرّجل إلّا موضع مجلسه ، وفيه يأكلون ، وفيه يتغوّطون ، وفيه يصلّون .

قال : فجيءَ برجل من أهل البحرين ، فأدخل علينا ، فلم نجد مكاناً ، فجعلوا يتبرّمون به ، فقال : اصبروا ، فإنّما هي اللّيلة .

فلمّا دخل اللّيل ، قام يصلّي ، فقال : يا ربّ ، مننت عليّ بدينك ، وعلّمتني كتابك ، ثم سلّطت عليّ شرّ خلقك ، يا ربّ ، اللّيلة ، اللّيلة ، لا أصبح فيه .

فما أصبحنا حتّى ضربت أبواب السجن : أين البحراني ، أين البحراني ؟ فقال كلّ منّا : ما دعي السّاعة ، إلّا ليقتل ، فخلّي سبيله .

فجاء ، فقام على باب السجن ، فسلّم علينا ، وقال : أطيعوا الله لا يضيعكم[٤] .

---

١ أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التّميمي اليربوعي : ترجمته في حاشية القصّة ٣٢٤ .

٢ الزيادة من غ ومن مخطوطة (د) .

٣ حبس الحجّاج إبراهيم بن يزيد التيميّ الزّاهد ، ومنع عنه الطعام ، ثم أرسل عليه الكلاب تنهشه ، حتّى مات (اللباب ١ / ١٩٠) ، ثمّ رمى بجثّته في الخندق ، ولم يجرأ أحد أن يدفنه حتّى مزّقته الكلاب (البصائر والذّخائر م ٣ ق ١ ص ٣٠٤) .

٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٣ .

٨٨

أبو سعد البقّال في حبس الحجّاج
ابن يوسف الثّقفي

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني أبو نصر المؤدّب ، عن أبي عبد الرّحمن الطائي ، قال : أخبرنا أبو سعد البقّال ، قال :][1] .

كنت محبوساً في ديماس[2] الحجّاج ، ومعنا إبراهيم التيمي ، فبات في السّجن ، فأتى رجل ، فقال له : يا أبا إسحاق ، في أيّ شيء حبست ؟

فقال : جاء العريف ، فتبرّأ منّي ، وقال : إنّ هذا كثير الصّوم والصّلاة ، وأخاف أنّه يرى رأي الخوارج[3] .

فإنّا لنتحدّث مع مغيب الشّمس ، ومعنا إبراهيم التيمي ، إذ دخل علينا رجلٌ السجنَ [٣٠ ر] ، فقلنا : يا عبد الله ، ما قصّتك ، وأمرك ؟

---

١ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وقال أبو سعيد البقّال ، وهو أبو سعد سعيد بن المرزبان البقّال ، مولى حذيفة بن اليمان ، ترجم له صاحب اللباب ١ / ١٣٥ .

٢ الدّيماس في اللغة : الحفرة العميقة تحت الأرض لا ينفذ إليها الضوء ، وكان سجن الحجّاج يسمّى الدّيماس ، لوجود الشبه بين الاثنين ، وقد مات في سجن الحجّاج خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، وكان يحبس الرجال والنّساء في موضع واحد ، ولم يكن لحبسه ستر يستر الناس من الشّمس في الصيف ، ولا من المطر والبرد في الشتاء (مروج الذّهب ٢ / ١٢٨) .

٣ الخوارج : كل من خرج على الإمام الّذي اتّفقت عليه الجماعة ، سمّي خارجياً . سواء كان الخروج في أيّام الصّحابة على الخلفاء الرّاشدين ، أو على من بعدهم ، وتتلخّص دعوى الخوارج في مخالفتهم نظريّة الخلافة ، وفي تحديد الإسلام الصّحيح ، وهل يكون بالإيمان وحده ، أو بالإيمان والعمل ، وهم فرق متعدّدة ، ليس هذا موضع حصرها ، وأوّل ظهورهم في السنة ٣٧ هجريّة ، وكان قاتل الإمام عليّ بن أبي طالب منهم ، ومن أراد التّفصيل في هذا الموضوع ، فليراجع دائرة المعارف الإسلاميّة ٨ / ٤٦٩ — ٤٧٧ والكامل للمبرّد ٢ / ١١٩ — ٢٣٧ والملل والنحل للشّهرستاني ١ / ٥٥ — ١٨٥ .

فقال : لا أدري ، ولكنّي أخذت في رأي الخوارج ، ووالله ، إنّه لرأي ما رأيته قط ، ولا أحببته ، ولا أحببت أهله ، يا هؤلاء ، ادعوا لي بوضوء ، فدعونا له به ، ثمّ قام فصلّى أربع رَكعَات ، ثمّ قال : اللّهمّ إنّك تعلم ، أنّي كنت على إساءتي وظلمي ، وإسرافي على نفسي ، لم أجعل لك ولداً ، ولا شريكاً ، ولا ندًّا ، ولا كفوًاً ، فإن تعذّب فعدل ، وإن تعفُ ، فإنّك أنت العزيز الحكيم ، ألّلهمّ إنّي أسألك يا من لا تغلّطه المسائل ، ولا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحّين ، أن تجعل لي في ساعتي هذه ، فرجاً ومخرجاً [٤٠ م] ممّا أنا فيه ، من حيث أرجو ، ومن حيث لا أرجو ، وخذ لي بقلب عبدك الحجّاج ، وسمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله ، حتّى تخرجني في ساعتي هذه ، فإنّ قلبه ، وناصيته ، بيدك ، يا ربّ ، يا ربّ .

قال : وأكثر ، فوالّذي لا إله غيره ، ما انقطع دعاؤه ، حتّى ضرب باب [٥١ غ] السّجن [وقيل] أين فلان ؟

فقام صاحبنا ، فقال : يا هؤلاء ، إن تكن العافية ، فوالله ، لا أدَع الدّعاء لكم ، وإن تكن الأخرى ، فجمع الله بيننا وبينكم ، في مستقرّ رحمته .

قال : فبلغنا من الغد ، أنّه خلّي سبيله [٤] .

---

٤ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٣ .

٨٩

سبحان الله وبحمده

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني محمّد بن عباد بن موسى ، قال : حدّثنا كثير بن هشام[١] ، عن الحكم بن هشام الثقفي[٢] ، قال :][٣] .

أخبرت أنّ رجلاً ، أُخذ أسيراً ، فألقي في جبّ ، وألقي على رأس الجبّ صخرة ، فتلقّن فيه : قل : سبحان الله الحيّ القدّوس ، سبحان الله وبحمده ، فأخرج من غير أن يكون أخرجه إنسان[٤] .

---

١ أبو سهل كثير بن هشام الكلابي الرقّي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٨٢ وقال : إنّه توفّي سنه ٢٠٧ .

٢ الحكم بن هشام الثّقفي : كوفي ، نزل دمشق ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٨٢ .

٣ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : حدّث كثير بن هشام .

٤ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : فأخرج من غير أن يخرجه النّاس . وقد ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٤ .

٩٠

يا عزيز ، يا حميد ، يا ذا العرش المجيد

[قال مؤلّف هذا الكتاب ، وقد ذكر القاضي[١] هذا الخبر في كتابه ، قال : [حدّثني إبراهيم بن سعيد قال :][٢] حدّثنا أبو سفيان الحميري[٣] ، قال : سمعت أبا بلج الفزاري[٤] ، قال :][٥] .

أُتي الحجّاج بن يوسف ، برجل كان جعل على نفسه ، إن ظفر به ، أن يقتله ، قال : فلمّا دخل عليه ، تكلّم بكلام ، فخلّى سبيله .

فقيل له : أيّ شيء قلت ؟

فقال : قلت : يا عزيز ، يا حميد ، يا ذا العرش المجيد ، اصرف عنّي ما أطيق ، وما لا أطيق ، واكفني شرّ كلّ جبّار عنيد[٦] [٤١ ظ] .

---

١ يريد بالقاضي أبا الحسين عمر بن أبي عمر محمّد بن يوسف الأزدي .

٢ الزيادة من مخطوطة (د) ، والخبر منقول من كتاب الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ، رواه عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الطبري البغدادي الجوهري المتوفّى سنة ٢٤٩ ، ولا يمكن أن يكون من رواية أبي الحسين القاضي الّذي ولد سنة ٢٩١ .

٣ أبو سفيان سعيد بن يحيى بن مهدي الحميري الحذّاء الواسطي : ذكره صاحب الخلاصة ١٢٢ .

٤ أبو بلج يحيى بن سليم الفزاري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٨٣ وصاحب الميزان ٤ / ٣٨٤ .

٥ الزيادة من غ .

٦ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٤ .

٩١

دعاء النّبي صلوات الله عليه في كل هَمّ

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني ، قال : حدّثنا أبو عبد الرّحمن الكوفي ، عن صالح بن حسان[١] ، عن محمّد بن علي[٢] :

أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم][٣] علّم علياً عليه السّلام ، دعاء يدعو به في كلّ همّ ، وكان عليّ يعلّمه النّاس ، وهو : يا كائناً قبل كلّ شيء ، يا مكوّن كلّ شيء ، ويا كائناً بعد كلّ شيء ، افعل بي كذا وكذا[٤] .

---

١ صالح بن حسّان النضري المدني : حجازي ، قدم بغداد ، ونزل البصرة ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٢٩١ .

٢ الإمام الباقر ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

٣ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

٤ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٢ .

٩٢

الدّعاء الّذي خلّص عمرو السّرايا من العلج

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني إسحاق بن البهلول التّنوخي[1] ، قال : حدّثني إسحاق ابن عيسى ، ابن بنت داود بن أبي هند[2] ، عن الحارث البصري[3] ، عن عمرو السرايا][4] ، قال :

كنت أغير في بلاد الرّوم وحدي ، فبينا أنا ذات يوم نائم ، إذ ورد عليّ علج ، فحرّكني برجله ، فانتبهت .

فقال لي : يا عربي ، اختر ، إن شئت مسايفةً ، وإن شئت مطاعنةً ، وإن شئت مصارعةً .

فقلت : أمّا المسايفة والمطاعنة ، فلا بقيا لهما ، ولكن مصارعة ، فنزل ، فلم ينهنهني أن صرعني ، وجلس على صدري ، وقال : أيّ قتلة تريد أن أقتلك ؟

فذكرت الدّعاء ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فقلت : أشهد أنّ كلّ معبود ما دون عرشك ، إلى قرار الأرضين ، باطل غير وجهك الكريم ، فقد ترى ما أنا فيه ، ففرّج عنّي ، وأغمي عليّ ، فأفقت ، فرأيت الرّومي قتيلاً إلى جانبي .

[قال إسحاق بن بنت داود ، فسألت الحارث البصري ، عن الدّعاء ، فقال :

---

١ أبو يعقوب إسحاق بن البهلول بن حسّان بن سنان التنوخي (١٦٤ – ٢٥٢) : فقيه حنفي ، محدّث ، استدعاه المتوكّل العبّاسي إلى بلاطه ، وسمع منه ، ترجم له صاحب الأعلام ١ / ٢٨٦ راجع القصّة ٦ / ١٨ من نشوار المحاضرة .

٢ أبو هاشم إسحاق بن عيسى القشيري ابن بنت داود بن أبي هند البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٥ .

٣ الحارث بن عطيّة البصري الزّاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٨ .

٤ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وروي عن عمرو السرايا .

سألت عنه عمرو السرايا ، فقلت له : بالله يا عمرو ما قلت ؟

قال : قلت : اللّهم ربّ إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وربّ جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، ومنزل التوراة والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ، ادرأ عنّي شرّه ، فدرأ عنّي شرّه][5] .

قال [إسحاق بن [بنت] داود : فحفظته و][5] قلت أعلّمه النّاس ، فوجدته نافذاً ، وهو الإخلاص بعينه[6] .

---

٥ الزيادة من غ .

٦ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٢ .

٩٣

تخلّص من القتل بدعاء دعا به

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل ، قال : حدّثنا جرير بن حفص ، عن الشعبي][١] قال :

كنت جالساً عند زياد [٢] ، فأتي برجل [يُحمل ، ما يشكّ في][٣] قتله ، فحرّك الرّجل شفتيه [٥٢ غ] بشيء ما ندري ما هو ، فخلّى سبيله .

فقلت للرّجل : ما قلت ؟

قال : قلت : أللّهمّ ربّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ومنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم ، ادرأ عنّي شرّ زياد ، فدرأه عنّي [٤] .

---

١ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : قال الشعبي ... الخ ، والشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري (١٩ – ١٠٣) : تابعي ، راوية ، ولد ونشأ ومات بالكوفة ، نادم عبد الملك ابن مروان ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز ، نسبته إلى شعب ، بطن من همدان (الأعلام ٤ / ١٨) .

٢ زياد بن أبيه : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

٣ كذا في غ وفي مخطوطة (د) ، وفي بقيّة النسخ : يريد .

٤ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٦٦ .

زياد بن أبيه (١ – ٥٣)

من دهاة العرب وأذكيائهم ، عمل في خدمة الدّولة ، منذ نعومة أظفاره ، فقد ولّي قسمة الغنائم ، بأجر درهمين في اليوم ، وهو ابن ١٤ سنة (معجم البلدان ١ / ٦٤٠) ، ثمّ كتب لأبي موسى الأشعري ، أيّام ولايته البصرة ، ثمّ ولّي فارس للإمام عليّ بن أبي طالب (الأعلام ٣ / ٨٩) ، ولمّا قتل الإمام بايع زياد معاوية ، فولاّه البصرة والكوفة ، وارتفع أجره إلى خمسة وعشرين ألف درهم (تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٤) . وبالغ زياد في التعصّب على شيعة عليّ ، فقتلهم ، وشرّدهم ، ودفن بعضهم أحياء (الأغاني ١٧ / ١٥٣ والمحاسن والأضداد ٢٧) وكان يجمع النّاس ويحرّضهم على البراءة من عليّ ، ومن أبى ذلك ، عرضه على السيف (المحاسن والمساوئ ١ / ٣٩ ومروج الذهب ٢ / ٢٠) ، وكان شعور زياد بنشأته المتواضعة ، قد كوّن فيه مركّب نقص سعى جاهداً للتخلّص منه ، فادّى ذلك به إلى سقطة شنيعة ، وهي موافقته على إعلانه أحد أولاد أبي سفيان الأمويّ ، بحجّة واضحة الخزي ، وهي أنّ أبا سفيان ، في السنة الأولى من الهجرة ، زنى بأمّ زياد ، سميّة ، وكانت من البغايا بالطائف (مروج الذهب ٢ / ٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٩ والفخري ١٠٩ و١١٠) فأكسبه ذلك خزياً وشناعةً ، وقال فيه أخوه أبو بكرة : هذا زنّى أمّه ، وانتفى من أبيه (وفيات الأعيان ٦ / ٣٥٨) وقد كان له من حصافته ، ودهائه ، ما يغنيه عن هذا الاستلحاق الّذي جعله ، وذريّته من بعده ، موضع هزء وسخرية (بلاغات النّساء ١٤٣ والمحاسن والمساوئ ٢ / ١٤٨) حتّى أصبحوا مضرب المثل في الادّعاء الكاذب ، قال الشاعر يهجو كاتباً :

حمار في الكتابة يدّعيها ... كدعوى آل حرب في زياد

راجع أخبار زياد في الأغاني ١٨ / ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ و١٨ / ٢٨٥ و٢٠ / ٧٧ والعقد الفريد ٤ / ٢٦ و٦ / ١٠٠ وأدب الكتاب ١٧٠ والطبري ٨ / ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

٩٤

هارون الرّشيد يأمر بقتل فتى عَلويّ فينجّيه الله تعالى

[أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : أخبرني عيسى بن عبد العزيز الظّاهري ، قال : أخبرني أبو عبد الله [٣١ ر] قال][1] :

أمر الرّشيد[2] بعض خدمه ، فقال : إذا كان اللّيلة ، فصر إلى الحجرة الفلانيّة ، فافتحها ، وخذ من رأيت فيها ، فأت به موضع كذا وكذا ، من الصّحراء الفلانيّة ، فإنّ ثَمّ قليباً[3] مُحفوراً ، فارم به ، وطمّه بالتّراب ، وليكن معك فلان الحاجب .

قال : فجاء الغلام إلى باب الحجرة ، ففتحه ، فإذا فيها غلام كالشمس الطّالعة ، فجذبناه جذباً عنيفاً .

فقال له : اتّق الله ، فإنّي ابن رسول الله ، فالله ، الله ، أن تلقى الله بدمي ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأخرجه إلى الموضع .

فلمّا أشرف الفتى على التلف ، وشاهد القليب ، قال له : يا هذا ، إنّك على ردّ

---

١ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وقال أبو عبد الله الحزنبل ، أقول : هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الله ابن عاصم التّميمي ، عالم ، راوية ، ذكره صاحب الفهرست ص ٧٩ .

٢ أبو جعفر هارون الرّشيد بن أبي عبد الله محمّد المهدي (١٤٩ - ١٩٣) : ولد بالريّ ، ونشأ ببغداد ، وبويع بالخلافة سنة ١٧٠ ، ودامت ولايته ٢٣ سنة ، وكان يلقّب بجبّار بني العبّاس ، ومات بطوس (الأعلام ٩ / ٤٤) وممّا يؤثر عنه : إنّه أوّل من فكّر في فتح قناة السويس ، إذ رام أن يوصل ما بين بحر الرّوم وبحر القلزم ، ممّا يلي الفرما ، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : إذن يختطف الرّوم النّاس من المسجد الحرام وتدخل مراكبهم إلى الحجاز ، فتركه (تاريخ الخلفاء ص ٢٨٦) .

٣ القليب : البئر ، سمّيت بذلك لأنّه قلب ترابها .

ما لم تفعل ، أقدر منك على ردّ ما فعلت ، فدعني أصلّي ركعتين ، وامضِ لما أمرتَ به .

فقال له : شأنك وما تريد .

فقام الفتى ، فصلّى ركعتين ، قال فيهما : يا خفيّ اللّطف ، أغثني في وقتي هذا ، والطف بي بلطفك الخفيّ .

فلا والله ما استتمّ دعاءه ، حتّى هبّت ريحٌ وغبرةٌ ، حتّى لم يرَ بعضهم بعضاً ، فوقعوا لوجوههم ، واشتغلوا بأنفسهم عن الفتى ، ثمّ سكنت الرّيح والغبرة ، وطلبنا الفتى ، فلم يوجد ، وقيوده مرميّة .

فقال الحاجب لمن معه : هلكنا والله ، [٤١ م] سيقع لأمير المؤمنين أنّا أطلقناه ، فماذا نقول له ؟ إن كذبناه لم نأمن أن يبلغه خبر الفتى فيقتلنا ، ولئن صدقناه ، ليعجّلنّ لنا المكروه .

فقال له الآخر : يقول الحكيم : إن كان الكذب ينجي ، فالصّدق أرجى وأنجى .

فلمّا دخلوا عليه ، قال لهم : ما فعلتم فيما تقدّمت به إليكم ؟

فقال له الحاجب : يا أمير المؤمنين ، الصدق أولى ما اتّبع في جميع الأمور ، ومثلي لا يجترئ أن يكذب بحضرتك ، وإنّه كان من الخبر كيت وكيت .

فقال الرّشيد : لقد تداركه اللّطف الخفيّ ، والله ، لأجعلنّها في مقدّمات دعائي ، امضِ لشأنك ، واكتم ما جرى[٤] .

---

٤ راجع كتاب حلّ العقال ٤٠ و٤١ .

٩٥

يا سامعَ كلّ صوت ، ويا بارئ النّفوس بعد الموت

[حدّثني محمّد بن الحسن ، قال : حدّثني محمّد بن عمرو بن البحتري البزاز[١] ، في جامع المنصور ، في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، قال : حدّثنا الفضل بن إسحاق الدوري[٢] ، عن محمّد بن الحسن ، عن أبي سلمة عبد الله ابن منصور ، قال :][٣]

حزن رجل حزناً شديدًا ، على شيء لحقه ، وأمرٍ أهمّه وأقلقه ، فألحّ في الدّعاء ، فهتف به هاتف : يا هذا ، قل : يا سامع كلّ صوت ، ويا بارئ النّفوس بعد الموت ، ويا من لا تغشاه الظلمات ، ويا من لا يشغله شيء عن شيء .

قال : فدعا بها ، ففرّج الله عنه ، ولم يسأل الله تلك اللّيلة حاجة ، إلّا أعطاه .

---

١ اسمه الصحيح : أبو جعفر محمّد بن عمرو بن البختري (بالخاء) بن مدرك بن أبي سليمان الرزّاز (٢٥١ - ٣٣٩) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ١٣٢ .

٢ أبو العباس الفضل بن إسحاق بن حيّان الدّوري البزّاز : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٣٦٠ .

٣ الزيادة من غ .

٩٦

لا حول ولا قوّة إلّا بالله

[حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني القاسم بن هاشم ، قال : حدّثنا أبو اليمان[١] ، قال : حدّثنا صفوان بن عمرو[٢] ، عن أبي يحيى [٥٣ غ] إسحاق العدواني ، قال][٣] : [٤٢ ظ] .

كنّا بإزاء آزرمهر[٤] ، عند مدينة الكرج[٥] ، وقد زحف إلينا في ثمانين فيلاً ، فكادت تنقض الصفوف ، وتشتّت الخيول ، وكان أميرنا محمّد بن القاسم[٦] ، فنادى عمران بن النعمان أمير أهل حمص ، وأمراء الأجناد ، فنهضوا ، فما استطاعوا ، فلمّا أعيته الأمور ، نادى مراراً : لا حول ولا قوّة

---

١ أبو اليمان الحكم بن نافع القضاعي الهزّاني : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٧٦ و٧٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٢ .

٢ أبو عمرو صفوان بن عمرو السكسكي الحمصي : ترجم له صاحب الخلاصة ص ١٤٧ .

٣ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وجدت في بعض الكتب ، حدّث إسحاق العدواني... وفي ظ : الغزواني .

٤ كذا ورد في جميع النسخ ، والاسم فارسي ، آذر : النار ، ومهر : محبّ ، فيكون الاسم بالعربيّة : محبّ النّار .

٥ الكرج : ورد ذكرها في الكامل لابن الأثير ٤ / ٥٨٨ و٥٩٠ و٥٩١ وفي الطبري ٦ / ٤٩٢ وسمّوها : الكيرج ، إحدى مدن السند .

٦ محمّد بن القاسم بن محمّد بن الحكم بن أبي عقيل الثّقفي (٦٢ – ٩٨) : قائد ، من عائلة الحجّاج ابن يوسف الثّقفي ، ولاّه الحجّاج قيادة جيش أزاح علّته ، وجهّزه بكل ما يحتاج إليه حتّى الخيوط والإبر ، فسار إلى مكران ، ثمّ إلى السند ، ففتحها (ابن الأثير ٤ / ٥٣٦ – ٥٣٩) ثمّ ناله شؤم الحجّاج ، إذ اعتقل مع آل أبي عقيل أقارب الحجّاج ، وعذّب معهم ، حتّى ماتوا جميعاً (ابن الأثير ٤ / ٥٨٨ ، ٥٨٩) .

إلّا بالله ، فكشف الله الفيلة ، وسلّط عليها الحرّ ، فأنضحها[7] ، ففزعَتْ إلى الماء ، فما استطاع سوّاسها ، ولا أصحابها ، حبسها ، وحملت خيلنا ، وكان الفتح بإذن الله تعالى[8] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا القاسم بن هاشم ، قال : حدّثنا أبو اليمان قال : حدّثنا صفوان بن عمرو ، عن الأشياخ : أنّ حبيب بن مسلمة[9]][10] كان يستحبّ إذا لقي العدوّ ، أو ناهض حصناً ، أن يقول : لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

ثمّ إنّه ناهض يوماً حصناً ، فانهزم الرّوم ، وتحصّنوا في حصن آخر لهم ، أعجزه ، فقالها ، فانصدع الحصن[11] .

---

٧ نضح ، بالحاء : عَرَق .

٨ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٥ .

٩ أبو عبد الرّحمن حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي (٢ ق – ٤٢ هـ) : قائد من كبار الفاتحين ، اشترك في فتح الشّام ، وفتح أرمينية ، وغزا الرّوم مراراً ، ثم ولّاه الخليفة عمر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان (الأعلام ٢ / ١٧٢) .

١٠ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : كان حبيب بن مسلمة ... الخ .

١١ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٦ .

٩٧

الّذي كفاك الأمس يكفيك غدَك

[حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني الحسين بن عبد الرّحمن ، قال :][1] .

بلغني أنّ بعض الملوك ، نفى وزيراً له ، لموجدة وجدها عليه ، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً ، فبينا هو يسير ، إذ أنشده رجلٌ هذين البيتين :

أَحسنِ الظــنَّ بــربّ عــوّدك ‌‌‌ ‌ حَسَنــاً أمس وسوّى أودك

إنّ ربّاً كان يكفيك الّــذي ‌ ‌ كان بالأمس سيكفيــك غدك

فسرّي عن الوزير ، وأمر له بعشرة آلاف درهم[2] .

---

١ الزيادة من غ .

٢ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٩ .

٩٨

لا تيأسَنّ كأن قد فرّج الله

[حدّثنا عليّ بن أبي الطيب ، قال : حدّثنا ابن السّراج ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال][١] : حدّثنا محمّد بن أبي رجاء ، مولى بني هاشم قال :

أصابني همّ شديد ، لأمرٍ كنت فيه ، فرفعت مقعداً لي ، كنت جالساً عليه ، فإذا برقعة مكتوبة [فنظرت فيها ، فإذا فيها مكتوب][٢] :

يا صاحب الهمّ إنّ الهمّ منقطعٌ   لا تيأسنَّ كأنْ قد فرّج الله

قال : فذهب عنّي ما كنت فيه من الغمّ ، ولم ألبث أن فرّج الله عنّي ، فللّه الحمد والشكر[٣] .

٩٩

كن للمكاره بالعزاء مقطّعاً

[حدّثني أبو بكر الثقفي ، قال :][٤] قال بعضهم : أصابني همّ ضِقتُ به ذَرعاً ، فنمتُ ، فرأيت كأنّ قائلاً يقول :

كن للمكاره بالعزاء مقطّعاً   فلعلّ يوماً لاترى ما تكره [٣٢ ر]

ولربّما ابتسم الوقورُ من الأذى   وضميره من حرّه يتأوّه[٥]

---

١ الزيادة من غ .

٢ الزيادة من مخطوطة (د) .

٣ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٩ .

٤ الزيادة من غ .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٩ .

١٠٠

الوزير محمّد بن القاسم يلاقي
عاقبة ظلمه

[حدّثني أبو الحسن عليّ بن الحسن ، الشّاهد المعروف بالجرّاحي[١] ، من حفظه ، قال : [٥٤ غ] حدّثني أبو الحسن بن أبي الطاهر محمّد بن الحسن الكاتب ، صاحب الجيش][٢] ، قال :

قبض عليَّ أبو جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله[٣] ، في أيّام وزارته للقاهر بالله ، وعلى أبي ، [فحبسنا في حجرة ضيّقة ، وأجلسنا على التّراب ، وشدّد علينا ، وكان يخرجنا في كلّ يوم ، فيطالب أبي بمال المصادرة ، وأُضربُ أنا بحضرة أبي ، ولا يُضرب هو ،][٤] ، فلاقينا من ذلك أمراً شديداً صعباً .

فلمّا كان بعد أيّام ، قال لي أبي : إنّ هؤلاء الموكّلين ، قد صارت لهم بنا حرمة ، فتوصّل إلى مكاتبة أبي بكر الصيرفي[٥] – وكان صديقاً لأبي – حتّى

---

١ أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ بن مطرف الجرّاحي (٢٩٨ – ٣٧٦) : ترجمته في حاشية القصّة ١١ من هذا الكتاب .

٢ في م : وقال محمّد بن أبي طاهر .

٣ أبو جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي : كان في السنة ٣١٩ عاملاً على جند قنسرين والعواصم (تجارب الأمم ١ / ٢١٢) وتوسّطت له اختيار ، قهرمانة القاهر ، فولّاه الوزارة (تجارب الأمم ١ / ٢٦١ و٢٦٤) ثمّ قبض عليه بعد ثلاثة أشهر و١٢ يوماً (تجارب الأمم ١ / ٢٧٢) ومات بعد ثلاثة أيّام وهو معتقل ، وفي عيون الأنباء ١ / ٢٢٩ أنّه مات بعد عشرة أيّام من اعتقاله ، اقرأ في تجارب الامم ١ / ٢٦٦ و٢٦٧ ما صنعه بأخيه ، قصّة تدلّ على لؤم أصيل .

٤ الزيادة من غ .

٥ أبو بكر الصّيرفي : راجع القصّة ٢ / ٧٢ من نشوار المحاضرة .

ينفذ إلينا بثلاثة آلاف درهم ، نفرّقها فيهم ، ففعلت ذلك ، فأنفذ إلينا بالمال من يومه .

فقلت للموكّلين ، في عشيٍّ ذلك اليوم : قد وجبت لكم علينا حقوق ، فخذوا هذه الدراهم ، فانتفعوا بها ، فامتنعوا .

فقلت : ما سبب امتناعكم ؟ ، فورّوا عن ذلك .

فقلت : إمّا قبلتم ، وإمّا عرفتمونا السّبب الّذي لأجله امتناعكم .

فقالوا : [٤٢ م] نشفق عليكم ، ونستحي من ذلك .

فقال لهم أبي : اذكروه على كلّ حال .

قالوا : قد عزم الوزير على قتلكما اللّيلة ، ولا نستحسن أخذ شيء منكما مع هذا .

[فقَلقْتُ ، ودخلت إلى أبي بغير تلك الصّورة ، فقال : ما لك ؟ فأخبرته بالخبر ،][4] وقلت لأبي : ما أصنع بالدراهم ؟

فقال : ردّها على أبي بكر ، فرددتها عليه .

وكان أبي يصوم تلك الأيّام كلّها ، فلمّا غابت الشّمس ، تطهّر ، وصلّى المغرب ، فصلّيت معه ، [ولم يفطر][4] ، ثم أقبل على الصّلاة والدّعاء ، إلى أن صلّى العشاء الآخرة ، ثم دعاني .

فقال : اجلس يا بنيّ إلى جانبي ، جاثياً على ركبتك ، ففعلت ، وجلس هو كذلك .

ثم رفع رأسه إلى السّماء ، فقال : يا ربّ ، محمّد بن القاسم ظلمني[6] ، وحبسني على ما ترى ، وأنا بين يديك ، وقد استعديت إليك ، وأنت أحكم الحاكمين ، فاحكم بيننا ؛ لا يزيد عن ذلك .

---

٦ الظّلم : راجع التّفصيل في آخر القصّة .

ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته ، ولم يزل يكرّرها بصياحٍ ونداءٍ واستغاثة[7] ، إلى أن ظننت أنّه قد مضى ربع اللّيل .

فوالله ما قطعها حتّى سمعت الباب يدقّ ، فذهب عليّ أمري ، ولم أشكّ في أنّه القتل .

[وفتحت الأبواب ، فدخل قوم بشموع ، فتأمّلت][4] ، وإذا فيهم سابور ، خادم القاهر[8] ، [فقال : أين أبو طاهر ؟][4] ، فقام إليه أبي ، فقال [٤٣ ظ] : ها أنذا .

فقال : أين ابنك ؟

فقال : هوذا .

فقال : انصرفا إلى منزلكما ، فخرجنا ، فإذا هو قد قبض على محمّد بن القاسم ، وحدره إلى دار القاهر .

وعاش محمّد بن القاسم في الاعتقال ثلاثة أيّام ، ومات[9] .

---

٧ في م : بصياح وبكاء واستغاثة .

٨ سابور الخصي : خادم القاهر ، كان أثيراً عنده ، وكان يكلّفه بالقبض على رجال الدّولة ممن يريد اعتقالهم وقتلهم ، راجع أخباره في تجارب الأمم ١ / ٢٧١ و٢٧٢ و٢٨٧ .

٩ نقلها صاحب حلّ العقال ص ٤٠ ، وورد في كتاب الوزراء ٢٤٥ : أن المحسّن بن الوزير أبي الحسن ابن الفرات ، في وزارة أبيه الثّالثة ، صادر أبا طاهر محمّد بن الحسن على مائة ألف دينار .

الظـــــلم

الظلم ، في اللّغة : وضع الشيء في غير موضعه ، وفي الاصطلاح : إيذاء النّاس ، وانتقاص حقوقهم ، وهو خلاف التّقوى الّتي هي مخافة الله ، والعمل بطاعته ، وكفّ الأذى ، قال الله تعالى : فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، وقال النبيّ صلوات الله عليه : الظلم ظلمات يوم القيامة (محاضرات الأدباء ١ / ٢١٥) وقال : من أعان ظالماً سلّطه الله عليه (محاضرات الأدباء ١ / ٢١٨) . والتاريخ عامر بأخبار قوم آذوا وظلموا ، فمنهم من عوجل ، كما في هذه القصّة ، ومنهم من أمهل ، غير أنّ عاقبة ظلمه ، أصابت أولاده وأحفاده وأهل بيته ، مصداقاً لقول النبيّ صلوات الله عليه : من خاف على عقبه ، وعقب عقبه ، فليتّق الله ، وقد كان الحجّاج بن يوسف الثّقفي من الظالمين ، ولم يعاجل ، فلمّا استخلف سليمان بن عبد الملك ، أمر بجميع الرجال من آل أبي عقيل ، عائلة الحجّاج ، فاعتقلوا بواسط ، وعذّبوا ، حتّى ماتوا جميعاً (ابن الأثير ٤ / ٥٨٨ ، ٥٨٩) ، ولما استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، بعث الباقين من أهل بيت الحجّاج ، إلى الحارث بن عمر الطائي ، عامله على البلقاء ، وكتب إليه : أمّا بعد ، فقد بعثت إليك بآل أبي عقيل ، وبئس – والله – أهل البيت في دين الله ، وهلاك المسلمين ، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله تعالى ، وعلى أمير المؤمنين (البصائر والذخائر م٢ ق٢ ص ٥٨٦) ، وكانت عاقبة ظلم بعض الخلفاء في العهد الأمويّ للناس ، أنّ العبّاسيين لمّا انتصروا عليهم ، قتلوا أولادهم ، وأحفادهم ، حتّى النّساء ، قتلاً ذريعاً ، فلم يفلت منهم إلاّ الرّضيع ، أو من هرب إلى الأماكن القاصية كالأندلس (ابن الأثير ٥ / ٤٢٩ – ٤٣١ وأخبار مجموعة في فتح الأندلس ٤٨ و٤٩) ثمّ تجاوزوا الأحياء منهم إلى الأموات ، فنبشوا قبورهم ، وأخرجوا رممهم وضربوها بالسياط ، ثمّ أحرقوها بالنّار ، ونادى منادي عبد الله بن عليّ ، بالأمان لمن بقي ، فلمّا اجتمعوا ، أمر الجند فشدخوهم بالأعمدة حتّى قتلوهم (الفخري ٢٥٢ والعيون والحدائق ٣ / ٢٠٦ – ٢١١ وابن الأثير ٥ / ٤٢٩ والعقد الفريد ٤ / ٤٨٣ – ٤٨٧ ، والأغاني ٤ / ٣٤٣ – ٣٥٥ ومحاضرات الأدباء ٤ / ٥٣٥ وأخبار مجموعة في فتح الأندلس ٤٨ و٤٩) ، وروى ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ٨ / ٣٨١ و ٣٨٢ فصلاً في مظالم البريديّين ، ثم قال : إنّه ذكر هذا الفصل ليعلم الظَّلَمَةُ أنّ أخبارهم تنقل ، وتبقى على وجه الدهر ، فربّما تركوا الظلم لهذا ، إن لم يتركوه لله سبحانه وتعالى .

١٠١

طاهر بن الحسين يحمل الدّراهم في كمّه ويفرّقها على الفقراء

لّما خرج طاهر بن الحسين[١] إلى محاربة عليّ بن عيسى بن ماهان[٢] ، جعل ذات يوم في كمّه[٣] دراهم ، يفرّقها في الفقراء ، ثم سها عنها ، فأرسلها ، فتبدّدت ، فتطيّر بذلك ، واغتمّ غمّاً شديداً ، حتّى تبيّن في وجهه ، فأنشده شاعر كان في عسكره :

هذا تفـرّق جمعهـم لا غـيره ... وذهابـه منكـم ذهـاب الهمّ

شيء يكون الهمّ بعض حروفـه ... لا خـير في إمساكـه في الكمّ

قال : فسلا طاهر ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

---

١ ذو اليمينين أبو الطّيّب طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي (١٥٩ – ٢٠٧) : من كبار الوزراء والقوّاد ، قاد جيش المأمون إلى بغداد ، ففتحها ، وقتل الأمين سنة ١٩٨ ، ثم ولاّه المأمون خراسان ، ومات فيها (الأعلام ٣ / ٣١٨) .

٢ عليّ بن عيسى بن ماهان : من كبار القادة في عهد الرّشيد والأمين ، قاد جيش الأمين لقتال المأمون ، فقتل في المعركة سنة ١٩٥ (الأعلام ٥ / ١٣٣) .

٣ الكم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، لمّا كان طراز الرّدن ، أن تكون واسعة فضفاضة ، لها ذيل متّسع ، تحمل فيه المناديل والنقود ، وما تزال أردان البدو وفق هذا الزيّ ، ولمّا ضاقت الأردان في الحواضر ، اتّخذ الناس بدلاً منها أكياساً تخاط في جانب الثّوب من الداخل ، وفتحتها إلى الخارج ، والبغداديّون يسمّون هذا الكيس : الجيب ، مع أنّ الجيب في اللّغة ، هو طوق القميص ، وقد أدركت أكثر أصحاب الحرف ببغداد يستعملون أعبابهم في حفظ نقودهم ، والعبّ : فصيحة ، وهو ما يلي الردن من الثوب لجهة الصدر ، أمّا ضعاف الحال من العامّة ، فيلبسون ثوباً فضفاضاً ينزل إلى ما تحت الركبة ، يسمّونه : دشداشة ، ويشدّون أوساطهم بسير من الجلد ، فيتحصّل لديهم عبّ يتّسع للاحتواء على جميع ما يريدون إيداعه فيه ، وما تزال ببغداد ترنيمة للطفل لكي ينام من جملة أبياتها :

هسّه يجينـا بابـه ... شايل تمر بأعبـابه

هسّه : عامية بغدادية ، أصلها : هذه الساعة ، بمعنى : الآن ، وشايل : حامل ، من شال : رفع ، وحمـل

١٠٢

الهادي يتهدّد يحيى البرمكيّ ويتوعّده بكلّ عظيمة

انصرف يحيى بن خالد البرمكي[١] ، من عند الهادي[٢] ، وقد ناظره في تسهيل خلع العهد على هارون ، فحلف له يحيى أنّه فعل ، وجهد [٥٥ غ] فيه ، فامتنع عليه هارون .

فقال له الهادي : كذبتَ ، [ووالله لأفعلنّ بك وأصنعنّ][٣] ، وتوعّده بكلّ عظيمة ، وصرفه .

فجاء الى بيته ، فكلّم بعض غلمانه بشيء ، فأجابه بما غاظه ، فلطمه يحيى ، فانقطعت حلقة خاتمه ، وطاح الفصّ ، فاشتدّ ذلك على يحيى ، وتطيّر منه ، واغتمّ ، فدخل عليه السياري[٤] الشّاعر ، وقد أخبر بالقصّة ، فأنشده في الحال :

---

١ أبو علي يحيى بن خالد بن برمك (١٢٠ - ١٩٠) : سيّد بني برمك وأفضلهم ، عاقل حكيم ، اشتهر بجوده ، وحسن سياسته ، وهو مؤدّب الرشيد العبّاسي ومعلّمه ومربّيه ، وكان الرشيد يدعوه : يا أبي . لمّا نكب الرشيد البرامكة ، حبس يحيى بالرقّة حتّى مات في الحبس (الأعلام ٩ / ١٧٥) .

٢ أبو محمّد موسى الهادي بن أبي عبد الله محمّد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور (١٤٤ - ١٧٠) : ولّي الخلافة سنة ١٦٩ ، وأراد خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ، فلم يمهله أجله (الأعلام ٨ / ٢٧٩) أقول : والمؤرخون يتّهمون أمّه الخيرزان بسمّه ، لأنّه حال بينها وبين التدخّل في إدارة أمور الدّولة ، وهي أقوال تخالف الطبيعة الإنسانية في محبّة الأمّ لولدها ، فضلاً عن كون هذا الاتّهام لا يخرج عن دائرة التكهّن ، في حين أنّ الثابت إصابة الهادي بالحمّى ، ومن مرض كان احتمال موته ، أقوى من احتمال قتله .

٣ الزيادة من غ .

٤ في غ : السّاري .

أخلاك من كلّ الهموم سقوطـه　　　وأتـاك بالفـرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق ففكّ حلقة ضيقه　　　فاصبر فما ضيق الزمان بدائم [٣٣ ر]

قال : [فما أمسى حتّى ارتفعت الواعية بموت موسى الهادي ، وصار الأمر إلى هارون الرّشيد][٥] ، فأعطاه مائة ألف درهم[٦] .

---

٥ الزيادة من غ .
٦ في م : فأعطاه ألف درهم .

١٠٣

موسى بن عبد الملك ، صاحب ديوان الخراج يموت وهو على صهوه جواده

قال أبو علي القنّائي[١] ، قال لي جدّي :

بكّرت يوماً إلى موسى بن عبد الملك[٢] ، وحضر داود بن الجرّاح[٣] ، فوقف إلى جانبي ، فقال لي : كان لي أمس خبر طريف ، انصرفتُ من عند موسى ابن عبد الملك ، فوجدت في منزلي امرأة من شرائف النساء[٤] ، فشكته إليّ ، وقالت : قد حاول أن يأخذ ضيعتي الفلانية ، وأنت تعلم أنّها عمدتي في معيشتي ، وأنّ في عنقي صبية أيتاماً ، فأيّ شيء تدبّر في أمري ، أو تشير عليّ ؟ .

---

١ أبو عليّ بن هبنتى القنّـائي : كاتب من عائلة عريقة في الكتابة ، كان يعمل في ديوان الوزير ابن الفرات في وزارته الثالثة ، وكان على معرفة بعلم النجوم ، نقل عنه الصابي في كتاب الوزراء قصصاً طريفة ١٧٨ - ١٨٢ ، والقنّائي نسبة إلى ديرقنّى على ستة عشر فرسخاً جنوبي بغداد عند النّعمانية (معجم البلدان ٢ / ٦٨٧ و ٤ / ١٧٨) .

٢ أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني : كان على ديوان الخراج في أيّام المتوكّل ، واشترك مع آخرين من الكتّاب في المؤامرة على نجاح بن سلمة ، وكان إليه ديوان التوقيع والتتبّع على العمال ، فرفع إلى المتوكّل أنّ موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد قد خانا واقتطعا ، وضمنهما بأربعين ألف ألف درهم ، فوعده بتسليمهما إليه ، فسبقاه ، وضمناه من المتوكّل بألفي ألف دينار ، فسلّمه إليهما ، فعذّباه حتّى قتلاه ، ولم يسدّدا للمتوكّل كامل بدل الضمان ، فظلّ يطالبهما ، ويقول : ردّوا عليّ كاتبي ، أو فهاتوا المال . وفي سنة ٢٤٥ ركب يشيّع المنتصر من الجعفري إلى الجوسق فسقط عن حصانه مفلوجاً ، ونقل إلى داره فمكث يومه وليلته ، ومات (ابن الأثير ٧ / ٨٨ والطبري ٩ / ٢١٧ و ٢٤١) .

٣ أبو سليمـان داود بن الجرّاح ، صاحب ديوان الخراج في عهد المتوكّل : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٤ الشريفة : جمعها شرائف وشريفات .

فقلت : من معك وراء الستر ؟

فقالت : ما معي أحد .

فقلت : أمّا التدبير في أمرك ، فما لي فيه حيلة ، وأمّا المشورة ، فقد قال النبطيّ[٥] : لا تبع أرضك من إقدام الرّجل السّوء[٦] ، فإنّ الرّجل السّوء يموت ، والأرض تبقى ، فدعت لي ، وانصرفت .

فما انقضى كلامه ، حتّى خرج موسى ، فقال لداود : يا أبا سليمان ، لأتبع أرضك من إقدام الرّجل الرديء[٧] ، فإنّه يموت ، والأرض تبقى .

فقال لي داود : أسمعت ؟ هذا والله الموت ، أين أهرب ؟ أين أمضي ؟ ما آمنه والله على نفسي ، ولا على نعمتي ، فأشر عليّ بما أصنع ، قبل نفاذ طريقنا ، ونزولنا معه إلى الديوان .

فقلت : والله ، ما أدري .

فرفع يديه إلى السماء ، وقال : ألّلهم اكفني أمره ، وشرّه ، وضرّه ، فإنّك تعلم قصّتي ، وأنّي ما أردت بما قلت إلّا الخير ، واشتدّ [٤٣ م] قلقه وبكاؤه ودعاؤه .

وقربنا من الديوان ، فقال موسى ، وهو على دابته : متى حدث هذا الجبل الأسود في طريقنا ؟ ومال على سرجه حتى سقط ، وأسكِتَ .

فحمل إلى منزله ، وكان آخر العهد به[٨] .

---

٥ الأنباط ، ومفردها نبطيّ : قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقين ، وفي العصر العبّاسي ، أصبحت كلمة نبطي ، تقال لأخلاط النّاس وعوامهم .

٦ في غ : الرجل الردئ .

٧ في غ : الرجل الشرّير .

٨ لم ترد هذه القصّة في ر .

١٠٤

يا ذا العرش اصنع كيف شئت فإنّ أرزاقنا عليك

ذكر المدائني في كتابه : [قال أبو سعيد ، وأنا أحسبه يعني] الأصمعي[١] :

نزلت بحيّ من كلب مجدبين ، قد توالت عليهم السنون[٢] ، فماتت المواشي ، ومنعت الأرض من أخراج النبات ، وأمسكت السماء قطرها ، فجعلت أنظر إلى السّحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة ، حتّى تطبّق الأرض ، فيتشوّف لها أهل الحي ويرفعون أصواتهم بالتكبير ، ثم يعدلها الله عنهم مراراً .

فلمّا كثر ذلك ، خرجت عجوز [٥٦ غ] منهم ، فعلت نشزاً من الأرض ، ثمّ نادت بأعلى صوتها : يا ذا العرش ، اصنع كيف شئت فإنّ أرزاقنا عليك .

فما نزلت من موضعها ، حتّى تغيّمت السّماء غيماً شديداً ، وأُمطروا [٤٤ ظ] مطراً كاد أن يغرقهم ، وأنا حاضر .

---

١ الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عليّ بن أصمع الباهلي (١٢٢ - ٢١٦) : راوية العرب ، وأحد أئمّة العلم باللّغة والأدب والشعر ، ولد وتوفّي بالبصرة (الأعلام ٤ / ٣٠٧) .

٢ السنون : ترد هنا بمعنى القحط والجدب .

١٠٥

يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج
وخليفته في الظّلم والبغي

وذكر المدائني في كتابه ، قال : وجّه سليمان بن عبد الملك[١] ، حين ولي الخلافة ، محمد بن يزيد[٢] إلى العراق ، فأطلق أهل السجون ، وقسم الأموال ، وضيّق على يزيد بن أبي مسلم[٣] كاتب الحجّاج ، فظفر به يزيد بأفريقية [لما وليها][٤] في شهر رمضان عند المغرب ، وفي يده عنقود عنب .

فجعل محمد يقول : اللّهم احفظ لي إطلاقي الأسرى ، وإعطائي الفقراء .

---

١ أبو أيّوب سليمان بن عبد الملك بن مروان (٥٤ – ٩٩) : ولّي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ وكان يسمّى مفتاح الخير ، إذ افتتح ولايته بخير ، ردّ المظالم ، وأطلق المسجونين ، وغزا الصائفة ، وختمها بخير ، باستخلافه عمر بن عبد العزيز ، وكان عاقلاً ، فصيحاً (الأعلام ٣ / ١٩٢ ، العقد الفريد ٤ / ٤٢٥) .

٢ محمّد بن يزيد ، مولى الأنصار : ترجمته في حاشية القصّة ١٨٢ من الكتاب .

٣ أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثّقفي : كان أخ الحجّاج بن يوسف الثّقفي من الرضاعة ، واستكتبه الحجّاج ، وكان يجري عليه رزقاً قدره ثلثمائة درهم في الشهر ، فكان يعطي منها خمسين درهماً لامرأته ، وينفق في ثمن اللّحم خمسة وأربعين درهماً ، وينفق باقيها في ثمن الدّقيق ، وباقي نفقاته (لطائف المعارف ٦) ولمّا هلك الحجّاج ، استخلفه على الخراج بالعراق ، ولمّا استخلف سليمان بن عبد الملك أقدمه الشام ، فلمّا مثل بين يديه ، قال له : أترى الحجّاج استقرّ في قعر جهنّم ، أم هو يهوي فيها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجّاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه من النار حيث شئت ، فأمر به إلى الحبس ، فكان فيه طول ولايته (العقد الفريد ٤ / ٤٢٧) وولاية خلفه عمر بن عبد العزيز ، فلمّا ولّي يزيد بن عبد الملك ، أخرجه من السجن ، وولّاه أفريقية ، فأراد أن يسير فيهم سيرة الحجّاج في العراق ، فائتمروا به ، وقتلوه في السنة ١٠٢ ، راجع القصّة ٣٥٧ من هذا الكتاب .

٤ الزيادة من غ .

فقال له يزيد حين دنا منه : محمّد بن يزيد ؟ ما زلت أسأل الله أن يظفرني بك .

قال له : وما زلت أسأل الله ، أن يجيرني منك .

قال : والله ، ما أجارك ، ولا أعاذك منّي ، ووالله لأقتلنّك قبل أن آكل هذه الحبّة العنب ، ووالله لو رأيت ملك الموت يريد قبضَ روحكَ ، لسبقته إليها .

فأقيمت الصّلاة ، فوضع يزيد الحبّة العنب من يده ، وتقدّم ، فصلّى بهم .

وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله ، فلمّا ركع ، ضربه رجل منهم على رأسه بعمود حديد ، فقتله .

وقيل لمحمّد : اذهب حيث شئت ، فمضى سالماً[٥] .

[ذكره القاضي أبو الحسين في كتابه بغير إسناد ، ولم يعزه إلى المدائني ، وجاء به على خلاف هذا اللّفظ ، والمعنى واحد ، إلّا أنّه جعل بدلى محمّد بن يزيد ، وضّاحاً ، صاحب عمر بن عبد العزيز ، وبدلاً من سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، ولم يذكر الدّعاء في خبره .][٦] .

[ووقع إليّ هذا الخبر ، على غير هذا ، حدّثنيه علي بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسحاق ابن زياد[٧] ، قال : حدّثنا أبو همّام الصلت بن محمّد الخاركي[٨] ، قال : حدّثنا

---

٥ راجع القصّة ١٨٢ من هذا الكتاب ، والعقد الفريد ٤ / ٤٢٧ .

٦ الزيادة من غ .

٧ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن زياد البصري المعروف بالقلوسي القاضي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ٢٨٥ وقال إنّه توفّي بنصيبين سنة ٢٧١ .

٨ أبو همّام الصلت بن محمّد بن عبد الرحمن بن ابي المغيرة الخاركي : نسبته إلى خارك ، جزيرة في وسط البحر ، بين عبادان وعمان ، راجع معجم البلدان ٢ / ٣٨٧ و ٣٨٨ واللباب ١ / ٣٣٦ ، وقد ذكره صاحب الخلاصة بالخازكي (بالزاي) ، وهو تصحيف والصحيح ما اثبتناه ، راجع الخلاصة ص ١٤٨ .

مسلمة بن علقمة[9] ، عن داود بن أبي هند[10] ، قال : حدّثني محمّد بن يزيد ، قال :]٦ إنّ سليمان بن عبد الملك ، أنفذ محمّد بن يزيد إلى ديماس الحجّاج ، وفيه يزيد الرقاشي[11] ، ويزيد الضبيّ ، وعابدة[12] من أهل البصرة ، فأطلق كلّ من فيه ، غير يزيد بن أبي مسلم .

فلمّا مات سليمان ، قال محمّد : كنت مستعملاً على أفريقية ، إذ قدم يزيد بن أبي مسلم ، أميراً ، في خلافة يزيد بن عبد الملك[13] .

قال محمّد : فعذّبني عذاباً شديداً[14] ، حتّى كسر عظامي ، فأتي بي يوماً

---

٩ أبو محمّد مسلمة بن علقمة المازنيّ البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٢ .

١٠ أبو بكر داود بن أبي هند القشيري المصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٥ وقال إنّه توفّي سنة ١٣٩ .

١١ أبو عمرو يزيد بن أبان بن عبد الله الرقاشي البصري : ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من الكتاب .

١٢ في كتاب الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ص ١٥٦ ، وفي نسخة الظاهريّة (ظ) عابدة ، بالباء ، وفي بقيّة النسخ : عايدة ، بالياء .

١٣ أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان (٧١ – ١٠٥) : ولي الحكم سنة ١٠١ بعد وفاة الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز (الأعلام ٩ / ٢٣٩) فعمد إلى جميع اصلاحات عمر ، فأبطلها ، وإلى جميع عمّال عمر ، فعزلهم (اليعقوبي ٢ / ٣١٠) وترك أمور الدّولة مهملة ، وتفرّغ للّهو واللّعب ، وغلبت عليه جارية اسمها : حبابة ، فكان لا يخالف لها أمراً ، حتّى إنّه نصب أميراً على العراقين بترشيح منها (الأغاني ١٥ / ١٢٨) ، وماتت حبابة ، فمات غمًّا عليها (مروج الذهب ٢ / ١٥٥) ، وفي أيّامه خرج يزيد بن المهلّب ، في آل المهلّب ، بالبصرة ، وقاتل ، حتّى قتل بالعقر ، موضع قرب كربلاء ، فقال النّاس : ضحّى بنو أميّة بالدين يوم الطفّ ، وبالكرم يوم العقر (تاريخ الخلفاء ٢٤٧ ، والأغاني ٩ / ٢٢) راجع أخبار يزيد في الأغاني ، طبعة دار الكتب ، المجلّد ١٥ ، وفي تاريخ الخلفاء ٢٤٦ و٢٤٧ ، وفي مروج الذهب ٢ / ١٥٣ – ١٥٥ ، وفي الفخري ١٣١ ، واقرأ في الأغاني ، طبعة بولاق ٢٠ / ١٠٦ و١٠٧ ما وصفه به أبو حمزة الخارجي .

١٤ في كتاب الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ص ١٥٦ : قال محمّد بن يزيد : بعثني سليمان بن عبد الملك إلى العراق ، إلى المسجونين من أهل الدّيماس ، الذين حبسهم الحجّاج ، فأخرجتهم ، يزيد الرقّاشي ، ويزيد الضبّي ، وعابدة من أهل البصرة ، فأخرجتهم في عمل ابن أبي مسلم ، وعنّفت ابن أبي مسلم لصنيعه ، وكسوت كلّ رجل منهم ثوبين . فلمّا مات سليمان ، ومات عمر ، كنت مستعملاً

في كساء ، أُحمل عند المغرب .

فقلت له : ارحمني .

فقال : التمس الرّحمة من عند غيري ، ولو رأيتُ ملكَ الموت عند رأسك ، لبادرته إلى نفسك ، اذهب حتّى أصبح لك .

فدعوت الله ، وقلت : ألّلهم اذكر ما كان منّي في أهل الديماس ، اذكر يزيد الرقاشي ، وفلاناً ، وفلاناً ، واكفني شرّ يزيد بن أبي مسلم ، وسلّط عليه من لا يرحمه ، واجعل ذلك مِن قبل أن يرتدّ إليّ طرفي ، وجعلت أحبس طرفي رجاء الإجابة .

فدخل عليه ناس من البربر [15] ، فقتلوه ، ثمّ أطلقوني ، فقالوا لي : اذهب حيث شئت .

فقلت لهم : اذهبوا واتركوني ، فإنّي أخاف إن انصرفت ، أن يظنّ أنّ هذا من عملي .

فذهبوا ، وتركوني [16] .

[حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني عمر بن شبّة [17] ، قال : حدّثني محدّث [٥٧ غ]

على أفريقية ، فقدم عليّ يزيد بن أبي مسلم ، أميراً ، في عمل يزيد بن عبد الملك ، فعذّبني عذاباً شديداً ... الخ .

١٥ البربر : مجموعة قبائل استقرّت في شمالي أفريقية منذ عهد سحيق ، وكانوا يحيون حياة صحراويّة ، وقد قاوموا الفتح الإسلامي ، مقاومة ضارية ، ثم أسلموا ، وانخرطوا في عداد جند المسلمين ، وشاركوا في فتح الأندلس ، وأقاموا في المغرب دولتين عظيمتين ، دولة المرابطين ، ودولة الموحّدين ، ومن بعدهما دويلات ، وما زال البربر إلى اليوم ، العنصر الغالب في سكّان شمالي أفريقية ، ولهم لهجاتهم ، إلاّ أنّهم اندمجوا في العرب . لزيادة التّفصيل راجع الموسوعة الإسلامية ج٣ ص ٥٠١ - ٥٢٢ .

١٦ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٦ ، وفي حلّ العقال ص ٤٠ .

١٧ أبو زيد عمر بن شبّة البصري النميري ، الحافظ الأخباري الأديب : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٢ .

عن أميّة بن خالد[18]][19] عن وضّاح بن خيثمة[20] ، قال :

أمرني عمر بن عبد العزيز[21] بإخراج [٣٤ ر] من في السجن ، فأخرجتهم إلّا يزيد بن أبي مسلم ، فنذر دمي ، فإنّي لبإفريقية ، إذ قيل لي : قد قدم يزيد ابن أبي مسلم ، فهربت منه ، فأرسل في طلبي ، فأخذت ، وأتي بي إليه .

---

١٨ أبو عبد الله أميّة بن خالد بن الأسود القيسي البصري ، أخو هدبة : ترجمته في حاشية القصّة ٢١ من هذا الكتاب .

١٩ الزيادة من غ .

٢٠ الوضّاح بن خيثمة : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرّجال ٤ / ٣٣٤ .

٢١ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم (٦١ – ١٠١) : الخليفة الصّالح ، والملك العادل ، قالوا : إنّ عدالته جاءته من جدّه لأمّه ، عمر بن الخطاب ، ولّي الخلافة في السنة ٩٩ ، وقضى فيها سنتين وخمسة أشهر ، فملأ الدّنيا عدلاً ، وردّ المظالم ، وسنّ السنن الحسنة ، وبدأ بزوجته ، ولحمته ، وأهل بيته ، فأخذ ما بأيديهم ، وسمّى أموالهم مظالم حتّى انّه أخذ جواهر زوجته فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان ، فوضعها في بيت مال المسلمين ، ولمّا كلّمه أهل بيته في ذلك ، قال لهم : ما أنتم ، وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلاّ سواء ، وإنّ حقّكم في هذا المال ، كحقّ رجل بأقصى برك الغماد (بلد بأقصى اليمن) ، وكانت نفقته في كلّ يوم درهمين ، وكان بنو أميّة يسبّون عليّ بن أبي طالب على المنابر سنّ ذلك أوّلهم معاوية ، فأبطل السبّ (تاريخ الخلفاء ٢٢٨ – ٢٤٧ والأعلام ٥ / ٢٠٩) ولمّا احتضر اشترى موضع قبره بدير سمعان ، وقبره مشهور يزار ، ويغشاه كثير من النّاس من الحاضرة والبادية (مروج الذهب ٢ / ١٤٣) ، قال سفيان الثوري : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعمر بن عبد العزيز ، وما سواهم فهم منتزون (ابن الأثير ٥ / ٦٥) وخلفه يزيد ابن عبد الملك ، فعمد إلى جميع إصلاحاته فأبطلها دفعة واحدة ، وكتب إلى العمّال : أمّا بعد ، فإنّ عمر كان مغروراً ، غررتموه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيت كتبكم إليه في انكسار الخراج والضريبة ، فإذا أتاكم كتابي هذا ، فدعوا ما كنتم تعرفون في عهده ، وأعيدوا النّاس إلى طبقتهم الأولى ، أخصبوا أم أجدبوا ، أحبّوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا ، والسلام (العقد الفريد ٤ / ٤٤٢) ، ولم يكتف يزيد بذلك ، بل عمد إلى أصحاب عمر بن عبد العزيز ، فشرّدهم كلّ مشرّد ، حتّى إنّه أمر بنفي عراك بن مالك إلى دهلك على أن يتحمّل عراك أجور سفره وأجور سفر الحرسي الذي رافقه إلى منفاه (الأغاني ٤ / ٢٥٥) أقول : وتحمّل المنفي نفقات سفره وسفر الحرسي الذي يرافقه أمر لم يسمع بمثله في تاريخ المظـالم .

فقال : وضّاح ؟

قلت : وضّاح .

فقال : أما والله ، طالما سألت الله أن يمكّنني منك .

فقلت : وأنا والله لطالما سألت الله أن يعيذني منك .

فقال : والله ، ما أعاذك منّي ، ووالله ، لأقتلنّك ، ولو سابقني إليك ملك الموت ، لسبقته .

ثم استدعى بالسّيف والنطع [22] ،فجيء بهما ، [وكتّفت] [23] ، [١٩٠ غ] ، وأقعدت فيه ، لتضرب عنقي ، [وقام قائم على رأسي بالسّيف مشهوراً] [23] ، فأقيمت الصّلاة فخرج يزيد وصلّى بهم ، فلمّا خرّ ساجداً ، أخذته سيوف الجند ، وأطلقت [24] .

حدّثني محمد بن الحسن بن المظفر ، قال : أخبرني أحمد بن محمّد السّرخسي أبو بكر ، قال : أخبرنا أبو العبّاس ثعلب [25] ، عن الزبير بن بكّار ، قال :

كان وضّاح حاجباً لعمر بن عبد العزيز ، فلمّا حضرت عمر الوفاة أمر بإخراج كلّ من في الحبس ، إلّا يزيد بن أبي مسلم . وذكر الحديث .

---

٢٢ النطع : قطعة من الجلد يقعد فيها من يراد قطع عنقه لكي يسيل دمه فيها فلا يلوّث البساط والفراش ، ويسمّى القتل بالسّيف : القتل صبراً ، وكان المعتاد أن يكتّف من يراد قطع عنقه ، وأن يشدّ رأسه ، وأن يرفع شعره لكيلا يحوّل دون الإجهاز عليه ، ثم يخز السيّاف ، بذبابة سيفه ، نقطة في مؤخّر القذال ، فيمتد العنق بشعور عكسي ، فيبادر إلى توجيه الضربة القاضية ، وما يزال قطع العنق جارياً في بعض ممالك الجزيرة العربيّة .

٢٣ الزيادة من غ .

٢٤ وردت القصّة في وفيات الأعيان ٦ / ٣١١ وفي مخطوطة (د) ص ١٥٥ .

٢٥ أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن سيّار ، المعروف بثعلب (٢٠٠ – ٢٩١) : إمام الكوفيّين في النّحو واللّغة ، كان راوية للشعر ، محدّثاً ، حجّة ، ثقة ، أصيب في آخر حياته بالصمم ، وصدمته فرس ، فمات (الأعلام ١ / ٢٥٢) .

١٠٦

عواقب مكروه الأمور خيار

[حدّثني أبو طالب عبد العزيز بن أحمد بن محمّد [بن الفضل بن أحمد ابن محمّد] بن حمّاد دنقش[1] ، مولى المنصور وصاحب حرسه ، وكان محمّد ابن حمّاد يحجب الرّشيد والمعتصم ، وأحمد بن محمّد[2] أحد القوّاد بسُرَّ من رأى مع صالح بن وصيف[3] ، وولي الشرطة بها للمهتدي[4] ، وأحمد بن محمّد بن الفضل ، يكنّى أبا عيسى[5] ، وكان أحد أمناء القضاة ببغداد ، قال : قال لي القاضي أبو القاسم عليّ بن محمّد التنوخي ، قال : حدّثني القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري ، قال :][6]

---

١ أبو طالب عبد العزيز بن أحمد بن محمّد بن الفضل بن أحمد بن محمّد بن حماد دنقش : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠ / ٤٦٢ ، وقال إنّه ولد ببغداد سنة ٣٠٢ ، وإنّه تقلّد القضاء برامهرمز ، أقول : جده حمّاد دنقش ، مولى المنصور وصاحب حرسه .

٢ القائد الذي كان مع صالح بن وصيف هو حمّاد بن محمّد بن حمّاد دنقش ، راجع الطبري ٩ / ٣٩٨ في أخبار السنة ٢٥٥ .

٣ صالح بن وصيف : القائد التركي ، حضر مقتل المتوكّل في السنة ٢٤٧ (الطبري ٩ / ٢٢٧) ولمّا اختلف المعتزّ والمستعين ، انحاز إلى جانب المعتزّ ، واشترك في حصار المستعين ببغداد في السّنة ٢٥١ (الطبري ٩ / ٣٤١) وقتل أبوه في السنة ٢٥٣ (الطبري ٩ / ٣٧٤) ، ولمّا قتل بغا في السنة ٢٥٤ استولى على مقدّرات الدّولة (الطبري ٩ / ٣٨١) ، فخلع المعتزّ وقتله (الطبري ٩ / ٣٨٩ و٣٩٠) وقتل قوماً من كبار الكتّاب (الطبري ٩ / ٣٨٧) ولمّا قدم موسى بن بغا إلى سامرا استتر صالح (الطبري ٩ / ٤٣٨) وانكشف أمره فقتل في السنة ٢٥٦ (الطبري ٩ / ٤٥٤) .

٤ أبو عبد الله محمّد المهتدي بن الواثق هارون (٢٢٢ – ٢٥٦) : بويع له بعد خلع المعتزّ في السنة ٢٥٥ ، وانتقض عليه الأتراك ، فقاتلهم ، فقتل ، وكان حميد السيرة ، شجاعاً (الأعلام ٧ / ٣٥٢) .

٥ أبو عيسى أحمد بن محمّد بن الفضل ، والد أبي طالب عبد العزيز الدنقشي راوي القصّة .

٦ الزيادة من غ .

حدّثني [٤٤ م] أبو عبد الله بن أبي عوف البزوري[٧] ، قال : دخلت على أبي العبّاس بن ثوابة[٨] ، وكان محبوساً ، فقال لي : احفظ عنّي .

قلت : نعم .

فقال :

عواقب مكروه الأمــور خيــار ... وأيّام سوء لا تــدوم قصار

وليس بباق بؤسها ونعيمهــا ... إذا كــرّ ليــلٌ ثــمّ كــرّ نهار

قال : فلم تمضِ إلّا أيّام يسيرة ، حتّى أطلق من حبسه .

وقد ذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، هذين البيتين ، بغير إسناد ، ولم يذكر القصّة ، ولا سبب الشّعر .

---

٧ أبو عبد الله أحمد بن عبد الرّحمن بن مرزوق بن عطية ، المعروف بابن أبي عوف البزوري : النسبة إلى بيع البزور للبقول وغيرها ، إليه ينسب شارع بن أبي عوف ، المسلوك إلى نهر القلّائين . كان عفيفاً ثبتاً ، له حال من الدنيا واسعة ، وله منزلة من السلطان ، واختصاص بالوزير عبيد الله بن سليمان ، ومودّة في نفس العوّام ، توفّي سنة ٢٩٧ (اللباب ١ / ١٢٠ والمنتظم ٦ / ٩٠ ، راجع أخبار ابن أبي عوف ، في كتاب نشوار المحاضرة ، في القصص المرقمات ١ / ٣٢ و٢ / ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ و٣ / ٤٧ ، ٥٦ .

٨ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ثوابة : من كبار الكتّاب في العهد العبّاسي ، نقل عنه صاحب الفهرست ص ١٠ و١٣٤ أخباراً عن الخطّ والخطّاطين ، وترجم له في الصفحة ١٤٣ و١٤٤ ، وقال عنه إنّه كان من الثقلاء البغضاء وإنّه توفّي سنة ٢٧٧ ، راجع في كتاب الوزراء ص ٢٧٨ قصّة نزاعه مع أبي العبّاس بن الفرات .

١٠٧

لا تيأس فإنّ اليأس كفر

[حدّثني أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق ، قال : حدّثني أبو بكر محمّد بن عبد الله العلّاف ، المعروف بالمستعيني[١] ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد[٢] ، قال : حدّثني محمّد بن الحسين الأنصاري ، قال : حدّثني إبراهيم ابن مسعود ، عن بعض تجّار المدينة ، قال :][٣]

كنت أختلف إلى جعفر بن محمّد[٤] ، وكنت له خليطاً ، وكان يعرفني بحسن حال ، [فتغيّرت حالي ، فأتيته][٣] ، فجعلت أشكو إليه ، فأنشأ يقول :

فلا تجـزع وإن أعسرت يومـاً   فقد أيسرت في الزّمن الطّويل [٤٥ ظ]

قال : فخرجت من عنده ، وأنا أغنى النّاس[٥] .

[حدّثني أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق ، قال : حدّثنا أبو الفضل أحمد بن سليمان القاضي ، قال : حدّثنا طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي بن جعفر بن محمّد ، قال :

---

١ أبو بكر محمّد بن عبد الله بن الحسين العلّاف المعروف بالمستعيني : ترجم له الخطيب في تاريخه ٥ / ٤٤٧ وقال إنّه توفّي سنة ٣٢٥ .

٢ أبو محمّد عبد الله بن أبي سعد عمرو بن عبد الرّحمن بن بشر بن هلال الأنصاري الورّاق : (١٩٧ – ٢٧٤) ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠ / ٢٥ و٢٦ .

٣ الزيادة من غ .

٤ أبو عبد الله الإمام جعفر الصّادق بن أبي جعفر الإمام محمّد الباقر (٨٠ – ١٤٨) : ترجمته في حاشية القصّة ١١٥ من الكتاب .

٥ فيها اختلاف في الألفاظ بين النسخ ، ووردت في مخطوطة (د) ص ١٥٤ .

جاء رجل إلى جعفر بن محمّد ، فشكا إليه الإضاقة ، فأنشده جعفر بن محمّد:

فـلا تجزع إذا أعسرتَ يومـاً ... فكم أرضاك باليسر الطّويل[6] [٥٨ غ]

ولا تيأس فإنّ اليـأس كفـر ... لعلّ الله يغـني عـن قليـل

ولا تظنـن بربّـك غير خـير ... فـإنّ الله أولى بالجميـل

قال الرّجل : فذهب عنّي ما كنت أجد .

وروى القاضي أبو الحسين في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » هذا الشعر بغير خبر ، ولا إسناد ، ونسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام ، وروى البيت الأوّل كما رواه ابن أبي سعد في الخبر الّذي رويت قبل هذا ، وقال بعده :

فـإنّ العسر يتبعه يسـارٌ ... وقيـل الله أصدق كـلّ قيل

ثمّ جاء بالبيتين الثّاني والثالث ، كما جاءا في هذين الخبرين ، وزاد بعد ذلك بيتاً خامساً ، وهو :

ولو أنّ العقـول تسوق رزقـاً ... لكـان المال عند ذوي العقول][7]

---

٦ في غ : فقد أيسرت في الدّهر الطويل .

٧ الزيادة من غ .

١٠٨

عبيد الله بن زياد يشتم رجلاً من القرّاء ويتهدّده

[وذكر القاضي أبو الحسين ، في كتابه : أنّ المدائني روى عن محمّد بن الزّبير التميمي] ، أنّ عبيد الله بن زياد ، أتي برجل من القرّاء[1] فشتمه ، وقال له : أحروريّ أنت[2] ؟ .

فقال الرّجل : لا والله ، ما أنا بحروريّ .

فقال : والله ، لأفعلنّ بك ، ولأصنعنّ ، انطلقوا به إلى السّجن ، فانطلقوا به .

فسمعه ابن زياد يهمهم ، فردّه ، وقال له : ما قلت ؟

فقال : عنّ لي بيتان من الشعر قلتهما .

فقال : إنّك لفارغ القلب ، أنت قلتهما ، أم شيء سمعته ؟

قال : بل قلتهما ، وهما :

عسى فرج يأتي به الله إنّه ... له كلّ يوم في خليقته أمر

إذا اشتدّ عسرٌ فارج يسراً فإنّه ... قضى الله أنّ العسر يتبعه يسر

فسكت ابن زياد ساعة ، ثم قال : قد أتاك الفرج ، خلّوا سبيله .

---

١ أقرأ الرجل ، وتقرّأ : تنسّك ، والقارئ : النّاسك المتعبّد ، جمعه : قرّاء ، وقارئون ، وقرأة .

٢ الحروري : الخارجي ، والحرورية : أقدم الخوارج ، سمّوا بهذا الاسم لأنّهم اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ، وخرجوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حرب صفّين ، لمّا رفع معاوية المصاحف وطلب التّحكيم ، فألجأوا أمير المؤمنين إلى الكفّ عن المناجزة ، ثمّ نكصوا ونادوا بشعار : لا حكم إلاّ لله ، راجع حاشية القصّة ٨٨ من الكتاب ، ولزيادة التفاصيل فيما يتعلّق بالخوارج راجع كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٥ – ١٩٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٣/١٤١ – ١٧٠

[أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفر ، قال : أخبرنا محمد بن عبد الواحد ، قال : أخبرني عليّ بن دبيس الكاتب ، عن أحمد بن الحارث الخرّاز[3] ، عن علي بن محمّد المدائني ، عن محمّد بن الزّبير التميمي ، فذكر نحوه][4] .

---

٣ أبو جعفر أحمد بن الحارث بن المبارك الخرّاز : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ١٢٢ و١٢٣ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٨ ببغداد .

٤ الزيادة من غ .

١٠٩

عليّ بن يزيد كاتب العبّاس بن المأمون يتحدّث عن أيام فاقته

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني أبو يوسف يعقوب بن بيان ، قال : حدّثني عليّ بن الحسين بن محمّد بن موسى ابن الفرات ، قال :][١] .

كنتُ أتولّى ماسبذان[٢] ، وكان صاحب البريد[٣] بها عليّ بن يزيد ، وكان قديماً يكتب للعبّاس بن المأمون[٤] ، فحدّثني : أنّ العبّاس غضب عليه وأخذ جميع ما كان يملكه ، حتّى إنّه [٥٩ غ] بقي بسرّ من رأى لا يملك شيئاً ، إلّا برذونه[٥] ، بسرجه[٦] ولجامه[٧] ، ومبطّنة[٨] ، وطيلساناً[٩] ، وقميصاً[١٠] ، وشاشيّة[١١] ، وأنّه كان يركب في أوّل النّهار ، فيلقى من يريد لقاءه ، ثم ينصرف ، فيبعث

---

١ الزيادة من غ .

٢ ماسبذان : كورة تشتمل على عدّة مدن ، على يمين المسافر من حلوان إلى همذان ، راجع معجم البلدان ٤ / ٣٩٣ .

٣ صاحب البريد : راجع التفصيل في آخر القصّة .

٤ العبّاس بن المأمون : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٩ من هذا الكتاب .

٥ البرذون : راجع حاشية القصّة ٢٣٧ من هذا الكتاب .

٦ السرج : الرحل الّذي يوضع فوق ظهر الدابّة ، وغلب استعماله للخيل .

٧ اللّجام : قطعة من الحديد ، توضع في فم الفرس ، لها حكمتان وعذاران وسير .

٨ المبطّنة : ثوب ذو بطانة ، يلبس فوق القميص ، تحت الدرّاعة .

٩ الطيلسان : راجع حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب .

١٠ القميص : ما يلبس على الجلد .

١١ الشاشيّة : راجع حاشية القصّة ٣٢٦ من هذا الكتاب .

ببرذونه إلى الكراء ، فيكسب عليه ما يعلفه ، وما ينفقه هو وغلامه .

فاتّفق في بعض الأيّام أنّ الدابّة لم تكسب شيئاً ، فبات هو وغلامه طاويين [12] ، قال : ونالنا من الغد مثل ذلك .

فقال غلامي : يا مولاي ، نحن نصبرِ ، ولكن الشأن في الدابّة ، فإنّي أخاف أن تعطب .

قلت : فأيّ شيء أعمل ؟ ليس إلا السّرج ، واللّجام ، وثيابي ، وإن بعت من ذلك شيئاً ، تعطّلتُ عن الحركة ، وطلب التصرّف .

قال : فانظر في أمرك .

فنظرتُ ، فإذا بحصيري [٣٥ ر] خَلَق ، ومخدّتي لبنة مغشّاة بخرقة ، أدعها تحت رأسي ، ومطهرة خزف للطهور ، فلم أجد غير منديل دبيقي [13] خَلَق ، قد بقي منه الرّسم .

فقلت للغلام : خذ هذا المنديل ، فبعه ، واشتر علفاً للدابّة [14] ، ولحماً بدرهم ، واشوِه ، وجئْ به ، فقد قرمت إلى أكل اللحم [15] .

فأخذ المنديل ، ومضى ، وبقيت في الدّار وحدي ، وفيها شاهمرج [16] قد جاع لجوعنا ، فلم أشعر إلّا بعصفور قد سقط في المطهرة الّتي فيها الماء للطهور ، عطشاً ، [فشرب ، فنهض إليه الشاهمرج ، فناهضه ، فلضعفه ما قصر عنه ،

---

١٢ الطوى ، بالفتح : الجوع .

١٣ دبيق : بليدة بمصر بين الفرما وتنيس ، تنسب إليها الثياب الدبيقيّة (معجم البلدان ٢ / ٥٤٨) .

١٤ في م : واشتر عليقاً للدابّة ، والعليق والعلف ، بمعنى واحد ، وهو ما تطعمه الدواب .

١٥ قرم إلى اللحم : اشتدّت شهوته له .

١٦ شاهمرج : معرب : شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير ، طائر طويل الساقين يأكل الحيّات ، والحشرات ، والجيف (الحيوان للجاحظ ١ / ٢٨ و٣ / ٣٣٦ و٤ / ١٦٦ و٣٠١ و٦ / ٣٧٤ والمخصّص لابن سيده ٨ / ١٥٣) .

وطار العصفور ، ووقف الشاهمرج ، فعاد العصفور إلى المطهرة ، فبادره الشاهمرج][17] فأخذه بحميّة ، فابتلعه . فلمّا صار في حوصلته ، عاد إلى المطهرة ، فتغسّل ، ونشر جناحيه وصاح ، فبكيت ، ورفعت رأسي إلى السّماء ، وقلت : أللهمّ ، كما فرّجت عن هذا الشّاهمرج ، فرّج عنّا ، وارزقنا من حيث لا نحتسب .

فما رددت طرفي ، حتّى دقّ بابي ، فقلت : من أنت ؟

قال : أنا إبراهيم بن يوحنّا ، وكيل العبّاس بن المأمون .

فقلت : ادخل ، فدخل [٤٥ م] ، فلمّا نظر إلى صورتي ، قال : ما لي أراك على هذه الصّورة ، فكتمته خبري .

فقال لي : الأمير يقرأ عليك السّلام ، وقد اصطبح اليوم ، وذكرك وقد أمر لك بخمسمائة دينار ، وأخرج الكيس فوضعه بين يديّ .

فحمدت الله تعالى ، ودعوت للعبّاس[18] ، ثمّ شرحت له قصّتي ، وأطفته في داري وبيوتي ، وحدّثته بحديث الدابّة ، وما تقاسيه من الضرّ ، والمنديل ، والشاهمرج ، والدعاء ، فتوجّع لي ، وانصرف .

ولم يلبث أن عاد ، فقال لي : صرتُ الى الأمير ، وحدّثته بحديثك كلّه ، فاغتمّ لذلك ، وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ، قال : تأثّث بتلك ، وأنفق [٤٦ ظ] هذه ، إلى أن يفرج الله .

وعاد غلامي ، وقد باع المنديل ، واشترى منه ما أردته ، فأريته الدنانير ، وحدّثته الحديث ، ففرح حتّى كاد أن تنشقّ مرارته .

وما زال صنع الله يتعاهدنا[19] .

---

١٧ الزيادة من غ .

١٨ في م : ودعوت للأمير .

١٩ وردت في حل العقال ص ٣٩ .

صاحب البريد

اختلف المؤرخون في أصل كلمة البريد ، فقيل إنّ أصلها فارسي من : برّيدن ، أي العبور (المعجم الذّهبي ، فارسي – عربي) ، وقيل ، من : بريده دم ، أي محذوف الذنب ، لأنّ دواب البريد كانت كذلك (شفاء الغليل ٣٩) وقيل من : بردن ، أي نقل وحمل (الألفاظ الفارسيّة المعرّبة ١٨) ،وقيل :إنّ أصلها لاتيني ، من Veredus ، ومعناها : دابة البريد ، ثمّ صرفت إلـى ناقل البريد ، ثم أطلقت بعد ذلك على نظام البريد (دائرة المعارف الإسلاميّة ٣ / ٦٠٩ ، والألفاظ الفارسيّة المعرّبة ١٨) .

والبريد : ولاية جليلة خطيرة ، ومتقلّدها يحتاج إلى جماعة كثيرة ، وإلى مواد غزيرة ، ومن جملة أعماله حفظ الطريق ، وبذرقتها ، وصيانتها من القطّاع والسرّاق ، وطروق الأعداء ، وانسلال الجواسيس في البرّ والبحر ، وإليه ترد كتب أصحاب الثغور ، وولاة الأطراف ، وهو يوصلها بأسرع ما يمكن من اختصار الطرق ، واختيار المراكب والراكب (آثار الدول ٨٥) ، وأصحاب البريد للملوك ، بمنزلة العيون الباصرة ، والآذان السامعة ، فإن أهمل الملك ذلك ، ولم يكشف له حال أوليائه وأعدائه ، انطوت عنه الأخبار ، ولم تستقم له السياسة ، بل لا يحسّ بالشرّ حتّى يقع فيه (آثار الدول ٨٣) .

وأوّل من وضع البريد ، معاوية بن أبي سفيان (الفخري ١٠٦) ولم يكن البريد ، عندئذ ، مثل ما نعرفه الآن في نقل الرسائل ، وإنّما كان مقصوراً على نقل ما يهمّ الدّولة ورجالها ، كما كان صاحب البريد ، في كلّ كورة ، بمثابة عين للخليفة يكتب إليه بكلّ ما يقع عليه بصره ، أو يصل إلى أذنه من أخبار (تاريخ بغداد لابن طيفور ٦٤) .

وقال المنصور يوماً : ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر ، لا يكون على بابي أعفّ منهم ، وهم أركان الملك لا يصلح إلاّ بهم ، أوّلهم : قاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، وثانيهم : صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، وثالثهم : صاحب خراج يستقصي لي ، ولا يظلم الرعيّة ، أمّا الرابع : فصاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء ، على وجه الصحّة (لطف التدبير ١٣ ، ابن الأثير ٦ / ٢٦ ، الطبري ٨ / ٦٦) .

ومن مشاهير من ولّي البريد ، أبو تمام حبيب بن أوس الطّائي ، الشّاعر المشهور ، فإنّ الحسن بن وهب ولاّه بريد الموصل ، فأقام بها أقلّ من سنتين ، ومات سنة ٢٣١ فبنى على قبره أبو نهشل بن حُمَيد الطوسي قبّة (وفيات الأعيان ٢ / ١٥ – ١٧) ، وأحسب أنّ ذلك جزاء رثائه محمّد بن حميد الطّوسي بقصيدته العجيبة ، الّتي مطلعها :

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذر

وكذلك مسلم بن الوليد الأنصاري الشاعر ، ولاّه الفضل بن سهل بريد جرجان (القصّة ٢٧٦ من هذا الكتاب) وعليّ بن بسّام ، ولاّه القاسم بن عبيد الله البريد بجند قنسرين (مروج الذهب ٢ / ٥٤٦) وابن خرداذبه ، ولاّه المعتمد العبّاسي البريد والخبر بنواحي الجبل (الأعلام ٤ / ٣٤٣) وكان أوّل أمر ابن عبدكان ، شيخ الكتّاب بمصر ، أنّه ولي البريد بدمشق وحمص ، ثم كتب للطولونية بمصر ، وتوفي سنة ٢٧٠ (الوافي بالوفيات ٣ / ٣١٥ والأعلام ٧ / ٩٥) ، وأبو محمّد عبد الرزّاق بن الحسن الشاعر المعروف بابن أبي الثياب ، ولّي البريد ببخارى (أخلاق الوزيرين ٢٤٧ و٣٤٨ و٤٢٥) .

ولا ينبغي أن تكون بين صاحب البريد ، وبين الملك ، واسطة ، كما أنّه ليس لأحد من الولاة ، أو العمّال ، أو القادة ، على صاحب البريد حكم ، ولا سلطة ، ورسائله ترد إلى الحضرة بأعجل السبل ، وليس لأحد أن يفتحها ، أو أن يؤخّرها ، أو أن يتعرّض لها بكلّ وسيلة .

وللبريد ، في الحضرة ، ديوان خاص ، يليه الثقة المؤتمن ، يجمع صاحبه جميع الرسائل الّتي ترد من الأطراف ، ويطالع بها فور وصولها .

والمقتضي أن يكون صاحب البريد مطّلعاً على جميع الأخبار ، في جميع الجهات ، بحيث لا تخفى عليه خافية ، قال الشاعر يهجو صاحب ديوان البريد [ديوان البحتري ٧٩٢] :

دهتك بعلة الحمّام خَود ومالت في الطريق : إلى سعيد
أرى أخبار بيتك عنك تخفى فكيف وليت ديوان البريد

١١٠

ويوم الوشاح من تعاجيب ربّنا

قال المدائني في كتابه ، وجاء به القاضي أبو الحسين في كتابه عن المدائني بغير إسناد ، واللفظان متقاربان :

إنّ أعرابيّة كانت تخدم نساء النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت كثيراً ما تتمثّل :

ويوم الوشاح من تعاجيب[١] ربّنا ألا أنّه من ظلمة الكفر نجّاني

فقيل لها : إنّك تكثرين من التمثّل بهذا البيت ، وإنّا نظنّه لأمرٍ ، فما هو ؟

قالت : أجل ، كنت [٦٠ غ] عسيفة على قوم بالبادية .

قال مؤلّف هذا الكتاب : العسيف : الأجير .

فوضعَتْ جارية منهم وشاحاً ، فمرّت عقاب ، فاختطفته ونحن لا ندري ، ففقدنه ، وقلن أين هو ؟ أنت صاحبته ، فحلفتُ ، واعتذرتُ ، فأبين قبول قولي وعذري ، واستعدين بالرّجال ، فجاءوا ففتّشوني ، فلم يجدوا شيئاً .

فقال بعضهم : احتملته في فرجها .

فأرادوا أن يفتّشوا فرجي ، فما ظنّكم بامرأة تخاف ذلك .

فلمّا خفت الشرّ[٢] ، رفعت رأسي إلى السّماء فقلت : يا ربّاه ، أغثني ، فمرّت العقاب فطرحته بيننا ، فندموا ، وقالوا : ظلمنا المسكينة ، وجعلوا يعتذرون إليّ ، فما وقعت في كربة إلّا ذكرت ذلك ، وهو يوم الوشاح ، فرجوت الفرج .

حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن

---

١ التّعاجيب : العجائب ، ولا مفرد لها .

٢ في م : فلمّا أيقنت بالشرّ .

أبي الدّنيا ، قال : حدّثني محمّد بن الحجّاج الضبّي ، قال : حدّثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كانت امرأة تغشانا ، تتمثّل بهذا البيت :

ويوم السّخاب من تعاجيب ربّنا   على أنّه من ظلمة الكفر نجّاني

فقالت لها أمّ سلمة : وذكر نحو ذلك .. إلّا أنّه قال فيه : فقالت عجوز منهنّ لارعة لها فتّشوا مالها ، أي فرجها[٣] ، فأشرفتُ على الفضيحة ، فرفعت رأسي إلى السّماء ، فقلت : يا غياث المستغيثين ، فما أتممتها ، حتّى جاء غراب

---

٣ المال : في الأصل ، ما يملكه الإنسان من الأشياء (لسان العرب) وسمّي : مالاً ، لميل الإنسان إليه ، وكان يطلق على الذهب والفضّة ، ثم أطلق على كلّ ما يقتني ويملك من الأعيان ، والمال عند العرب : الماشية (التلخيص لأبي هلال العسكري ١ / ٣٢٠) وتسمّى الضياع أيضاً : مالاً ، يقال : خرج إلى ماله ، أي إلى ضياعه أو إبله (أساس البلاغة للزمخشري ٢ / ٤٠٦) ، أمّا في بغداد وما يجاورها ، فإنّ كلمة : المال ، تقوم مقام كلمة : الهن ، أي إنّها كناية عن عضو التناسل سواء عند المرأة أو الرجل أو الحيوان ، قال أحد الشعراء العراقيّين :

ظبيةٌ من آل مالك   أوقعتني في المهالك

قلت بالله أرحميني   وضعي مالي بمالك

لاحظ : أنّ كاف المؤنّث تلفظ في بغداد ، وما جاورها شيناً مشبعاً ، كأنّها الجيم الفارسيّة ، وهو ما يسمّى : كشكشة تميم (راجع محاضرات الأدباء ١ / ٦٣) ونسبها صاحب العقد الفريد إلى تغلب ، وسمّاها : شنشنة تغلب (العقد الفريد ٢ / ٤٧٧) وكان أحد شعراء الحلّة ، يبيع جلال الدوابّ ، جاءته أعرابيّة عجوز ، وغافلته ، وسرقت مخيطه ، فقال :

ربّ عجوز سرقت مخيطي   وانصرفت تسحب أذيالها

ماذا تراها قد أرادت به   لعلّها خاطت به مالها

ولذلك ، فإنّ عرب العراق ، لا يسمّون الماشية والإبل : مالاً ، وإنّما يسمّونها : حلالاً .

فرمى السخاب[4] بيننا ، فلو رأيتهم يا أمّ المؤمنين وهم حواليّ ، يقولون : اجعلينا في حلّ ، فنظمت ذلك في بيت ، فأنا أنشده لئلّا أنسى النّعمة ، فأترك شكرها[5] .

---

٤ السخاب ، بكسر السين ، وجمعه سخب ، بضم السين والخاء : القلادة من القرنفل ، قال الشاعر :

وإنّا لنلهو بالسيوف كما لهت ... فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

٥ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٦٠ .

١١١

بين يحيي البرمكي والفضل بن الرّبيع

ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال : حدّثني أبو الحسن محمّد بن عبد الله بن الحسين بن سعد ، عن أبيه عبد الله بن الحسين ، قال : حدّثني الحسين ابن نمير الخزاعي ، قال :

صار الفضل بن الرّبيع[1] إلى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي[2] في حاجة

---

١ أبو العبّاس الفضل بن الربيع بن يونس (١٣٨ – ٢٠٨) : كان يخلف أباه الرّبيع في حجابة المنصور ، وخدم الرشيد ، وأغراه بالبرامكة حتّى نكبهم ، واستوزره من بعدهم ، ولمّا ولّي الأمين أقرّه على وزارته . فأغراه بأخيه المأمون ، وأشعل الفتنة بينهما ، ولمّا ظفر المأمون استتر الفضل ، ثمّ عفا عنه المأمون ، وأهمله بقيّة حياته ، ومات بطوس (الأعلام ٥ / ٣٥٣ ، وفيات الأعيان ٤ / ٣٧ – ٤٠ والبدء والتاريخ للمقدسي ٦ / ١٠٧ ، والفخري ١٧٧ ، وراجع كذلك البصائر والذخائر م٢ ق٢ ص ٧٣١) ، ولم يكن الفضل ، ولا أبوه من قبله ، متّصفين بصفة من صفات الفضل ، من شجاعة أو سماحة ، فكانا يحسدان ذوي الفضل من رجال الدّولة ، ويدسّان لهم عند الخلفاء ، فقد دسّ الربيع على وزير المهديّ ، حتّى عزل ، ودسّ الفضل على البرامكة ، حتّى أجتيحوا ، ولم يخفّف استئصالهم من حقده عليهم ، فكان إذا ذكر أحد من البرامكة أمامه بخير ، تغيّر لونه ، وظهرت الكراهية في وجهه (الأغاني ٤ / ٨٩) ودخل ابن مناذر الشاعر على الرّشيد ، فبدره الفضل ، قبل أن يتكلّم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ، ومادحهم ، فأمر به الرشيد ، فلطم وجهه ، وسحب حتّى أخرج (الأغاني ١٨ / ٢٠١) راجع العقد الفريد ٤ / ٢١٤ والطبري ٨ / ٣١٠ – ٣١٢ .

٢ الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (١٤٧ – ١٩٣) : وزير الرّشيد العبّاسي ، وأخوه في الرضاع ، كان من أجود النّاس ، استوزره الرّشيد مدّة قصيرة ، ثم ولّاه خراسان سنة ١٧٨ فأحسن السيرة فيها ، وكان ببغداد لمّا فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧ فقبض عليه وعلى أبيه يحيى ، وسجنهما في الرقّة ، واستصفى أموالهما وأموال البرامكة كافّة ، وتوفّي الفضل في السجن ، قال ابن الأثير : كان الفضل من محاسن الدّنيا ، لم ير في العالم مثله (الأعلام ٥ / ٣٥٨) وكان الفضل لا يشرب الخمر ، وعتب عليه الرّشيد ، وثقل عليه مكانه لتركه الشرب معه ، وكان الفضل يقول : لو علمت أنّ الماء ينقص من مروءتي ما شربته (الطبري ٨ / ٢٩٣) .

له ، فلم يرفع له رأساً ، ولا قضى حاجته ، فقام مغضباً ، فلم يدع بدابّته ، ولا اكترث له ، ثم أتبعه رجلاً ، فقال : انظر ما يقول ، فإنّ الرّجل ينبئ عما في نفسه في ثلاثة مواضع [٦١ غ] إذا اضطجع على فراشه ، وإذا خلا بعرسه[٣] ، وإذا استوى على سرجه ، قال الرّجل : فاتّبعته ، فلمّا استوى على سرجه ، عضّ على شفتيه ، وقال :

عسى وعسى يثني الزّمان[٤] عنانه　　بدور زمان والزّمان يدور [٣٦ ر]
فيعقب روعات سروراً وغبطة　　وتحدث من بعد الأمـور أمـور

فلم يكن بين ذلك ، وبين أن سخط الرّشيد على البرامكة ، واستوزر الفضل بن الرّبيع ، إلّا أيّاماً يسيرة .

وحدّثني بهذا الخبر ، أبي ، على مثل هذا الإسناد ، ولم أحفظه ، لأنّي لم أكتبه عنه في الحال ، فقال في البيت الأوّل :

عسى وعسى يثني الزّمان عنانه　　بعثرة دهـر والزّمـان عثـور

وقال في البيت الثّاني :

فتدرك حاجات وتقضى مـآرب　　وتحدث من بعد الأمور أمور

وزاد فيه أنّ [الفضل بن] يحيى بن خالد ردّه فقضى حوائجه .

وأخبرنيه محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : حدّثني أبو بكر الصولي ، عن ميمون بن هارون قال : حدّثني الحسين بن نمير الخزاعي ، وذكره ، وقد دخل فيما أجازه لي الصولي .

وقرئ على أبي بكر الصولي بالبصرة ، في كتابه « كتاب الوزراء » بسنة خمس

---

٣ في م : إذا خلا بنفسه .
٤ في م : يثني القضاء .

وثلاثين وثلثمائة ، وأنا حاضر أسمع ، قال : حدّثنا أحمد بن يزيد بن محمد ، يعني المهلّبي ، قال : حدّثني أبي ، عن إسحاق ، قال :

دخل الفضل بن الرّبيع على يحيي بن خالد ، فلم يوسّع له ، ولا هشّ به ، ثم قال : ما جاء بك يا أبا العبّاس ؟

قال : رقاع معي . فردّه عن جميعها ، فوثب الفضل وهو يقول :

عسى وعسى يثني الزّمان عنانه بعثرة دهر والزّمان عثور
فتدرك آمال وتحوى رغائب وتحدث من بعد الأمور أمور

فردّه يحيي ، ووقّع[٥] له بجميع ما أراد .

---

٥ التوقيع في الكتاب : إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه ، ويراد به التعليق الذي يعلّق به من رفع إليه الكتاب ، سواء كان بالتأييد أو الردّ ، وكلمة (التوقيع) الآن ، تعني ما يثبته الكاتب في ذيل ما كتب ، إشارة إلى اسمه ، ويسمّى كذلك : الإمضاء .

١١٢

دعاء للشّفاء من العلل

وأخبرني علي بن عبد الله الورّاق ، المعروف بابن أبي لؤلؤ ، قال : حدّثنا محمّد بن جرير الطّبري ، قال : حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا ابن وهب ، قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن عبد الرّحمن بن علي ، عن عبد الله بن جعفر :

أنّ رجلاً أصابه مرض شديد ، منعه من الطّعام والشّراب والنوم [٦٢ غ] ، فبينا هو ذات ليلة ساهراً ، إذ سمع وجبة شديدة[١] في حجرته ، فإذا هو كلام ، فوعاه ، فتكلّم به ، فبرأ مكانه ، وهو : أللهمّ أنا عبدك ، وبك أملي ، فاجعل الشّفاء في جسدي ، واليقين في قلبي ، والنور في بصري ، والشّكر في صدري ، وذكرك باللّيل والنّهار – ما بقيت – على لساني ، وارزقني منك ، رزقاً غير محظور ولا ممنوع .

---

١ الوجبة ، وجمعها وَجَبَات : السقطة مع الهدّة ، أو صوت السّاقط .

البَابُ الرَّابع

من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ
واستوقف مكروهه بموقظ بيان أو وعظ

١١٣
بين المأمون وعمرو بن مسعدة

قُرِئَ على أبي بكر محمد بن يحيي الصولي [بالبصرة][١] ، وأنا حاضر أسمع ، [في كتابه الوزراء][١] [سنة خمس وثلاثين وثلثمائة][٢] ، قال : حدّثني عليّ ابن محمّد النوفليّ :

أنّ المأمون ذكر عمرو بن مسعدة[٣] ، فاستبطأه في أشياء ، [وقال : أيحسب عمرو أنّي لا أعرف أخباره ، وما يجى إليه ، وما يعامل به الناس ، بلى والله ، ثم يظنّ أنّه لا يسقط عليّ منه شيء ؟][٤] ، وكان أحمد بن أبي خالد حاضراً لذلك ، فمضى إلى [٤٦ م] عمرو ، فأخبره بما قال المأمون .

فنهض من ساعته ، ودخل إلى المأمون ، فرمى بسيفه ، وقال : أنا عائذ بالله من سخط أمير المؤمنين[٥] ، وأنا أقلّ من أن يشكوني إلى أحد ، أو يسرّ عليّ ضغناً

---

١ الزيادة من غ .

٢ الزيادة من م .

٣ أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد الصوليّ : وزير المأمون ، كاتب بليغ ، كان يوقّع بين يدي جعفر البرمكيّ في أيّام الرشيد ، واتّصل بالمأمون فرفع مكانته ، وكان جواداً ممدّحاً ، فاضلاً ، نبيلاً ، توفّي في أطنه سنة ٢١٧ (الأعلام ٥ / ٢٦٠) .

٤ الزيادة من تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١١٩ .

٥ في م : من غضب أمير المؤمنين .

يظهر منه بكلامه ما ظهر .

فقال له [المأمون : وما ذاك ؟ فأخبره بما بلغه .

فقال :][1] لم يكن الأمر كذلك ، وإنّما جرى معنًى أوجب ذكر ما ذكرتُ ، فقدّمته قبل أن أخبرك به ، وكان ذلك عزمي ، وما لك عندي إلّا ما تحبّ ، فليفرخ روعك ، وليحسن ظنُّك ، وسكَّن منه حتى شكره ، وجعل ماء الحياة يدور في وجهه .

فلمّا دخل أحمد بن أبي خالد إلى المأمون ، قال له : أشكو إليك من بحضرتي من خدمي وأهلي ، أما لمجلسي حقّ ولا حرمة ليُكتم ما يجري فيه ، حتى يؤدّى إلى عمرو بن مسعدة ؟ فإنّه قد أبلغ أشياء قلتها فيه ، واتّهمت فيها بعض بني هاشم [٤٧ ظ] ممّن كان حاضراً ، وذلك أنّ عمراً دخل عليّ ، وأعاد ما كان ، فاعتذرت له بعذر لم يبن الحق [نسجه ، ولم يتّسق القول مني فيه ، وإنّ لسان الباطل ، لعيّ الظاهر والباطن ، وما نعش الباطل أحداً][1] قال له أحمد [: لا يتّهم أمير المؤمنين أحداً][1] ، أنا أخبرت عمراً ،

قال : وما دعاك إلى ذلك ؟

قال : الشكر لله ، ولك لاصطناعك ، [والنصح لك][1] ، والمحبّة لتمام نعمتك على أوليائك وخدمك ، وقد علمتُ أنّ أمير المؤمنين يحبّ استصلاح الأعداء والبعداء ، فكيف بالأولياء والقرباء ، ولاسيّما مثل عمرو ، في موضعه من الدولة ، وموقعه من الخدمة ، ومكانه من رأي أمير المؤمنين ، فخبّرته بما أنكره عليه ، ليقوّم أود نفسه ، ويتلافى ما فرط منه ، وإنّما العيب لو أفشيت كلاماً فيه لأمير المؤمنين سرٌّ ، أو قدح على السلطان ، أو نقض تدبير له .

فقال له : أحسنت والله يا أحمد ، إذ كفيتني مخاضة الظنّ ، وصدقتني عن نفسك ، وأزلت التهمة عن غيرك .

١١٤

المنصور العبّاسيّ يحشر العلويّين جميعاً إلى الكوفة ويتهدّدهم

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيّ ، قال : حدّثني الحسن بن عليّ السلولي ، قال : حدّثني أحمد بن رشيد ، قال : حدّثني أبو معمر سعيد بن خثيم[١] ، قال : حدّثني يونس بن أبي يعفور[٢] ، قال : حدّثني جعفر بن محمّد[٣] ، من فيه إلى أذني ، قال :

لما قتل إبراهيم بن عبد الله عليه السّلام[٤] ، بباخمرى[٥] ، حشرنا من المدينة ، فلم يترك منّا فيها محتلم ، حتّى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً نتوقّع القتل .

ثم خرج إلينا الربيع الحاجب ، فقال : أين هؤلاء العلويّة ؟ [٦٣ غ] أَدخِلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم .

قال : فدخلت أنا إليه ، والحسن بن زيد ، فلمّا صرت بين يديه ، قال لي : أنت الّذي تعلم الغيب ؟

---

١ أبو معمّر سعيد بن خثيم بن رشد الهلاليّ الكوفيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٧ .

٢ يونس بن أبي يعفور العبدي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٨٠ .

٣ الإمـام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب .

٤ ظهر إبراهيم بالبصرة في السنة ١٤٥ وحاربه الجند العباسيّ هناك بقيادة جعفر ومحمّد ولدي سليمان ابن علي ، فهزمهما ، ثم مضى إبراهيم بنفسه إلى باب زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، وإليها ينسب الزينبيّون من العباسيّين ، فنادى بالأمان ، وأن لا يعرض لهم أحد (ابن الأثير ٥/ ٥٦٤) .

٥ باخمرى : موضع بين الكوفة والبصرة ، وهو إلى الكوفة أقرب ، يبعد عنها ١٧ فرسخاً ، فيه كانت الوقعة بين المنصور وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فقتل إبراهيم هناك ، قال ياقوت في معجم البلدان ١ / ٤٥٨ : وقبره إلى الآن يزار ، وإيّاه عنى دعبل بقوله :

وقبر بأرض الجوزجان محلّه ... وقبر بباخمرى لدى الغَربات

قلت : لا يعلم الغيب إلّا الله .

قال : أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج ؟

قلت : إليك يجبى يا أمير المؤمنين الخراج .

قال : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟

قلت : لا .

قال : أردت أن أهدم رباعكم ، وأغوّر قُلُبكم[6] ، وأعقر نخلكم ، وأنزلكم بالسّراة[7] ، فلا يجيئكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق ، فإنّهم لكم مفسدة .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ سليمان عليه السّلام أُعطي فشكر ، وإنّ أيّوب عليه السّلام ابتلي فصبر ، وإنّ يوسف عليه السلام ظُلم فغفر ، وأنت من ذلك السنخ .

قال : فتبسّم ، وقال : أعدْ ، فأعدت .

فقال : مثلك فليكن زعيم القوم ، قد عفوت عنكم ، ووهبت لكم جرم أهل البصرة ، حدّثني الحديث الّذي حدّثني به عن أبيك ، عن آبائه ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : صلة الرحم ، تعمّر الديار ، وتطيل الأعمار ، وتكثّر العمار ، وإن كانوا كفاراً .

قال : ليس هذا .

فقلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن عليّ ، عن رسول الله صلّى الله عليه

---

٦ غار الماء : ذهب في الأرض . والقليب : البئر . والجمع : قُلْب وقُلُب وأقلبة .

٧ السراة : الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن (معجم البلدان ٣ / ٦٥) .

وسلّم ، أنّه قال : الأرحام معلّقة بالعرش ، تقول : صِلْ من وصلني ، واقطع من قطعني .

قال : ليس هذا .

قلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن علي ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : إنّ الله تبارك وتعالى يقول : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته .

قال : ليس هذا الحديث .

قلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السّلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : إنّ ملكاً من ملوك الأرض ، كان بقي من عمره ثلاث سنين ، فوصل رحمه ، فجعلها الله عزّ وجلّ ، ثلاثين سنة .

قال : هذا الحديث أردت ، أيّ البلاد أحبّ إليكم ؟ فوالله ، لأصلنّ رحمي اليوم .

قلنا : المدينة .

قال : فسرّحنا إلى المدينة ، وكفانا الله عزّ وجلّ ، مؤونته[8] .

---

٨ انفردت بها غ ، ووردت باختصار في العقد الفريد ٣ / ٢٢٤ .

١١٥

بين الإمام جعفر الصادق والمنصور العبّاسي

[ووقع إليّ هذا الخبر ، على خلاف هذه السياقة ، وجدته في بعض الكتب بغير إسناد : إنّ معاذاً ، مولى إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس رحمهم الله ، قال :

كنت قائماً على رأس محمّد بن إسماعيل ، مولاي ، ورزام[1] ، مولى [محمّد بن] خالد بن عبد الله القسريّ[2] ، يحدّثه ، وكان كاتبه إذ ذاك ، قال :][3]

وجّهني محمّد بن خالد القسريّ ، لآتيه بجعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب[4] ، من المدينة ، إلى المنصور .

---

١ رزام : مولى محمّد بن خالد بن عبد الله القسري ، وكان يكتب له ، لما ولّاه المنصور على المدينة ، ولمّا عزل المنصور محمّداً ، أمر بمحاسبته فاعتقل ، واعتقل معه رزام ، ولمّا ظهر محمّد بن عبد الله النفس الزكية بالمدينة ،أخرجهما من السجن ، ثم انسلّ رزام إلى المنصور (الطبري ٧ / ٥٣٣ ، ٥٥٧ ، ٥٧٢ وابن الأثير ٥ / ٥٢٠ و٥٣٠ ، ٥٤٢) .

٢ محمّد بن خالد بن عبد الله القسريّ : كان أبوه خالد القسريّ ، من كبار عمّال الدّولة الأموية ، وأمر الوليد بن يزيد بن عبد الملك باعتقاله ، فحبسه يوسف بن عمر الثقفي وعذّبه حتى قتله (الطبري ٧ / ٢٦٠) وطورد ولده محمّد ، فخرج بالكوفة مسوّداً ،يدعو لبني العباس (٧ / ٤١٧) ثمّ ولّاه المنصور على المدينة ، وأمره بطلب النفس الزكيّة محمّد بن عبد الله بن الحسن (٧ / ٥١١ و٥٣١) ثمّ استبطأه ، فعزله واعتقله (٧ / ٥٣٢) ولمّا ظهر النفس الزكيّة ، أطلقه من الاعتقال (٧ / ٥٥٧) ثمّ تبيّن له أنّه يكاتب المنصور بأخباره ، فأعاد اعتقاله ، وظلّ في الحبس حتى أطلقه عيسى بن موسى العباسيّ قائد جيش المنصور (٧ / ٥٦١ ، ٥٧٢) .

٣ الزيادة من غ .

٤ الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي السجّاد زين العابدين (٨٠ – ١٤٨) : سادس الأئمّة ، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك ، وكان جريئاً صدّاعاً بالحق ، ولد وتوفّي بالمدينة (الأعلام ٢ / ١٢١) .

فلمّا صرنا بالنجف ، نزل عن راحلته ، وأسبغ الوضوء ، واستقبل القبلة ، وصلّى ركعتين ، ثمّ رفع يديه إلى السماء ، وأنا بالقرب منه ، فسمعته يقول [٣٧ ر] : اللّهم بك أستفتح ، وبك أستنجح ، وبمحمّد عبدك ورسولك أتوجّه ، اللّهم إنّي أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من شرّه [٤٧ م] اللّهمّ سهّل لي حزونته ، وذلّل لي صعوبته ، وأعطني من الخير أكثر ممّا أرجو ، واكفني من الشرّ أكثر ممّا أخاف ، ثم جاء فركب ومضى .

[فلمّا قيل لأبي جعفر : إنّه بالباب ، أمر بالستور فرفعت ، وبالأبواب ففتحت ، ثم خرج إليه ، فلقيه في منتصف الدّار [٦٤ غ] فعانقه أبو جعفر ، وأخذ بيده يماشيه مقبلاً عليه ، حتّى انتهى إلى مجلسه ، فأجلسه فيه ، ثمّ أقبل عليه المنصور يسائله ، وأقبل جعفر يدعو له ويفدّيه .

ثمّ إنّ المنصور قال له : عرفتَ ما كان من أمر هذين الرجلين ، يعني محمّداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، وما كان من برّي بهما ، وقد استترا ، وخفت أن يشقّا العصا ، ويلقيا بين أهل هذا البيت شرًّا لا يصلح أبداً ، فأخبرني بخبرهما ، ودلّني عليهما .

فقال له جعفر : قد والله نهيتهما فلم يقبلا ، وكرهت أن أطّلع على شيء من أمورهما ، وما زلت مائلاً إليك ، وحاطباً في حبلك ، ومواظباً على طاعتك .

فقال له المنصور : صدقت ، ولكنّك تعلم ، أنّي أعلم ، أنّ علم أمرهما عندك ، ولن أقنع إلّا أن تخبرني بخبرهما وأمرهما .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أتلو عليك آية من كتاب الله عزّ وجلّ ، فيها منتهى علمي بهما .

قال : هات ، على اسم الله .

فتلا عليه : ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولّن الأدبار ، ثمّ لا ينصرون ﴾ .

فخرّ المنصور ساجداً ، وقال : حسبك . ولم يسأله بعد ذلك عن شيء من أمرهما][5] .

[وروي لي هذا الخبر على وجه آخر ، حدّثنا به عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني عيسى بن أبي حرب الصفّار[6] ، والمغيرة بن محمّد[7] ، قالا : حدّثنا عبد الأعلى بن حمّاد[8] ، قال : حدّثني الحسن بن الفضل بن الرّبيع ، قال : حدّثني عبد الله بن الفضل ابن الرّبيع][9] عن الفضل بن الربيع ، قال : حدّثني أبي ، قال :

حجّ أبو جعفر المنصور سنة سبع وأربعين ومائة ، فلمّا قدم المدينة ، قال لي : ابعث إلى جعفر بن محمّد من يأتيني به بغتة[10] ، قتلني الله إن لم أقتله ، فأمسكت عنه[11] ، رجاء أن ينساه ، فأغلظ لي في الثانية .

فقلت : جعفر بن محمّد بالباب يا أمير المؤمنين ، قال : ائذن له ، فأذنت له.

فلمّا دخل ، قال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : لا سلّم الله عليك ، يا عدوّ الله ، تلحد في سلطاني ، وتبغيني الغوائل في ملكي ، قتلني الله إن لم أقتلك .

---

٥ انفردت بها غ وم .

٦ أبو يحيي عيسى بن موسى بن أبي حرب الصفّار البصري : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ١٦٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٧ .

٧ أبو حاتم المغيرة بن محمّد بن المهلّب بن المغيرة المهلّبي الأزدي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٣ / ١٩٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٧٨ .

٨ أبو يحيي عبد الأعلى بن حمّاد الباهلي البصري المعروف بالنرسي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٧٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٧ .

٩ الزّيادة من غ .

١٠ في غ : بغتاً ، وفي مخطوطة (د) : تعباً .

١١ في م : فامتنعت عليه .

فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنَّ سليمان أعطي فشكر ، وإنّ أيّوب ابتلي فصبر ، وإنّ يوسف ظُلمَ فغفر ، وأنت من ذلك السنخ[12] ففكر[13] طويلاً . ثمّ رفع رأسه ، فقال : أنت عندي ، يا أبا عبد الله ، البريء الساحة ، السّليم الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله عن ذي رحمك ، أفضل ما يجزي ذوي الأرحام عن أرحامهم .

ثم تناول يده ، فأجلسه على مفرشه ، واستدعى بالمنفحة ، والمنفحة مدهن كبير فيه غالية ، فغلّفه بيده ، حتّى قطرت لحيته .

ثمّ قال له : في حفظ الله وفي كلاءته ، يا ربيع ، أَلحِقْ أبا عبد الله جائزته وكسوته .

قال الرّبيع : فتبعته ، فلمّا لحقته ، قلت له : إنّي رأيت ما لم ترَ ، وسمعت ما لم تسمع ، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت ، وقد رأيتك تحرّك شفتيك بشيء ، فما الّذي قلت ؟

فقال : نعم ، إنّك رجل منّا أهل البيت ، ولك محبّة ومودّة ، اعلم أنّني قلت : أللّهمّ احرسني بعينك الّتي لا تنام ، واكنفني بركنك الّذي لا يرام ، وأدركني برحمتك ، واعف عنّي بقدرتك ، لا أهلك وأنت رجائي ، ربّ ، كم من نعمة أنعمت بها عليّ ، قلّ لك عندها شكري فلم تحرمني ، وكم من بليّة [٦٥ غ] ابتليتني بها ، قلّ لك عندها صبري فلم تخذلني ، [فيا من قلّ عند نعمه شكري فلم يحرمني ، ويا من قلّ عند بليّته صبري فلم يخذلني][14] ، يا من

---

١٢ السنخ : الأصل ، وجمعه أسناخ وسنوخ .

١٣ في غ : فنكس .

١٤ الزيادة من غ .

رآني على الخطايا فلم يهتكني [١٥] . يا ذا المعروف الّذي لا ينقضي [١٦] أبداً ، ويا ذا النّعماء الّتي لا تحصى عدداً ، صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ، بك أدرأ في نحره ، وأعوذ بك من شرّه ، اللّهم أعنّي على ديني بدنياي ، وعلى آخرتي بتقواي ، واحفظني فيما غبت عنه ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، يا من لا تضرّه الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة ، اغفر لي ما لا يضرّك ، وأعطني ما لا ينقصك ، إنّك أنت الوهّاب ، أسألك فرجاً قريباً ، وصبراً جميلاً ، ورزقاً واسعاً ، والعافية من جميع البلايا ، وشكر العافية [١٧] .

١٥ في غ : فلم يفضحني .

١٦ في م : لا ينقطع .

١٧ في م : وشكر العاقبة ، ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٥ .

١١٦

بين موسى الهادي وأحد كتّابه

وذكر محمّد بن عبدوس الجهشياري[١] ، في [٤٨ ظ] كتابه « الوزراء » : أنّ موسى الهادي ، سخط على بعض كتّابه ، ولم يسمّه ، فجعل يقرّعه[٢] ، ويؤنّبه ، ويتهدّده ، ويتوعّده .

فقال له الكاتب : يا أمير المؤمنين ، إنّ اعتذاري إليك [فيما تقرّعني به][٣] ردّ عليك ، وإقراري بما بلغك عنّي ، يوجب ذنباً لم أجنه ، ولكنّي أقول كما قال الشّاعر :

إذا كنت ترجو في العقاب تشفّياً ... فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

فصفح عنه ، [وأمر بترك التعرّض له][٣] ، وأحسن إليه ، وصرفه مكرّماً .

---

١ أبو عبد الله محمّد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري الكوفي : كاتب مؤرّخ ، كان أبوه يحجب الوزير عليّ بن عيسى الجرّاح ، فخلفه على حجابته ، ثمّ حجب حامد بن العباس في وزارته للمقتدر ، وصاحب الوزير ابن مقلة ، فاعتقل لمّا نكب ابن مقلة ، وصودر فأدّى ثمانين ألف دينار ، وأطلق ، ومات في السنة ٣٣١ وهو مستتر ، وله تآليف قيّمة ، منها كتاب الوزراء وهو من عيون الكتب ، لم يعثر إلاّ على بعضه ، أمّا نسبته إلى جهشيار فإنّ أباه كان يخدم أبا الحسن عليّ بن جهشيار القائد ، حاجب الموفق (الأعلام ٧ / ١٣٥) صاحب الدار المعروفة بدار الجهشياري الشهيرة على دجلة (نشوار المحاضرة ، القصّة ١ / ١٨٦) وهي الكائنة برأس الجسر (الطبري ١٠ / ٢١) أي جسر باب الطاق أقطعه إيّاها الأمير الموفّق ، وكانت هذه الدار لأسماء بنت المنصور ، وفيها الطاق المسمّى طاق أسماء الذي تقع حوله محلة باب الطاق المنسوبة إليه ، وهي بين الرصافة ونهر المعلّى ، وعند طاق أسماء كان مجلس الشعراء في أيّام الرشيد ، والموضع المعروف بين القصرين هما قصر أسماء والثاني قصر عبد الله ابن المهدي (معجم البلدان ٣ / ٤٨٩) أقول : باب الطاق هي محلة الصرافيّة الآن ، وجسر باب الطاق حلّ محلّه جسر الصرافية الحديد .

٢ قرّعه تقريعاً : عنّفه .

٣ الزيادة من غ .

١١٧

ابن مقلة ينفذ من سجنه رقعة إلى الوزير ابن الفرات

حدّثني عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب[1] ، عن أبي عبد الله زنجي الكاتب[2] ، قال :

لما نكب أبو الحسن بن الفرات[3] ، أبا عليّ بن مقلة ، في وزارته الثّالثة ، لم أدخل إليه في الحبس ، ولا كاتبته متوجّعاً له ، ولا راسلته بحرف ، خوفاً من أن يرقى ذلك إلى ابن الفرات .

وكانت بيني وبين ابن مقلة مودّة ، فلمّا طال مكثه في الحبس ، كتب إليّ رقعة لطيفة[4] ، أوّلها :

---

١ أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط ، وكان كاتب الوزير ابن الفرات على بيت المال (الوزراء للصابي ١٥٨) ، وهشام والده ، وهو أبو القاسم هشام بن عبد الله ، المعروف بأبي قيراط ، كاتب الوزير ابن الفرات ، وكان إليه ديوان بيت المال ، فلمّا عزل ابن الفرات ، عزل أبو قيراط معه ، ونصب مكانه أبو الحسين عليّ بن الحسن ، المعروف بابن الماشطة ، وكان أبو قيراط متحقّقاً بالوزير ابن الفرات ، أثيراً عنده ، وكان يكاتبه إذا حبس ، وأكثر أخباره منقولة عنه ، ثمّ كتب للوزير عليّ بن عيسى من بعده ، ولكنّه خافه فاستتر ، فلم يهجه ، وكتب للوزير أبي عليّ بن مقلة من بعده (الوزراء ١١٢ – ٣٣٩) .

٢ أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الكاتب الملقّب زنجي : كان يكتب لابن الفرات قبل الوزارة ، وقدّمه لمّا وزّر ، وكثير من أخبار ابن الفرات منقولة عنه وعن ولده أبي القاسم إسماعيل ، وقد ظلاّ على وفائهما لابن الفرات بعد مقتله (الوزراء ٣٠ – ٣٢٨) .

٣ أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات (٢٤١ – ٣١٢) : وزير المقتدر ، داهية ، فصيح ، أديب ، جواد ، مهّد دولة المقتدر العباسيّ ، اتّصل بالمعتضد ، فولّاه ديوان السواد ، ثمّ وزّر للمقتدر ثلاث مرّات ، الأولى ٢٩٦ – ٢٩٩ والثانية ٣٠٤ – ٣٠٦ والثالثة ٣١١ أقلّ من سنة ، وقبض عليه المقتدر في السنة ٣١٢ وقتله (الأعلام ٥ / ١٤١) ، راجع ما ورد عنه في كتاب الوزراء للصابي ، وما ورد عنه في كتاب نشوار المحاضرة ، في الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ .

٤ في غ : رقعة طويلة .

ترى حرّمت كتب الأخلّاء بينهم أبن لي ، أم القرطاس أصبح غاليا ؟
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا
صديقك من راعاك عند شديدة وكلٌّ تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوّي ، لا صديقي ، فربّما يكاد الأعادي يرحمون الأعاديا

ثمّ أتبع ذلك بكلام عاتبني فيه ، ويذكر أنّه أنفذ إليّ ، في طيّ رقعته ، رقعة إلى الوزير ، وسألني عرضها عليه ، في وقت خلوة لا يكون فيها ابنه [٤٨ م] أبو أحمد المحسّن[٥] .

فقرأت الرقعة الّتي للوزير[٦] ، فكان فيها : أقصرتُ [أطال الله بقاء الوزير ، وفعل به [٦٦ غ] وصنع][٧] ، عن الاستعطاف وعن الشكوى ، حتّى تناهت بي المحنة والبلوى ، في النّفس والمال ، والجسم والحال ، إلى ما فيه شفاء للمنتقم ، وتقويم للمجترم ، حتّى أفضت بي ، إلى الحيرة والتبلّد ، وبعيالي إلى الهتكة[٨] والتلدّد[٩] ، وما أقول إنّ حالاً أتاها الوزير – أيّده الله – في أمري ، إلّا بحقٍّ واجب ، وظنّ صادق غير كاذب ، إلّا أنّ القدرة تذهب الحفيظة ، والاعتراف يزيل الاقتراف ، وربّ المعروف[١٠] يؤثره أهل الفضل والدين ، والإحسان إلى المسيء ،

---

٥ أبو أحمد المحسّن بن الوزير أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات (٢٧٩ – ٣١٢) : كان ظالماً سيّئ السيرة ، وكان أبوه لمّا وزر ، ولّاه ديوان المغرب ، وعزلا معاً ، ولمّا عاد الأب للوزارة ، أطلق يد ابنه المحسّن في الانتقام من خصومه ، وشجّعه المقتدر على ذلك ، فعسف الناس عسفاً شديداً ، ولمّا عزل ابن الفرات عن الوزارة ، قبض عليه وعلى ولده ، وقتلا معاً في السنة ٣١٢ وكان عمر المحسّن ٣٣ سنة (الأعلام ٦ / ١٧٥) .

٦ ذكر الرقعة صاحب تجارب الأمم ١ / ١١٣ وقال : إنّه لم يستجدها ، فلم يثبتها .

٧ الزيادة من غ وم .

٨ في م : الهلكة .

٩ التلدّد : التلفّت يميناً وشمالاً من الحيرة ، وتلدّد : تحيّر .

١٠ رَبَّ النعمة : زادها .

من أفعال المتّقين ، وعلى كلّ حال ، [فلي ذمام وحرمة ، وتأميل وخدمة][11] ، إن كانت الإساءة تضيعها ، فرعاية الوزير – أيّده الله – تحفظها ، فإن رأى الوزير – أطال الله بقاءه – أن يلحظ عبده بعين رأفته ، وينعم بإحياء مهجته ، ويتخلّصها من العذاب الشديد ، والجهد الجهيد ، ويجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوى فرجاً قريباً ، فعل ، إن شاء الله .

فأقامت الرقعة في كُمّي أيّاماً ، لا أتمكّن من عرضها ، إلى أن رسم لي الوزير ابن الفرات ، كتب رقعةٍ[12] إلى جعفر بن القاسم[13] ، عامله على فارس ، في مهمّ ، وأن أحرّرها بين يديه ، وأعرضها عليه ، فأمرني بتحريرها وقد خلا ، [فاغتنمت خلوته من كلّ أحد][14] ، فقلت له : قد عرف الوزير – أيّده الله – ما بيني وبين ابن مقلة ، من العشرة والإلفة الّتي جمعتنا عليها خدمته ، ووالله ، ما كاتبته ولا راسلته ، ولا قضيت له حقاً بمعونة ولا غيرها ، منذ سخط الوزير – أيّده الله – عليه ، وهذه رقعته إليّ تدلّ على ذلك ، ويسأل عرض رقعة له على الوزير – أيّده الله – وهي معي ، فإن أذن عرضتها عليه .

فقال : هاتها .

فناولته إيّاها ، قال : فقرأ رقعته إليّ ، ثم][14] قال : هات رقعته إليّ .

فقلت : أسأل الوزير – أيّده الله – أن يكتم ذلك عن سيّدي أبي أحمد – يعني المحسّن ابنه – فإنّي أخافه .

---

١١ الزيادة من غ وم .

١٢ في غ وم : كتب نسخة .

١٣ أبو عبد الله جعفر بن أبي محمّد القاسم الكرخي : من كبار العمّال ، تقلّد الولايات الكبيرة ، مثل كور الأهواز ، وفارس ، وكرمان ، والثغور ، وكان على جانب عظيم من كرم النفس ، والذكاء ، وقوّة الحافظة ، راجع ما كتب عنه ، وعن بقيّة أهله في معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ وراجع القصص ٢ / ٧٠ و٧١ و٣ / ١ و٤ / ١٢٤ من نشوار المحاضرة .

١٤ الزيادة من غ .

فقال : أفعل .

فلمّا قرأ رقعة ابن مقلة إليه قال : والله ، يا أبا عبد الله ، لقد تناهى هذا الرّجل في السّعاية على دمي ، ومالي ، وأهلي ، ولقد صحّ عندي أنّه قال لما أسلم إليّ حامد : لو علمت أنّ ابن الفرات سيبقى بعد صرفه [يوماً واحداً] [14] ما سعيت عليه ، ووالله ، لقد كنت أدعو الله في حبسي ، أن لا يمكّنني منه ، ولا من الباقطائي [15] ، أما هو فلإحساني العظيم – كان – إليه ، فلم أحبّ أن أتمكّن منه فأشفي غيظي وأفسد إحساني إليه [٣٨ ر] وأما الباقطائي ، فلقبيح إساءته إليّ ، ولأنّه شيخ من شيوخ الكتّاب ، وخفت العار بما لعلّي كنت أعامله به لو حصل في يدي ، فلم تجب دعوتي فيه ، وأُجيبت في الباقطائي [16] ، والآن [٤٩ ظ] فوحقّ محمّد وآله عليهم السّلام ، لا جرى على ابن مقلة مكروه بعد هذا ، وأنا أتقدّم اليوم بأخذه من المحسّن ، وإنفاذه مع سليمان بن الحسن [17] إلى فارس [18] ، وأجريه مجراه في الأمر بحراسة نفسه ، وباقي حاله ، وأزيدك – يا أبا عبد الله – ما لا أحسبك فهمته .

فقلت : وما هو ؟ فإنّي لم أزل أستفيد الفوائد من الوزير [– أيّده الله –

---

١٥ أبو عبد الله الحسن بن عليّ الباقطائي : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

١٦ في ظ ، ور : فأجيبت دعوتي فيه ، ولم تجب دعوتي في الباقطائي . والتصحيح من م . وغ .

١٧ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجرّاح : كان يتقلّد مجلس العامّة في ديوان الخاصّة . لمّا كان أبو الحسن عليّ بن عيسى يلي الديوان ، فلمّا وزّر ابن الفرات قلّده ديوان الخاصّة رئاسة (وزراء ٣٣) . ثمّ وزّر للمقتدر سنة ٣١٨ بعد عزل ابن مقلة ، ثمّ وزّر للراضي سنة ٣٢٤ فعجز عن إدارة المملكة لتغلّب أصحاب السيوف عليها ، فعزله ، ثمّ أعاده ، وتوفّي الراضي وهو وزيره ، فأقرّه المتّقي على الوزارة أربعة أشهر ، ثمّ عزله ، وتوفّي سليمان في السنة ٣٣٢ (الفخري ٢٧٣ و ٢٨١ والمنتظم ٦ / ٣٣٨) ، راجع القصّة ٨ / ٨٢ من كتاب نشوار المحاضرة ، وكتاب الوزراء ٣٣ والقصّة ١٨١ من هذا الكتاب .

١٨ راجع القصّة ٧٨ من هذا الكتاب .

تعلّماً وإنعاماً][19] .

فقال : قد بقيت له بقيّة وافرة من حاله ، لولاها ، لكان لا يقدر أن يقول قولاً سديداً ، ولا يتفرّغ قلبه لنظم شعر ، وبلاغة نثر .

قال : فلمّا كان من الغد ، أخرجه من المحبس ، وأنفذه إلى فارس[20] ، هو [٦٧ غ] وسليمان بن الحسن ، فسلما[21] .

---

١٩ الزيادة من غ وم .

٢٠ في غ وم : أنفذ من انتزعه من يد المحسّن ، وأخرجه إلى فارس .

٢١ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٣٩ .

١١٨

كيف تخلّص طريح بن إسماعيل الثقفي من المنصور

[أخبرني أبو الفرج عليّ بن الحسين الأموي ، المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب[1] ، قال : حدّثني محمّد بن عبد الله بن حمزة بن أبي عيينة المهلّبي ، عن أبيه ، عن][2] طريح بن إسماعيل الثقفي[3] ، أنّه دخل على أبي جعفر[4] ، في الشعراء ، فقال له : لا حيّاك الله ، ولا بيّاك ، أما اتّقيت الله حيث تقول في الوليد :

لو قلتَ للسيل دعْ طريقك والمـو ج عليه كالهضب يعتلج [٤٩ م]
لساخ وارتـدّ أو لكـان لـه إلى طريـقٍ سواه منعـرج

فقال طريح : قد علم الله أنّني أردت الله بهذا وعنيته ، [وقلت ذلك ، ويدي ممدودة إليه عزّ وجلّ][5] .

فقال أبو جعفر : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلّص ؟

---

١ أبو سعيد عبد الله بن شبيب الربعي البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٢ .

٢ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : قيل إنّ طريح ...

٣ أبو الصّلت طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي : شاعر الوليد بن يزيد الأمويّ ، انقطع إليه قبل الخلافة ، واستمرّ اتّصاله به ، وأكثر أشعاره في مدحه ، عاش إلى أيّام الهادي العباسي ، وتوفّي سنة ١٦٥ (الأعلام ٣ / ٣٢٥) .

٤ أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس .

٥ الزيادة من غ .

١١٩

المأمون يعفو عن الحسين بن الضحّاك ويمتنع عن استخدامه

[أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، إجازة ، قال : أخبرني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر[١] ، ومحمّد بن خلف بن المرزبان ، وألفاظهم تزيد وتنقص .

وأخبرني ببعضه محمّد بن خلف ، وكيع ، من آخره ، وقصّة وصوله إلى المأمون ، ولم يذكر ما قبل ذلك ، قالوا : حدّثنا حماد بن إسحاق[٢] ، عن أبيه[٣] ، ولم يقل وكيع عن أبيه ، واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر ، وحديثه ، ثم قال :][٤]

كنت بين يدي المأمون[٥] قائماً ، فدخل ابن البوّاب الحاجب ، برقعة فيها أبيات ، فقال له : أتأذن في إنشادها ؟

قال : هات ، فأنشد :

---

١ أبو بكر محمّد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد بن نعشرة الخزاعي ، المعروف بابن أبي الأزهر : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ٢٨٨ – ٢٩١ وقال إنّه توفّي سنة ٣٢٥ .

٢ حمّاد بن إسحاق المعروف بالموصلي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ١٥٩ وقال عنه : إنّه روى عن أبيه إسحاق كتاب الأغاني .

٣ أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي ، المعروف بالنديم (١٥٥ – ٢٣٥) : من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرّد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة ، والموسيقى ، والتاريخ ، وعلوم الدين ، وعلم الكلام ، راوياً للشعر ، حافظاً للأخبار ، شاعراً ، من أفراد الدهر أدباً ، وظرفاً ، وعلماً ، نادم الرشيد ، والمأمون ، والواثق (الأعلام ١ / ٢٨٣) .

٤ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ...

٥ أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمّد المهديّ بن أبي جعفر المنصور (١٧٠ – ٢١٨) : سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعاظم الملوك ، في سيرته ، وعلمه ، وسعة ملكه ، نفذ ملكه من أفريقية ، إلى أقصى خراسان ، وما وراء النهر والسند ، وولّي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ ، وقامت دولة الحكمة في أيّامه ، وأطلق حريّة الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة (الأعلام ٤ / ٢٨٧) .

أجرني فإنّي قد ظمئتُ إلى الوعد متى ينجز الوعد المؤكّد بالعهد
أعيذك من خلف الملول وقد ترى تقطّع أنفاسي عليك من الوجد
رأى الله عبد الله خيرَ عبادِهِ فملّكه والله أعلم بالعبد
ألا إنّما المأمونَ للنّاس عصمة مميّزة بين الضلالة والرّشد

فقال له المأمون : أحسنت [يا عبد الله[6]][7] ، وظنّها له .

فقال : بل أحسن قائلها يا أمير المؤمنين .

قال : ومن هو قائلها ؟

قال : عبدك الحسين بن الضحّاك[8] .

فقطّب[9] ، وقال : لا حيّا الله من ذكرت ، ولا بيّاه ، ولا قرّبه ، أليس هو القائل :

أعينيّ جودا وابكيا لي محمّدا ولا تذخرا دمعاً عليه وأسعدا [٦٨ غ]
فلا تمّت الأشياء بعد محمّدٍ ولا زال شمل الملك فيه مبدّدا
ولا فرح المأمون بالعيش بعده ولا زال في الدّنيا طريداً مشرّدا[10]

هذا بذاك ، ولا شيء له عندنا .

فقال ابن البوّاب : فأين فضل أمير المؤمنين ، وسعة حلمه ، وعادته في

---

٦ لم أجد بين حجّاب المأمون ، حاجباً اسمه عبد الله ، ولقبه إبن البوّاب ، راجع أسماء حجّاب المأمون في خلاصة الذهب المسبوك للإربلي ١٩٤ .

٧ الزيادة من غ وم .

٨ أبو علي الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي ، الملقّب بالأشقر والخليع (١٦٢ – ٢٥٠) : شاعر ، من ندماء الخلفاء ، اتّصل بالأمين العبّاسي ، ونادمه ، ومدحه ، ولمّا ظفر المأمون ، خافه الخليع ، فانصرف إلى البصرة ، ولمّا استخلف المعتصم عاد ومدحه ، ومدح الواثق ، توفّي ببغداد (الأعلام ٢ / ٢٥٨) .

٩ القَطْبُ : الجمع ، يقال : قطب الثوب ، إذا جمع حاقتي فتق منفرج وخاطه ، ويقال : قطب ، وقطّب (بالتّشديد) : إذا جمع بين حاجبيه ، وزوى بين عينيه ، وكلح وعبس .

١٠ راجع القصّة ٢٦٤ من هذا الكتاب .

العفو ؟ فأمر بإحضاره .

فلمّا حضر ، سلّم ، فردّ عليه السّلام ردًّا خفيًّا[11] ، ثم قال : أخبرني عنك ، هل عرفت – يوم قتل أخي – هاشميةً قتلتْ ، أو هتكتْ ؟

قال : لا . قال : فما معنى قولك ؟ :

وممّا شجى قلبي وكفكف عبرتي[12] محارم من آل النّبي استحلّت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدّت
إذا خفرتها روعة من منازع لها المرط[13] عاذت بالخضوع ورنّت[14]
وسرب ظباءٍ من ذؤابة هاشم[15] هتفن بدعوى خير حيّ وميّت
أردّ يداً منّي إذا ما ذكرته على كبدٍ حرّى وقلب مفتّت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالها من تمنّت[16]

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعةٌ غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، وإحسان شكرته فأنطقني .

فدمعت عينا المأمون ، وقال : قد عفوت عنك [٣٩ ر] وأمرت لك بإدرار أرزاقك عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلت عقوبة ذنبك ، امتناعي عن استخدامك .

---

١١ في م : خافياً ، وفي بقيّة النسخ : خفيّاً ، أقول : يريد بالردّ الخفي : الردّ الخافت ، أي إنّه ردّ بصوت منخفض .

١٢ كفكف الدمع : مسحه مرّة بعد مرّة .

١٣ المرط ، وجمعه مروط : كساء غير مخيط من الخزّ أو الصوف أو الكتّان ، تتلفّع به المرأة ، وفي الحديث : إنّ النبيّ صلوات الله عليه ، كان يغلّس بالفجر ، فينصرف النساء متلفّعات بمروطهن ، ما يعرفن من الغلس (لسان العرب) . * ١٤ في غ :

إذا خفرتها روعة من منازع لها مرطها عاذت بأخرى ورنّت

١٥ الذؤابة : الناصية ، وهي شعر في مقدّم الرأس ، وذؤابة كلّ شيء أعلاه ، وذؤابة الجبل : قمّته ، وذؤابة القوم : مقدّمهم ، وذؤابة هاشم : الطبقة العليا فيهم . * ١٦ في الأصول : ما تمنّت .

١٢٠

بين المعتصم والحسين بن الضحّاك

[أخبرني محمّد بن يحيى الصولي ، إجازة ، وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الكبير ، كتاب الأغاني ، الّذي أجازه لي في جملة ما أجاز ، في أخبار الحسين بن الضحّاك ، قال :][1]

غضب عليّ المعتصم[2] في شيء جرى على النبيذ ، وقال : والله لأؤدّبنّه ، وحجبني ، فكتبت إليه :

غضب الإمام أشدّ من أدبه [٦٩ غ] وقد استجرت وعذت من غضبه
أصبحت معتصماً بمعتصم أثنى عليه الله في كتبه
لا والّذي لم يبق لي سبباً أرجو النّجاة به سوى سببه
ما لي شفيع غير رحمته ولكلّ من أشفى على عطبه [٥٠ ظ]
إلّا كريم طباعه وبه أرجو الّذي أرجوه في نسبه[3]

فلمّا قرئت عليه ، التفت إلى الواثق[4] ، وقال : بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ، ما هو إلّا أن سمعت أبيات حسين هذه ، حتّى زال ما في نفسي عليه .

فقال الواثق : هو حقيق أن يهب له أمير المؤمنين ذنبه ، ويتجاوز عنه ،

---

١ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : حدّث الحسين بن الضحّاك .

٢ أبو إسحاق محمّد المعتصم بن أبي جعفر هارون الرّشيد (١٧٩ – ٢٢٧) : ترجمته في حاشية القصّة ١٧ من الكتاب .

٣ هذا البيت ساقط من م .

٤ أبو جعفر هارون الواثق بن أبي إسحاق محمّد المعتصم (٢٠٠ – ٢٣٢) : الخليفة العباسي التاسع ، خلف والده المعتصم سنة ٢٢٧ ، وكان في كثير من أموره ، يذهب مذهب عمّه المأمون ، حتى في المحنة بخلق القرآن ، وكان كريماً ، عارفاً بالآداب ، والأنساب ، طروباً ، عالماً بالموسيقى ، كثير الإحسان لأهل الحرمين (الأعلام ٩ / ٤٤) .

فرضي عنّي ، وأمر بإحضاري .

قال الصولي : فحدّثني الحسين بن يحي ، أنّ هذه الأبيات إنّما كتب بها إلى المعتصم لأنّه بلغه عنه أنّه مدح [٥٠ م] العبّاس بن المأمون[٥] ، وتمنّى له الخلافة ، فطلب ، فاستتر ، وكتب بهذه الأبيات إلى المعتصم على يدي الواثق ، فأوصلها ، وشفع له ، فرضي عنه ، وأمّنه ، فظهر ، ثمّ استدعاه ، فدخل عليه ، وهجا العبّاس بن المأمون ، فقال :

خـلّ اللّعـين ومـا اكتسب لا زال منقطــع السّبــب

يا عــرّة الثّقلــين لا دينـاً رعيـت ولا حسب

حسدُ الإمـــامِ مكانَــــهُ جهــلاً هــداك عــلى العطب

وأبــوك قــدّمــه لهــــا لمّا تخـيّر وانتخـــب

مــا تستطيــع سوى التنفّــ س والتجــرّع للكــرب

لا زلتَ عنـد أبيــك منـ ...... ـتقص المــروءة والأدب

---

٥ العباس بن المأمون : ولّاه أبوه المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، في السنة ٢١٣ ، ولما توفي المأمون في السنة ٢١٨ ، وولي المعتصم ، امتنع كثير من القوّاد عن مبايعته ، ونادوا باسم العبّاس ، ولكنّ العبّاس بايع عمّه ، وسكن الجند ، ثم اتّهمه المعتصم بالتآمر عليه ، فاعتقله ، ومات في السجن في السنة ٢٢٣ (الأعلام ٤ / ٣٥) .

١٢١

الشعبيّ يروي قصّة دخوله على الحجّاج

وجدت بخطّ القاضي أبي جعفر أحمد بن البهلول الأنباري[١] ، قال : الشعبيّ[٢] :

كنت فيمن خرج مع ابن الأشعث[٣] ، على الحجّاج ، فلمّا هُزِمَ ، هربتُ ، فأتيت يزيد بن أبي مسلم[٤] ، وكان لي صديقاً ، وذكرت له أمري .

فقال : يا عامر ، أنا أخوك الّذي تعرف ، ووالله ، ما أستطيع نفعك عند الحجّاج ، وما أرى لك إلّا أن تمثل بين يديه ، فتقرّ بذنبك ، فإنّ الحجّاج ليس ممّن يُكذَب ، فاصدقه ، واستشهدني على ما بدا لك .

قال الشعبيّ : فما شعر الحجّاج ، إلّا وأنا قائم بين يديه ، فقال : عامر ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير .

[قال : ألم أقدم العراق ، فوجدتك خاملاً ، فشرّفتك ، وأوفدتك إلى

---

١ أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسّان التنوخي الأنباري (٢٣١ – ٣١٨) : فقيه من كبار القضاة ، شاعر ، محدّث ، مفسّر ، أديب ، ولّي قضاء مدينة المنصور عشرين سنة ٢٩٦ – ٣١٦ (الأعلام ١ / ٩١) ، راجع في نشوار المحاضرة القصص ١ / ١٦ و٨٣ و١٢٨ و١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢ / ٢٣ ، ٤٥ ، ٨٦ ، و٣ / ٩٣ ، ١٤٤ ، و٤ / ٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١١٢ و٥ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

٢ أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري المعروف بالشعبي : ترجمته في حاشية القصّة ٩٣ من الكتاب .

٣ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي : أمير ، قائد شجاع ، ثار على ظلم الحجّاج ، ونصره كثير من الفقهاء والقرّاء والعلماء ، وخرجوا معه ، وتمّ له ملك سجستان ، وكرمان ، والبصرة ، وفارس ، والكوفة ، فاستعان الحجّاج بالشاميّين ، وبعد معارك طاحنة ، انهزم ابن الأشعث ، والتجأ إلى رتبيل ملك الترك ، فغدر به وقتله سنة ٨٥ (الأعلام ٤ / ٩٨) .

٤ أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي ، كاتب الحجّاج : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٥ من الكتاب .

أمير المؤمنين ، وأثبتّك عريف قومك[٥] ، واستشرتك ؟

قلت : بلى .

قال : فما الّذي أخرجك عليّ ، وأين كنت في هذه الفتنة ؟

قلت : أصلح الله الأمير ، أوحش الجناب ، وأحزن بنا المنزل][٦] ، فاستشعرنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، واستحلسنا البلاء[٧] ، وفقدنا صالح الإخوان ، وشملتنا فتنة ، لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء ، وما أعتذر ألّا أكون سعيت ، وهذا يزيد بن أبي [٧٠ غ] مسلم ، يشهد لي بذلك ، وأنّي كنت أكتب إليه بعذري .

فقال ابن أبي مسلم : صدق ، أعزّ اللهُ الأمير .

فقال الحجّاج : هذا عامر ، ضرب وجوهنا بسيفه ، وأتانا يعتذر بالباطل ، ردّوا عليه عطاءه .

وعفا عنه .

---

٥ العريف : العليم ، من العرفان : العلم ، وصرفت الكلمة إلى القيّم بأمور الجماعة من الناس ، يلي أمورهم ، يقال : عَرُفَ (بضم الراء) : صار عريفاً .

٦ الزيادة من غ وم .

٧ إستحلسه البلاء : لم يفارقه .

١٢٢

من قصص ملوك الفرس

أ – بين كسرى أبرويز ومغنّيه

وجدت في بعض الكتب ، عن ابن خرداذبه[١] ، قال : غضب أبرويز الملك[٢] ، على بعض أصحابه ، من جرم عظيم ، فحبسه زماناً ، ثم ذكره ، فقال للسجّان : هل يتعاهده أحد ؟ .

فقال : أيّها الملك ، الفلهند[٣] المغنّي وحده ، فإنّه كان يوجّه إليه في كلّ يوم بسلّة من طعام .

فقال كسرى أبرويز للفلهند : غضبتُ على فلان ، وحبسته ، فقطعه النّاس غيرك ، فإنّك كنت تتعاهده بالبرّ في كلّ يوم .

فقال : أيّها الملك ، إنّ البقيّة الّتي بقيت له عندك ، فأبقت روحه في جسده ، أبقت له عندي مقدار سلّة من طعام .

فقال له : أحسنت ، وقد وهبت لك ذنبه ، وأطلقه للوقت .

---

١ أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (٢٠٥ – ٢٨٠) : مؤرّخ ، جغرافي ، بغدادي ، اتّصل بالمعتمد ونادمه ، وتولّى له الخبر والبريد بنواحي الجبل ، أشهر تصانيفه المسالك والممالك (الأعلام ٤ / ٣٤٣) .

٢ كسرى أبرويز (٥٩٠ – ٦٢٨ م) : ملك فارسيّ ، وأبرويز بمعنى المنصور ، من كبار الفاتحين ، فتح بلاد الشام ، وفلسطين ، ومصر ، وبلغت جيوشه حدود البوسفور ، (المنجد) .

٣ كذا ورد في ن ، وفي م : الفهليد ، وسمّاه صاحب مطالع البدور ١ / ١٠٦ : الفلهيد المغنّي ، وذكر عنه أنّه واضع العود الخراساني على اثني عشر وتراً ، كلّ من ضرب به جرح ، إلا هو ، ، وذكر محقّق كتاب الحيوان للجاحظ ٧ / ١١٣ أنّ هذا الاسم ورد في النسخ التي استند إليها في تحقيقه : فهلبذ ، وفلهود ، وفهليد ، وقد رجّحنا إثبات الأسم على ما ورد في ن ، لأنّ كلمة : فلهند ، ربّما كان أصلها : فروهند ، ومعناها بالفارسية : جميل الصورة ، ملاك (المعجم الذهبي) .

ب – الفلهند يحرم الملك أبرويز من شطر لذّته

حدّثني الحسن بن محمّد بن الحسن الجنائني[1] ، قال : قرأت في بعض كتب الفرس أنّ أبرويز الملك كان معجباً بغناء الفلهند مغنّيه ، فنشأ للفلهند غلام أحسن غناء منه ، فأدخله إلى أبرويز يتحفه به ، ويتقرّب إليه بذلك ، فاستطابه أبرويز وغلب على قلبه حتّى قدّمه على الفلهند ، فحسده الفلهند ، فقتله .

وبلغ أبرويز ذلك ، فغضب عليه غضباً شديدًا ، واستدعى الفلهند ، فقال له : يا كلب ، علمتَ أنّ شطر لذّتي في الغناء كان فيك ، وشطرها كان في غلامك ، فقتلته لتذهب شطر لذّتي ، والله لأقتلنّك ، وأمر به ، فجرّ ليقتل .

فقال : أيّها الملك ، اسمع منّي كلمة ، ثمّ اعمل ما شئت .

قال : قل .

قال : إذا كانت لذّتك شطرين ، وقد أبطلت أنا بالجهل أحدهما ، وتبطل أنت على نفسك الشطر الثاني بطاعة الغضب ، فإنّ جنايتك على نفسك ، أعظم من جنايتي عليك .

فقال أبرويز : ما نطقت بهذا الكلام ، في مثل هذا المقام ، إلّا لما في أجلك من التأخير ، ولما يريد الله تعالى إسعادي به من الالتذاذ بغنائك ، وقد عفوت عنك .

وأطلقه[2] .

---

١ وردت في الأصل بلا نقط ، وقد اخترت لها هذه القراءة .

٢ انفردت بها ن .

جـ - صاحب المائدة يصبّ ما في الغضارة على رأس الملك

حدّثني الحسن بن محمّد الجنائني ، قال : قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة إلى العربيّة ، أنّ ملكاً من ملوكهم قدّم إليه صاحب مائدته غضارة[1] إسفيذباج[2] فنقطت منها نقطة على ساعد الملك ، فأمر بقتله .

فقال له الرجل : أعيذ الملك بالله أن يقتلني ظلماً بغير ذنب قصدته .

فقال له الملك : قتلك واجب ، ليتّعظ بك غيرك ، فلا تُهملُ الحرمة .

فأخذ الرّجل الغضارة ، فصبّها بأسرها على رأس الملك ، وقال : أيّها الملك ، كرهت أن يشيع عنك أنّك قتلتني ظلماً ، ففعلت هذا لأستحقّ القتل ، فيزول عنك قبح الأحدوثة بظلم الخدم ، فشأنك الآن وما تريد .

فقال الملك : ما أحصن الأجل ! وعفا عنه[3] .

---

١ الغضارة : الصحفة المتّخذة من الطين الحرّ .

٢ الإسفيذباج : طعام مكوّن من اللحم المعرّق بالألية مع الحمّص والبصل والكسفرة والكمّون ومستحلب اللّوز ، راجع حاشية القصّة ٤٣٦ من هذا الكتاب .

٣ انفردت بها ن .

١٢٣

الغلط الّذي لا يتلافى

وجدت في بعض الكتب : أنّ رجلين أتي بهما إلى بعض الولاة ، وقد ثبت على أحدهما الزندقة[1] ، وعلى الآخر شرب الخمر ، فسلّم الوالي الرّجلين إلى بعض أصحابه ، وقال له : اضرِب عنق هذا ، وأومى إلى الزنديق ، وحدّ[2] هذا ، وأومى إلى الشارب .

وقال : خذهما .

فلمّا ذهب بهما ليخرجا ، قال شارب الخمر : أيّها الأمير ، سلّمني إلى غير هذا ليحدّني ، فلست آمن أن يغلط فيضرب عنقي ، ويحدّ صاحبي ، والغلط في هذا لا يتلافى .

فضحك منه الأمير ، وخلّى سبيله ، وضرب رقبة الزنديق[3] .

---

١ الزندقة : مصطلح عام يطلق على كلّ من خرج من الدين ، والزنديق : من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ، وقد اتّخذت الحكومات في مختلف الأوقات من الإتّهام بالزندقة ، حجّة لاستئصال معارضيها والنكاية بخصومها ، خاصّة وأنّ بعض المذاهب الإسلاميّة ، ترى أنّه لا تقبل توبة الزنديق . لأجل التفاصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية مادة (زنديق) ١٠ / ٤٤٠ – ٤٤٦ .

٢ الحدّ : في اللغة ، المنع أو القيد ، وفي الاصطلاح القرآني ، الحدود : هي القيود التي فرضها الله ، من الأوامر والنواهي الشرعيّة الواردة في الآيات ، وقد سمّيت حدوداً لأنّها فصلت بين الحلال والحرام ، ولأنّ العقوبات المفروضة بشأنها ، تحدّ ، أي تمنع من إتيانها . للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٢٥ ولسان العرب ، مادة : حدّ .

٣ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة رقم ٨ / ١١٥ .

١٢٤

الأمير عبد الله بن طاهر يعفو عن الحصني ويحسن إليه

[وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي ، عن أبي محمّد الحسن بن طالب ، كاتب عيسى بن فرّخان شاه ، قال :][١] حدّثني عيسى بن فرّخان شاه[٢] ، قال :

لما وليت ديار مصر[٣] ، لم يزل وجوهها يصفون لي محمّد بن يزيد الأموي الحصنيّ[٤] بالفضل ، وينشدوني قصيدته الّتي أجاب بها [٥١ م] عبد الله بن طاهر[٥] ، لما فخر بأبيه ، ويذكرون قصّته معه لما دخل عبد الله الشام ، وأشرف

---

١ الزيادة من غ وم .

٢ عيسى بن فرخان شاه القناني الكاتب : من كتّاب الدولة العباسيّة ، كان في أيّام المتوكّل يخلف الحسن ابن مخلد على ديوان الضياع (الطبري ٩ / ٢١٦ وتجارب الأمم ٦ / ٥٥٢ » وفي عهد المستعين ولّي ديوان الخراج (الطبري ٩ / ٢٦٤ وابن الأثير ٧ / ١٢٤) ولمّا وقعت الفتنة بين المعتز والمستعين ، انحاز إلى جانب المعتز (الطبري ٩ / ٣٤٤ و٣٤٩) فولاّه مصر (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٧) ولمّا استخلف المهتدي أجرى على يده الأمور وأصبح مقامه مقام الوزير (الطبري ٩ / ٤٦٣) ، راجع قصّته مع المبرّد في البصائر والذخائر م٣ ق١ ص ٢٦٩ ، وكان أبو العيناء يعاديه ، وسئل يوماً عن سبب ذلك ، فقال : سألته حاجة أقلّ من قيمته ، فردّني ردّاً أقبح من خلقته (نهاية الأرب ٣ / ٢٦٩) .

٣ ولي عيسى بن فرخان شاه ، مصر للمعتزّ في السنة ٢٥٢ (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٧) .

٤ محمّد بن يزيد الأموي المسلمي : من ولد مسلمة بن عبد الملك ، يعرف بالحصني ، لأنه كان ينزل حصن مسلمة ، بديار مضر ، شاعر محسن ، عارض قصيدة عبد الله بن طاهر التي افتخر بها ، وامتدح الحسن بن وهب لمّا ولّي الخراج بدمشق ، (معجم بني أميّة للمنجد ١٥٨) .

٥ أبو العبّاس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق المصعبي (١٨٢ – ٢٣٠) : أمير خراسان ، من أشهر الولاة في العصر العباسي ، وكان سيّداً ، نبيلاً ، عالي الهمّة ، شريفاً ، أديباً ، فاضلاً ، شاعراً ، جواداً ، ممدّحاً ، عالماً بأخبار الناس ، عظيماً في دولة بني العبّاس ، وسمّيت داره بالحريم الطاهري ، لأنّ من لجأ إليها أمن (معجم الأدباء ٦ / ٩٦ ومعجم البلدان ٢ / ٢٥٥ والأعلام ٤ / ٢٢٦) .

الحصني على الهلاك [٥١ ظ] خوفاً منه ، وكيف كفي [٤٠ ر] أمره بلا سبب ، [وكيف أحسن إليه ، وأقرّه في حصنه][٦] ، [فكنت أتفقّد أمره[٧] في ضيعته ، وأحسن إليه في معاملته][٨] ، وكانت كتبه تردّ عليّ بالشكر بأحسن عبارة .

فلمّا خرجت لتصفّح كُوَر عملي ، وأحوال الرعيّة والعمّال بالنّواحي ، وردت الكورة الّتي فيها حصن محمّد بن يزيد في ناحية منها ، فخرج مستقبلاً لي ، وراغباً إليّ في التّزول عليه .

فلمّا التقينا ، قال لي : لم أشكّ – مع فضلك – أنّك لا تتجاوزني ، ولم آمن أن يعارضك ظنّ ، يصوّر لك أنّ عدولك عنّي ، إبقاءٌ عليّ ، وإشفاقٌ من نسبة السلطان إيّاك إلى إيثار لذّتك في لقائي ، فتطويني ، فحملت نفسي على خلاف ما كنت أحبّ أن يشيع لك ، من ابتدائي بالقصد [قبل رغبتي إليك فيه ، فالحمد لله الّذي جعل][٨] لك السبق إلى المكرمة .

وسرنا إلى حصنه ، وأوقفني على المواضع المذكورة [في الخبر والشعر][٨] إلى أن دخلنا حصنه ، فلم أجد فيه أهبة للنّزول به ، ورأيت أدباً ومروءة ، وسبق بما حضر من القرى ، ولم ينقبض من إحضار ما أعددته في سفرتنا ، ووجدت خدمته كلّها تدور على جارية سوداء اللون ، خفيفة الحركة ، يدلّ نشاطها على اعتيادها الطرّاق ، إلى أن رفع الطعام ، وحضر الشراب ، فحضرت السوداء في

وقد روى له ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٢٥٦ قصّة تدل على عدالة ، وعلى خلق كريم ، وكان المأمون يثني عليه (المحاسن والمساوئ ١ / ١١٦ والديارات ١٣٧) ، وكانت مرو مستقراً لولاة خراسان ، فتحوّل عنها إلى نيسابور ، واتّخذها دار قراره (لطائف المعارف ٢٠١) ولّاه المأمون أمرة الشام ، ثمّ مصر ، ثم الدينور ، ثمّ خراسان ، وكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والريّ والسواد وما يتّصل بتلك الأطراف ، وتوفّي في السنة ٢٣٠ في عهد الواثق .

٦ لم ترد في غ .

٧ في م : أتفقّد مصالحه .

٨ الزيادة من غ وم .

غير الزيّ الأوّل ، وجلست تغنّي ، فأنكرتها ، حتّى استثبتّه فيها ، فوصف لي [قديم][8] حرمتها ، وقال [٧١ غ] : هي كانت طليعتي يوم قصدني عبد الله بن طاهر .

فاستفتحني لمسألته عن الخبر ، فسألته .

فقال : لمّا بلغني إجماع عبد الله بن طاهر [على الخروج][8] لطلب نصر بن شبث – الخارجيّ[9] كان في ذلك الوقت – بنفسه ، أيقنت بالهلاك ، وخفت أن يقرب منّي ، فتنالني منه بادرة مكروه ، ولم أشكّ في ذهاب النعمة ، وإن سلمت النفس لما بلغه من إجابتي إيّاه ، عن قصيدته الّتي فخر بها ، وأنشدنيها :

مدمن الإغضاء موصول	ومديم العتب مملول[10]
ومدين البيض في تعبٍ	وغريم البيض ممطول[11]
وأخو الوجهين حيث رمى	بهواه فهو مدخول[12]
وقليل من يبرّزه	في يد التهذيب تحصيل[13]
فاتّئد تلق النجاح به	واعتساف الأمر تضليل
واغض[14] عن عيب أخيك يدم	لك حبل منه موصول

٩. في م وظ و ر نصر بن شبيب ، والتصحيح من غ ، وهو نصر بن شبث العقيليّ من قوّاد الأمين ، ولمّا حصلت الفتنة بين الأخوين ، تغلّب نصر على الجزيرة واستقلّ بها ، فندب له المأمون عبد الله بن طاهر ، وولّاه الجزيرة إلى مصر ، فحصره عبد الله وضيّق عليه حتى طلب الأمان ، فأمنه ، ووجّه به إلى بغداد (العيون والحدائق ٣ / ٣٦٣ ، ٣٦٥ الطبري ٨ / ٤٢٧ ، ٥٢٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢) .

١٠ كذا ورد في غ وم ، وفي بقيّة النسخ : ومدمن العتب ممطول .

١١ أضيف هذا البيت من العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .

١٢ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : موصول .

١٣ أضيف هذا البيت من غ .

١٤ في غ : واعم .

من يرد حوض الردى صرداً[15] لا يسعه السريّ تعليل
من بنات الرّوم لي سَكَنٌ[16] وجهها للشمس إكليل
عتبتْ ، والعتبُ من سَكَنٍ فيه تكثير وتقليل[17]
أقصري عمّا لهجت به ففراغي عنك مشغول
سائلي عمّا تسائلني قد يردّ الخبر مسؤول[18]
أنا من تعرفن نسبته سلفي الغرّ البهاليل
مصعب جدّي نقيب بني هاشم[19] ، والأمر مجهول
وحسين رأس دعوتهم[20] ودعاء الحقّ مقبول
سل بهم تنبيك نجدتهم[21] مشرفيّات[22] مصاقيل
كلّ عضبٍ مشرب عَلَلاً وجراز الحدّ مفلول
وأبي من لا كفاء له من يسامي مجده ؟ قولوا !
صاحب الرأي الّذي حصلت رأيه القوم المحاصيل[23]
حلّ منهم بالذرى شرفاً دونه عزّ وتبجيل

---

١٥ الصرد : القويّ الاحتمال .

١٦ السكن : ما يسكن إليه قلب الإنسان ، والمراد به هنا : الحبيب .

١٧ أضيف هذا البيت من غ .

١٨ أضيف هذا البيت من العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .

١٩ مصعب بن زريق : أحد الدعاة السبعين ، الذين اختارهم أبو هاشم بكير بن ماهان للقيام بالدعوة العباسيّة ، راجع أخبار الدّولة العباسيّة ، تحقيق الدوري والمطالبي ، ص ٢١٣ – ٢١٩ .

٢٠ الحسين بن مصعب بن زريق : والد طاهر بن الحسين المصعبي ، توفّي سنة ١٩٩ بخراسان (الأعلام ٢ / ٢٨٤) .

٢١ النجدة : الشجاعة .

٢٢ المشرفيات : السيوف .

٢٣ هذا البيت والبيتان اللذان بعده ، أضيفا من كتاب العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .

تفصح الأنباء عنه إذا ... أسكت الأنباء مجهول

سَلْ به ، والخيل ساهمة[24] ... حوله جرد أبابيل

إذ علت من فوقه يده ... نوطها أبيض مصقول[25]

وربّات الخدور وقد ... جعلت تبدو الخلاخيل

من ثنى عنه الخيول بأكـ ... ـسنافها الخطّيّة الشول[26]

أبطن المخلوع[27] كلكله ... وحواليه المغاويل

فثوى والترب مضجعه ... غال عنه ملكه غول [٥٢ م]

قاد جيشاً نحو قاتله[28] ... ضاق عنه العرض والطول

من خراسان مصمّمهم ... كليوث ضمّها غيل

وهبوا لله أنفسهم ... لا معازيل ولا ميل

ملكٌ تجتاح سطوته ... ونداه الدّهر مبذول

قطعت عنه[29] تمائمه ... وهو مرهوب ومأمول [٥٢ ظ] [٧٢ غ]

وتره يسعى إليه به ... ودمٌ يجنيه مطلول[30]

قال : وكنت لما بلغتني القصيدة ، امتعضت للعربيّة ، وأنفت أن يفخر عليها رجل من العجم ، لأنّه قتل ملكاً من ملوكها بسيف أخيه ، لا بسيفه ، فيفخر عليها هذا الفخر ، ويضع منها هذا الوضع ، فرددت على قصيدته ،

---

٢٤ في العقد الفريد ٢ / ١٩٩ : سل به الجبّار يوم غدا .

٢٥ هذا البيت أضيف من العقد الفريد ٢ / ١٩٩ .

٢٦ الخطّيّة : الرماح .

٢٧ يريد بالمخلوع : محمّد الأمين .

٢٨ كذا ورد في ظ ، وم ، و ر ، وفي غ : فإذا جيش تحاوله ، وفي هـ ١ / ٧٥ : نحو نائلة ، وفي العقد الفريد ٢ / ١٩٩ : نحو بابله .

٢٩ في العقد الفريد ٢ / ٩٩ : نزعت عنه .

٣٠ أضيف هذا البيت من العقد الفريد ٢ / ١٩٩ .

ولم أعلم أنّ الأيّام تجمعنا ، ولا أنّ الزمان يضطرّني إلى الخوف منه ، فقلت :

لا يرعــك القــال والقيــل ... كلّما بلّغت تهويل [٤١ ر]
ما هوى لي حيث أعرفــه[٣١] ... بهــوى غــيرك مــوصول
أيـن لي عـدل إلى بـدلٍ ... أبديـل منـك مقبـول
إذ عدمت العـدل منـك وإذ ... أنـا فيك الـدّهـر معـدول
حمّليـني كلّ لا ثمــة ... كـلّ ما حمّلـت مقبـول[٣٢]
واحكمـي ما شئـت واحتكمـي ... فحرامــي فيــك تحليــل[٣٣]
والّذي أرجو النجــاة بــه ... مـا لقلــبي عنـك تحـويـل
ما لـداريَ منـك مقفـرةٌ ... وضميري منـك مـأهول
أيخـون العهـد ذو ثقة ... لا يخـون العهـد مسؤول
وأخـو حبّيـك في تعبٍ ... مطلـق مـرّاً[٣٤] ومغلـول
ما فراغـي عنـك مشتغـل ... بـل فراغي بـك مشغـول[٣٥]
وبـدت يـوم الـوداع لنـا ... غادة عيطاء عطبـول[٣٦]
حاسراً أو ذات مقنعــة ... ذات تـاج فيـه إكليـل
أيّ عطفيهـا بـه انصرفت ... أَرِجٌ بالمســك معــلـول
تتعاطــى شدّ معجـرهـا ... ونطــاق الخصر محلــول

---

٣١ في العقد الفريد ٢ / ١٩٩ : كنت أعرفه .

٣٢ في غ ، والعقد الفريد ٢ / ١٩٩ : كلّ ما حمّلت محمول .

٣٣ في غ ، وفي العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ : فحرامي لك تحليل .

٣٤ المرّ ، والمرّة ، بمعنى واحد ، تقول جئته مرًّا أو مرّين ، ومرّة أو مرّتين .

٣٥ هذا البيت لا يوجد في ظ ، ولا في م ، ولا في ر ، أضيف من غ .

٣٦ العيطاء : الطويلة القامة . أقول : ما يزال هذا التعبير في العراق ، يطلق على الطول البائن ، والنخلة المرتفعة ، يسمّونها : عيطة ، والعطبول : المديدة العنق .

بأداليلٍ لها قُتُلٍ حبّذا تلك الأداليل[37]
فبنفسي دمج مشطتها[38] ومثانيها المراسيل[39]
سبقت بالدمع مقلتها فلها بالدّمع تفصيل
ورمت بالسّحر من كثب فدفين الدّاء مقتول
لاحظت بالسّحر عابثة فحسام الصّبر مفلول
شملنا إذ ذاك مجتمعٌ وجناح البين مشكول
ثمّ ولّت كي تودّعنا كحلها بالدمع مغسول[40]
لا تخاف الدّهر طائره فأذاه عنك معقول
أيّها النازي مطيّته لأغاليطك تحصيل[41]
قد تأوّلتم على جهة ولنا في ذاك تأويل
إنّ دلّيلاك يوم غدا بك في الحين لضلّيل[40]
قاتل المخلوع مقتول ودم القاتل مطلول [٧٣ غ]
قد يخون الرّمح عامله وسنان الرّمح مصقول[40]
وينال الوتر طالبه بعدما تسلو المثاكيل[40]
سار أوحلّ فمتّبع بالّتي يكبو لها الفيل
لا تنجّيه مذاهبه نهر بوشنجٍ[42] ولا النّيل

---

٣٧ الأداليل : مفردها : الإدلال ، وهو التدلّل ، ويقصد به هنا التغنّج .

٣٨ الدمجة : الطريقة ، يريد إبداء إعجابه بكيفية ترتيب شعرها .

٣٩ المثناة ، وجمعها مثانية : الطيّ والالتواء : يشير إلى جدائلها الملتوية المرسلة على كتفيها .

٤٠ الإضافة من العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ .

٤١ في العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ :

أيّها البادي بطيته ما لأغلاطك تحصيل

٤٢ بوشنج : بليدة نزهة خصيبة من نواحي هراة ، بينهما عشرة فراسخ (معجم البلدان ١ / ٧٥٨) أقول : إنّما ذكر بوشنج في شعره لأنّها موطن أهل طاهر بن الحسين .

ومدين القتل مرتهن بدماء القوم مقتول
بأخي المخلوع[43] طلت يداً لم يكن في باعها طول
وبنعماه الّتي سلفت فعلت تلك الأفاعيل
وبراعٍ غير ذي شفق جالت الخيل الأبابيل
يا ابن بيت النّار موقدها مالحاديه سراويل[44]
أيّ مجد فيك نعرفه أيّ جدّ لك بهلول
من حسينٌ أو أبوك ومن مصعب غالتهم غول
وزريق إذ تخلّفه نسبٌ عمرُكَ مَجهول
تلك دعوى لا نناقشها[45] وأبوّات مراذيل[46]
أسرة ليست مباركة غيرها الشمّ البهاليل[46] [٥٣ م]
ما جرى في عود أثلتكم ماء مجد فهو مدخول[46]
قدحت فيه أسافله وأعاليه مجاهيل[47]
إنّ خير القول أصدقه حين تصطكّ الأقاويل
كن على منهاج معرفة لا تغرّنك الأباطيل
إنّ للإصعاد منحدراً فيه للهاوي أهاويل [٥٣ ظ]
ولريب الدّهر عن عرض بالرّدي علّ وتنهيل
يعسف الصعبة رائضها ولها بالعسف تدليل
ويخون الرّمح حامله وسنان الرّمح مصقول

٤٣ في الأصل : بيد المخلوع ، والتصحيح من العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ .

٤٤ الحوادي : الأرجل ، وفي غ : لحاذيه ، بالذال ، والحاذان : لحمتان في ظاهر الفخذين (لسان العرب).

٤٥ المناقشة : المجادلة .

٤٦ لا يوجد هذا البيت في ظ ، وأضيف من غ وم .

٤٧ في غ : وأعاليه مهازيل .

وينـــال الثـأر طالبـــه[48] بعدمـــا تسلـــو المثـاكيـــل
مضمر حقـــداً ومنصلـــه مغمد في الجفـــن مسلـــول

قال : فلمّا قرب عبد الله بن طاهر منّي ، استوحشت من المقام خوفاً على نفسي ، ورأيت بُعدي وتسليمي حرمي عاراً باقياً ، ولم يكن لي إلى هربي بالحرم سبيل ، فأقمت على أتمّ خوف مستسلماً للاتّفاق ، حتّى إذا كان اليوم الّذي قيل إنّه ينزل فيه العسكر [بهذه النواحي][49] أغلقت باب حصني ، وأقمت هذه الجارية السوداء [ربيئة][49] تنظر لي على مرقب من شرف الحصن ، وأمرتها أن تعرّفني الموضع الّذي ينزل فيه العسكر قبل أن يفجأني ، ولبست ثياب الموت أكفاناً ، وتطيّبت ، وتحنّطت .

فلمّا رأت الجارية العسكر يقصد حصني ، نزلَتْ فعرّفتني ، فلم يرعني إلّا دقّ باب الحصن فخرجت ، فإذا عبد الله بن طاهر ، واقف وحده ، منفرد عن أصحابه ، فسلّمت عليه سلام خائف [٤٢ ر] ، فرد عليّ غير مستوحش [٧٤ غ] ، فأومات إلى تقبيل رجله في الركاب ، فمنع ألطف منع وأحسنه ، ونزل على دكّان[50] على باب الحصن .

ثمّ قال : ليسكن روعك ، فقد أسأت الظنّ بنا ، ولو علمنا أنّا [بزيارتنا لك][49] نروعك ما قصدناك .

ثمّ أطال المسألة ، حتّى رأى الثقة منّي قد ظهرت ، فسألني عن سبب مقامي في البرّ ، وإيثاري إيّاه على الحاضرة ، ورفاهة عيشها ، وعن حال ضيعتي ومعاملتي في ناحيتي ، فأجبته بما حضر لي .

---

٤٨ في غ : وينال الوتر طالبه .

٤٩ الزيادة من غ وم .

٥٠ الدكّان : الدكّة .

حتى إذا لم يبق من التأنيس شيء أفضى إلى مساءلتي عن حديث نصر بن شبث[51] ، وكيف الطريق إلى الظفر به ، فأخبرته بما حضرني[52] .

ثمّ أقبل عليّ وقد انبسطتُ في محادثته كلّ الانبساط ، فقال : أحبّ أن تنشدني القصيدة الّتي فيها :

يا ابن بيت النار موقدها ما لحاديه سراويل

فقلت : أصلح الله الأمير ، قد أربت نعمتك على مقدار همّتي ، فلا تكدّرها بما ينغّصها .

فقال : إنّما أريد الزيادة في تأنيسك ، بأن لا تراني متحفّظاً ممّا خفت ، وعزم عليّ في إنشادها ، [عزم مجدّ][53] فقلت : يريد أن تطرأ على سمعه ، فيثور ما في نفسه ، فيوقع بي . ولم أجد من إنشادها بدًّا ، فأنشدته القصيدة ، فلمّا فرغت منها ، عاتبني عتاباً سهلاً[54] ، فكان منه أن قال : يا هذا ، ما حملك على تكلّف إجابتي ؟

فقلت : الأمير أصلحه الله ، حملني على ذلك بقوله :

وأبي من لا كفاء له من يسامي مجده؟ قولوا !

فقلت كما تقول العرب ، وتفتخر السوقة على الملوك ، وكنت لما بلغت إلى قولي :

يا ابن بيت النّار موقدها ما لحاديه سراويل

قال لي : يا ابن مسلمة ، لقد أحصينا في خزائن ذي اليمينين بعد موته ،

---

٥١ في ظ ور : نصر بن مالك ، وفي م : نصر بن شبيب بن مالك ، والتصحيح من غ .

٥٢ في غ وم : فأخبرته بما عندي في ذلك .

٥٣ الزيادة من غ .

٥٤ كذا في غ وفي بقية النسخ : شديداً .

ألفين وثلثمائة[55] سراويل من صنوف الثّياب ، ما أصلح في أحدها تكّة ، سوى ما استعمل في اللّبس ، على أنّ النّاس يقلّون اتّخاذ السراويلات في كساهم .

فاعتذرت إليه بما حضرني من القول في هذا ، وفي [٥٤ م] جميع ما تضمّنته القصيدة ، فقبل القول ، وبسط العذر ، وأظهر الصفح .

وقال : قد دللتنا على ما احتجنا إليه ، من معرفة أمر نصر بن شبث ، أفنستحسن القعود عنّا في حربه . ولا يكون لك في الظفر به أثر يشاكل إرشادك لوجوه مطالبه ؟ فاعتذرت إليه بلزوم ضيعتي ومنزلي ، وعجزي عن السّفر للقصور عن آلته .

فقال : نكفيك ذلك ، وتقبله منّا ، ودعا بصاحب دوابّه [٥٤ ظ] ، فأمره بإحضار خمسة مراكب من الخيل الهماليج بسروجها ولجمها المحلّاة ، وبثلاث دوابّ من دوابّ الشاكريّة ، وخمسة أبغل من بغال الثقل ، وأمر صاحب كسوته بإحضار خمسة[56] تخوت من أصناف الثياب الفاخرة ، وأمر خازنه بإحضار خمس بدر دراهم ، فأحضر جميع ذلك ، ووضع على الدّكّان الّذي كان عليه جالساً بباب الحصن .

ثم قال لي : كم مدّة تأخّرك عنّا إلى أن تلحق بنا ؟ فقرّبت الموعد ، فقام ليركب ، فابتدرت إلى يده لأقبّلها ، فمنعني ، وركب ، وسار الجيش معه ، وما ترك أحداً ينزل ، وكفى الله مؤونتهم ، وخرجت السوداء ، فنقلت الثياب [٧٥ غ] والبدر ، وأخذ الغلمان الكراع ، وما لقيت عبد الله بعدها[57] .

قال عيسى بن فرخان شاه : فأقمت عند محمّد بن يزيد يومي وليلتي ،

---

٥٥ في غ : ألفاً وثلثمائة .

٥٦ في غ : ثلاثة .

٥٧ وردت القصّة في الأغاني ١٢ / ١٠٤ وفي العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .

فأضافني أحسن ضيافة ، وكانت مذاكرته لي ، وأدبه ، ألذّ إليّ من كلّ شيء[58] ، فأسقطت عنه جميع خراجه في تلك السنة ، وانصرفت .

[ووقع إليّ هذا الخبر ، بخلاف هذا ، فأخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : حدّثني عمّي الحسن بن محمّد ، قال : حدّثني ابن الدهقانة النديم[59] ، قال :][60] حدّثني محمّد بن الفضل الخراساني[61] ، وكان من وجوه قوّاد طاهر ، وابنه عبد الله ، [وكان أديباً ، عاقلاً ، فاضلاً][62] :

لما [٤٣ ر] قال عبد الله ، قصيدته الّتي فخر فيها [بمآثر أبيه وأهله ، وبقتل المخلوع][63] ، عارضه محمّد بن يزيد الأموي الحصني ، وهو رجل من ولد مسلمة بن عبد الملك ، فأفرط في السبّ ، وتجاوز الحدّ في قبح الردّ ، فكان فيما قال :

يا ابن بيت النار موقدها	ما لحاديه سراويل
مَنْ حسين وأبوك ومن	مصعبٌ غالتهم غول
[نسب في الفخر مؤتشب[64]	وأبوّات أراذيل[65]
قاتل المخلوع مقتول	ودم المقتول مطلول

وهي قصيدة طويلة .][66]

---

٥٨ في غ : أحب إليّ من كلّ أحد .

٥٩ في الأغاني ١٢ / ١٠٣ أبو جعفر بن الدهقانة النديم .

٦٠ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١٢ / ١٠٣ .

٦١ في الأغاني ١٢ / ١٠٣ العباس بن الفضل الخراساني .

٦٢ الزيادة من الأغاني ١٢ / ١٠٣ .

٦٣ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١٢ / ١٠٤ .

٦٤ مؤتشب : غير صريح .

٦٥ هذا البيت والذي بعده ، زيد من الأغاني ١٢ / ١٠٤ .

٦٦ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١٢ / ١٠٤ .

فلمّا ولي عبد الله مصر ، وردّ إليه تدبير الشام ، علم الحصنيّ أنّه لا يفلت منه إن هرب ، ولا ينجو من يده حيث حلّ ، فثبت مكانه ، وأحرز حرمه ، وترك أمواله وكلّ ما يملكه في موضعه ، وفتح باب حصنه ، وهو يتوقّع من عبد الله أن يوقع به .

قال : فلمّا شارفنا بلده ، [وكنّا على أن نصبحه][٦٦] ، دعاني عبد الله في الليل ، فقال : بتْ عندي ، وليكن فرسك معدًّا ، ففعلت ، فلمّا كان في السّحر ، أمر غلمانه وأصحابه أن لا يرحلوا حتّى تطلع الشمس ، وركب هو وأنا وخمسة من خواصّ غلمانه ، وسار حتّى صبّح الحصنيّ ، فرأى بابه مفتوحاً ، ورآه جالساً مسترسلاً ، فقصده وسلّم عليه ، ونزل عنده .

وقال : ما أجلسك ها هنا ، وحملك على أن تفتح بابك ، ولم تتحصّن من هذا الجيش المقبل ، ولم تتنحّ عن عبد الله بن طاهر ، مع علمك بما في نفسه منك ، وما بلغه عنك ؟

فقال : إنّ الّذي قلتَ لم يذهب عنّي ، ولكنّي تأمّلت أمري ، وعلمت أنّي قد أخطأت عليه خطيئة حملني عليها نزق الشباب ، وغرّة الحداثة ، وأنّي إن هربت منه لم أفته ، فباعدت الحرم ، واستسلمت بنفسي وبكلّ ما أملك ، فإنّا أهل بيت قد أسرع فينا القتل ، ولي بمن مضى من أهلي أسوة ، وأنا واثق بأنّ الرّجل إذا قتلني ، وأخذ مالي ، شفى غيظه ، فلم يتجاوز ذلك إلى الحرم ، ولا له فيهنّ أرب ، ولا يوجب جرمي إليه أكثر ممّا بذلته .

فوالله ، ما أجابه عبد الله إلّا بدموعه تجري على لحيته ، ثمّ قال له : أتعرفني ؟ .

قال : لا والله .

قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد أمّن الله روعك ، وحقن دمك ، وصان حرمك ، وحرس نعمتك ، وعفا عن ذنبك ، وما تعجّلت إليك وحدي ، [إلّا

لتأمن ، قبل هجوم الجيش][67] ، ولئلّا يخالط عفوي عنك ، روعة تلحقك .

فبكى الحصنيّ ، وقام فقبّل يده[68] ، فضمّه عبد الله إليه ، وأدناه ، ثم قال له : أمّا إنّه لا بدّ من العتاب ، يا أخي ، جعلني الله فداك ، قلتُ [٥٥ م] شعراً في قومي أفخر بهم ، ولم أطعن فيه على نسبك ، ولا ادّعيت فضلاً عليك ، وفخرتُ بقتل رجل هو وإن كان [٧٦ غ] من قومك ، فهو من الّذين ثأرك عندهم ، وقد كان يسعك السّكوت ، وإن لم يسعك ، أن لا تُغْرِق ولا تسرف .

فقال : أيّها الأمير ، قد عفوتَ فاجعله عفواً لا يخالطه تثريب ، ولا يكدّر صفوه تأنيب .

قال : قد فعلتُ ، فقم بنا ندخل إلى منزلك ، حتّى توجب علينا حقًّا وذماماً بالضيافة[69] .

فقام مسروراً [٥٥ ظ] فأدخلنا منزله ، وأتانا بالطّعام فأكلنا ، وجلسنا نشرب في مستشرفٍ له ، وأقبل الجيش ، فأمرني أن أتلقّاهم فأرحّلهم ، ولا ينزل أحد منهم إلّا في المنزل ، وكان على ثلاثة فراسخ من الحصن ، فنزلتُ ، فرحّلتهم ، وأقام عنده إلى العصر ، ثم دعا بدواة ، فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين .

ثمّ قال له : إن نشطت ، فالحق بنا [إلى مصر][70] ، وإلّا فأقم بمكانك .

فقال : أتجهّز ، وألحق بالأمير .

ففعل ، ولحق بنا ، فلم يزل مع عبد الله ، لا يفارقه ، حتّى رَحل إلى العراق ، فودّعه ، وأقام ببلده[71] .

---

٦٧ الزيادة من غ ، وم .

٦٨ في غ : وقام فقبّل رأسه .

٦٩ في غ : حتى توجب علينا ذماماً بالضيافة .

٧٠ لا توجد في غ ، ولا م .

٧١ وردت القصّة في الأغاني ١٢ / ١٠٣ - ١٠٦ ، ونقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٣٨ .

[وحدّثني أبو الفَرج المعروف بالأصبهاني ، بهذا الخبر ، من لفظه وحفظه ، بخلاف هذا ، قال : أخبرني أبو دلف هاشم بن محمّد الخزاعيّ [72] ، قال : حدّثني أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال :

لما قال أبي قصيدته الّتي يقول فيها :

وأبي مــن لا نظير لـــــه مـــن يسامـــي مجـــده ؟ قولوا

وذكر أبياتاً من القصيدة ، قال الحصنيّ الأمويّ قصيدة أوّلها :

لا يرعــك القـــال والقيــــل كلّمــــا بلّغت تمحيــــل [73]

وذكر أبيــاتاً من القصيدة يشتمه فيها ، فلمّا ولي تلك النواحي ، علم المسلمي [74] أنّه لا يفوته ، فأقام ببلده ، فلمّا قربَ أبي من حصن مسلمةَ ، أمر الجيش فنزلوا على فرسخ منه ، ونزع من موضعه ، مع عدّة من غلمانه ، فجاء إلى الحصن ، فابتدأه وهو على باب داره ، فسلّم ، ونزل .

فقال له : من أنت ؟

قال : أنا محمّد بن مسلمة القرشيّ الحصنيّ .

قال : الّذي هجوت آل طاهر .

قال : نعم أعزّك الله .

قال : فلمَ فعلت ذلك ، فوالله ما فخر القوم إلّا بقتلهم رجلاً [من قبيلٍ] قتلكم وأفناكم ، فما دخولك في هذا ؟

قال : أطّت الرحم [75] وإن كانت مقطوعة ، ولحقتني الرّحمة والحميّة ،

---

٧٢ هاشم بن محمّد بن هارون بن عبد الله بن مالك : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٤ / ٦٨ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٢ وإنّ كنيته أبو خلف ، وورد في هذا الكتاب أنّ كنيته أبو دلف .

٧٣ المماحلة : المكايدة والمماكرة .

٧٤ المسلمي : نسبه إلى جدّه مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأموي .

٧٥ أطّت الرحم : رقت وتحركت وعطفت .

وهو أمرني أن أقول ، إذ قال :

من يسامي مجده قولوا

قال : فذكرنا ما عندنا .

قال : فلم لم تستتر من عبد الله بن طاهر وقد أظلّك ؟

قال : علمتُ أنّي لا أفوته ، فجدت بنفسي ، وصنت حرمي .

قال : أتعرفني ؟

قال : أمّا في الحقيقة ، فلا ، ولكنّي أظنّك من قوّاده .

قال : لا ، بل أنا هو ، وإنّما سبقت إليك لئلّا تراع ، وقد أمّنك الله ، وأمّن حرمك ، فسلني حاجاتك .

قال : أمّا أنا أيّها الأمير ، فقد أجبتني عن قولي بفعلك ، وأكذبت شعري بفضلك ،وما لي بعدها حاجة ، فإنّي في كفافٍ من معيشتي [76] .

فاحتمل له خراجه ، وقال له : إن شئتَ فأقم ببلدك ، وإن شئتَ فكن معي .

قال : بل أقيم ببلدي ، وأزور الأمير إذا نشط لي .

فأجابه إلى ذلك] [77] .

---

٧٦ العيش الكفاف : الذي يكفّ صاحبه عن الناس ، أي ما يكفي المرء لنفقته ، بلا فضل ولا نقص .

٧٧ انفردت بها غ .

١٢٥

الباب الّذي بين الله والنّاس ، لا يغلق

وحدّثني [عبد الله بن أحمد][1] بن داسة ، المقرئ البصريّ[2] ، قال :

سمعت أنّ بعض الجند ، اغتصب امرأة نفسها من الطريق ، فعرض له الجيران يمنعونه منها ، فقاتلهم هو وغلمانه حتّى تفرّقوا ، وأدخل [٧٧ غ] المرأة إلى داره ، وغلّق الأبواب ، ثم راودها عن نفسها ، فامتنعت ، فأكرهها ، ولحقها منه شدّة ، حتّى جلس منها مجلس الرّجل من المرأة .

فقالت له : يا هذا ، اصبر حتّى تغلق الباب الّذي بقي عليك أن تغلقه . [٤٤ ر]

قال : أيّ باب هو ؟

قالت : الباب الّذي بينك وبين الله .

فقام عنها ، وقال : اخرجي ، قد فرّج الله عنك .

فخرجت ، ولم يتعرّض لها .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن بكر بن داسة البصري : ذكره السمعاني في كتاب الأنساب ٢١٩ وابن الأثير في اللباب ١ / ٤٠٦ ، وروى عنه التنوخي أخباراً عدّة في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، راجع فيه القصص ١ / ١٠ ، ٢٠ ، ١٠٨ ، ٣ / ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .

١٢٦

بين الوليد بن يزيد وطريح بن إسماعيل الثقفيّ

[أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني][1] ، عن المدائنيّ[2] ، قال : كان الوليد بن يزيد[3] ، وهو وليّ العهد ، يكرم طريح بن إسماعيل الثقفيّ[4] ،

---

١ الزيادة من غ ، وهو أبو الفرج عليّ بن الحسين الأموي (٢٨٤ - ٣٥٦) : من أئمّة الأدب ، ومن الأعلام في معرفة التاريخ ، والأنساب ، والسير ، والآثار ، واللّغة ، والمغازي ، ويكفيه أنّه مؤلّف كتاب الأغاني (الأعلام ٥ / ٨٨) راجع ما كتبه عنه القاضي التنوخيّ في القصّة ٤ / ٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة .

٢ المدائني نسبة إلى المدائن ، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٤٤٥ : إنّها تبعد عن بغداد ستة فراسخ ، في جنوبيها ، كانت مسكن الملوك الأكاسرة الساسانية ، اسمها الأوّل : طيسفون ، فتحها العرب سنة ١٦ على يد سعد بن أبي وقاص ، وهي الآن بليدة شبيهة بالقرية ، وأهلها فلاّحون ، وبالمدينة الشرقية ، قرب الإيوان قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ، أقول : للبحتري في وصف إيوان كسرى ، ويسمّيه فيها أبيض المدائن ، قصيدة تشتمل على ٥٦ بيتاً ، كلّها غرر ، مطلعها :

صنت نفسي عما يدنّس نفسي   وترفّعت عن جدا كلّ جبس

واسم المدائن الآن : سلمان باك ، إشارة إلى الصحابيّ سلمان الفارسي المدفون فيها ، وباك ، معناها الطاهر ، ومنه اشتق اسم : باكستان ، وما زال مشهده يزار ، وعليه بناء بناه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني ، وما زال فيها إيوان كسرى ، وقد سقط أحد جناحيه قبل مائة عام ، وهو الآن قائم بجناح واحد ، وللبغداديين تقليد موغل في القدم ، وهو زيارة سلمان باك في موسم الربيع ، فإذا حلّ الموسم ترك الكثير أعمالهم ، وجهّزوا أنفسهم بالخيام والفرش والأواني ، ورحلوا إلى سلمان باك على الظهر ، أو انحدروا في الماء ، فيخيّمون في المناطق المزروعة المحيطة بالقبر والإيوان ، ويمكثون أيّاماً ، يأكلون ، ويغنون ، ويطربون ، ولهم أغنية يتناقلونها ، يكررون فيها هذا الشطر :

والما يزوره لسلمان ، عمره خسارة

٣ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (٨٨ - ١٢٦) : من فتيان بني أميّة ، وظرفائهم ، كان شجاعاً ، جواداً ، منهمكاً في اللهو ، ثار عليه ابن عمّه يزيد بن الوليد ، وحاصره ، فقتله ، ونصب رأسه في

ويدني مجلسه ، وجعله أوّل داخل وآخر خارج من عنده ، فاستفرغ مديحه كلّه فيه ، فحسده النّاس من أهل بيت الوليد ، وقدم حمّاد الراوية ، في تلك الأيّام إلى الشّام .

فقالوا له : قد ذهب طريح بالأمير كلّ مذهب ، فما لنا معه ليل ولا نهار .

فقال حمّاد : اطلبوا لي[5] من ينشده بيتين من الشّعر [في خلوة][6] لأسقط منزلته عنده .

فطلبوا إلى الخصيّ الّذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم ، على أن ينشد بيتين من الشّعر ، على خلوة ، فإذا سأله عنهما وعن قائلهما ، قال له : طريح ، فأجابهم الخصيّ إلى ذلك ، وتعلّم البيتين .

فلمّا [كان ذات يوم][6] دخل طريح على الوليد ، ودخل النّاس ، وجلسوا طويلاً ، ثمّ نهضوا ، وبقي طريح مع الوليد ، فدعا بغدائه فتغدّيا ، ثمّ إن طريحاً خرج ، فركب إلى منزله ، وبقي الوليد وحده [في مجلسه ليس معه أحد][6] فاستلقى على فراشه ، فاغتنم الخصيّ خلوته ، فأنشده البيتين ، وهما :

سيري ركابي إلى من تسعدين به ... فقد أقمت بدار الهون[7] ما صلحا

سيري إلى سيّد سمح خلائقه ... ضخم الدسيعة قرم يحمل المِدَحا

فأصغى الوليد إليه ، ثمّ قال : من يقول هذا يا غلام ؟

الجامع الأمويّ بدمشق ، وبقي أثر دمه على الجدار ، حتى قدم المأمون سنة ٢١٥ فأمر بحكّه (الأعلام ٩ / ١٤٥) .

٤ أبو الصلت طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي الشاعر : ترجمته في حاشية القصّة ١١٨ من الكتاب .

٥ في غ : ابغوني .

٦ الزيادة من غ .

٧ في غ : دار الذلّ .

قال : يقوله طريح .

فامتلأ غيظاً وغضباً ، ثم قالَ : والهَفَ أمّ لم تلدني ، قد جعلته أوّل داخل عليّ ، وآخر خارج عنّي ، ويزعم أنّ هشاماً[8] يحمل المِدَح ، وأنّي لا أحملها .

ثمّ قال : عليّ بالحاجب .

فجاء ، فقال له : لا أعلم أنّك أذنت لطريح ، ولا أراه في بسيط الأرض ، فإذا جادلك في ذلك ، فاخبطه بالسّيف .

فلمّا صلّيت العصر ، جاء طريح في السّاعة الّتي كان يؤذن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : وراءك [٥٦ م] .

فقال : ما لك ، هل دخل على وليّ العهد أحد بعدي ؟

قال : لا ، ولكن ساعة ولّيت من عنده ، دعاني ، فأمرني أن لا آذن لك ، وإن جادلتني في الإذن خبطتك بالسيف .

فقال له : لك عشرة آلاف درهم ، وأدخلني .

فقال له الحاجب : والله ، لو أعطيتني خراج العراق[9] ما أذنت لك ، وما لك خير في الدخول عليه ، فارجع .

فقال : ويحك ، هل تعلم من دهاني عنده ؟

قال : لا والله ، لقد دخلت عليه ، وما عنده أحد ، ولكن الله تعالى يحدث ما يشاء ، في اللّيل والنّهار .

فرجع طريح ، وأقام بباب الوليد سنة ، لا يخلص إليه ، ولا يقدر [٥٦ ظ] على الدّخول عليه ، وأراد الرّجوع إلى وطنه وقومه .

---

٨ هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ – ١٢٥) : من مشاهير الخلفاء الأمويين ، خلف أخاه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ ، وثار عليه الإمام زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، فوجّه إليه من قتله ، وكان ممسكاً ، فاجتمع في خزائنه مال كثير ، توفّي سنة ١٢٥ (الأعلام ٩ / ٨٤) .

٩ كذا في غ وم ، وفي بقيّة النسخ : خراج الأرض .

ثمّ قال : والله ، إنّ هذا منّي لعجز ، أرجع من غير أن ألقى وليّ العهد ، فأعلم من دهاني عنده ؟

ورأى أناساً كانوا أعداء له ، قد فرحوا بما كان من أمره [٧٨ غ] ، ولم يزل يلطف بالحاجب ، حتّى قال له : أمّا إذ أطلت المقام ، فأنا أكره أن تنصرف على حالك هذه ، ولكنّ الأمير ، إذا كان يوم كذا وكذا ، دخل الحمّام ، ثمّ أمر بسريره فأبرز ، وليس عليه يومئذ حجابٌ ، فإذا كان ذلك اليوم حضرتَ ، فدخلتَ عليه ، وظفرتَ بحاجتك ، ويكون لي أنا عذر .

فلمّا كان ذلك اليوم دخل الحمّام ، وأبرز سريره ، وجلس عليه ، وأذن للنّاس فدخلوا ، وبعث الحاجب إلى طريح ، فأقبل .

فلمّا رآه الوليد من بعيد ، صرف وجهه عنه ، وكره أن يردّه من بين النّاس ، فسلّم ، فلم يردّ عليه ، فأنشأ طريح يقول :

نام الخليّ من الهموم وبتّ في ... ليلٍ أكابده وهـمّ مضبـع
وسهرت لا أسري ولا في لذّة ... أرقي وأعقد ما لقيت المضجع [١٠]
أبغي وجوه مخارجي من تهمـةٍ ... أزمتْ عليّ وسدّ منها المطلع [٤٥ ر]
جزعاً لمغضبة الوليد ولم أكن ... من قبل ذاك من الحوادث أجزع
يا ابن الخلائف إنّ سخطك لامرئ ... أمسيت عصمته بـلاء مفظع
فلأنزعنّ عن الذي لم تهوه ... إن كان لي – ورأيتَ ذلك – منزع
فاعطف – فداك أبي – عليّ تعطّفاً ... وفضيلة ، فعسى الفضيلة تنفع [١١]
فلقد كفاك ، وزاد ما قد نالني ... إن كنتَ لي ببلاء ضرٍّ تقنـع
سمةٌ لذاك عليّ جسم شاحب ... بادٍ تحسّره ، ولون أسفـع

---

١٠ كذا في ظ وم ، وفي ر : أرباً وأغفل ما لقيت المنجع .

١١ في غ : فعلى الفضيلة يتبع .

إن كنتَ في ذنب عتبتَ فإنّني	عمّا كرهتَ لنازعٌ متضرّع
ويئستُ منك فكلّ عسر باسط	يده إليّ وكلّ يسر أقطـــع
من بعد أخذي من حبالك بالّذي	قد كنت أحسب أنّه لا يقطع
أرمضتني حتّى انقطعتُ وسدّدتْ	عنّي الوجوه ولم يكن لي مدفـع
ودخلتُ في حرم الذمام وحاطـني	خفر أخذت به وعهد مولـع
أفهادمٌ ما قد بنيتَ وخافـضٌ	شرفي وأنت بغير ذلك أوسع
أفلا خشيتَ شماتَ قومٍ فيهمُ	شنف[12] وأنفسهم عليّ تقطّـع
وفضلت في الحسب الأشمّ عليهم	وصنعت في الأقوام ما لم يصنع
فكأنّ أنفهم بكلّ صنيعـــة	أسديتها ، وجميل فعل ، يجدع
ودّوا لو آنهمُ ينال أكفّهـــم	شللٌ وأنّك عن صنيعك تنزع
أو تستليم[13] فيجعلونك أسوة	وأبى المـلام لـك الندى والمصنع

فقال له : زعمت أنّ هشاماً يحمل المدح ، وأنا لا أحملها ؟ فأنكر .

فدعا الحصيّ ، وكشف عن الصورة ، فاعترف الحصيّ ، بما كان قد رشي ، حتّى أنشد البيتين بحضرة الوليد ، فرضي عنه ، وأجزل عطاءه ، وعوّضه ما فاته ، وردّه إلى ما كان عليه .

---

١٢ الشنف : البغض .

١٣ الاستلامة : صنع ما يوجب اللوم .

١٢٧
بين الجاحظ وأحمد بن أبي دؤاد

وجدت في بعض الكتب : أُتي بالجاحظ[١] ، إلى أحمد بن أبي دؤاد ، بعد نكبة محمّد بن عبد الملك الزيّات [٧٩ غ] مقيّداً في جبّة صوف[٢] .

فقال له ابن أبي دؤاد : والله يا عمرو [٥٧ م] ما علمتك إلّا متناسياً للنعمة ، جاحداً للصنيعة ، معدّداً للمثالب ، مخفياً للمناقب ، وإنّ الأيّام لا تُصلح مثلك ، لفساد طويّتك ، وسوء اختبارك .

فقال له الجاحظ : خفّض عليك ، فوالله ، لأن تكون المنّة لك عليّ ، خير من أن تكون لي عليك ، ولأن أسيء وتحسن ، أحسن في الأحدوثة من أن أسيء وتسيء ، ولأن تعفو في حال قدرتك ، أجمل بك من أن تنتقم .

فقال له ابن أبي دؤاد : ما علمتك إلّا كثير تزويق اللّسان ، قد جعلت لسانك أمام قلبك ، ثم اضطغنت فيه النفاق ، اغرب قبحك الله .

فأُنهض في قيوده [٥٧ ظ] ، ثمّ قال : يا غلام ، الحَقه ، فخذ قيوده ، وصِرْ به إلى الحمّام ، واحمل إليه خلعة يلبسها ، واحمله إلى منزل فيه فرش وآلة وقماش [تزاح فيه علله][٣] ، وادفع إليه عشرة آلاف درهم لنفقته ، إلى أن أصلح من خلّته ، ففعل ذلك كلّه .

فلمّا كان من الغد ، رؤي الجاحظ متصدّراً في مجلس ابن أبي دؤاد ، وعليه خلعة من ثيابه ، وطويلة من قلانسه ، وهو مقبل عليه بوجهه ، يقول : هات يا أبا عثمان .

---

١ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥) : كبير أئمّة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظيّة من المعتزلة ، مات شهيد الكتب ، قتلته مجلّدات من الكتب وقعت عليه (الأعلام ٥ / ٢٣٩) .

٢ في غ : في قميص رث . * ٣ الزيادة من غ .

١٢٨

الرشيد يمضي ما تعهّد به وزيره جعفر البرمكي ، في مجلس أنس

[أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : حدّثني يحي بن عليّ المنجّم[١] ، قال حدّثني أبي[٢]][٣] عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال :

لم أر قطّ مثل جعفر بن يحي بن خالد البرمكي[٤] ، كانت له فتوّة ، وظرف ، وأدب ، وحسن غناء ، وضرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظّ ، من كلّ فنّ[٥] .

فحضرتُ باب الرّشيد يوماً ، وكان الرشيد نائماً ، فوافى جعفر ، فقلت له : إنّه نائم ، فرجع ، وقال : سرْ بنا إلى المنزل ، حتّى نخلو جميعاً بقيّة يومنا ، [فأغنّيك ، وتغنّيني ، ونأخذ في شأننا ، من وقتنا هذا][٣] .

فقلت : نعم

فسرنا إلى مجلسه ، فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام ، فأكلنا ، وأمر بإخراج الجواري ، وقال : ليبرزن ، فليس عندنا من نحتشمه .

فلمّا رُفع الطعام ، وجيء بالشراب ، دعا بقميص حرير فلبسه ، ودعا لي بمثله ، ودعا بخلوق[٦] ، فتخلّق ، وخلّقني ، وجعل يغنيني ، وأغنّيه .

وكان قد دعا بالحاجب ، فتقدّم إليه أن لا يأذن لأحد من النّاس كلّهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين ، فأعلمه أنّي مشغول ، واحتاط في ذلك ، وتقدّم

---

١ أبو أحمد يحي بن عليّ بن يحي بن أبي منصور المنجّم : ترجمته في حاشية القصّة ٤٠٢ من الكتاب .

٢ أبو الحسن عليّ بن يحي بن أبي منصور المنجّم (٢٠١ – ٢٧٥) : راوية ، شاعر ، نادم المتوكل ، توفّي بسامراء (الأعلام ٥ / ١٨٤) .

٣ الزيادة من غ .

٤ أبو الفضل جعفر بن يحي البرمكيّ ، ترجمته في آخر القصّة .

٥ ورد هذا الوصف لجعفر بن يحي البرمكي في الأغاني ٥ / ٤٠٧ .

٦ الخلوق : ضرب من الطيب ، أعظم أجزائه الزعفران .

فيه إلى جميع الحجّاب والخدم .

ثمّ قال : إن جاء عبد الملك ، فأذنوا له ، يعني رجلاً كان يأنس به ، ويمازحه ، ويحضره خلواته[7] ، ثمّ أخذنا في شأننا .

فبينما نحن على حالة سارّة ، إذ رفع الستر ، فإذا عبد الملك بن صالح الهاشميّ[8] قد أقبل ، وغلط الحاجب ، فلم يفرّق بينه وبين عبد الملك الّذي يأنس به جعفر .

وكان عبد الملك هذا من جلالة القدر والتقشّف ، على حالة معروفة ، حتّى إنّه كان يمتنع من منادمة الخليفة ، على اجتهاد من الخليفة أن يشرب معه قدحاً واحداً ، فلم يفعل ، ترفّعاً .

فلمّا رأيناه مقبلاً ، أقبل كلّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أن تنشقّ مرارته غيظاً .

وفهم الرّجل حالنا ، فأقبل نحونا ، حتّى صار إلى الرّواق الّذي نحن فيه ، فنزع قلنسوته ، فرمى بها مع طيلسانه جانباً ، ثمّ قال : أطعمونا شيئاً .

فدعا له جعفر [٨٠ غ] بطعام ، وهو منتفخٌ غيظاً وغضباً ، فأكل ، ثمّ دعا برطل[9] فشربه [٤٦ ر] .

ثمّ أقبل إلى المجلس الّذي كنّا فيه ، فأخذ بعضادتي الباب ، ثمّ قال : أشركونا فيما أنتم فيه .

---

٧ في المستجاد (ص ١٥٤) : عبد الملك بن نجران ، كاتبه .

٨ عبد الملك بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس : أمير عباسي ، خطيب ، فصيح ، لـه مهـابة وجلالة ، ولّي الموصل للهادي ، وولّي المدينة للرشيد ، ثم ولّاه مصر ، ثم ولّاه دمشق ، وبلغه أنّه يطلب الخلافة ، فحبسه ، ولمّا استخلف الأمين ، أطلقه ، وولّاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ ، فأقام بالرقّة أميراً ، وتوفّي سنة ١٩٦ (الأعلام ٤ / ٣٠٤) .

٩ الرطل : يقابله في وقتنا عند الإفرنج : اللتر Litre ، قاله كوركيس عوّاد في الديارات ٤٢ .

فقال له جعفر : ادخل ، فدخل [فدعا له بقميص حرير وخلوق ، فلبس ، وتخلّق ، ثمّ دعا برطل ، ورطل][10] حتّى شرب ثلاثة أرطال[11] ، ثمّ اندفع يغنّينا ، فكان – والله – أحسننا غناءً .

فلمّا طابت نفس جعفر ، وسرّي عنه ما كان به ، التفت إليه ، وقال : ارفع حوائجك .

فقال : ليس هذا موضع حوائج .

فقال : أقسم عليك ، لتفعلنّ .

ولم يزل يلحّ عليه حتّى قال له : أمير المؤمنين واجدٌ عليّ كما قد علمت ، فأحبّ أن تترضّاه .

قال : فإنّ أمير المؤمنين قد رضي عنك ، فهات حوائجك ، كما أقول لك .

قال : عليّ دين فادح .

قال : كم مبلغه ؟

قال : أربعة آلاف ألف درهم[12] .

قال : هذه [٥٨ م] أربعة آلاف ألف درهم[13] ، فإن أحببت قبضَها ، قبضتها الساعة ، فإنّه لا يمنعني من إعطائك إيّاها ، إلّا أنّ قدرك يجلّ عندي أن يصلك مثلي ، ولكنّي ضامن لها ، حتّى تحمل لك في غد ، من مال أمير المؤمنين ، فسل أيضاً .

قال : تكلّم أمير المؤمنين حتّى ينوّه باسم ابني .

قال : ولّاه أمير المؤمنين مصر ، وزوّجه ابنته الغالية ، ومهرها عنه ألفي

---

١٠ الزيادة من غ .

١١ في غ : عدّة أرطال .

١٢ في ظ : أربعمائة ألف درهم ، والتصحيح من غ .

١٣ في ظ وم : أربعمائة ألف درهم ، والتصحيح من غ .

ألف درهم[14] .

قال إسحاق : فقلت في نفسي ، قد سكر الرّجل – يعني جعفر – .

فلمّا أصبحنا ، حضرتُ دار الرّشيد ، فإذا بجعفر بين يديه ، ووجدت [٥٨ ظ] في الدار جلبة ، فإذا بأبي يوسف القاضي[15] ونظرائه ، وقد دعي بهم ، ثم دعي بعبد الملك وابنه ، فدخلا على الرّشيد .

فقال الرّشيد لعبد الملك : إنّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك ، وقد رضي عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم[13] ، فخذها من جعفر السّاعة .

ثمّ دعا بابنه ، وقال : اشهدوا عليّ أنّي قد زوّجته ابنتي الغالية ، ومهرتها عنه ألفي ألف درهم[14] ، وولّيته مصر .

فلمّا خرج جعفر سألته عن الخبر ، فقال : بكّرت إلى دار الرّشيد ، فحكيت له جميع ما جرى حرفاً حرفاً ، ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع ، فعجب منه ، وسرّ به .

فقلت له : وقد ضمنت له عن أمير المؤمنين ضماناً .

فقال : ما هو ؟ فأعلمته .

فقال : نفي له بضمانك ، وأمر بإحضاره ، فكان ما رأيت[16] .

---

١٤ في ظ : مائتي ألف درهم ، والتصحيح من غ وم .

١٥ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي (١١٣ – ١٨٢) : صاحب الإمام أبي حنيفة ، وتلميذه ، وأوّل من نشر مذهبه ، كان فقيهاً ، حافظاً ، ولد بالكوفة ، وولّي القضاء ببغداد أيّام المهدي والهادي والرشيد ، ومات في خلافته ، وهو على القضاء (الأعلام ٩ / ٢٥٢) راجع القصص ١ / ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ و٦ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخيّ .

١٦ وردت القصّة في المستجاد للتنوخيّ ١٥٣ – ١٥٦ ، وفي الوزراء للجهشياري ، وفي وفيات الأعيان لابن خلّكان ١ / ٣٣٠ و٣٣١ .

جعفر البرمكيّ

أبو الفضل جعفر بن يحيي بن خالد البرمكيّ (١٥٠ – ١٨٧) : وزير الرشيد ، أحد مشهوري البرامكة ومقدّميهم ، كان الرشيد يدعوه : أخي ، واستوزره ، وألقى إليه أزمّة الملك ، فانقادت له الدولة ، ثمّ قتله وأحرق جثته .

وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق ، وبلاغة القول ، وكرم اليد والنفس ، وكان كاتباً بليغاً ، يتدارس الكتّاب تواقيعه (الأعلام ٢ / ١٢٦) .

حلف إسحاق الموصلي بالله الذي لا إله إلاّ هو ، ما رأيت أذكى من جعفر بن يحيي قطّ ، ولا أفطن ، ولا أعلم بكلّ شيء ، ولا أفصح لساناً ، ولا أبلغ في المكاتبة (الأغاني ٤ / ٣٢٥) وقال ثمامة بن أشرس : ما رأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيي البرمكيّ (تاريخ الخلفاء ٣٢٦) وقال إبراهيم بن المهديّ : ما رأيت أكمل من جعفر قطّ (الأوراق للصولي ، أشعار أولاد الخلفاء ٣٤ والعقد الفريد ٢ / ٤٢٥) .

قتل الرشيد جعفراً في السنة ٢٨٧ بالأنبار ، وهما قادمان من مكّة في آخر شهر محرم ، أمر ، فأحيط بجعفر ليلاً ، ودخل عليه مسرور وهو في لهوه ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً ، يقوده ، حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد ، وقيّده بقيد حمار ، ثمّ ضرب عنقه (الطبري ٨ / ٢٩٥) ، وكان قتله وهو ابن ٣٧ سنة ، بعد أن استمرّت وزارة البرامكة للرشيد ١٧ سنة (الطبري ٨ / ٣٠٠) .

وذكر الصولي في كتابه الأوراق ، أشعار أولاد الخلفاء ص ٥٧ : أنّ عليّة ، أخت الرشيد ، قالت له ، بعد إيقاعه بالبرامكة : ما رأيت لك يوم سرور تامًّا ، منذ قتلتَ جعفراً ، فلأيّ شيء قتلته ؟ فقال : يا حياتي ، لو علمت أنّ قميصي يعلم السبب الذي قتلت له جعفراً ، لأحرقته .

وفي العقد الفريد ، لابن عبد ربّه ٥ / ٦١ : إنّ الرشيد ، لما قتل جعفراً ، أمر بجثّته ففصلت على ثلاثة جذوع ، رأسه في جذع على الجسر ، مستقبل الصراة ، وبعض جسده على جذع بالجزيرة ، وسائر جسده على جذع على آخر الجسر الثاني ممّا يلي باب بغداد ، فلمّا دنا الرشيد من باب بغداد ، استقبله وجه جعفر مستقبلاً الشمس ، فاربدّ وجه الرشيد ، وأغضى بصره ، وأمر بالنضّاحات ، فنضح عليه ، حتى احترق عن آخره .

١٢٩

الرشيد يرضى عن فرج الرخّجي ، ويعيده إلى عمالة الأهواز

ذكر ابن عبدوس في كتابه « الوزراء » ، قال :

كان الرّشيد قد قلّد فرجاً الرخّجي[١] الأهواز ، فاتّصلت السعايات به عنده ، وكثرت الشكايات منه ، وتظلّم الرعية ، وادعي عليه أنّه اقتطع مالاً عظيماً ، فصرفه [بمحمّد بن أبان الأنباري][٢] وقبض عليه .

وحدث للرّشيد سفر ، فأشخصه معه ، فلمّا كان في بعض الطّريق دعا به ، فقال مطر بن سعيد ، كاتب فرج : فلمّا أمر بإحضاره ، حضر وأنا معه ، ولست أشكّ في الإيقاع به ، وإزالة نعمته ، [فوقفت بباب مضرب الرّشيد][٣] ، ودخل فرج ، ونحن نتوقّعه أن يخرج منكوباً ، إذ خرج وعليه الخلع ، فتضاعفت النعمة عندي ، وسرت معه إلى منزله .

فلمّا خلا سألته عن خبره ، فقال : دخلت عليه ووجهه إلى الحائط ، وظهره إليّ ، فلمّا [٨١ غ] أحسّ بي ، شتمني أقبح شتم ، وتوعّدني أشدّ توعّد .

---

١ فرج بن زياد الرخّجي : ينسب إلى الرخّج ، كورة ومدينة في نواحي كابل (معجم البلدان ٢ / ٧٧٠) . أبوه زياد من سبي معن بن زائدة ، أمّا فرج فكان مولى لحمدونة بنت الرشيد (الهفوات النادرة ص ٧٧) ، وكان فرج من كبار العمّال في الدولة العبّاسية ، وكان دميماً ، قبيح الصورة (المحاسن والأضداد ١١٦) وفيه شرّ وغدر ، ونفاق ومكر (رسوم دار الخلافة ٣٩) ، والقصّة المروية عنه في كتاب رسوم دار الخلافة ص ٣٨ – ٣٩ المشتملة على خيانته من أحسن إليه ، تدلّ على مقدار ما فيه من لؤم وخسّة ، ولي الأهواز للرشيد ، فسرق وظلم وخان ، فصرفه الرشيد ، ثم أعاده ، وهو صاحب قصر فرج ببغداد ، خلّفه لولده عمر ، وصادره المتوكّل ، فيما صادر من أموال ولده (معجم البلدان ٢ / ٥٢٢ والهفوات النادرة ص ٧٧ و ٧٨) .

٢ كذا في م ، وفي غ : بمحمّد بن الزيات الأنباري .

٣ الزيادة من غ .

ثمّ قال : يا ابن الفاعلة ، رفعتك فوق قدرك ، وائتمنتك ، فخنتني ، وسرقت مالي ، وفعلت ، وصنعت ، والله ، لأفعلنّ بك ، ولأصنعنّ .

فلمّا سكت ، قلت : القول ما قاله أمير المؤمنين في إنعامه ، وأكثر منه ، وحلفت له بأيمان البيعة وغيرها ، أنّي ناصحتُ وما سرقتُ ، ووفّرتُ وما خنتُ ، واستقصيتُ حقوقه من غير ظلم ، ولكنّي كنت إذا حضر وقت الغلّات ، جمعت التجّار وناديت عليها ، فإذا تقرّرت العطايا أنفذت البيع ، وجعلت لي مع التجّار حصّة ، فربّما ربحتُ ، وربّما وضعت[4] ، إلى أن اجتمع لي من ذلك وغيره ، في عدّة سنين ، عشرون ألف ألف درهم[5] ، [فاتّخذت أزجاً كبيراً ، وأودعته المال ، وسددّته عليه][6] فخذها ، وحوّل وجهك إلى عبدك ، وكرّرت عليه الأيمان ، بأيمان البيعة على صدقي .

فقال لي : بارك الله لك في مالك ، ارجع إلى عملك .

---

٤ في م : خسرت ، والوضيعة في التجارة : الخسارة .

٥ في غ : عشرة آلاف ألف درهم ، وفي م : ألف ألف درهم .

٦ الزيادة من غ وم .

١٣٠

بين ثمامة بن أشرس والفضل بن سهل وزير المأمون

وذكر ابن عبدوس [أيضاً في كتاب « الوزراء »][1] ، عن ثمامة بن أشرس[2] ، أنّه قال :

اجتمع النّاس ، وجلس لهم الفضل بن سهل[3] ، على فرش مرتفعة ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبيّ فصلّى عليه ، ثمّ ابتدأ بالوقيعة في عبد الله بن مالك الخزاعي[4] ، وذكر أنّه كان يدّعي على الرّشيد – في حكاية حكاها – دخول بيت القيان ، وهو كاذب في ذلك ، وهو الّذي كان يفعل هذا الفعل ، ويدخل المواخير والدساكر ، ولا يرفع نفسه عن ذلك ، ولا يصون عرضه .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو معن ثمامة بن أشرس النميريّ المعتزليّ : كان رأساً في الاعتزال ، وأتباعه يسمّون « الثماميّة » ، متكلم ، فصيح ، بليغ ، مقدّم ، أراد المأمون أن يستوزره فأبى ، وكان ذا نوادر وملح ، نقل الجاحظ كثيراً منها ، وقال فيه : ما علمت أنّه كان في زمان ثمامة ، قرويّ ، ولا بلديّ ، بلغ من حسن الإفهام ، مع قلّة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج ، مع السلامة من التكلّف ، ما كان بلغه ، توفّي سنة ٢١٣ (الأعلام ٢ / ٨٦) .

٣ أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤ – ٢٠٢) ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ من هذا الكتاب .

٤ عبد الله بن مالك الخزاعي : من كبار القوّاد في الدولة العبّاسية ، ولّي الشرطة للمهدي ، وللهادي ، وللرشيد ، ثم ولّاه الرشيد طبرستان والريّ والرويان ودنباوند وقومس وهمدان ، وقام بحملات عسكريّة ناجحة ، ورافقه في رحلته الأخيرة إلى طوس ، فجعله رفيقاً للمأمون ، ولمّا حصلت الفرقة بين الأخوين ، انحاز إلى المأمون (الطبري ٨ / ١٧٥ ، و١٨٥ و١٨٩ و٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٤١ ، ٣٧١) ، وكان بينه وبين البرامكة تباغض ، راجع أخباره في كتاب التاج في أخلاق الملوك ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣ والمحاسن والمساوئ ١ / ١٢٦ و١٢٧ ، وراجع قصّة له مع الهادي في ابن الأثير ٦ / ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ .

قال ثمامة : ثمّ أقبل عليّ ، فقال : وإنّ أبا معن[٥] ، ليعلم ذلك ، ويعرف صحّة ما أقول ، فتركت تشييع كلامه بالتصديق ، وأطرقت [٥٩ م] إلى الأرض ، ودخلتني عصبية العربيّة لابن مالك .

[ثمّ عاد إلى تهجين عبد الله ، والتوسّع في الدعاوى عليه][٦] ، ثمّ أقبل عليّ ثانية ، وقال : إنّ ثمامة ليعرف ذلك ، فسكتُّ ، وأطرقتُ ، وإنّما كان يريد منّي تشييع كلامه بالتصديق .

فلمّا رأى إعراضي عن مساعدته ترك الإقبال عليّ ، وأخذ في خطبته ، حتّى فرغ من أربه في أمر عبد الله بن مالك .

فلمّا تفرّق النّاس عنه ، وانصرفتُ ، علمت أنّي قد تعرّضت لموجدة الفضل ، وهو الوزير ، [وحالي عنده حالي][٦] .

فلمّا حصلت في منزلي ، جاءني بعض إخواني [ممّن كان في ناحية الفضل] ، فأخبرني أنّ يحي بن عبد الله[٧] ، وغيره ، قالوا : ماذا صنع أبو معن ، يخاطبه الوزير ، فيعرض عنه مرّة بعد أخرى .

فقلت : أنا [٥٩ ظ] والله ، بالموجدة عليه - أعزّه الله - أحقّ ، لأنّه قام في ذلك الجمع ، وقد حضر كلّ شريف ومشروف ، فلم يستشهد بي في خطبته ، وما أجراه في كلامه ، إلّا في موضع ريبة ، أو ذكر نبوة[٨] ، ودار مقيّن ومغنّية ، وما أقدر أن أشهد إلّا أن أكون مع القوم ثالثاً .

فقالوا : صدقت - والله - يا أبا معن ، بئس الموضع وضعك .

فرجع كلامي إليه ، فقال : صدق والله ثمامة ، وهو بالمعتبة أحقّ .

واندفعت عنّي موجدته ، وما كان بي إلاّ ما داخلني من الحميّة لعبد الله بن مالك .

---

٥ في ظ : وإن المغضي . * ٦ الزيادة من غ وم .

٧ يحي بن عبد الله : أحد قوّاد المأمون ، وهو ابن عمّ الفضل والحسن ابني سهل (الطبري ٨ / ٥٥٣) .

٨ في م : وذكر سوء .

١٣١

بين الأمين وإبراهيم بن المهديّ

[أخبرني أبو الفرج الأمويّ الأصبهانيّ ، قال : أخبرني محمّد بن خلف ابن المرزبان ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، ووجدت في بعض الكتب بإسناد غير هذا ، ليس لي بسماع ، فجمعت بين الخبرين ، على أتمّ اللّفظ][١] ، قال : [٨٢ غ]

جرى بين الأمين[٢] ، وبين عمّه إبراهيم بن المهدي[٣] ، كلام ، وهما على النبيذ [٤٧ ر] ، فوجد الأمين على إبراهيم ، وبانت لإبراهيم الوحشة منه ، فانصرف إبراهيم إلى منزله قلقاً ، وحجبه الأمين عنه .

وبلغ إبراهيم ذلك ، فبعث إلى الأمين بألطاف ، ورقعة يعتذر فيها ، فردّ الأمين الهديّة ، ولم يجب إبراهيم عن الرّقعة .

فوجّه إبراهيم إليه وصيفة مليحة مغنّية ، كان ربّاها ، وعلّمها الغناء ، وبعث معها عوداً معمولاً من العود الهندي ، مكلّلاً بالجوهر ، وألبسها حلّة منسوجة بالذّهب ، وقال أبياتاً ، وغنّى فيها ، وألقى عليها الأبيات حتّى حفظتها ، وأخذت الصوت ، وأحكمت الصنعة فيه .

---

١ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : أخبرني أبو الفرج الأصبهاني بإسناد ذكره .

٢ أبو عبد الله محمّد الأمين بن أبي جعفر هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٨) : ولّي الخلافة بعد أبيه هارون ، واختلف مع أخيه عبد الله المأمون ، بتضريب الحاشية ، فعزله من ولاية العهد ، وتحاربا ، فظفر به طاهر بن الحسين قائد المأمون ، وقتله (الأعلام ٧ / ٣٥١) ، أقول : كان الأمين خطيباً بليغاً (البصائر والذخائر ٢ / ٥٦٢) ولم يكن مضيعاً بالدرجة التي صوّره الناس بها ، ولكن سوء حظّه صيّر الناس والزمان عليه .

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٧ من الكتاب .

فوقفت الجارية بين يدي الأمين ، وقالت : عمّك وعبدك ، يقول .. واندفعت تغنّي :

هتكت الضمير بـردّ اللُّطَـف[4] وكشّفت هجـرك لي فانكشف
فإن كنت تنكر شيئاً جـرى فهـب للعمومـة ما قد سلف
وجد لي بالصّفح عن زلّتي فبالفضل يأخـذ أهـل الشرف

فقال لها الأمين : أحسنت يا صبيّة ، ما اسمك ؟

قالت : هديّة .

قال : أفأنت كاسمك ، أم عارية ؟

قالت : أنا كاسمي ، وبه سمّاني آنفاً ، لمّا أهداني إلى أمير المؤمنين .

فسرّ بها الأمين ، وبعث إلى إبراهيم ، فأحضره ، ورضي عنه ، وأمر له بخمسين ألف دينار[5] .

---

٤ اللُّطْفُ : الرفق ، واللَّطَفُ : البرّ والتكرمة ، واللَّطَفَةُ : الهدية .

٥ في غ : بخمسة آلاف دينار .

١٣٢

والٍ مستعطف خير من والٍ مستأنف

ووقف أحمد بن عروة[1] بين يدي المأمون ، لمّا عزله عن الأَهواز ، فقال له : أخربت البلاد ، وقتلت العباد ، لأفعلنّ بك وأصنعنّ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تحبّ أن يفعله الله بك إذا وقفتَ بين يديه ، وقد قرّعك بذنوبك ؟ .

قال : العفو ، والصفح .

قال : فافعل بعبدك ، ما تحبّ أن يفعله الله بك .

قال : قد فعلت ، ارجع إلى عملك ، فولٍ مستعطَف[2] ، خير من والٍ مستأنَف[3] .

---

١ كذا ورد في ر ، وغ ، وفي ظ وم : إبراهيم ، راجع القصّة ١٣٩ من هذا الكتاب .

٢ العطف : الميل ، يقال : عطف له : رجع له بما يريد ، والوالي المستعطف : الذي كان والياً ، ثم أعيد إلى ولايته .

٣ أنف كلّ شيء : طرفه وأوّله ، واستأنف الشيء : ابتدأه ، والوالي المستأنف : المعيّن أوّل مرّة للولاية .

١٣٣

والله يحبّ المحسنين

روي أنّ غلاماً للحسن بن عليّ عليهما السّلام[1] ، جنى جناية توجب العقاب ، فقال : اضربوه .

فقال : يا مولاي ، والكاظمين الغيظ[2] ، قال : خلّوا عنه ،

قال : يا مولاي ، والعافين عن النّاس .

قال : قد عفوت عنك .

قال : والله يحبّ [٦٠ م] المحسنين .

قال : أنت حرّ لوجه الله تعالى ، ولك ضعف ما كنت أعطيك .

---

١ الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام (٣ – ٥٠) : أوّل أولاد الزهراء البتول فاطمة ابنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، خامس الخلفاء الرّاشدين ، وثاني الأئمّة ، حجّ عشرين مرّة ماشياً ، بويع بالخلافة سنة ٤٠ ، وصالح معاوية سنة ٤١ (الأعلام ٢ / ٢١٤) .

٢ الكظم : الحبس ، وكظم غيظه : حبسه وصبر عليه .

١٣٤

عبد الملك بن مروان يسقط حدًّا من حدود الله تعالى

حكى الأصمعيّ ، قال : أتي عبد الملك بن مروان ، برجلٍ قد قامت عليه البيّنة بسرقة يقطع في مثلها ، فأمر بقطع يده .

فأنشأ الرّجل يقول :

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك من عار عليها يشينها[١]

فلا خير في الدّنيا ولا في نعيمها إذا ما شمال فارقتها يمينها

فقال : هذا حدّ من حدود الله تعالى ، ولا بدّ من إقامته عليك .

فقالت أمّ له كبيرة السنّ : يا أمير المؤمنين ، كادّي ، وكاسبي ، وابني ، وواحدي ، فهبه لي .

فقال لها : بئس الكادّ كادّك ، وبئس الكاسب كاسبك ، لا بدّ من إقامة حدود الله عزّ وجلّ .

فقالت : يا أمير المؤمنين ، اجعله من ذنوبك الّتي تستغفر الله منها .

فقال : خلّوه ، فأطلق .

---

١ في م : يميني أميرَ المؤمنين أعيذها بعفوك أن تلقى نكالاً يشينها

١٣٥

ومن العناء رياضة الهرم

وذكر ابن عبدوس في كتاب الوزراء : أنّ عاملاً للمنصور على فلسطين[١] كتب إليه : أنّ بعض أهلها وثب عليه ، واستغوى [٨٣ غ] جماعة منهم ، وعاث في العمل .

فكتب إليه المنصور [٦٠ ظ] : أن قيّده ، وأنفذه إليّ ، فأنفذه[٢] .

فلمّا مثل بين يديه ، قال المنصور : أنت المتوثّب على عامل أمير المؤمنين [٤٨ ر] ، لأبرينّ لحمك من عظمك ، وكان شيخاً كبيراً ، ضئيل الصوت ، فقال :

أتروض عرسك بعدما هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم

فلم يفهم المنصور ما قال ، فقال : ما يقول يا ربيع ؟

قال : إنّه يقول :

العبد عبدكمُ والمال مالكم ... فهل عذابك عنّي اليوم مَصروف

قال : يا ربيع قد عفوتُ عنه ، خلّوا سبيله ، وأحسن إليه .

---

١ فلسطين : آخر كور الشام من ناحية مصر ، قصبتها بيت المقدس ، أولها رفح من ناحية مصر ، وآخرها اللجون من ناحية الغور ، وزغر وجبال الشراة ، إلى ايلة ، كلّه مضموم إلى جند فلسطين (معجم البلدان ٣ / ٩١٣ و٩١٤) .

٢ في غ وم : فكتب إليه أبو جعفر : دمك مرتهن به ، إن لم توجّه به إليّ ، فعمد له العامل فأخذه ، ووجّه به إليه .

١٣٦

أوّل مائة ألف أعطيها شاعر في أيّام بني العبّاس

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيّ [قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد[1] ، قال : حدّثني عبد الله بن محمّد بن موسى ، قال : حدّثني محمّد بن موسى بن حمزة][2] ، قال : أخبرني الفضل بن الرّبيع ، قال :

رأيت مروان بن أبي حفصة[3] ، وقد دخل على المهدي[4] ، بعد وفاة معن بن زائدة[5] ، في جماعة من الشعراء منهم سلم الخاسر[6] ، وغيره ، فأنشده مديحاً فيه .

فقال له : من أنت ؟

---

١ أبو محمّد عبد الله بن أبي سعد عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال الأنصاري (١٩٧ - ٢٧٤) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠ / ٢٥ .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو الهيذام مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة (١٠٥ - ١٨٢) : كان جدّه أبو حفصة من سبي اصطخر ، يهودياً من موالي السموأل بن عاديا ، وكان يتقرّب إلى العبّاسيين بهجاء العلويّين ، وقد اعتذر بأنّ ذلك لم يكن لعقيدة ، وإنّما طلباً للمال ، توفّي ببغداد (تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ١٤٢) .

٤ أبو عبد الله محمّد المهديّ بن أبي جعفر عبد الله المنصور (١٢٧ - ١٦٩) : ثالث الخلفاء العبّاسيين ، ولد بإيذج من كور الأهواز ، واستخلف سنة ١٥٨ ، ودامت خلافته عشر سنين وشهراً ، وتوفّي في ماسبذان صريعاً عن دابته في الصيد (الأعلام ٧ / ٩١) .

٥ أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني : من أجواد العرب وشجعانهم ، أدرك العصرين الأموي والعباسي ، وعاش فيهما مكرّماً ، ولّاه المنصور اليمن ، ثم سجستان ، وقتل فيها غيلة سنة ١٥١.

٦ سلم بن عمرو بن حماد الملقّب بسلم الخاسر : لقّب بالخاسر لأنّه باع مصحفاً ، واشترى بثمنه طنبوراً ، شاعر خليع ماجن ، بصريّ ، سكن بغداد ، ومدح المهديّ والرشيد ، توفّي سنة ١٨٦ (الأعلام ٣ / ١٦٨) .

قال : شاعرك يا أمير المؤمنين ، وعبدك ، مروان بن أبي حفصة .

فقال له المهدي : ألست القائل في معن بن زائدة :

أقمنا باليمامة بعد معن ... مقاماً لا نريد به زوالا[7]

وقلنا أين نذهب بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا

فقد ذهب النوال كما زعمت ، فلِمَ جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جرّوا برجله ، فجرّوا برجله حتّى أخرج .

فلمّا كان في العام المقبل ، تلطّف حتّى دخل مع الشّعراء ، وإنّما كانت الشعراء ، تدخل على الخلفاء في كلّ عام مرّة ، فمثل بين يديه ، فأنشد ، رابع أو خامس شاعر ، قصيدته الّتي أوّلها :

طرقتك زائرة فحيِّ خيالها ... بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

قال : فأنصت المهدي يستمع منه ، إلى أن بلغ منها إلى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها ... بأكفّكم أو تسترون هلالها

أو تجحدون مقالة عن ربّه ... جبريل بلّغها النبيّ فقالها

شهدت من الأنفال آخر آية ... بتراثهم فأردتم إبطالها[8] [٨٤ غ]

---

٧ مطلع القصيدة :

مضى لسبيله معنٌ وأبقى ... محامد لن تبيد ولن تنالا

وتشتمل على ٥٤ بيتاً ، أثبتها الخطيب البغدادي بتمامها ١٣ / ٢٤١ – ٢٤٤ .

٨ الآية التي أشار إليها الشاعر ، هي قوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ ٧٥ م الانفال ٨ والذي عليه جمهور المسلمين في تفسيرها : أنّ ذوي الأرحام والقرابة ، بعضهم أحقّ بميراث بعض من غيرهم ، يعني أنّ هذه الآية جاءت ناسخة لما كان يجري قبلها من التوارث بالمعاقدة ،

قال : فرأيت المهدي ، وقد زحف من صدر مصلّاه ، حتّى صار على البساط ، إعجاباً منه بما سمع .

ثمّ قال : كم بيت هي ؟ قال : مائة بيت .

فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أوّل مائة ألف أعطيها شاعر في أيّام بني العبّاس[9] .

ومضت الأيّام ، وولي هارون الخلافة ، فرأيت مروان وقد دخل في جملة الشعراء ، فأنشده قصيدة امتدحه بها .

فقال له : من أنتَ ؟

قال : عبدك ، وشاعرك [٦١ م] ، مروان بن أبي حفصة .

فقال : ألست القائل في معن ؟ وأنشده البيتين اللّذين أنشدهما المهدي .

ثمّ قال : خذوا بيده فأخرجوه ، فلا شيء له عندنا ، فأخرج أقبح إخراج .

فلمّا كان بعد أيّام ، تلطّف حتّى دخل ، فأنشده :

لعمرك ما أنسى غداة المحصّب إشارة سلمى بالبنــان المخضّب

وقد صدر الحجّاج إلّا أقلّهم مصادر شتّى موكبــاً بعد موكب

قال : فأعجبته القصيدة ، فقال : كم هي ؟

قال : سبعون بيتاً ، فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً .

فصار ذلك رسماً له عندهم إلى أن مات[10] .

أو بالهجرة ، أو المؤاخاة ، أمّا العباسيّون فيفسرونها بأنّ من كان أقرب إلى الميت في النسب ، كان أولى بالميراث ، سواء كان ذا سهم ، أو غير ذي سهم ، عصبة كان أو غير ذي عصبة ، يريدون بذلك أن يجعلوا خلافة النبيّ ميراثاً ، وأن يجعلوا أنفسهم أحقّ بها من كافة المسلمين ، باعتبارهم أولادِ عمّ النبيّ ، فيرثونه عصبة .

٩ قيل لمروان بن أبي حفصة : ما أغراك ببني عليّ؟ قال : ما أحد أحبّ إليّ منهم ، ولكنّي لم أجد شيئاً أنفع عند القوم منه (العقد الفريد ٥ / ٨٩) .

١٠ وردت القصّة في الأغاني ١٠ / ٨٧ و٨٨ .

١٣٧

الرّشيد يرضى عن العتّابي الشّاعر

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيّ ، قال : [أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال :][1]

غضب الرّشيد على العتّابي[2] ، وحجبه[3] ، فدخل سرًّا مع المتظلّمين ، بغير إذن[4] ، فمثل بين يدي الرّشيد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد أدّبني النّاس لك ، [ولنفسي فيك][1] ، وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك ، وما مع ذكرك قناعة بأحد غيرك ، ولعمري لنعم الصائن كنتُ لنفسي ، لو أعانني الصبر عليك ، ولذلك أقول :

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن خنيس بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبيّ ، من بني عتّاب بن سعد ، كاتب مترسّل ، وشاعر مجيد ، مدح هارون الرشيد ، والمأمون والبرامكة ، وطاهر بن الحسين ، راجع حكاية له لطيفة مع إسحاق الموصلي في ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٤٨٨ – ٤٩٢ ، وحكاية أخرى لطيفة مع عثمان الورّاق في الأغاني ١٣ / ١١٤ ، توفّي سنة ٢٢٠ .

٣ سئل العتّابي عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال : استقبلت منصور النميريّ يوماً فوجدته مغموماً ، فسألته عن حاله ، فقال : تركت امرأتي تطلق ، وقد عسرت ولادتها ، وهي يدي ورجلي ، والقيّمة بأمري ، وأمر منزلي ، فقلت له : ألا أدلّك على ما يسهّل عليها ؟ قال : وما هو ؟ قلت : اكتب على بطنها هارون الرشيد ، قال : ليكون ماذا ؟ قلت : لتلد على المكان ، ألست القائل فيه :

إن أخلف القطر لم تخلف مواهبه ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتّسع

فقال لي : أبالخلفاء تعرّض ، وفيهم تقع ، وإيّاهم تعيب ؟ وأخبر الرشيد بذلك ، فغضب ، وأمر بطلبي (العقد الفريد ٥ / ٣٣٥ والأغاني ١٣ / ١٤٨) .

٤ كلّ من كان يجلس للمظالم ، خليفة أو غير خليفة ، يفتح بابه ، وينحّي حجابه ، ليدخل عليه من شاء من المتظلّمين بلا إذن .

أخضني المقام الغمر إن كان غرّني سنا خلّب أو زلّت القدمان[٥]
أتتركني جدب المعيشة مقتراً وكفّاك من ماء النّدى يكفان
وتجعلني سهم[٦] المطامع بعدما بللت يميني[٧] بالنّدى ولساني [٦١ ظ]

قال : فرضي عنه ، وخلع عليه ، وأمر له بجائزة سنيّة ، فما رأيت العتّابي أنشط منه في ذلك اليوم ، ولا أفرح ، [ولا أبسط لساناً منه يومئذ][٨] .

قال أبو الفرج الأصبهاني : في البيتين الأوّلين غناء لمخارق[٩] ، ثاني ثقيل بالوسطى ، [وقيل إنّ فيه للواثق ثاني ثقيل آخر][١] .

---

٥ هذا البيت لم يرد في ظ ولا في ر ، والإضافة من م ، وغ .

٦ في غ : نصب المطامع .

٧ في م : بللت بناني .

٨ الزيادة من م .

٩ أبو المهنّا مخارق بن يحيى الجزّار : أطيب الناس صوتاً ، وكان الرشيد يعجب بغنائه جدّاً ، وهو الذي كنّاه بأبي المهنأ ، توفّي بسرّمن رأى سنة ٢٣١ (الأعلام ٨ / ٦٨) .

١٣٨

المأمون يصفح عن دعبل الخزاعي الشاعر ويصله

[قرئ على أبي بكر الصولي ، سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، بالبصرة ، وأنا أسمع : حدّثكم هرون بن عبد الله المهلّبي ، سنة ثمانين ومائتين ، قال :][1]

لما هجا دعبل[2] ، المأمون ، قال لهم : أسمعوني ما قال ، فأنشدوه هذين البيتين من أبيات ، وهما :

إنّي من القوم الّذين سيوفهـــم　　قتلت أخاك وشرّفتك بمقعد [٨٥ غ]
شادوا بذكرك بعد طول خمولــه　　واستنقذوك من الحضيض الأوهد[3]

فقال المأمون : قبّحه الله ، ما أبهته ، متى كنت خامل الذّكر ، وفي حجر الخلافة ربيت ، وبدرّها غذيت ، خليفة ، وأخو خليفة ، وابن خليفة[4] .

ثمّ جدّ في طلب دعبل ، حتّى ظفر به ، فلم يشكّ أحد في أنّه قاتله .

فلمّا دخل عليه ، قال له : يا دعبل ، واستنقذوك من الحضيض الأوهد .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو عليّ دعبل بن عليّ بن رزين الخزاعيّ (١٤٨ - ٢٤٦) : شاعر مجيد ، من الكوفة ، أقام ببغداد ، كان متعصّباً لآل عليّ ، وهجا الخلفاء الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، وطال عمره فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها ، فما أجد من يفعل ذلك ، (الأعلام ٣ / ١٨) .

٣ البيت الأوّل من المقطوعة هو :

أيسومني المأمون ، خطّة جاهـــل　　أو ما رأى بالأمس رأس محمّـــد

وإنّما فخر دعبل برأس محمّد (الأمين) لأنّ طاهر بن الحسين قتله ، وطاهر مولى خزاعة (الشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٤٠) .

٤ في غ وم : وابن ثلاثة خلفاء .

فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عفوتَ عمّن هو أعظم منّي جرماً .

فقال : صدقت ، لا بأس عليك ، أنشدني « مدارس آياتٍ[5] » .

فقال : أنشدها وأنا آمن ؟

قال : نعم .

فأنشده إيّاها ، فجعل المأمون يبكي ، لمّا بلغ قوله :

بنات زياد[6] في القصور مصونـة   وبنت رسول الله في الفلوات

[ثمّ وصله وأمّنه .][7]

---

٥ قصيدة « مدارس آيات » قصيدة عامرة ، نظمها دعبل في رثاء قتلى آل البيت ، ومطلعها :

مـدارس آيـات خلت من تـلاوةٍ   ومنـزل وحـي مقفـر العرصـات

ديـار عـلـيّ والحسين وجعفـر   وحمزة والسجّـاد ذي الثفنـات

إذا افتخـروا يـومـاً أتـوا بمحمّـد   وجـبريل والقـرآن والسـورات

٦ في غ : بنات يزيد .

٧ الزيادة من غ وم .

١٣٩

المأمون يهب عمرو بن مسعدة ستة آلاف ألف درهم ، فيهبها عمرو لأحد أتباعه

[قرئ على أبي بكر الصولي ، وأنا أسمع ، في كتابه « كتاب الوزراء » ، حدّثكم أحمد بن إسماعيل ، قال : حدّثني سعد بن يعقوب النصراني ، قال :][١] :

أمر المأمون محمّد بن يزداد[٢] ، وأحمد بن أبي خالد[٣] ، أن يناظرا عمرو ابن مسعدة[٤] ، في مال الأهواز ، فناظراه ، فتحصّل عليه ستّة عشر ألف ألف درهم ، فأعلما المأمون بذلك .

فقال : اقبلا منه كلّ حجّة ، وكلّ تعلّق ، وكلّ ادّعاء .

فقالا : قد [٦٢ م] فعلنا .

فقال : عودا . فعادا ، فتعلّق عمرو بن مسعدة بأشياء لا أصل لها ، فسقط من المال عشرة آلاف ألف درهم ، وبقي ستة آلاف ألف درهم [واجبة عليه][١] ، لا حجّة له فيها ، وأخذ خطّه بذلك .

فأحضر المأمون عمراً ، بعد خروجهما ، فقال له : هذه رقعتك ؟

قال : نعم .

قال : وهذا المال واجب عليك ؟

قال : نعم .

---

١ الزيادة من غ .

٢ محمّد بن يزداد بن سويد : من كتّاب الإنشاء في الدولة العباسيّة ، استوزره المأمون ، وتوفّي المأمون وهو وزيره ، وعاش إلى أيّام الواثق ، وتوفّي سنة ٢٣٠ (الأعلام ٨ / ١٤) .

٣ أحمد بن أبي خالد : وزير المأمون ، ترجمته في حاشية القصّة ٨١ من الكتاب .

٤ أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد الصولي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٣ من الكتاب .

قال : خذ رقعتك ، فقد وهبته لك .

فقال : أما إذ تفضّل أمير المؤمنين عليّ به ، فإنّه واجب على أحمد بن عروة[٥] ، وأشهدك أنّي قد وهبته له .

فاغتاظ المأمون ، وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون ، وعلم خطأه في عمله ، فلجأ إلى أحمد بن أبي خالد[٦] ، فأعلمه بذلك ، وكان يختصّه .

فقال : لا عليك ، ودخل إلى المأمون .

فلمّا رآه المأمون ، قال : ألا تعجب يا أحمد من عمرو ، وهبنا له ستّة آلاف ألف درهم ، بعد أن تجاوزنا له عن أضعافها ، فوهبها بين يديّ لأحمد بن عروة ، كأنّه أراد أن يباريني[٧] ، ويصغّر معروفي ؟

فقال له أحمد : أو قد فعل ذلك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : نعم .

قال : لو لم يفعل هذا ، لوجب أن يسقط حاله .

قال : وكيف ؟

قال : لأنّه لو استأثر به على أحمد بن عروة ، وأخذ أحمد بأداء هذا المال ، لكان قد أخرجه من معروفك صفراً ، ولما كانت نعمتك على عمرو ، نعمة على أحمد ، وهما خادماك ، فكان الأجمل أن يتضاعف معروفك عندهما ، فقصد عمرو ذلك ، فصار المال تفضّلاً منك على عمرو ، [وعلى أحمد بن عروة ، ومع ذلك ، فأنت سيّد عمرو][٨] لا يعرف سيّداً [٦٢ ظ] غيرك ، وعمرو سيّد أحمد ، فاقتدى في أمر أحمد بما فعلت في أمره ، وأراد أيضاً أن ينتشر

---

٥ كذا ورد الاسم في غ ، و ر ، وفي م : أحمد بن أبي عروة ، وفي ظ : أحمد بن أبي عروبة .

٦ في غ : أحمد بن أبي دؤاد ، وهو خطأ من الناسخ .

٧ في م : يوازيني .

٨ الزيادة من غ ، وم .

في ملوك الأمم ، أنّ خادماً من خدمك اتّسع قلبه لهبة هذا المال ، من فضل إحسانك إليه ، فيزيد في جلالة الدّولة ، وجلالة قيمتها ، فيكسر ذلك الأعداء الّذين يكاثرونك .

فسرّي عن المأمون ، وزال ما بقلبه على عمرو . [٥٠ ر]

١٤٠

المأمون يصفح عن الفضل بن الربيع

[وقرئ على أبي بكر الصولي ، بالبصرة [٨٦ غ] ، وأنا أسمع ، في كتاب « الوزراء » ، خبرٌ فيه ذكر الفضل بن الرّبيع ، وظفر المأمون به ، وعفوه عنه ، وقرئ بعقبه : حدّثكم عون بن محمّد[١] ، قال : حدّثنا سعيد بن هريم ، قال :][٢]

لما ظفر المأمون بالفضل بن الرّبيع ، ومثل بين يديه ، قال له : يا فضل ، أكان من حقّي عليك ، وحقّ آبائي ، ونعمتهم عندك ، وعند أبيك ، أن تثلبني ، وتشتمني [٤٩ ر] ، وتحرّض على دمي ؟ أتحبّ أن أفعل بك مع القدرة ، ما أردته بي[٣] ؟ .

---

١ أبو مالك عون بن محمّد الكندي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٢٩٤ .

٢ الزيادة من غ .

٣ كان الرشيد قد أمر الفضل بن الربيع ، إن حدث به حدث ، أن يحمل خزائنه ، وأمواله ، وسلاحه ، وجميع عسكره إلى المأمون ، فلمّا توفّي الرشيد ، حمل ذلك كلّه إلى محمّد (تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٠) ، وإلى ذلك أشار المأمون في قوله يخاطب أحد الثائرين عليه : أتدري ما صنع بي الفضل ؟ أخذ قوّادي ، وأموالي ، وجنودي ، وسلاحي ، وجميع ما أوصى به أبي إليّ ، فذهب به إلى محمّد ، وتركني بمرو ، وحيداً ، فريداً ، وأسلمني ، وأفسد عليّ أخي ، حتى كان من أمره ما كان ، وكان أشدّ عليّ من كلّ شيء (ابن طيفور ص ٧٧) ، وقد أغرى الفضل بين الأخوين الأمين والمأمون إغراء

فقال له الفضل : يا أمير المؤمنين ، إنّ عذري يحقدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف إذا عفته العيوب ، وقبّحته الذّنوب ، فلا يضيق عنّي من عفوك ما وسع غيري منه ، فأنت – والله – يا أمير المؤمنين ، كما قال الشّاعر :

صفوح عن الإجرام حتّى كأنّه ... من العفو لم يعرف من النّاس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ماالأذى لم يغش بالكره مسلماً

قال الصولي : والشعر للحسن بن رجاء .

١٤١
جعفر بن محمّد بن الأشعث يهدّئ من غضب الرّشيد

غضب الرّشيد على جعفر بن محمّد بن الأشعث[1] ، غضباً شديداً ، من كلام جرى بينهما ، فخاف جعفر أن يستفزّه الغضب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما تغضب لله عزّ وجلّ ، فلا تغضب له بما لا يغضب به لنفسه ، فانعطف له الرّشيد .

شديداً (البدء والتاريخ ٦ / ١٠٧) وأعانه بكر بن المعتمر ، وزيّن للأمين خلع أخيه المأمون (البدء والتاريخ ٦ / ١٠٨) ، قال الشاعر : [البدء والتاريخ ٦ / ١١١]

أضاع الخلافة غشّ الوزير ... وفسق الأمير وجهل المشير
فبكر مشير وفضل وزير ... يريدان ما فيه حتف الأمير

راجع ترجمة الفضل بن الربيع في حاشية القصّة ١١١ من هذا الكتاب .

١ جعفر بن محمّد بن الأشعث : من كبار العمّال في الدولة العباسيّة ، كان معه خاتم الخلافة في أيّام الرشيد ، ولمّا ورد أبو العبّاس الطوسي من خراسان ، أخذه منه ، وسلّمه إلى أبي العبّاس الطوسيّ ، وولّى جعفر خراسان ، ثم عزله عنها ، وولّى عليها ولده العبّاس بن جعفر (الطبري ٨ / ٢٣٥ و٢٣٨ والكامل ٦ / ١١٤ و١٢٠) .

١٤٢

بين هشام بن عبد الملك وإبراهيم بن أبي عبلة

أحضر هشام بن عبد الملك ، إبراهيم بن أبي عبلة ، الّذي تقلّد ديوان الخاتم لمروان بن محمّد ، فقال له : إنّا قد عرفناك صغيراً ، وخبرناك كبيراً ، وأريد أن أخلطك بحاشيتي ، وقد ولّيتك خراج مصر ، فاخرج إليها .

فأبى إبراهيم عليه ، وقال له : ليس الخراج من عملي ، ولا لي به معرفة[١] .

فغضب هشام عليه غضباً شديداً ، حتّى خاف إبراهيم بادرته ، فقال له : يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الكلام .

فقال : قل .

قال : إنّ الله تعالى ، قال : إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن يحملنها ، وأشفقن منها ، فوالله ما أكرهها ، ولا غضب عليها[٢] في إبائها ، [ولقد ذمّ الإنسان لمّا قبلها][٣] .

فقال له هشام : أبيت إلّا رفقاً ، وأعفاه ، ورضي عنه .

---

١ في غ : ولا لي بصيرة به .

٢ في غ : ولا سخط عليها .

٣ الزيادة من غ .

١٤٣

صاحب ديوان الخراج يسرق توقيع الخليفة من يد الرسول

استسلف موسى بن عبد الملك[١] من بيت مال الخاصّة[٢] ، مالاً ، إلى أجل قريب ، وضمن للمتوكّل أن يردّه في الأجل .

فجاء الأجل ولم يحمل المال ، فغضب المتوكّل من مدافعته ، وقال لعبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، وقّع إليه عنّي بردّ المال اليوم ، وضيّق عليه في المطالبة ، وأنفذ التوقيع مع عتّاب بن عتّاب[٣] ، ومره أن يطالبه ، فإن أخّر أداء المال ، طالبه ، وضربه بالمقارع في ديوان الخراج[٤] بحضرة النّاس ، وأن لا يرفع عنه المقارع ، حتّى يصحّح المال .

---

١ أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٣ .

٢ بيت مال الخاصّة : بيت المال الخاص بالخليفة وأهل بيته ، ويتكوّن من واردات ضياعهم وعقاراتهم ، ومن الواردات التي لا تعتبر واردات حكوميّة كالهدايا والمصادرات ، وأوّل من أنشأ بيت مال الخاصة ، هارون الرشيد ، ولم يكن قبله بيت مال (العقد الفريد ٥ / ٧٤) ، وسبب ذلك أنّه أراد أن يشتري جارية بمائة ألف دينار ، فأمر وزيره البرمكيّ بإحضار الثمن ، فاستكثر الوزير المبلغ ، وتلكّأ في إحضاره ، ثم بعث إليه مائة ألف دينار دراهم ، ليستكثر المبلغ ، فلا يصرّ على شراء الجارية . فلمّا رأى الرشيد المبلغ ، استكثره ، وأخذه فضمه إلى بعض خدمه ، وبحث عن الأموال ليجمع منها بيت مال خاصّة له (تجارب الأمم ٦ / ٥٢٨) .

٣ عتّاب بن عتّاب : من القوّاد ، كان أثيراً عند المتوكّل ، بعث به إلى حمص لمّا ثار أهلها ، فأصلح أمرها (ابن الأثير ٧ / ٧٣ والطبري ٩ / ١٩٧) وقرّبه المنتصر لمّا ولّي الخلافة (ابن الأثير ٧ / ١٠٥) ولمّا وقع الخلف بين المستعين ببغداد والمعتزّ بسامراء ، انحاز لجهة المستعين وفرّ إليه (ابن الأثير ٧ / ١٤٣ والطبري ٩ / ٢٨٧) ثم حارب الأتراك في صف المهتديّ ، وأمره أن يلقي إلى الأتراك رأس القائد بايكباك ، فألقاه إليهم ، فحملوا عليه فقتلوه ، وكان ذلك في السنة ٢٥٦ (ابن الأثير ٧ / ٢٢٩ والطبري ٩ / ٤٥٨) .

٤ كان موسى يلي ديوان الخراج في عهد المتوكّل ، راجع القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

فبادر بعض الخدم إلى موسى ، فأخبره بذلك ، فجلس ينظر في وجوه يردّ منها المال .

وصار إليه عتّاب بالتوقيع مختوماً ، وكان يوماً شديد الحرّ ، وقد انتصف النهار ، وموسى [٦٣ م] في خيش[٥] ، في حجرة من ديوانه ، وفيه مروحة[٦] ، يتناوبها فرّاشان[٧] يروّحانه ، فدخل عتّاب ، وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه ،

---

٥ الخيش : نسيج خشن من الكتّان كان يعلّق في مجاري الهواء ، ويرشّ بالماء ، فيبرّد ما وراءه ، وأوّل من اتّخذ له الخيش المنصور ، وقد كانت الأكاسرة في صيفها يطيّن لها سقف بيت في كلّ يوم صائف فتكون قيلولة الملك فيه ، وكان يؤتى بأطباق الخلاف (نوع من الصفصاف) طوالاً ، فتوضع حول البيت ، ويؤتى بقطع الثلج الكبار ، فتوضع بين أضعافها ، وكان بنو أميّة يفعلون مثل ذلك ، فلمّا كان في أوّل خلافة المنصور ، طيّن له بيت في الصيف ليقيل فيه ، فاتّخذ له أبو أيوب المورياني ثياباً كثيفة تبلّ وتوضع على الآلة التي يقال لها بالفارسية سيايه ، (سي پايه) ، فوجد بردها ، فاستطابها ، فقال : أحسب أنّ هذه الثياب لو اتّخذت من أكثف منها ، لحملت من الماء أكثر ممّا تحمل هذه ، وكانت أبرد ، فاتّخذ له الخيش ، فكان ينصب على قبّة ، ثم اتّخذت بعدها الشرائج ، فاتّخذها الناس (لطائف المعارف ١٩) ، أقول : وقد أدركنا الناس وهم لا يستعملون الخيش للتبرّد ، وإنّما يستعملون نوعاً من الشوك طيّب الرائحة ، يسمى العاقول (تلفظ القاف كافاً فارسيّة واللام مفخّمة) يرصّ بين أعواد الجريد ، ويقام في مجرى الهواء ، ويرشّ بالماء ، فينبعث منه نسيم عذب بليل ، وكان هارون الرشيد يؤذيه الخيش ، راجع في الطبري ٨ / ٣٥٦ كيفيّة تصرّفه لاتّقاء الحرّ ، دون أن يحتاج إلى الخيش .

٦ المِروحة ، وجمعها مراوح وقد تسمّى : المذبّة ، وجمعها مذابّ : كلّ أداة يحرّك بها الهواء عند اشتداد الحرّ ، ومروحة الخيش ، تشبه شراع السفينة ، وتعلّق في السقف ، وتبلّ بالماء ، أو ترشّ بماء الورد ، ويشدّ بها حبل ، فإذا جذبت بالحبل روّحت على ما تحتها ، روحة وجيئة ، وهبّ منها نسيم طيّب ، وذكروا أنّ أوّل من أمر بصنع هذه المروحة هارون الرشيد ، دخل يوماً على أخته عليّة بنت المهديّ في قيظ شديد ، فألفاها قد صبغت ثياباً من زعفران وصندل ، وشرّتها على الحبل لتجفّ ، فجلس هارون قريباً من الثياب المشرورة ، فجعلت الرّيح تمرّ على الثياب ، فتحمل منها ريحاً بليلةً عطرةً ، فوجد لذلك راحة من الحرّ ، واستطابه ، فأمر أن يصنع له في مجلسه مثلها (مطالع البدور ١ / ٦٥ ، ٦٦) والمذابّ عباسيّة ، أمّا قبل العباسيين ، فكان الغلمان يقفون على رؤوس ساداتهم ، يذبّون عنهم بالمناديل (الأغاني ١٣ / ٢٨٠) .

٧ الفرّاش : الأجير الذي يخدم الكتّاب والمتصرفين في الديوان ، وينفذونه في حوائجهم ، وما زال هذا اسمه ببغداد .

فجلس ، وأكبّ موسى على الكتاب يتشاغل به عن خطاب عتّاب ، وأصاب عتّاب برد المروحة والخيش ، فنام واستثقل .

وكان عتّاب قد أخرج التوقيع حين جلس ، فوضعه على دواة [٨٧ غ] موسى ، [فغمز موسى بعض غلمانه][٨] فأخذ الكتاب فغيّبه .

وما زال عتّاب ينام مرّة وينتبه أخرى ، وموسى يعمل ، إلى أن انقضت الهاجرة ، وقد توّجه لموسى بعض المال ، وأنفذ أصحابه لقبضه .

فقال له عتّاب : انظر فيما جئنا له .

قال : قل أصلحك الله فيم جئت ؟

قال : فيما تضمّن التوقيع .

قال : وأيّ توقيع ؟

قال : الّذي أوصلته إليك من أمير المؤمنين .

قال : متى ؟

قال : السّاعة وضعته على الدواة .

فقال له : قد نمت نومات ، وأظنّ أنّك رأيت في نومك شيئاً .

فطلب عتّاب التوقيع ، فلم يجده ، فقال : سرق والله التوقيع ، يا أصحاب الأخبار[٩] ، اكتبوا .

فقال موسى : يا أصحاب الأخبار ، اكتبوا ، كذب فيما ادّعاه ، ما أوصل إليّ توقيعاً ، وأنتم حاضرون ، فهل رأيتموه أوصل إليّ توقيعاً ؟ قم فانظر لعلّك يا أبا محمّد ضيّعت التوقيع في طريقك .

فانصرف عتّاب إلى عبيد الله[١٠] فأخبره بذلك .

---

٨ الزيادة من غ .

٩ صاحب الخبر : راجع حاشية القصّة ٣٥٥ .

١٠ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكّل .

فدخل عبيد الله إلى المتوكّل ، فحدّثه ، فضحك ، وقال : أحضروا موسى السّاعة ، فحضر .

فقال له المتوكّل : يا موسى ، سرقت التوقيع من عتّاب ؟

قال : إي والله يا سيّدي خمّنت أنّ فيه مكروهاً ، ونام عتّاب من قبل أن يوصله [٦٣ ظ] إليّ ، فأمرت من سرقه ، وقد أعددت نصف المال ، والساعة أحمله إلى صاحب بيت مال [الخاصّة][٨] ، وأحمل الباقي بعد خمسة أيّام ، وأتبع ذلك بتضرّع[١١] .

فأنفذ المتوكّل معه من قبض منه ذلك ، وانصرف وقد رضي عنه .

---

١١ ضرع : خضع وذلّ ، والضارع : المتذلّل ، والتضرّع : إظهار الضراعة ، أي الخضوع والذلّ .

١٤٤

صاحب الشرطة لا يصلح أن يكون نديماً للخليفة

دعا الواثق [إسحاق بن] إبراهيم المصعبيّ[١] إلى منادمته ، فامتنع ، فتلاحيا في ذلك ، إلى أن تغيّر الواثق على [إسحاق بن] إبراهيم ، فأمر بحجبه عنه .

فكتب إليه إسحاق : يا أمير المؤمنين ، لو أطلقتني الحشمة الّتي عقد بها لساني عن الانبساط لتغيّره عليّ ، لقلت : ما لي فيما عقده عليّ قلب أمير المؤمنين ذنب ، إذ كان يوقّيني من امتهان العامّة إيّاي .

فرمى الواثق كتابه إلى ابن أبي دؤاد[٢] .

فقال له ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، ما على من كانت هذه همّته فيما يردّ على أمير المؤمنين عيب ، وهو يجد من إسحاق عوضاً في المنادمة ، ولا يجد منه عوضاً في شرطته .

فرضي عنه الواثق ، وأعفاه من المنادمة[٣] ، ومنع من حجبه ، وأجراه على رسمه ، وعاد إلى ما كان عليه .

---

١ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين المصعبيّ : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٢ أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الايادي ، قاضي القضاة : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٤ من هذا الكتاب .

٣ المنادمة : المجالسة في مجالس الشراب ، والنديم : الرفيق المشارب في مجالس الشراب ، وجمع النديم : نِدام ، وجمع الندام : ندامى .

١٤٥

الرّشيد يرضى عن نصر بن مالك

لمّا عزل الرّشيد نصر بن مالك ، بسعي البرامكة ، أمره أن يلزم بيته ، ولا يخرج منه ، فكتب إلى الرّشيد : قد قبضني سوء رأي أمير المؤمنين فيّ ، عن الاعتذار بحجّة ، أو نشر دلالة تنبئ بخلاف ما قُرِفْتُ به عنده ، فما أهتدي إلى وجه طلب الاعتذار ، وما يجرّأني على الإبانة عمّا لا أعلمه إلّا حسن رأيه أعزّه الله ، واطّلاعه على قلقي بضميره ، فإنّي عبد نعمته ، وغذيّ إحسانه ، إن أسبغا عليّ ، وفى شكري لهما ، وإن أزيلا عنّي ، اعتضت منهما الرجوع إلى الحرمة[1] ، ولزوم فائدة يتطوّل بها عليّ ، من تطوّل على أمير المؤمنين بردّ ميراثه[2] من الخلافة عليه .

فوقّع الرّشيد على ظهر رقعته : « نصر بن مالك ، أولى من ردّت عليه النعمة ، إذ كان معترفاً بسمتها ، وبالغاً بالشّكر حقّ قيمتها ، فما شكرني أحد من أوليائي كشكره ، فليهنه ما أوليناه من رأينا ، ومنحناه من برّنا » . وأظهر الرضا عنه ، وولّاه ولاية أخرجه إليها[3] .

---

١ في غ : الرجوع إلى الخدمة .

٢ في غ : بردّ منزلته .

٣ كذا ورد توقيع الرشيد في غ .

١٤٦

بين الحجّاج ويوسف بن عبد الله بن عثمان

ذكر أبو الحسن المدائنيّ في كتابه ، عن ابن أبي عقبة ، عن أبيه ، قال : لما أمّن الحجاج[1] النّاس ، أتاه يوسف بن عبد الله بن عثمان[2] ، وكان عبد الملك ابن مروان قد كتب له أماناً .

فقال له الحجّاج : ثكلتك أمّك .

قال : وأبي مع أمّي .

قال : أين ألقتك الأرض بعدي ؟ [٨٨ غ]

قال : ما قمت مقاماً ، منذ لم ترني ، أوسع من مقام قمته السّاعة ، إنّ الله استعملك علينا ، فأبينا ، فأبى علينا ، فعفا عنه .

فقال الفرزدق في ذلك :

ولو لم ينل حبل الخليفة يوسفاً لمجّ نجيعاً من دم الجوف أحمرا[٦٤ م]

---

١ راجع ترجمة الحجّاج بن يوسف الثقفي في حاشية القصّة ٦٧ ، وبحثاً عن قسوته وظلمه في حاشية القصّة ١٤٩ ، وبحثاً عن سياسته المالية المخرّبة في حاشية القصّة ١٨٢ من هذا الكتاب .

٢ ورد ذكره في تاريخ ٦ / ١٥٣ وكان أحد السفراء في الموادعة بين أتباع مصعب بن الزبير ، وأتباع الأمويّين ، بالبصرة في السنة ٧١ .

١٤٧

بين زياد وأحد قعدة الخوارج

وذكر المدائنيّ في كتابه ، قال : أرسل زياد إلى رجل من قَعَدة الخوارج[1] ، من بني تميم[2] ، فاستدعاه ، فأتاه خائفاً .

فقال له زياد : ما منعك من إتياني ؟

فقال له : قدمتَ علينا ، فقلتَ : لا أُعدكم خيراً ولا شرّاً إلّا وفيت به وأنجزته ، وقلتَ : من كفّ يده ولسانه لم أعرض له ، فكففت يدي ولساني ، وجلست في بيتي ، فأمر له بصلة ، فخرج والنّاس لا يشكّون في أنّه يقتله .

فقالوا له : ما قال لك الأمير ؟

فقال : ما كلّكم أستطيع أن أخبره بما كان بيننا ، ولكنّي وصلت إلى رجل لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ، فرزق الله منه خيراً .

---

١ القعدة : قسم من الخوارج ، يرون رأي الخوارج ، ولكنهم لا يوافقونهم في الالتزام بمحاربة القائمين بالحكم ، قال أبو نؤاس لمّا منعه الخليفة من شرب الخمر :

فكأنّي وما أزيّن منها   قعديّ يزيّن التحكيما
كلّ عن حمله السلاح إلى الحر   ب وأوصى المطيق أن لا يقيما

٢ في غ : من بني نمير .

١٤٨

الحجّاج يحبس رجلاً لأنّه شكا إليه أخاه محمّداً عامل اليمن

وذكر المدائنيّ في كتابه ، قال : قدم رجل من أهل اليمن ، على الحجّاج ، يشكو أخاه ، محمّد بن يوسف[1] ، فصادف الحجّاج على المنبر ، فقام إليه ، فشكا أخاه محمّداً ، فأمر به الحجّاج ، فحبس .

فلمّا نزل عن المنبر ، استدعاه وهو متغيّظ عليه ، فقال له : ما جرّأك على أن ترفع على أخي ؟

فقال له : أنا بالله ، أعزّ من أخيك بك .

فقال الحجّاج : خلّوا سبيله .

---

١ محمّد بن يوسف الثقفي : أخو الحجّاج بن يوسف الثقفي ، ومثيله في الظلم والجور ، استعمله الحجّاج على صنعاء ، ثم ضمّ إليها الجند ، فما زال والياً عليها حتى مات سنة ٩١ ، قال الطبري ٦ / ٤٩٨ : إنّه أصابه داء تقطّع منه ، وقال الخزرجيّ : جمع المجذومين بصنعاء ، وجمع الحطب ليحرقهم ، فمات قبل ذلك ، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، في خلافة الوليد : الوليد بالشام ، والحجّاج بالعراق ، وأخوه باليمن ، وقرّة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض – والله – جوراً (الأعلام ٨ / ٢٠) وحمل مرّة هدايا للوليد بن عبد الملك ، فقال له : بلغني أنّك أصبتها غصباً ، ولم يقبلها إلاّ بعد أن حلف بالبيت الحرام ، بين الركن والمقام ، خمسين يميناً بالله ، أنّه ما غصب شيئاً منها ، ولا ظلم فيها أحداً (الطبري ٦ / ٤٩٨) .

١٤٩

الحجّاج يأمر بتعذيب آزاد مرد

[وذكر المدائنيّ في كتابه ، عن أبي المضرحي ، وقد وجدته أنا ، في غير موضع ، عن المدائني ، بما يقرب من هذه العبارة : أخبرني محمّد بن الحسن ابن المظفّر ، قال : أخبرني الحرمي ، عن الزّبير ، قال :][١]

أمر الحجّاج محمّد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني ، ابن أخي مسروق[٢] ، أن [٦٤ ظ] يعذّب آزاد مرد بن الفرند ، فأخذه محمّد .

فقال له آزاد مرد : [أرى لك يا محمّد ، شرفاً ، وديناً][١] ، وإنّا من أهل بيت لا نعطي على الذلّ شيئاً ، فارفق بي ، واستأن فيّ .

فقال : أفعل .

فرفّهه محمّد ، وأكرمه ، فكان يؤدّي إليه ، في كلّ جمعة[٣] ، ثلثمائة ألف درهم .

فغضب الحجّاج ، وأمر معدّ ، صاحب العذاب ، أن يأخذه من محمّد ، فأخذه معدّ من محمّد ، فعذّبه ، ودقّ يديه ورجليه[٤] ، فلم يعطه شيئاً .

فقال محمّد : فإنّي لأسير ، بعد ثلاثة أيّام ، إذا به معترضاً على بغل ، مدقوق اليد والرّجل .

---

١ الزيادة من غ والحرمي ، ابو عبد الله أحمد بن محمّد بن إسحاق بن أبي حميضة ، ويعرف بالحرمي ابن أبي العلاء : من أهل مكّة ، سكن بغداد ، وكان كاتب القاضي أبي عمر محمّد بن يوسف الأزدي ، توفّي سنة ٣١٧ ، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٤ / ٣٩٠ وشذرات الذهب ٢ / ٢٧٥ والوافي بالوفيات ٨ / ٩ .

٢ في م : محمّد بن المغيث الأجدع الهمداني : ابن أخي مسروق .

٣ الجمعة : الأسبوع .

٤ راجع وصف قسوة الحجّاج وظلمه في آخر القصّة .

فصاح بي : يا محمّد .

فكرهت [٥١ ر] أن آتيه ، فيبلغ الحجّاج ، فأقع معه في مكروه ، ثمّ تذمّمت أن لا أدنو منه ، فدنوت .

فقلت : حاجتك ؟

فقال : إنّك وَلِيتَ منّي مثل هذا ، فأحسنت ، ولي عند فلان مائة ألف درهم ، فخذها منه برسالتي إليه .

فقلت : والله ، لا أخذت منك شيئاً ، وأنت على هذه الحال .

فقال : أمّا إذ أبيت ، فاستمع منّي ، أحدّثك حديثاً سمعته من أهل دينك ، عن نبيّك ، سمعتهم يقولون ، إنّه قال : إذا أراد الله تعالى بالعباد خيراً ، أمطرهم المطر في أوانه ، واستعمل عليهم خيارهم ، وجعل المال في سمحائهم ، وإذا أراد بهم شرّاً ، [أمطرهم المطر في غير أوانه][٥] واستعمل عليهم شرارهم ، وموّل بخلاءهم ، ثمّ مضى .

وأتيت منزلي ، فما وضعت ثيابي حتّى أتاني رسول الحجّاج ، وقد بلغه ما جرى . فخفته خوفاً شديداً ، [ووقعت في أمر عظيم][٦] ، فأتيته وقد اخترط سيفه ، وهو في حجره منتضى . فقال لي : ادن .

فقلت : ما بي دنوّ ، وفي حجر الأمير السيف .

فضحك ، وقال : ما قال [٨٩ غ] لك الخبيث ؟

فقلت له : والله ما غششتك منذ استنصحتني ، ولا خنتك منذ ائتمنتني ، ولا كذبتك مذ صدّقتني ، وأخبرته بما قال .

فلمّا أردت ذكر الرّجل الّذي عنده المال ، صرف وجهه عنّي ، وقال : لا تسمّه ، لقد سمع عدوّ الله الأحاديث ، انصرف راشداً .

فانصرفت آمناً ، وقد زال خوفي .

---

٥ الزيادة من غ وم . * ٦ الزيادة من غ .

قسوة الحجّاج وظلمه

كان الحجّاج بن يوسف الثقفي ، قد جمع خلالاً قبيحة ، ظاهرة ، وباطنة ، من دمامة الصورة ، وقبح المنظر ، وقساوة القلب ، وشراسة الأخلاق ، وغلظ الطبع ، وقلّة الدين ، والإقدام على انتهاك حرمة الله تعالى ، حتّى حاصر مكّة ، وهدم الكعبة ، ورماها بالمنجنيق ، والنفط ، والنار ، وأباح الحرم ، وسفك ، وهتك ، وقتل في مدّة ولايته ألف ألف وستمائة ألف مسلم ، ومات في حبوسه ثمانية عشر ألف إنسان ، وكان لا يرجو عفو الله ، ولا يتوقّع خيره ، وكأنّه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة ، بسور من فظاظة ، وغلاظة ، وقسوة (العقد الفريد للملك السعيد ١١٨) .

وقد أوردنا في ترجمة الحجّاج ، في حاشية القصّة ٦٧ ، العاهات الّتي ابتلي بها ، فأدّت به إلى الساديّة ، ولذلك ، فقد كان يتفنّن في ابتكار أنواع العذاب ، ويتلذّذ بمشاهدة ضحاياه عند تعذيبهم ، وكان يعذّب بعضهم ويقتلهم بيده .

فقد جيء له بابن القريّة ، فأمر به ، فأمسكه رجال أربعة ، حتى لا يستطيع حراكاً ، ثمّ وضع الحجّاج حربة في ثندوءته ، ودفعها ، حتى خالطت جوفه ، ثم خضخضها ، وأخرجها ، فأتبعها دم أسود ، فقال الحجّاج : هكذا تشخب أوداج الإبل ، وفحص ابن القريّة برجله ، وشخص ببصره ، وجعل الحجّاج ينظر إليه ، حتى قضى (الأخبار الطوال ٢٢٢ ، ٢٢٣) .

وأمر بأحد أسراه ، فشدّ عليه القصب الفارسيّ ، ثم سلّ عنه ، حتى شرّح بدنه ، ثم نضح بالخلّ والملح ، حتى مات (الكامل للمبرد ٢ / ٢٠٧) .

وجيء إليه بمحمّد بن سعد بن أبي وقاص أسيراً ، فظلّ يضرب رأسه بعصا كانت في يده ، حتّى أدماه ، ثم أطمعه في أن يطلقه ، وأطرق ملياً ، كأنّه يفكّر ، ثم قال لرجل من أهل الشام : اضرب لي مفرق رأسه ، فضربه ، فمال نصفه ها هنا ، ونصفه ها هنا (الطبري ٦ / ٣٧٩ والإمامة والسياسة ٢ / ٤١ و٤٢) .

وحبس إبراهيم بن يزيد التيمي الزاهد ، ومنع عنه الطعام ، ثم أرسل عليه الكلاب تنهشه ، حتى مات (اللباب ١ / ١٩٠) ، ولمّا مات ، رمى بجثته في الخندق ، ولم يجرأ أحد أن يدفنه ، حتى مزّقته الكلاب (البصائر والذخائر م٣ ق١ ص ٣٠٤) .

وفي معركة الزاوية ، إحدى المعارك مع ابن الأشعث ، قتل الحجاج أحد عشر ألفاً ،

بالخديعة والمكر ، فقد أمر مناديه : فصاح : لا أمان لفلان بن فلان ، وسمّى رجالاً ، فقال العامّة : قد آمن الناس ، وحضروا ، فأمر بهم فقتلوا (ابن الأثير ٤ / ٤٦٩) .

ولمّا دخل البصرة ، دخل الجامع ، وجلس على المنبر ، وأمر جنده بأخذ الأبواب وقال لهم : إذا رأيتموني وضعت عمامتي عن رأسي ، فضعوا سيوفكم ، ثمّ بدأ خطبته ، فحصبه الناس ، فخلع عمامته ، ووضعها على ركبتيه ، فجعلت السيوف ، تبري الرقاب وسالت الدماء إلى أبواب المسجد ، وإلى السكك (الإمامة والسياسة ٢ / ٢٥ و٢٦) .

وكان صغيراً في تصرّفاته ، حبس مالك بن أسماء بن خارجة ، وضيّق عليه كلّ أحواله ، حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه ، بالرماد والملح ، وأحضره عنده يوماً ، فبينما هو يحدّثه ، استسقى ماءً ، فأتي به ، فلما نظر إليه الحجّاج ، قال : لا ، هات ماء السجن ، فأتي به ، وقد خلط بالملح والرماد ، فسقيه (الأغاني ١٧ / ٢٣١) .

وقبض على يزيد بن المهلّب وعذّبه ، فكان يزيد يصبر على العذاب ، فقيل له : إنّه رمي بنشّابة ، فثبت أصلها في ساقه ، فلا يمسّها شيء إلاّ صاح ، فأمر أن يعذّب بذلك ، وأن يدهق ساقه ، فلمّا فعل به ذلك ، صاح ، وسمعته أخته هند ، وكانت عند الحجّاج ، فصاحت ، فطلّقها الحجاج (وفيات الأعيان ٦ / ٢٩١) .

وبقدر ما كان الحجّاج ، قاسياً ، متغطرساً على الناس ، كان ذليلاً أمام عبد الملك بن مروان ، كتب إليه مرّة : إنّ خليفة الله في أرضه ، أكرم من رسوله إليهم .

وبلغه أنّ عبد الملك ، عطس يوماً ، فشمّته أصحابه ، فردّ عليهم ، ودعا لهم ، فكتب إليه : بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين ، ومن تشميت أصحابه له ، وردّه عليهم ، فيا ليتني كنت معهم ، فأفوز فوزاً عظيماً (العقد الفريد ٥ / ٥٣) ، راجع ترجمة الحجّاج في حاشية القصّة ٦٧ ، وبحثاً عن سياسته المالية المخرّبة في حاشية القصّة ١٨٢ .

١٥٠

المأمون يرضى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي

[حدّثني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : أخبرني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر ، والحسين بن يحيى[١] ، عن حمّاد بن إسحاق الموصلي ، عن أبيه ، قال أبو الفرج ، وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجم ، عن أبيه ، عن إسحاق ، قال :][٢]

أقام المأمون بعد دخوله بغداد عشرين شهراً ، ولم يسمع حرفاً من الأغاني ، ثمّ كان أوّل من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرّشيد[٣] أوّل مرّة ، ثمّ واظب على السماع متستّراً ، متشبّهاً بالرّشيد في أوّل أمره ، فأقام المأمون كذلك أربع سنين ، ثم ظهر للندماء والمغنّين[٤] .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وكان حين أحبّ السّماع ، سأل عنّي ، فجرحت بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلفاء ، ما بقّى هذا من التيه شيئاً إلّا استعمله .

فأمسك عن ذكري ، وجفاني من كان يصلني [٦٥م] لسوء رأيه فيّ ، فأضرّ ذلك بي ، حتّى جاءني علويه[٥] يوماً ، فقال لي : أتأذن لي في ذكرك

---

١ أبو عبد الله الحسين بن يحيى بن عيّاش بن عيسى القطّان الأعور (٢٣٩ – ٣٣٤) : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٨ / ١٤٨ .

٢ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : قال ابن المنجّم .

٣ أبو عيسى محمّد بن هارون الرشيد : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٩ من هذا الكتاب .

٤ في الأغاني ١٠ / ١٠١ إنّ أوّل من غنّى بحضرة المأمون محمّد بن الحارث بن بسخنّر ، ولم يظهر للندماء أربع سنين ، حتى ظفر بإبراهيم بن المهديّ ، فلمّا ظفر به ، ظهر للندماء .

٥ أبو الحسن عليّ بن عبد الله ، المعروف بعلويه : موسيقي بغدادي ، تخرّج على إبراهيم الموصليّ ،

بحضرة المأمون ، فإنّا قد دعينا اليوم .

فقلت : لا ، ولكن غنّه بهذا الشعر ، فإنّه يبعثه على أن يسألك لمن هو ؟ فإذا سألك انفتح لك ما تريده ، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء .

قال : هات ، فألقيت عليه لحني في شعري :

يا سرحة الماء قد سدّت موارده ... أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتّى لا حيام به ... مشرّد[6] عن طريق الماء مطرود

قال أبو الفرج الأصبهاني : والغناء فيه لإسحاق الموصلي ، رمل بالوسطى ، عنه ، وعن عمرو بن بانة .

رجع الحديث ، قال : فمضى علويه ، فلمّا استقرّ به المجلس ، غنّاه بالشعر ، الّذي أمره به إسحاق .

فقال المأمون : ويلك يا علويه ، لمن هذا الشعر ؟ .

فقال : يا سيّدي لعبد من عبيدك ، جفوته ، واطّرحته ، من غير ذنب .

فقال : إسحاق تعني ؟

قال : نعم .

فقال : يحضر الساعة .

قال إسحاق : فجاءني رسول المأمون ، فصرت إليه ، فلمّا دخلت إليه استدناني ، فدنوت منه [٦٥ ظ] ، فرفع يديه إليّ مادّهما ، فانكببت عليه ، فاحتضنني بيديه ، وأظهر من برّي وإكرامي ، ما لو أظهره صديق مؤانس لصديق ، لسرّ به .

وبرع في الغناء ، والتلحين ، والضرب بالعود ، له أخبار مع الأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، عاش إلى أيام المتوكّل ، وتوفّي سنة ٢٣٦ (الأعلام ٥ / ١١٨) .

٦ في غ : محلأ .

وقد ذكر القاضي أبو الحسين هذا الخبر ، في كتابه بغير إسناد ، وبأقلّ من هذا الشرح ، والمعنى متقارب[7] .

---

٧ وردت القصّة في الأغاني ٥ / ٣٨٣ وورد في نسخة غ : آخر الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وسلّم ، يتلوه في الجزء الثاني ، باب من خرج من أسر أو حبس أو اعتقال ، إلى سراح وسلامة وصلاح حال ، وهو الباب الخامس .

محتويات الكتاب

رموز

الأرقام المثبتة في العمود الأيمن : **للصفحات** ، والأرقام التالية لها: **للقصص** .

استدراكات

أوردت في مقدمّة الكتاب (ص ١٢) أنّ من جملة مراجع التنوخي المؤلّف كتاه سمّاه التنوخي «شجا» ذكر إنّه من تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وذكرت في الحاشية ، أنّني لم أجد فيما لديّ من المراجع ذكراً لهذا الكتاب ، ثم وجدت من بعد ذلك ، أنّ «شجا» اسم الجارية التي أهداها إسحاق بن إبراهيم الموصلي للخليفة الواثق ، وعمل لها المصنّف في الغناء ، الذي بين أيدي الناس ، راجع الأغاني ١٩/٢٧٩ و ١٦/٣١١ .